الحادي
المجلد [redacted] والثلاثون

الجـــزء الثالث

مجلة المجمع العلمي العراقي

شعبـــان ١٤٠٠ هـ

تمـــوز ١٩٨٠ م

مراكز الحركة الفكرية
في صدر الإسلام

الدكتور صالح أحمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي
الاستاذ بكلية الآداب ــ جامعة بغداد

تهدف دراسة الحركة الفكرية توضيح طبيعة تقدم البشرية ومداها ، وهي تشمل دراسة ظهور الأفكار وتطورها ، والكشف عن المفكرين والعلماء الذين عملوا على إظهارها وتعميقها وتقدمها ، كما تعنى بمدى اهتمام الناس بها وكثرة المعنيين بها.

والأفكار تظهر باستعمال العقل ، وتنمو بالإبداع ، ويعبر عنها بالكلام أو الكتابة . فدراسة أحوالها وتطورها ، تتطلب أساليب قد تختلف عما تتطلبه دراسة الأحوال السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية التي تعتمد مادتها على المحسوسات وفي الحركة الفكرية يبرز التفاعل بين الفرد والمجتمع ، فالإبداع الفكري يتوقف على الافراد المبدعين ، والازدهار الفكري يتوقف على مدى كثرة المعنيين بالفكر من أبناء المجتمع ؛ وكل دراسة للحركة الفكرية يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار كلتا الظاهرتين : إبداع الأفكار ، وانتشارها بين الناس . ولعل من أبرز سمات الحركة الفكرية في صدر الاسلام ، هو أنها جمعت بين الأفذاذ المبدعين من الأفراد ، وكثرة المهتمين بالفكر والمعنيين بدراسته .

وتطور الحركة الفكرية ، يقوم على عوامل نابعة من طبيعة الفكر ، ولذلك فإنه قد يتخذ مساراً خاصاً لا يطابق مسار التطورات السياسية أو الإجتماعية ، فقد تنشط

الحركات السياسية وما يرافقها من ثورات أو معارك ،أو قد تزدهر الحياة الاقتصادية وتنشط المعاملات التجارية وتنمو الصناعة وتزداد الثروة ، ولكن تبقى الحركة الفكرية راكدة ، كالذي حدث في بعض الدول التجارية في القديم ؛ وبالعكس قد تنشط الحركة الفكرية في مجتمع يتميز بالهدوء أو الركود السياسي ، وبالفقر وقلة الموارد .

والحركة الفكرية تقوم على استعمال العقل والتأمل والتفكير ، وكثيراً ما يكون القائمون بها في حالة عوز مادي ؛ والواقع يشهد أن قلة من العلماء كانوا في بحبوحة من العيش ، وأن أغلبهم كانوا يشكون العَوَز ويعانون الفاقة [١] .

إن النشاط الفكري يقوم على انتقال الأفكار الذي قد لا يستلزم بالضرورة انتقال الأشخاص العلماء ؛ فقد تنتقل الأفكار بالمدونات والكتب ، أو بانتقال وسطاء من الاشخاص ؛ فتمتد فكرةٌ مّا الى مناطق بعيدة لم يصل اليها مبدع الفكرة.

ولا ريب في أن خير وسيلة لمعرفة الأفكار هو المدونات والكتب ؛ غير أن قلة الكتب قبل انتشار الورق ، واعتماد الحركة الفكرية على الرواية والسماع أفقدانا كثيراً من التفاصيل المهمة عن تطور هذه الحركة ، ولم يبق أمامنا إلا نصوص قليلة متفرقة ، علينا أن نعالجها بحذق وحذر إذا أردنا تقديم صورة شاملة لتطور الحركة الفكرية .

والأداة الأساسية في الفكر هي اللغة ، إذ بها يعبر المرء عن أفكاره وينشرها بين الناس ؛ ولولا اللغة لما استطاع الإنسان أن يفكر ، ولا استطاع معرفة أفكار غيره . ومع أن لكل قوم لغةً خاصةً بهم ، فإن اللغة إنما تكتسب بالتعلّم والمران ، وقد يستطيع المرء تعلم لغة قوم غير قومه والتفكير بها والتأليف فيها ، وقد تترجم الأفكار وتنقل من لغتها الأصلية الى لغات أخرى ؛ وعلى هذا فما كل ما كتب بالاغريقية يرجع الى مفكرين إغريقيي الأصل ، وما كل ما كتب بالفارسية كتبه أناس عرقهم فارسي ، فاللغة الواحدة قد يكتب بها أناس من أصول

---

(١) انظر في ذلك كتاب « صفحات من صبر العلماء » لعبد الفتاح أبو غدة .

متعددة ، وهذه حقيقة يؤدي تجاهلها الى الوقوع في كثير من الأخطاء والأخطار. غير أن انتشار لغة ما وتطورها لتصبح لغة العلم العامة ، يعطي دلالة على ميزات تلك اللغة وعلى الدور الرئيس لأهلها في تطور الحركة الفكرية .

ولدراسة مراكز الحركة الفكرية أهمية في فهم الآثار المحلية من جغرافيّة أو بشرية على تكوين آراء الكاتب وأفكاره ؛ لأن للبيئة أثراً في تقديم المثيرات ، وخلق التحديات ، وفي تقديم بعض المعلومات التي تؤثر في تنشيط التفكير وتوجيهه. غير أن هذا لا يعني أن النشاط الفكري مقيد كلياً بالمكان ، فقد يتأثر التوجيه الفكري للمرء بكتاب ألّفه رجل بعيد عنه في الزمان أو المكان ، فيأخذ من هذا الكتاب أفكاراً قد تبدو غريبة عن بيئته أو جديدة عليها . ولعل هذا أوضح أثراً في عصرنا الحاضر ، إذْ كثرت الكتب ، وسهل الحصول عليها ، وتيسر نقل الأفكار بوسائل الاتصال والنشر المتطورة . غير أن هذا الأثر لم يكن معدوماً كلياً في الماضي ، وإن كان أثره أقل .

ودراسة مراكز الحركة الفكرية ، لا يعني الاعتقاد بالحتمية الجغرافية في تقرير ازدهار الحركة الفكرية فمن المعلوم أن تكوّن مراكز الحركة الفكرية يتأثر بعوامل متعددة وليس بعامل واحد، وانها لا تبقى ثابتة في مكان واحد، وإنما تتبدل تبعاً للظروف والأحوال، ومن أبرز الأمثلة على ما نقول هو بلاد اليونان التي ازدهرت الحركة الفكرية في عدد من مدنها قروناً عديدة ، ثم غرقت في سبات لم تتحرر منه حتى الآن. وفي تاريخنا العربيّ أمثلة لا تنكر على تنقل مراكز الازدهار الفكري فقد كانت هذه المراكز في صدر الاسلام في المدينة ومكة ، ثم في الكوفة والبصرة ودمشق ، ثم ازدهرت بغداد ، ونشطت الحركة الفكرية بعد ذلك في عدد من مدن خراسان والهضبة الايرانية ، وفي الفُسْطاط والقيروان ، ثم في مدن أخرى متباعدة في المكان ، أي أنها لم تبق ثابتة في مكان واحد .

وعند دراسة مراكز الحركة الفكرية في صدر الاسلام تجدر ملاحظة أن الدولة التي كونها العرب المسلمون امتدت من أواسط آسية حتى المحيط الأطلسي وأن موجهيها من الخلفاء والولاة والمقربين اليهم كانت لهم أفكار واضحة عن توجه

الدولة ومسيرتها ، وأن من أفكارهم الأساسية العمل على توحيد الدولة وضمان الحرية فيها . والواقع أن هذه الدولة بعد تكونها عمّ فيها السلم والأمن والرخاء ، وأزيل كثير من القيود والحواجز القديمة ، ونفذت خطوات جدّية لإحلال نظم موحـــدة محل النظم والأوضاع المتباينة ، وقد آمن موجهو الدولة بالحرية الفردية ، وهي من المبادئ الاساسية التي دعا إليها القرآن الكريم ، فأباحت حرية العمل والتنقـــل والكلام . وأدت هذه الحرية الى أن يقيم في كل مصر أناس من قبائل مختلفة واحياناً من أصول مختلفة ، وإلى ظهور تيّارات فكرية متعددة واحياناً متعارضة ؛ غير أن عوامل التوحيد سرعان ما سيطرت على التنوعات ، فجعلتها فرعية ضمن إطار عام موحد يسير فيه كل علم . فكتب الفقه مثلا رتبت أبوابها على نمط واحد ، أي انها تعالج مشكلات واحدة وإن اختلفت حلول كلٍّ مشكلة . وهذا ينطبق على كثير من فروع المعرفة الأخرى (٢) .

ولما كان الإبداع الفكري هو ثمرة نتاج الأفذاذ من الأفراد، وبالنظر لصعوبات التنقل والاسفار في الأزمنة القديمة ، وسهولة الاتصال بين سكان المكان الواحد ، فقد كان لبعض العلماء تأثير أقوى في التوجيه الفكري للأبحاث في بلدهم ، ومن هنا ظهرت منذ صدر الإسلام تيارات فكرية محلية متمايزة . ففي النحو والفقـــه وقراءات القرآن مثـــلاً ، ظهر ما يسمى مدرسة البصرة والكوفة والمدينة ، غير أن الاختلاف بين هذه « المدارس » كان في الفروع دون الأصول وفي الجزئيات دون الكليات . وبالرغم من تعدد مراكز الحركة الفكرية ، واختلاف بعض أحوالها واتجاهات دراستها ، فان عوامل التوحيد سيطرت على توجيه الكليات فأنتجت هياكل عامة واحدة تضم الجزئيات .

ظفرت مراكز الحركة الفكرية باهتمام العرب وعنايتهم ، فكتبَ معظم المؤلفين في تواريخ الاقاليم والمـــدن، عن العلم في المكان الذي ألفوا عنه وعـــن العلماء

---

(٢) انظـــر في ذلك كتـــاب Islam and Integration of Society للأستـــاذ مونتجومرى وات : وكتاب « الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية » الذي أشرف على إعداده فون حرونباوم وترجمه الى العربية الدكتور صدقي حمدي .

الذين ظهروا في ذلك المكان ، وأورد كثير منهم ملاحظات قيّمة عن أسباب ازدهار العلم وعن خصائص الاتجاهات العلمية في ذلك المكان ، وكانت عناية متأخري المؤلفين في هذا النمط من التأليف أكبر ، حتى تكاد تكون مادة كافة الكتب التي عنوانها « تاريخ » المكان الفلاني منصبةً كلها على ذكر العلماء الذين ظهروا في ذلك المكان أو مرّوا بـه [٣] .

وصنّف كثير من الباحثين في علم الرجال والطبقات مادتهم مرتبة بحَسَب الأقاليم ، فذكروا علماء كل مصر أو إقليم . وكان علماء رجال الحديث أكثر تأليفاً من غيرهم في هذا الباب ، غير أن عدداً من مؤرخي علماء علوم أخرى اتبعوا التصنيف بحسب الأقاليم ، كالذي فعله ابن أبي أُصَيْبِعة في كتابه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » .

ووردت في كلام عدد من الباحثين عن تطور بعض فنون المعرفة إشارات الى خصائص الحركة الفكرية وعوامل ازدهار الحركة الفكرية فيها . ووردت مثل هذه الإشارات فيما كتب عن فضائل بعض المدن ، أو المفاخرات بين المدن والأقاليم .

غير أن أغلب من درس مراكز الحركة الفكرية ، عني بعموم علماء المكان ، فاختلطت في دراستهم الأحوال الفكرية في عهودها الأولى وعهودها المتأخرة ، وكان أغلب ما ذكروه يصف الأحوال في الازمنة المتأخرة التي كثيراً ما كانت تختلف عما في صدر الاسلام . ثم أن معظم الباحثين أطال في قائمة أسماء الصحابة الذين لهم صلة بذلك المكان ، ولم يميزوا بين من مرّ مروراً عابراً ، أو أقام مدة قصيرة ، وبين من أقام أمداً طويلاً مكّنه من ترك أثر ملحوظ ؛ وبهذا بالغوا من طريق غير مباشر في دور أهل الحجاز في نشاط الحركة الفكرية في صدر الإسلام .

وفي الازمنة الحديثة عُنِيَ بعض الباحثين بمراكز الحركة الفكرية في صدر الاسلام . وكان الرواد في ذلك عدداً من المستشرقين المعنيين بدراسة التطور الفكري ، وقد ردد كثير من باحثيهم حتى العقد الثالث من القرن الحالي أن المراكز الفكرية

---

(٣) انظر في ذلك « علم التاريخ عند المسلمين » للاستاذ روزنثال وقد ترجمته الى العربية .

الرئيسة ، التي كانت عند ظهور الإسلام ، هي الإسكندرية وأنطاكية وحرّان وجُنْدَيْسابور [٤]. وذهب الدكتور ماكس ما يرهوف ، وهو من ذوي الاطلاع الواسع والاعتدال في التفكير ، الى أن مراكز العلم انتقلت بعد الإسلام من الإسكندرية الى أنطاكية ، ثم الى حران ، حتى أستقرت أخيراً في بغداد [٥] .

وقد اعتمد مايرهوف في مقاله على ثلاثة نصوص ، ورد اثنان منها في كتاب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » لإبن أبي أصيبعة ، وورد الثالث في كتاب « التنبيه والاشراف » للمسعودي .

فقد ذكر إبن أبي أصيبعة : أن « عبدالملك بن أبجر الكِناني ، كان طبيباً عالماً ماهراً ، وكان في أول امره مقيماً في الإسكندرية ،لأنه كان المتولي في التدريس بها من بعد الإسكندرانيين الذين تقدم ذكرهم . . ثم إن المسلمين لما استولوا على البلاد وملكوا الإسكندرية أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبدالعزيز ، وكان حينئذ أميراً قبل أن تصل اليه الخلافة ، وصحبه ، فلما أفضت الخلافة الى عمر ، وذلك في صفر سنة ٩٩ هـ ، نقل التدريس الى أنطاكية وحرّان ، وتفرق في البلاد » [٦] .

ونقل ابن أبي أصيبعة عن الفارابي قوله : إن النصرانية لما جاءت بطل التعليم من رومية وبقي بالإسكندرية ، وإن الاساقفة اجتمعوا وقرروا إباحة تدريس بعض كتب المنطق مما يمكن الاستعانة به على نصرة دينهم « فبقي الظاهر من التعليم هذا المقدار ، وما ينظر فيه من الباقي مستوراً ، الى أن كان الإسلام بعده بمدة

---

(٤) انظر مثلا كتاب « علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب » وكتاب « الفكر العربي ومركزه في التاريخ » لديلاسي أوليرى : وقد ترجم الكتاب الأول الى العربية الدكتور وهيب كامل ، وترجم الكتاب الثاني الدكتور تمام حسان .

(٥) هذا الرأي واضح في الفصل الذي كتبه ما يرهوف عن الطب والعلوم ، في كتاب « تراث الاسلام » الطبعة الاولى ، وقد ترجمه الى العربية جرجيس فتح الله ، وكذلك مقاله « من الاسكندرية الى بغداد » وقد نشره في محاضر جلسات الأكاديمية البروسية للعلوم سنة ١٩٣٠ ، ثم نشر الدكتور عبد الرحمن بدوي ترجمتها العربية في كتابه « التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية » . والى هذا المقال نشير في بحثنا الحالي .

(٦) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١١٦/١ .

طويلة ، فانتقل التعليم من الإسكندرية الى أنطاكية ، وبقي بها زمناً طويــلاً الى أن بقي معلم واحد ، فتعـلّم منه رجلان ، وخرجا ومعهما الكتب ، فكان أحدهما من أهل حـرّان ، والآخر من أهل مـرْو . فأما الذي من أهل مرو ، فتعـلّم منــه رجلان . أحدهما ابراهيم المروزي ، والآخريوحنا بن حيلان ، وتعلّم من الحـرّاني إسرائيل الأسقف وقويري ، وسارا الى بغداد ، فتشاغل إبراهيم بالدين ، وأخذ قويري في التعليم . وأما يوحنا بن حيلان ، فانه تشاغل أيضاً بدينه ، وانحدر ابراهيم المروزي الى بغداد فأقام بها . . » [٧] .

أما المسعودي . فقال « وقد ذكرنا في كتاب (فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف) الفلسفة وصدورها ، والاخبار عن كمية أجزائها . . وكيف انتقل مجلس التعليم من أثينة الى الاسكندرية من بلاد مصر . . ولأي سبب نقل التعليم في أيام عمر بن عبدالعزيز من الإسكندرية الى أنطاكية ، ثم انتقاله الى حـرّان في أيام المتوكل ، وانتهى ذلك في ايام المعتضد الى قويري ويوحنا بن حيلان ، وكانت وفاته في ايام المقتدر ، وابراهيم المروزي . ثم الى محمد بن كرنيب وأبي بشر متى بن يوسف تلميذي ابراهيم المروزي . . وكانت وفاته ببغداد في خلافة الراضي ، ثم الى ابي نصر محمد بن محمد الفارابي تلميذ يوحنا بن حيلان ، وكانت وفاته بدمشق في رجب سنة ٣٣٩ » [٨] .

يتبين من هذين النصين أنّ مدرسة الاسكندرية لم يكن فيها عند ظهورالإسلام عالم مرموق المكانة إلا عبدالملك بن أبجر ، وهو عربي كِناني ، وأنه بانتقالــه عنها ماتت المدرسة . وهذا مظهر للضعف والتدهور الذي كانت تعانيه هذه المدرسة من قرون سابقة [٩] .

أما انطاكية ، فكانت قبل الإسلام أكبر مدن الدولة البيزنطية بعد القسطنطينية ، وكانت اهم المراكز المسيحية ، ومن مراكز الثقافة الإغريقية ، غير أنها عانت

---

(٧) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/١٣٥ .

(٨) التنبيه والاشراف ١٠٥ – ٦ .

(٩) فصل الدكتور مايرهوف في أول مقاله الذي ذكرناه أعلاه في تدهور مدرسة الإسكندرية قبل الاسلا

ا

كثيراً من الاضطرابات قبيل الإسلام ، فضعفت مكانتها وتضاءل شأنها ، وكانت عند الفتح الاسلامي منغمرة في الدراسات الدينية . وإشارة المسعودي وابن ابي أصيبعة الى انتقال التعليم الطبي والفلسفي اليها من الاسكندرية على يد عبدالملك ابن ابجر في خلافة عمر بن عبدالعزيز . لم يؤد الى زيادة النشاط الفكري فيها ، بدليل عدم وجود إشارة ما الى طبيب او فيلسوف ظهر فيها [١٠] .

أما حرّان ، فكانت من أهم مدن الجزيرة ، ويبدو أنها كانت قاعدة هذا الاقليم . وقد اتخذها مروان بن محمد قاعدة له لما ولي الخلافة . والمسعودي صريح في تحديده انتقال العلم الى حران في زمن المتوكل ، أي أنها لم تكن قبل ذلك مركزاً فكرياً . والواقع أن كلاً من المسعودي وابن ابي أصيبعة يذكر أن العلم بعد انتقاله الى حران في زمن المتوكل كان معتمداً على رجلين فقط ، هما : قويري ويوحنا بن حيلان ، اللذين بانتقالهما الى بغداد انتهى النشاط العلمي في حرّان بعد أن استمر زُهاءَ اربعين سنة . والواقع انه لم يعرف من العلماء الحرانيين غير ثابت بن قُرّة (٢١٩ — ٢٨٨ هـ) الذي انتقل الى بغداد ، وكانت له مكانة عظيمة فيها ، واشتهر بالطب والرياضيات والفلك ، كما برز عدد من أولاده وحَفَدَته في بغداد . إن قصر مدة ازدهار العلم في حرّان ، وقلّة من اخرجت من العلماء ، يظهر ضعف الحركة العلمية فيها .

إن النصوص التي أوردناها ، تتعلق بالفلسفة ، وقد تتناول الطب أيضاً ، وهما أبرز علوم الإغريق ، ويظهر منها أن دراستها كانت تقوم في مركز واحد ، وتعتمد على شخص أو شخصين ، وينتقل مركز هذه الدراسة بانتقال العالِم . فقد كان العلم في الاسكندرية قائماً على ابن ابجر ، ثم انتقل بانتقال ابن ابجر الى انطاكية ، ثم انتقل بعد نحو من خمسين ومئة سنة الى حرّان ومَرْو على يد رجل أو رجلين . ولا ريب في أن العلم ، الذي يقوم على شخص واحد ، لا يمكن عَدُّه مزدهراً ، والواقع أن المعلومات من سبل أخرى تؤيد أن العلم الإغريقي كان

(١٠) من أنضج الدراسات عن انطاكية قبل الإسلام هي كتاب « انطاكية » وقد ترجمه الى العربية الدكتور إبراهيم نصحي . وأنظر كذلك كتاب « انطاكية مدينة الله » للدكتور أسد رستم .

قد تدهور وأصيب بالركود والجمود ، فقلّ دارسوه ، وتناقص العلماء فيه ، وندرت كتبه ؛ وأوضح دليل على هذا هو أن العرب لما ازدادت حماستهم في ترجمة كتب الإغريق ، وبذلوا في ذلك بسخاء ، لم يجدوا كتباً كثيرة ، فأرسلوا من يجوب الآفاق ، ويذهب الى بلاد الروم للحصول على هذه الكتب . والمهم في موضوع بحثنا هو أن هذه الأماكن التي عُدّت مراكز العلم الإغريقي لم يبرز منها عالم عربي ، ولم يعرف عنها نشاط فكري في صدر الإسلام ؛ وهي حقيقة تشير الى أن العلم الإغريقي لم يكن له دور في تنشيط الحركة الفكرية أو توجيهها في صدر الاسلام ، وأن العرب بدأوا يطلّعون على الفكر الإغريقي بعد أن بلغ نشاطهم الذاتي مدىً بعيداً ، وبعد أن رست قواعد العلوم عندهم واستقرت هياكلها .

وكانت السريانية ، وهي لغة وثيقة الصلة بالعربية وقريبة الشبه بها ، شائعة عند أهل بلاد الشام وفلسطين والعراق . فلما دان هؤلاء بالنصرانية بعد ظهورها ، أصبحت لغتهم السريانية تستعمل في الكنائس وفي الأبحاث والمجادلات الدينية .

وأغلب المؤلفات فيها هي كتب في تراجم القديسين والشهداء ورجال الدين ، وأناشيد دينية ، وشروح لبعض عقائد المسيحية ومذاهبها ، وقد ترجمت الى السريانية أو ألفت فيها بعض الكتب في الفلسفة والمنطق تعين في فهم الدين وعقائده ، كما ترجم إليها عدد من الكتب في الطب وبعض العلوم الطبيعية [١١].

وردد عدد من المؤلفين المحدثين أن أهم المراكز الفكرية للسريانية عند ظهور الإسلام ، هي : الرُّهَا ونَصيبين وحَرّان والحِيرة وجُنْدَيْسابور ، واعتمدوا في اختيار حرّان على ظهور ثابت بن قُرّة فيها ، وفي الحيرة على كون حنين وأسرته منها ، وفي جنديسابور على كونها كانت مقام آل بختيشوع وماسويه [١٢] . والحق أن الأخيرين كانا في جُنْدَيْسابور ، وكان لهما دور كبير في دراسة الطب فيها. أما حرّان ، فان ظهور ثابت فيها لا يكون دليلاً قاطعاً على أنها كانت مركزاً لحركة

(١١) من أوسع الدراسات في الإنتاج الفكري بالسريانية كتاب بومشترك . وكتاب « اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية » للبطريرك اغناطيوس افرام برصوم .

(١٢) انظر ما كتبه الأستاذ أحمد أمين في كتابيه « فجر الإسلام » و« ضحى الإسلام » ؛ ولهذين الكتابين أثر بالغ على معظم من ألف من العرب بعد ظهورهما .

فكرية نشطة ، وانما توجد اشارة تدل على ضعف دراسة الطب فيها . فان حنيناً ، وهو أبرز عالم من أهل الحيرة ، درس الطب في جُنْدَيْسابور ثم في بغداد ؛ ويروى أنّ يوحنا بن ماسويه غضب على حنين لسؤال سأله إيّاه حين كان يدرس عليه وقال له : « ما لأهل الحيرة ولتعلّم صِناعة الطب ؟ . عليك ببيع القُلُوس في الطريق ! » . ويذكر القفطي تعليقاً على هذا الخبر « وهذا عمله يوحنا ، لأن هؤلاء الجُنْدَيْسابوريين كانوا يعتقدون أنهم أهل هذا العلم ولا يخرجونه عنهم وعن أولادهم وجنسهم » (١٣) .

يتبين من الدراسات التفصيلية الحديثة المعتمدة ، أن الحركة الفكرية باللغة السريانية كانت قائمة بالدرجة الأولى على رجال الدين الذين كانت مراكزهم الرئيسة في الكنائس والأديرة الكثيرة المنبثة في مختلف أرجاء البلاد في القرى والمدن الصغيرة ، وخاصة في إقليم الجزيرة الفراتية وفي العراق والأهواز .

ومن اللغات التي كانت قبل الاسلام ، « الفهلوية » ، وهي لغة الملوك الساسانيين الذين كانوا في الأصل من اقليم فارس ، ولذا سُمّوا الفرس ، ثم امتد ملكهم فشمل جميع البلاد والأقاليم الواقعة بين نهر الفرات غرباً ، ونهر جيحون شرقاً ، وبذلك ضمت العراق وأقاليم الهضبة الايرانية ، وقد إعتنق ملوكهم الدين الزرادشتي وناصروه .

وقد اشار عدد غير قليل من الباحثين الى أثر الفرس في الفكر العربي ، ومنطلقهم في ذلك من الافتراض بأن الحركة الفكرية كانت مزدهرة فيها ، وأبرز تعبير في ذلك قول الاستاذ أحمد أمين « وقد دامت الدولة الساسانية نحو أربعة قرون خلفت فيها علماً كثيراً وأدباً غزيراً ، وأكثر ما نقل إلينا في العصر العباسي من الأدب والعلم والاساطير والتاريخ . إنما يرجع الى هذه الأسرة » ويقول أيضاً « قد كان للفرس من قديم علم وأدب يتناسب مع ضخامة ملكهم » (١٤) .

---

(١٣) تاريخ الحكماء للقفطي ١٧٣ وانظر ابن أبي أصيبعة ١٨٥/١ وانظر أيضاً المقدمة التي كتبها مايرهوف لكتاب العشر مقالات في العين .

(١٤) ضحى الاسلام ١٨٣/١ - ٤ .

وقد ردد مثل هذه الآراء معظم من ألف في تاريخ الفكر العربي، وخاصة في تاريخ الادب =

والواقع ان علوم الفلك والتنجيم ، والطب كانت مزدهرة في العهد الساساني [١٥] وربما ما كان يتعلق بالدين الزرادشتي ، غير أنه يلاحظ أن ما ترجم الى العربية بعد الإسلام اقتصر على عدد قليل من الكتب ، هي كتاب « خداى نامه » ، و « آيين نامه » وبعض رسائل عهود الملوك ، وكليلة ودمنة – وهذا كتاب هندي الأصل – وبعض القصص [١٦] . وهو مقدار قليل ، وفي ميادين محدودة ، علماً بأن الدولة الاسلامية كانت منفتحة لتلقّي الأفكار والعلوم المترجمة ، وأنه كان للفرس في صدر الإسلام ، وخاصة في العصر العباسي الاول عدد كبير من المتعصبين المتنفذين .

لم أجد فيما اطلعت عليه من الكتب من يذكر مراكز الحركة الفكرية عند الساسانيين ، غير نص واحد منقول عن كتاب « اختلاف الزيجات » لأبي معشر يذكر « أن ملوك الفرس بلغ من عنايتهم بصيانة العلوم وحرصهم على بقائها على وجه الدهر واشفاقهم عليها من أحداث الجو وآفات الأرض أن اختاروا لها من المكاتب أصبرها على الأحداث ، وأبقاها على الدهر ، وأبعدها من التعفن والدروس : لحاء شجر الخدنك . ولحاؤه يسمى التّوز ، وبهم اقتدى أهل الهند والصين ومن يليهم من الأمم في ذلك » . ثم يقول إن « الفرس جعلوا كتبهم في (جَيّ) ، وإنهم « جاؤوا الى قُهُنْدُز هو في داخل مدينة (جَيّ) فأودعوه علومهم ، وقد بقي الى زماننا هذا ، وهو يسمى سارويه »

ثم يذكر أن هذه الخزينة بنيت ايام طهمورث ، وانها ظلت مطمورة « ثم تهدم بعضها قبل زماننا بسنين كثيرة . . فظهروا فيها على أَزَج معقود من طين السفتق فوجدوا فيه كتباً كثيرة من كتب الأوائل ، مكتوبة كلها في لحاء التوز ، مودعة

= العربي ، وفي حركات الشعوبية ، وفي النظم الادارية عند العرب .

(١٥) انظر « طبقات الأمم » لصاعد بن أحمد ١٦ ، «تاريخ سني ملوك الأرض والانبياء» لحمزة الاصفهاني ١٥٠ – ١٥١ ، « علم الفلك تاريخه عند العرب لناللينو ١٦٨ فما بعد .

(١٦) انظر كتاب «الترجمة والنقل عن الفارسية» للدكتور محمد محمدي وكذلك كتاب « ضحى الاسلام » لأحمد أمين ج ١ ، وكتاب « تاريخ الادب العربي » لبروكلمان ج ٣ /٩٢ فما بعد .
وانظر عن الحركة الفكرية في العصر الساساني كتاب « إيران في عهد الساسانيين » لارثر كرستنسن ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب : ص ٤٠٠ فما بعد .

أصناف علوم الأوائل بالكتابة الفارسية القديمة » ويضيف ابن النديم قوله : « خبرني الثقة أنه انهار في سنة خمسين وثلاث مئة من سني الهجرة أزَج آخر لم يعرف مكانه ، وانكشف عن هذه الكتب الكثيرة التي لا يهتدي أحد الى قراءتها » (١٧) .

غير أن عدم ذكر المصادر مراكزَ للحركة الفكرية المدوّنة باللغة الفارسية ، لا يعني عدم وجودها . فمن الراجح أن المراكز الدينية وبعض المراكز الادارية كانت فيها آثار للحركة الفكرية ، ولا بد أن تكون المدائن حيث يقيم كسرى واسرته وبلاطه وكبار رجال الدولة ، هي أكبر المراكز الفكرية في العهد الساساني ؛ إلا أن المصادر لم تذكر نصاً : أيّ كتاب ألّف في المدائن ، أو في اية مدينة أخرى . كما أنها لم تذكر اسم عالم نسب الى مدينة .

وتجدر الإشارة الى أن « الفهلوية » كانت محدودة الاستعمال في جماعات معينة ، وأنه كان بجانبها لغات متعددة يستعمل كلاًّ منها شعب ممن تحكمهم الدولة الساسانية : كالصغديّة ، والساجية ، والتخاريّة ، والآراميّة ، والسريانية (١٨) .

لا ريب في أن العربية هي اللغة الكبرى في المنطقة . وهي اللغة المتأصلة في شبه جزيرة العرب ، اللغة التي يتكلم بها العرب ممن أقام في شبه الجزيرة أو هاجر منها . وهي أبرز ما يميز العرب ، وأقوى أساس لوحدتهم وروابطهم الفكرية . والعربية تتميز بمرونتها وقابليتها على الاشتقاق ، وبغنى مفرداتها بالتعابير المتعلقة بمختلف الظواهر وجوانب الحياة : كالإنسان وأعضائه وعواطفه وسلوكه وتنظيم حياته ؛ والحيوان وأنواعه وأجزائه ، والنبات ، والأرض ، والتربة ، ومختلف مظاهر المناخ ، والآلات والأدوات واللوازم المستعملة في حياتهم ؛ وكل هذه المظاهر تظهر مدى دقة ملاحظة العرب وإعمالهم الحواس والفكر في إدراكها وفهمها ، وتشير الى مدى ونطاق معارفهم .

---

(١٧) الفهرست ٣٠١ – ٢ ، وانظر ايضاً « تاريخ سني ملوك الارض . والانبياء » لحمزة الاصفهاني : ١٤٩ – ١٥٠ ، « محاسن اصفهان » للمافرخي : ٩١ – ٩٢ .

(١٨) انظر « ايران في عهد الساسانيين » لارثركرستنسن ص ٤٢ .

والعربية هي اللغة التي نظم بها الشعراء العرب من جميع القبائل . والواقع أن ظهور الشعراء في مختلف مناطق شبه الجزيرة وانتشار الشعر ، وهو « ديوان العرب »[١٩] بين كل العرب دون الاقتصار على رقعة واحدة أو منطقة محدودة ، هو دليل قاطع على أن هذه اللغة كانت عامة عند العرب وانه شارك في استعمالها ونموها جميعهم ، ولا ريب في أن الأسواق المتعددة التي رددت المصادر أن الشعراء كانوا ينشدون فيها شعرهم ، لا يمكن عدها مراكز ثابتة للحركة الفكرية ، وذلك لأن الأصل في هذه الأسواق أنها مراكز مؤقتة لمبادلة السلع ، وأنها ليست مراكز سكن دائمة للناس . وأن الشعراء كانت تؤم هذه الأسواق أياماً معدودة ثم ينفضّون ويعود كل منهم الى مقامه الأصلي . ومن المعروف أن عدداً من الشعراء كانوا يؤمّون بلاط ملوك المناذرة في الحيرة ، ولكن هذا مظهر لتشجيع الشعراء ، وليس مظهراً لوجود مركز فكري ينمي الشعر ، والشاعر الحيري الوحيد الذي نعرفه هو زيد بن عدي العبادي . ويلاحظ أن شعراء « المعلقات » هم من مناطق متفرقة في شبه الجزيرة . فمن شرقي الجزيرة ظهر طَرَفة بن العبد ، والحارث بن حِلِّزَة وهما ينتسبان الى قبائل تقيم في البحرين ، وعمرو بن كُلْثوم من تغلب التي كانت تقيم في البحرين قديماً ثم هاجرت الى الأطراف الشمالية من الفرات ، وزهير بن أبي سُلْمَى ، والنابغة الذُّبْياني ، وعنترة العَبْسي من قبائل غَطَفان المقيمة في شمال شرقي الجزيرة ، وامرؤ القيس عاش في البحرين وفي أواسط الجزيرة . ويكاد يكون لكل قبيلة عدة شعراء . وكل هذا يظهر عدم وجود مركز واحد أو مراكز محدودة للنشاط الفكري في شبه جزيرة العرب .

والعربية ، هي لغة القرآن الكريم الذي نزل « بلسان عربي مبين » « قرآناً عربياً غير ذي عوَج » . والقرآن الكريم يظهر ، بما لا يقبل الجدل ، مكانة اللغة العربية في مكة بالرغم من قلة عدد الشعراء البارزين الذين ظهروا فيها . ويظهر أيضاً أن مكة كانت مركزاً تجارياً نشطاً ، وبلداً آمناً يأوي اليه الناس ، ومكاناً مقدساً يحجّه الناس . غير أن القرآن الكريم يظهر منه أيضاً أن مكة لم تكن مركز حركة فكرية

---

(١٩) الجاحظ : الحيوان ١/٧١ ، ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ١٤ .

دينية وفلسفية ، وأن معارضة المشركين العنيدة للإسلام اقتصرت على الموقف السلبي أو العنف المادي دون أن يبرز المشركون توضيحاً لعقائدهم أو حججاً للدفاع ع أديانهم ، فضلاً عن أنه لا توجد إشارة الى علماء في الدين الجاهلي .

إن نزول القرآن الكريم ومجيء الإسلام حدث فاصل في تاريخ العرب وتطوره الفكري ، فقد أكد أهميةَ المعرفة والعلم ، وحضّ على الاستزادة منها ، ودعـ الإنسان الى استعمال البصر والنظر والعقل والفكر ، لدراسة أحوال البشر في الماضي والحاضر والمستقبل ، والى التأمل في ظواهر الدنيا والتفكير فيها ؛ وقدّم نظرة كوني ذات سمات معينة ، وبذلك خلق دوافع وحوافز قوية ، وقدَّم صوراً جديدة ووضع إطاراً عاماً لآفاق الفكر ، وحَدّد هيكلاً فكرياً إسلامياً جديداً صارت فيـ معارف العرب وخبراتهم السابقة مجرد مادة أولية في بناء هذا الهيكل .

وقد قضى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بعد بدء نزول الوحي عليه عشر سنوات يدعو الناس الى الإسلام ؛ فأفلحت دعوته في ضم عدد محدود ممن هداهم ا فأسلموا ، وظلّ أكثر أهـــل مكة متمسكين بالشرك . ثم هاجر في السنة الثالثـ عشرة من الدعوة الى « المدينة » حيث لقي ترحيباً من أهلها ، فأقبلوا على الدخو في الدين الجديد ، وتأسست دولة الإسلام ، وبدأت تتتابع الآيات الكريمـ موضحة تعاليم الإسلام ومبادئه ، وعمل الرسول على شرح هذه التعاليم وعلى تعوي الناس الحياةَ بموجبها . وناصر أهل « المدينة » الرسول واتبعوا دعوته ، وانضم اليه عدد من العرب من أطراف المدينة فضلاً عن المسلمين من قريش الذين هاجر معـــه . وقد قضى الرسول ، صلّى الله عليـــه وسلم ، كل السنوات العشـ التي عاشها بعد الهجرة ، في المدينة ، ما خلا أزمنـــة قصيرة خرج فيها للغز أو للحج والعمرة ؛ وكان يشترط على من يسلم الإقامة في المدينة لتسنح له فرصـ إشباعهم بمبادئ الدين الإسلامي .

وفي السنة الثامنة من الهجرة تم فتح مكة وضمها الى دولة الإسلام ، فزال من الشرك ، ودخل أهلها في الإسلام ؛ فعاملهم الرسول معاملة كريمة ، وولّى عليه رجلاً منهم ، هو عتّاب بن أسيد ، واستعمل كثيراً من رجالهم ، فقدروا ذلك

وتمسكوا بالإسلام فلم يرتدوا بعد وفاته ، واختار أبو بكر عدداً من رجالهم لقيادة الجيوش الإسلامية التي قضت على الردة، ثم نهضت بالفتوح. ومكة هي البلدة التي بدأت فيها الدعوة الاسلامية وظلت سنواتها العشر الأولى ، وهي التي توجهت اليها قبلة المسلمين في الصلاة ، وهي مركز الحج ، كما أنها هي البلدة الوحيدة التي كان منها أول المسلمين الذين ظلوا مع الرسول وهاجروا معه ، ولابد أنهم أعادوا بعد فتح مكة علاقتهم باهلها .

وعلى أثر فتح مكة أقبلت الى الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الوفود من مختلف أرجاء الجزيرة ، تبايع الرسول ، وتعلن باسم عشائرهم الإسلام والإنضمام الى دولته التي اتسعت بهذه الطريقة السلمية ، حتى أصبحت تشمل الجزيرة العربية كلها ، وأصبح كل العرب مسلمين تقريباً ، يقرون بعبادة الله الواحد الأحد ، ويعترفون بشرائعه ومثله . وقد عمل الرسول على تفهيمهم الدين ، فكان يرسل الى القبائل معلمين ، ولكن كثرة عدد من انضموا الى الاسلام كانت أوسع من أن تمكن الرسول ومن أرسلهم من المعلمين ، على أن يتشبع الناس بمبادئ الاسلام ؛ وبذلك ظلت للمهاجرين والأنصار مكانتهم الخاصة من حيث طول مدة مرافقتهم الشخصية للرسول ، وتشبعهم بتعاليم الإسلام ومشاركتهم في الأحداث التي ساعدت على تثبيت مبادئه وتوطيد دولته .

وقد استطاع أبو بكر أن يقضي على الردة التي نشطت في الجزيرة واستهدفت تحدي سلطة الدولة أو رفض الإسلام ، وبذلك أعاد الى الجزيرة وحدتها في ظل دولة الإسلام . وأصبحت كلمة الله هي العليا ، وشرائعه هي المُثُل العليا للناس .

ثم خرجت الجيوش من الجزيرة لتوسيع الدولة الاسلامية ، وافلحت في مدة لا تزيد على ربع قرن من خروجها ، في مدّ دولة الإسلام الى نهر جيحون شرقاً ، والى اطراف القفقاس شمالاً ، وإلى تونس غرباً . وتابعت توسعها في العهد الأموي حتى أصبحت في نهاية القرن الأول تمتد الى المحيط الأطلسي والبرانيس غرباً ، والى أطراف بلاد الصين شرقاً . واصبحت هذه البلاد الواسعة مجموعة في دولة واحدة ، على رأسها خليفة واحد ، ولها قاعدة واحدة . وقد أنهى قيام الدولة

الإسلامية الحروب الطويلة التي كانت بين الفرس والروم وما أدت اليه من قلق ودمار وخاصة في العراق وبلاد الشام ، وأصبحت ميادين القتال محصورة في الأطراف الشمالية من بلاد الشام والجزيرة . أما بقية البلاد ، فقد عمّها الأمن النظام والاستقرار ، وأزيل كثير من الحواجز والقيود المعرقلة لحركة الناس والتجارات واتبعت الدولة الجديدة سياسة أباحت فيها للناس حرية العمل والتنقل والتفكير ، وأوجدت ظروفاً وأحوالاً ساعدت على نمو النشاط الفكري ، فازدهرت جوانب متعددة من الفكر . وشاركت أعداد كبيرة من الناس في تنشيط الحياة الفكرية ونموها . واستقر هذا النشاط في مناطق محددة ، تساعد دراستها على فهم بعض عوامل الازدهار ، وتصلح كثيراً من الافكار الخاطئة المنتشرة عنه .

لقد ذكرنا أن الاسلام عمّ ، في آخر حياة الرسول ، جزيرةَ العرب ، فأصبح أهلها مجموعين في دولة واحدة ، يدينون بدين واحد ، وأن الخليفة الأول أبا بكر الصديق بعد أن قضى على الردة ، وجه الجيوش الى أطراف الجزيرة لمقاتلة الروم والفرس وتوسيع الدولة . وكانت جيوشه من جميع قبائل العرب ، ما عدا المرتدين ، فانه لم يستعن بهم ، فلما ولي عمر أباح للمرتدين السابقين الانضمام الى الجيوش العربية. وبذلك أصبحت هذه الجيوش تضم العرب يجمعها هدف واحد تتفهمه وتعمل على تحقيقه ، وهو ترسيخ الدولة وتوسيعها ، وصيانة أهدافها ومثلها ، مما هو من مصلحة الجميع .

أباحت الدولة للعرب الانضمام الى جيوشها ، فانضمت الى هذه الجيوش أفراد وجماعات من جميع القبائل العربية المقيمة في مختلف ارجاء الجزيرة ، فكان في كل جبهة جند من مختلف هذه العشائر .

وبعد أن تمت الانتصارات الحاسمة الأولى على الروم والفرس ، اهتم عمر بن الخطاب بإنشاء قواعد للإقامة الدائمة للمقاتلة العرب وأسَرِهم ، ووضع لاختيار مواقع هذه القواعد شروطاً راعى فيها أن تلائم أحوال العرب وحاجات الدولة والأحوال العسكرية القائمة حينئذ . فاشترط أن يكون كل منها على طرف الصحراء ، لا يفصل بينها ماء ، وأن يكون مناخها صحراوياً جافاً . وكانت هذه القواعد ،

وتسمى الأمصار ، ستة ، هي : المدينة (في الحجاز) ، وجُواثا (في البحرين) ، والجبابية (في بلاد الشام) ، والبصرة والكوفة (في العراق) ، والفُسطاط (في مصر). والثلاثة الاولى مدن عربية كانت قائمة ومزدهرة منذ القديم . أما الثلاثة الأخـــرى ، فهي جديدة . ثم اقتضت الأحوال إلغاء جواثا والجابية ، وإنشاء القيروان (في تونس).

كانت هذه الامصار قواعد للإقامة الدائمة للمقاتلة العرب وأُسَرِهم ، ومراكز لاقامة الولاة وما يرتبط بهم من دواوين ، فهي تتميز عن المدن العربية الأخرى بكون كل منها مقام مقاتلة ومركزاً اداريا لمقاطعات وأقاليم واسعة . كما تتميز عن المدن الأعجمية بكون اهلها من العرب المسلمين ، وبأن تنظيمها وإدارتها متكيفان بهذين المؤثرين القويين .

وقد قسمت أرض كل من هذه الأمصار الى خطط تقيم في كل منها قبيلة أو عشيرة لها عريف يشرف على شؤونها ، ومسجد يصلي فيه أفرادها . فكان أفراد كل عشيرة متقاربين في المسكن ، الأمر الذي يزيد قوة الإتصال بين أفراط العشيرة غير أن الأحوال الجديدة الناجمة من قيام السلطة العليا المركزية ، وانتشار الأمن ، وازدهار الحياة المدنية ، ساعدت على تنمية العلاقات بين الأفراد من مختلـــف العشائر ، ثم تطورت الى اعتزاز أهل كل مصر بمصره ، وتعصبه له ، وتفضيله على الروابط القبلية [٢٠] .

وقد تميز كل مصر من هذه الأمصار بالبساطة العمرانية : ففي كل منها مسجد جامع واحد يتسع لجميع أهل المصر ، وبلصقه دار الامارة وبيت المال والدواوين. وللجامع وظائف متعددة ، ففيه تقام الصلوات الخمس وصـــلاة الجمعة ، وفيه يجتمع الناس للتحدث والتعامل ، فهو كالندوة العامة .

وقد تطلب التوسع الكبير ، الذي حدث في رقعة الدولة وإدارتها بعد خلافة عمر ، إحداث قواعد جـــديدة للعرب ، ففي الهضبـــة الإيرانيـــة مُصّرت قزوين والري وأردبيل [٢١] ، أي سكنت كل منها مقاتلة من العرب ، وجُعلت مركز إدارة ، كما

(٢٠) انظر في ذلك كتابي « التنظيمات الإجتماعية والإقتصادية في البصرة » .

(٢١) فتوح البلدان للبلاذري ٣٢٢ ، ٣٢٩ .

سكنت قوات عربية في همدان واصفهان وقم والكَرَج ، وبعض مدن اقليم الاهواز وفارس وفي خراسان نقل خمسون ألف من المقاتلة العرب مع أسرهم واسكنوا مرو ونيسابور وطوس وهراة ومرو الروذ وبلخ(٢٢) وفي الأندلس أسكن العرب قرطبة ، واشبيلية ، وجيان ، وريّة ، ومالقة ، وشذونة وتدمير (٢٣) .

ولعل أوسع التبدلات ، هو ما حدث في بلاد الشام والجزيرة ، لأن هذين الإقليمين كانا متاخمين للروم ومعرضين لتهديدهم ، ولذلك وزعت المقاتلة العرب في عدة مراكز : بعضها رئيسة كحمص وفِلَسْطين والأرْدُنّ والرُّها والمَوْصِل وحَرّان ، وبعضها فرعية كالمراكز المتعددة ، التي اتخذت على سواحل البحر المتوسط ، أو على طول الحدود الشمالية التي تفصلها عن بلاد الروم (٢٤) .

وبسبب غزارة الأمطار ، أو برودة المناخ ، ووفرة البيوت ، أُسكن المقاتلة العرب في مدن مشيدة قديمة ، بجنب سكانها القدماء . وقد رويت لنا شروط صلح عدد من المدن ، منصوص فيها على ان للعرب نصف المنازل أو رُبعها (٢٥) .

يتبين مما سبق أن العرب الذين خرجوا من جزيرة العرب مع الجيوش للفتوح في صدر الإسلام ، استوطنوا في أماكن يمكن تصنيفها صنفين رئيسيْن : الصنف الأول مدن قديمة ، إستوطن فيها العرب مع أهل البلاد القدماء ، وذلك مثل مدن بلاد الشام والجزيرة ، والهضبة الإيرانية وخراسان وبلاد ما وراء النهر والأندلس . وكانت للعرب تنظيمات خاصة لم يحاولوا فرضها على أهل المدن الذين ساكنوهم والذين ابقيت لهم تنظيماتهم . غير أننا لا نعلم كيفية توزع مساكن العرب في مدن هذا الصنف ، ما عدا مدناً قليلة كدمشق ، ومرو ، وجُرجان ، ونيسابور ، إذْ تدل حصيلة المعلومات المتفرقة أن العرب كانوا يقيمون في الغالب في أطراف

(٢٢) انظر مقالنا « استيطان العرب خراسان » المنشور في مجلة كلية الاداب ٣/٣٠-٨٦ .

(٢٣) انظر نفح الطيب ٢٢٢/١ المقتبس ٥٧ وانظر « فجر الإسلام في الاندلس » للدكتور حسين مؤنس ص ٣٥٥-٣٧٧ .

(٢٤) ضم كتاب « فتوح البلدان » للبلاذري اشارات كثيرة الى ذلك .

(٢٥) انظر عن هذا الشرط في صلح طبرية : فتوح البلدان ١١٥ تاريخ اليعقوبي ١٥٩/٢ الطبري ٢١٥٩/١ ، وفي صلح دمشق فتوح البلدان ١٢٢ وفي صلح حمص فتوح البلدان ١٣٠، ١٣٧

كل مدينة ، ما عدا الوالي وموظفي الإدارة وعدداً من الأعيان الذين يقيمون في داخل المدينة .

أما الصنف الثاني والمدن التي أنشأها العرب وتميزت بسيادة العروبة والإسلام فيها ، واحتفظت بهذه الميزة بالرغم من هجرات الأعاجم إليها واستقرارهم فيها بأعداد متزايدة . والواقع أن هذه المدن الأمصار كانت لها خصائص تميزها عن بقيـة المدن العربية والأعجمية التي كانت منتشرة في مختلف أرجاء الدولة ، فهي تتميز عن المدن الأعجمية بسيادة العرب وثقافتهم وبالإسلام ، كما أنها تتميز عن بقية المدن العربية بالعطاء الذي كان يوزع على أهلها وما يصحبه من النتائج الاقتصادية الناجمة عن توزيعه .

اقتصرت الحركة الفكرية طوال العصور الاسلامية على الأماكن التي توطنها العرب دون غيرها . اما الأماكن التي لم يستوطنها العرب فلم يعرف فيها نشاط فكري كبير بالرغم من الحرية الواسعة التي وفرها العرب والتسامح الكبير الذي أبدوه ، وخاصة فيما لا يمس أسس العقيدة الاسلامية [٢٦] .

إن جمود الحركة الفكرية في المراكز التي لم يتوطنها العرب ، لا يمكن إرجاعه الى أية محاولة قام بها العرب لاضطهاد الإنتاج الفكري بغير العربيـة ، والدليـل على ذلك بقاء عدد من مراكز الدراسات باللغات الاعجمية ، كجنديسابور وحرّان والعدد الكبير من الأديرة ، بالرغم من أن هذه المراكز تدهورت تدهوراً ملحوظا ، وتحول أطباء جنديسابور وعلماء النصارى الى الكتابة والتأليف بالعربية التي دُوّن فيها أروع إنتاجهم الفكري .

ثم إن جمود الإنتاج الفكري الذي ترجع بداياته الى قرون سبقت ظهور الإسلام لا يمكن ارجاعه في حالة الفكر الاغريقي ، الى هجرة العلماء المؤلفين بغير العربية ، من البلاد الاسلامية الى بلاد الروم والقسطنطينية التي ظلت مركزاً للثقافة الإغريقية ؛ ذلك أن الروم لم ينعشوا الدراسات بالاغريقية بعد الإسلام أكثر مما انعشها وقدّمها العرب بعد أن ترجموا كتب الإغريق الى العربية . ثم إن تسويغ الجمود بهجرة

(٢٦) يشذ عن ذلك جنديسابور وعدد من الأديرة المسيحية التي ظلت مراكز للتأليف .

العلماء ، لا يمكن بأي حال أن ينطبق على الثقافة البهلوية الفارسية التي آلت كل دولتها الى العرب ، فلم يبق لعلمائها إلا أن يبقوا في الدولة الجديدة ، ومع هذا لم يشاركوا في الانتاج فيها بالرغم من وجود المتعصبين لها .

لم يكن نشاط الحركة الفكرية واحداً في جميع الأماكن التي توطنها العرب ، فقد تأخر ظهوره في الأماكن القديمة التي ذكرنا أن العرب توطّنوا فيها مع السكان القدماء لأهل تلك الأماكن ولعل من البديهيات أن يقال إن الحركة الفكرية في صدر الإسلام نشطت أولاً في المدينة ودمشق(٢٧)،والبصرة والكوفة ، ثم في بغداد والفسطاط والقيروان ، أي في الامصار العربية التي أنشأها العرب ، واتخذوا منها مقراً لمقاتلتهم ومراكز لادارتهم . ولا ريب في أن تركّز الحركة الفكرية في هذه الأماكن ، أدى الى أن تنصب عنايتها ، بالدرجة الأولى على القضايا التي تحظى باهتمام العربو تتصل بالإسلام ،وهما أبرز سمات سكان هذه الأمصار ، أما « علوم الأوائل » ، فقد كانت « علوماً دخيلة » ، جاءت متأخرة لتأخذ مكانتها ضمن النطاق اللغوي والفكري العام الذي صاغه رجال القرنين الأول والثاني .

إن جمود الحركة الفكرية فيالأماكن الأعجمية الخالصة، ونشاطها فيالأماكن التي ساد فيها العرب لغتهم ودينهم تكون دليلاً ينقض مُدَّعَى بعض من زعم أن حَمَلَة العلم في الإسلام من الأعاجم ؛ وأن الموالي ، وهم من غير العرب ، قام عليهم العلم وازدهاره وتوجيهه ؛ إذ لو صح ذلك لكان حرياً ان يزدهر في الاماكن التي يسود فيها الأعاجم ، وأن يكتب بغير العربية . علماً بأن الدراسة الدقيقة لهوية العلماء الأولين واهتماماتهم تظهر أن أغلبهم من العرب ، وأنهم عنوا بدراسة ما اهتم به العرب من جوانب فكرية ، وأن دور الموالي ثانوي في كميته وفي نوعيته .

ذكرنا أن الحركة الفكرية تركّزت في صدر الإسلام في أمصار محددة اشتركت بخصائص ميزتها عن غيرها ، وهذه الخصائص هي أن الغالبية العظمى السائدة من سكانها هم العرب ، من مختلف القبائل والعشائر ، وانهم كانوا جميعاً مسلمين مؤمنين بالله الواحد الأحد، وممجدين مثله وتعاليمه ، يضاف الى ذلك أن

---

(٢٧) لا ريب في أن دمشق والمدينة قديمنا التأسيس .

كلاً من هذه الأمصار كان مقر الوالي ، ومركز الادارة ، فهو مسؤول عن الأمن والنظام في البلاد والأقاليم المرتبطة به ، والتي ترسل جباياتها اليه ، فيدفعها في عطاء السكان . وكانت هذه الخصائص الثلاث : العروبة ، والإسلام ، والإدارة ، الجوانب الأساسية التي لقيت عناية كبيرة ، وأهتم بها الناس في الامصار ؛ ثم ما لبثت أن ظهرت بجانبها اهتمامات خاصة بكل مصر .

فأما العناية بالعربية ، فَمَرَدُّها الى مكانة اللغة العربية عند أهلها ، وغناها في المفردات ، واستيعابها ثقافة العرب وأفكارهم ؛ ثم جاء القرآن الكريم فعززها بنزوله بها ، وإطرائه مكانتها ، فازدادت تألقاً وارتفعت مكانة . ولما كان الشعر « ديوان العرب » ومستودع أفكارهم وعواطفهم وأخيلتهم وأمجادهم منذ العصر الجاهلي . فقد ظلت له مكانته عنــدهم جميعاً (٢٨) ، فظهر في كل مصر عدد من الشعراء ، وتابع أهل كل مصر العناية بالشعر وإنشاده وحفظه . ثم امتدت العناية الى دراسة اللغة : معانيها ، وتراكيبها ، ونحوها ، وصرفها .

وأما العناية بالاسلام ، فمرجعها الى دوره العظيم في إيقاظهم وتوحيدهم وتوجيههم وتمكينهم من تحقيق المكانة الكبيرة التي نالوها بعد إيمانهم به وانضمامهم إلى دولته. ولما كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام وشرائعه ، فقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون بنشره في الناس وتعليمهم قراءته ؛ وبذلك عمت قراءة القرآن الأمصار كافةً . وليس من باب المصادفة أن تكون أول قضية فكرية خطيرة هي ضبط قراءته وتقرير مُصْحَفِه . غير أن جمع الخليفة عثمان بن عفان القرآن وتثبيت قراءته ، وتعميم مصحفه لم ينه دراسة القرآن ، فقد استمرت عنايــة الناس به ، والتعمق في دراسة رسمه ومفرداته ومعانيه وأسلوبه وأفكاره ، وبرز في كل مصر علماء تميّزوا على غيرهم بالمعرفة ، واختص كل منهم باراء وأفكار .

---

(٢٨) « الجاحظ : الحيوان ١/٧١ ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ١٤ ويروي ان عمر بن الخطاب قال « كان الشعر علم القوم ، لم يكن لهم علم أصح منه » (ابن سلام : طبقات فحول الشعراء) ويروي السجستاني عن ابي مجلز « لولا أن عثمان كتب القرآن لألفيت الناس يقرأون الشعر » (المصاحف ١٣)

وأنظر ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ١٠٧ فما بعد ، ١٥٢ ، ١٩٤ .

ثالث الميادين التي لقيت اهتمام الناس في جميع الامصار ، هو الآراء المتعلقة باسة والإداره وانعكاساتها على الدين ؛ ومظهرها الخلافات السياسية ، وظهور ، وأهل الآراء ، وقد ظهرت في عدد من الأمصار ، وامتد بعضها الى عـــدة ـــار .

كانت للمدينة مكانة خاصة في الحركة الفكرية في صدر الاسلام ، ففيهـــا ست دولة الإسلام ، واستقرت فرائضه ، واكتملت تعاليمه ، وأهلها صحابة ل الذين رافقوه وناصروه ، وقاتلوا معه دفاعاً عن الإسلام وتثبيتاً لكيانه وتوسيعاً نه ؛ وقد ساعدهم طول صحبتهم على تفهم مبادئ الإسلام وتشرب روحـــه . وفي الرسول كان لهم الدور المباشر في انتخاب خليفته في بلدهم ؛ وقد ثبتوا الولاء للإسلام ، وشاركوا في القضاء على الردة ، فثّبتوا كيان الدولة التي مركزها تهم ، وكانت المدينة مقر الخلفاء الراشدين الثلاثة الأولين ، أقاموا فيها طوال هم في الخلافة . يحيطهم الصحابة من أهلها فيسدون لهم المشورة والنصيحة ، ن اطلاعهم على ما تواجهه الأقاليم من مشكلات واسعاً ودورهم في تقديـــم ول وفي التوجيه الإداري والسياسي كبيراً ، ومعرفتهم بسُنّة الرسول صلى الله عليه ، «وهي كل ما قاله الرسول أو فعله ، أو رآه فـأقـرّه أو لم ينكره » واضحة شاملة فيها تعبيراً عن ممارستهم وأعمالهم ، وقد انتقل بعض أهل المدينة الى الامصار وا فيها ، وعملوا على نشر علمهم . ولكن عدد هؤلاء « المنتقلة » قليل إذا قورن ظل مقيماً فيها ، وانتقل كثير من علمهم الى أولادهم والطبقة التالية لهم من بين .

في زمن الأمويين ، انتقل مركز الخلافة الى دمشق ، فبَعُدَ الخلفاء عن اهل نة وقلّ الاتصال بهم ؛ ولم تظلّ المدينة المركز السياسي للدولة . ولكنها ظلت ز الأعلام من الصحابة والتابعين العارفين بحياة الرسول صلى الله عليه وسلـــم ه . وقد عمل الخلفاء الأمويون على إبقاء صلتهم وثيقة بأهل المدينة ، ولم يتأثروا س الثورات التي قامت فيها على الأمويين ، فظلوا يغدقون على اهلها العطاء نزلون لرجالها الهبات ، ويرحبون بوفودها في الشام . ومن المعلوم أن الخليفـــة

الأموي الأول ، معاوية بن أبي سفيان ، عاش ردحاً من الزمن في المدينة ، وأن كلاً من مروان بن الحكم وابنه عبدالملك وَليا المدينة عدة سنوات . فانتقال مركز الخلافة إلى الشام أبعد عن المدينة الخلافة ، وخفف عنها التدخلات السياسية المحتملة ، مما ساعد على أن يكوّن أهلها نظرة إسلامية شاملة ، غير خاضعة لتيارات سياسية محددة ، وظلوا مركز إشعاع فكري موجّه ، ومرجعاً للناس من مختلف الأمصار لمعرفة ما يتصل بعلوم الإسلام ، وخاصة سُنّة الرسول والعبادات والمعاملات ، أي الفقه ؛ كما ان علم السيرة وتدوين أخبار الرسول وأعماله وتاريخه بدأ ونما عندهم حتى وصل الى أوجه عند ابن اسحق والواقدي ، وكلاهما من أهل المدينة (٢٩) .

أما الشام ، فقد كانت لها في صدر الإسلام أوضاع خاصة تؤثر في حياة أهلها. فعندما ضمها العرب إلى دولتهم ، كانت فيها مدن وموانىء كثيرة ، في كل منها صناعة مزدهرة أو تجارة نشطة ، ولبعض هذه المدن تنظيم إداري خاص ، وهي مقسمة أربعة أجناد : دمشق ، وحمص . والأردن ، وفلسطين ؛ وكل جند وحدة إدارية .

وبلاد الشام متصلة من غربيها بالصحراء ، حيث تقيم قبائل عربية كثيرة ، مثل كلب ولَخْم وجُذام وغسّان وسليح ، انضمت الى الإسلام وحاربت مع جيوشه وظهر فيها رجال شاركوا في الحركة الفكرية قبيل الإسلام . ومن المعروف أن مُدَوّنة جستنيان في الفقه الروماني أعدها فقهاء من أهل بيروت ، كما أن للنصارى في الشام بعض المفكرين ، من أعيانهم يوحنا الدمشقي ، وثيودور أبو قرّة .

وقد استقر في بلاد الشام بعد ضمها الى دولة الإسلام جيش كبير العدد أغلبهم ممن جاء من اليمن والحجاز . بالإضافة الى القبائل التي كانت في أطراف بلاد الشام. غير أن بلاد الشام كانت معرضة لتهديدات الروم من اطرافها الغربية والشمالية ، ولم يثنه انشاء المسلمين أسطولاً في البحر المتوسط ان يكفل سيادة العرب

---

(٢٩) أنظر ابن سعد ١١/٤ ، حلية الأولياء ٩٤/٢ فتوح البلدان ٤٥٦ وانظر عن دور القراء السياسي كتاب التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ٥٦ – ٥٨ .

في البحر فقد ظلت أطرافها الشمالية مهددة بالأخطار ؛ الامر الذي حمل ولاة الأمور الى توزيع القوات العربية في اماكن متعددة على السواحل ، وفي الداخل . وقد القي على هذه القوات واجب الدفاع عن حدود الدولة والقيام بالحملات على بلاد الروم . فشغلتهم هذه الحروب عن الاهتمام بالأمور الفكرية . وقد اشار الى ذلك البستي بقوله « وإنما وقع جلّة أهل اليمن من التابعين بالشام ومصر ، فسكنوها ثم استوطنوها ، حتى لقد نزل بحمص وحدها من سكسك (السكون؟) وسكاسك قبيلتين من اليمن زهاء ألف نفس . إلا أن أكثرهم اشتغلوا بالغزوات وبالعبادات ، فلم يظهر كثير علم ، اذهم أهل سلامة وخير ، كانوا لا يشتغلون بما يؤدي الى التنوّق من العلم ، وآثروا العبادة عليه » (٣٠) . إن هذه الملاحظة تؤيدها دراسة قيمة نشرتها حديثاً الدكتورة ملك أبيض عن حركة العلم والعلماء في بلاد الشام إبّان القرون الثلاثة الأولى معتمدة على ما ورد في تاريخ دمشق لابن عساكر ، وهو كتاب فيه أوسع المعلومات عن المعنيّين بالعلوم الدينية واللغوية والتاريخية في بلاد الشام عامة ودمشق خاصة .

تظهر دراسة الدكتورة ملك أن ابن عساكر ذكر اسماء خمس مئة عالم وثمانية علماء من القرن الأول ، وتسع مئة عالم وواحد وخمسين عالماً من القرن الثاني ، وستمئة عالم وأربعين عالماً من القرن الثالث ، وأغلب هؤلاء العلماء كانوا من العرب فقد كانت نسبة الموالي في القرن الأول ٢ر٨٪ وفي القرن الثاني ٤ر١٨٪ ، وفي القرن الثالث ٣ر٧٪ ، ومعظمهم كانوا من أهل دمشق » اذ كانت نسبتهم الى المجموع العام من العلماء ٥٨٪ ، ثم ارتفع في القرن التالي الى ٧٢ ٪ (٣١) .

وتتميز دمشق بكونها أصبحت في العصر الأموي مقر الخلافة ، فَصِلَتُها بالخلفاء أوثق ، وأثرها في الإدارة العامة أقوى ، وмواردها المالية أكثر . والواقع أن لبعض الخلفاء الأمويين دوراً شخصياً في تنشيط الحركة الفكرية فقد كان معاوية يُعْنَى بسماع أخبار الماضين ، ويروى أنه استقدم عبيد بن شرْيَةَ ليروي

(٣٠) مشاهير علماء الأمصار ١٢٥

(٣١) « صورة كمية للنشاط الفكري والتربوي في بلاد الشام في القرون الثلاثة الأولى » فصل من كتاب « إبن عساكر» ٧٢١ – ٧٦٢ .

له أخبارهم ؛ ويقال إنه أمره بتدوينها ، [٣٢] وخالد بن يزيد ، وان لم يرق الى الخلافة ، عُني بالصنعة والكيمياء ، وعبدالملك بن مروان كان ذوّاقة للشعر معيناً بالعربية [٣٣] ، وهو الذي أمر بتعريب الدواوين ؛ وعمر بن عبدالعزيز هو الذي أمر بتدوين السُنّة [٣٤] ؛ وهشام بن عبدالملك ظهر في زمنه كبار الكتاب والمترجمين من الفارسية (عبدالحميد الكاتب ، وسالم ، وابن المقفع) فضلاً عن كبار الفقهاء والشعراء ؛ والوليد بن يزيد حرص على جمع شعر العرب وتدوينه [٣٥] .

وقد انصب أكثر اهتمام أهل الشام على قراءة القرآن وتفسيره ، والفقه ، والحديث وظهر فيهم بعض الاهتمام بجوانب من علم الكلام [٣٦] .

أما مصر ، فقد كانت قاعدة الحركات الحربية في شمالي أفريقية وفي غزو البحر . ولعل هذا من عوامل تأخر ظهور الحركة الفكرية فيها ، فإن الذهبي في كلامه على يزيد بن أبي حبيب الفقيه (ت١٢٨) ، يقول : « قال أبو سعيد ابن يونس : وهو أول من أظهر العلم والمسائل والحلال والحرام بمصر ، وقبل ذلك كانوا يتحدثون في الترغيب والملاحم والفتن ، وروى همام عن أبي قبيل وموسى بن وردان والعلاء بن كثير قالوا : يزيد أول من سنّ العلم بمصر ، وكانوا إنما يتحدثون بالفتن والملاحم والترغيب [٣٧] .

أما القيروان ، فان ابن العذارى يذكر أن اسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر كان « حريصاً على دعاء البربر الى الإسلام ، حتى أسلم بقية البربر بأفريقية

(٣٢) انظر : مروج الذهب للمسعودي ٣١٠/٣ ، البيان والتبيين للجاحظ ٣٣٣/١ ، ناصر الدين الأسد : مصادر الشعر الجاهلي ١٩٩ .

(٣٣) الحيوان ١٩٤/٥ ، العقد الفريد ١٢٤/٦ ، وانظر عن مساءلته عروة بن الزبير عن بعض اخبار السيرة : الطبري ١٢٨٤/١ ، ١٦٣٤ ، وانظر عن حبه للعلم ابن سعد ٥ - ١ / ١٦٧ ، ١٧٤ .

(٣٤) أنظر : ابن سعد ٢ - ١٣٤/٢ ، ٣٥٣/٨ ؛ تقييد العلم ١٠٥ .

(٣٥) الفهرست ١٠٣ تذكرة الحفاظ ١١٢/١ .

(٣٦) انظر : « الحياة العلمية في الشام » لخليل داود الرزو .

(٣٧) الذهبي : تاريخ الاسلام ١٨٤/٥ - ٥ تذكرة الحفاظ ١٢٩/١ وانظر الفصل الذي كتبته الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف عن الحركة الفكرية في مصر في كتابها « مصر في فجر الإسلام» ص ٣١٤ فما بعد .

على يديه في دولة عمربن عبدالعزيز ،وهو الذي علّم أهل أفريقية الحلال والحرام، وبعث معه عمر رضي الله عنه عشرة من فقهاء التابعين ، أهل علم وفضل ، ومنهم عبدالرحمن بن نافع ، وسعيد بن مسعود التجيبي ، وغيرهما »[٣٨].

أما العراق ، فهو إقليم غنيّ ، متصل بشبه جزيرة العرب ، ليس بينهما حاجز طبيعي يعوق الهجرات وحركات الناس بينهما ؛ والواقع أن أهل الجزيرة كانـــوا منذ أقدم الأزمنة يؤمّون العراق للامتيار او السكنى ، بأعداد قليلة أو مجموعات كبيرة ، ولذلك غلب أهل الجزيرة فيه ، وتركوا فيه آثاراً أقوى مما تركوا في الأقاليم الأخرى ، وكان منهم من استقر في الأرياف والمدن ، ومنهم من ملأ بواديه الغربية والوسطى وكوّنوا فيه دولاً قامت بدور سياسي وحضاري كبير. وكانت حياة أهل البوادي ونظمهم في العراق تشبه كل الشّبه ما لقبائل الجزيرة من نظم وأساليب في الحياة . وأبرز هذه القبائل : إياد ، وديارها بين دجلة والفرات في أطراف تَكْريت والحَضْر ؛ وتغلِبُ في أعالي وادي الفرات ، وتَنُوخ في أطراف الأنبار والحِيرة ، وبكر في أدنى وادي الفرات بين الحِيرة والخليج العربي . وقد احتفظ أهل البوادي خاصة بنظمهم العربية إبان الحكم الساساني ، وكانت لهم دولة المناذرة تحميهم وترعاهم ؛ ولا يوجد دليل على أخذهم النظم الساسانية أو أديانها .

وقد قام العرب ، ولا سيما من قبائل بكر ، بعدة حركات في أطراف العراق الغربية ، فلما ولي عمر بن الخطاب الخلافة ، أرسل إمدادات واسعة ، فانتصروا على الفرس وحرروا العراق من حكمهم ، وعززها بقوات أخرى ، حررت جنوب العراق وتعاونت القوتان فضمتا الهضبة الايرانية الى الدولة الاسلامية . ومَصّر عمر بن الخطاب الكوفة والبصرة ، لتكونا قاعدتين للمقاتلة العرب وعيالاتهم ، ومركزين لإدارة الأقاليم . وكانت مُنْجزَات أهل الكوفة في خلافة عمَر أعظم وأكبر ، إذ دحـــروا الجيوش الفارسيـــة الكبرى ، وضمـــوا العـــراق وبعض الجزيرة والأقسام الشمالية من الهضبـــة الايرانيـــة . أما أهـــل البصرة . فقـــد أتموا تصفيـــة الحكم الساســـاني في جنوبي العـــراق والأهواز ، ثـــم أكملوا في

(٣٨) البيان المغرب لابن عذارى ١/٤٨، ابن ابي العرب طبقات أفريقية ٢٦ .

خلافــة عثمان فتح جميــع أقاليم وسط الهضبــة الإيرانية وجنوبيّها وأوصلوا حدود الدولة إلى خراسان .

وكان عدد أهل الكوفة في بداءة تأسيسها كبيراً ، وهم من بكر وتميم ، وبني عامر ، وغَطَفان ، وأسد ، وطيّء ، ومن القبائل اليمانية ، ومن القبائل الحجازية .

أما أهــل البصــرة ، فكانت عشائرهم من بكر ، وتميم وعبــدالقيس وأزْد عُمان ، وعدد من القبائل الحجازية . وقد استمرت هجرات القبائل العربية الى هذين المصرين اللذين ظلت صلتهما بالجزيرة أوثق منها بالأمصار الأخرى .

وفي أوائل العهد الاموي نقلت أعداد كبيرة من مقاتلة البصرة الى خراسان ، ومن مقاتلة الكوفة الى أردبيل وقزوين والري ؛ وألقي على هؤلاء الناقلة واجب القتال للدفاع عن حدود الدولة وتوسيعها ، وبدأت تسود في كل من الكوفة والبصرة حياة السلم والاستقرار ، وأمن العطاء مطالب حياتهم المعاشية ، فتوفر لهم الوقت الكافي للانصراف الى الاهتمام بالسياسة والفكر ، وازدادت العناية بالمعرفة والآداب ، نمت ميــادين أخرى من المعرفة المتصلة بالاسلام كالحديث والفقه ، إضافةً الى الشعر ودراسة القرآن الكريم ، وأفادوا في كل ذلك من أهل المدينة فائدة كبيرة.

وبمرور الأيام اختص كل من المصرين بعلم أنماه ووسّعه . فأما الكوفة فقد اختصت عنايتها بالشعر ، أو كادت ، فكان « الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منــه بالبصرة » [٣٩] ، وكان « الكوفيون علاّمين باشعار العرب مطلعين عليها [٤٠] » ، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب الى من لم يقله ، وذلك بين في دواوينهم [٤١] .تنسب بعض المصادر تفوّق أهل الكوفة على أهل البصرة في معرفة الشعر الى أن أهــل الكوفة كشفوا في زمن المختار (حوالي سنة ٦٥ هـ) مجموعة شعرية من زمن المناذرة كانت مدفونة في أحد القصور [٤٢] . غير أن هذا التعليل ساذج وغير مقنع .

---

(٣٩) المزهر للسيوطي ٢/٢٥٤ .

(٤٠) الخصائص لإبن جني ٣٩٢ .

(٤١) مراتب النحويين للحلبي ٧٤ .

(٤٢) لسان العرب ٣/١٤١ — ٢ وانظر عن الشعر في الكوفة « حياة الشعر في الكوفة » ليوسف خليف

وكانت عناية أهل الكوفة بالقرآن الكريم أكثر ، وعدد القراء بها كان يزيد على من كان منهم في المدينة أو مكة او البصرة (٤٣) .

كما نمت دراسة الفقه حتى إنه يمكن القول بأن كل الإشارات الى « فقه أهل العراق » يقصد منه فقه الكوفيين .

وتفوق البصريون باللغة والنحو ، فـ « علم العربية عنهم أخِذ » (٤٤) . و « أهل الكوفة كلهم يأخذون عن البصريين ، وأهل البصرة يمتنعون من الأخذ عنهم » (٤٥) ، و « لا يُعلم أحد من علماء البصرة بالنحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة إلا ابا زيد» (٤٦) ويقول الحلبي « علماء البصرة رؤساء علماء معظّمون غير مدافعين في المصرين جميعاً ، ولم يكن بالكوفة ولا في مصر من الأمصار مثل أصغرهم في العلم بالعربية . ولو كان لافتخروا به ، وباهوا بمكانه أهل البلاد ، وأفرطوا في إعظامه » (٤٧) وعرفت البصرة بأنها مركز الزهد والاعتزال (٤٨) .

ولما زالت الدولة الأموية وانتقلت الخلافة الى العباسيين ، اتخذ الخليفة العباسيّ الأول ، أبو العباس ، مقرّه في الكوفة ؛ ثم انتقل الى الأنبار حيث توفي بعد ان قضى في الخلافة خمس سنوات . وتلاه أخوه أبو جعفر الذي عاد الى الكوفـة . ولكنه فكر في اتخاذ مقر جديد ، واستقر رأيه على بغداد ، فبدأ بتأسيس عاصمته فيها سنة ١٤٣ هـ ، ثم انتقل إليها بعد اكتمال بنائها سنة ١٤٥ ؛ وكانت قد انشئت في الاصل لتكون مقاماً للخليفة وأهله وحاشيته وحرسه وجنده ، ولكن سرعان ما اجتذبت الناس ، فهاجروا اليها من كل الأطراف ، فازداد عدد سكانها وتنوعت أصول بلادهم ؛ فمنهم الكوفيون ، والبصريون ، والواسطيون ، واليماميون ، ومنهم من جاء من بلاد المشرق .

(٤٣) انظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٧٣/١ وانظر أيضاً ابن الفقيه : البلدان ١٩٢ . ويقول الحلبي « لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب » مراتب النحويين ٧٤ .

(٤٤) الفهرست لإبن النديم ٩٦ .

(٤٥) المزهر ٢٥٦/٢ مراتب النحويين ٩٠ .

(٤٦) نزهة الألبا لابن الانباري ٢٦٣ .

(٤٧) مراتب النحويين ٧٤

(٤٨) حلية الأولياء ٩٢/٢ .

وقد أدرك الخلفاء العباسيون الأولون خطر ترك البناء الثقافي العام سائباً من غير توجيه ، ويبدو أنهم أدركوا مكانة علماء أهل المدينة وقيمة علومهم ، فبذلوا جهوداً في جلبهم الى بغداد ، وتيسير الفرص لهم لنشر علومهم ، أي جعل الثقافة العامة في بغداد منسجمة مع الخط العام الذي أنماه علماء أهل المدينة . وقد روى ابن عبدالبر أن أبا يوسف قال : « لقد طلبنا هذا العلم ، وطلبه معنا من لا نحصيه كثرة ، فما انتفع به منا إلاّ من دبغ اللبن قلبه . وذلك أن أبا العباس لما أفضى اليه الأمر ، بعث الى المدينة فأقدم إليه عامة من كان فيها من أهل العلم ، فكان أهلنا يعدون لنا خبزاً يلطخونه لنا باللبن ، فنغدو في طلب العلم ، ثم نرجع الى ذلك فنأكله . فأمّا من كان ينتظر أن تصنع له هريسة أو عصيدة ، فكان ذلك يشغله حتى يفوته كل ما كنا ندركه »(٤٩) والواقع أن دراسة أسانيد كتاب « الخراج » لأبي يوسف تظهر مصداق قوله في كثرة من اعتمد عليهم من شيوخ أهل المدينة وما كان يكنّ لهم من تقدير واحترام (٥٠) .

وقد قدم عدد من رجال أهل المدينة الى بغداد منذ أوائل تأسيسها ، فكانت لهم مكانة فيها . فقد كان من أوائل قضاتها : يحيى بن سعيد الأنصاري ، وعبدالله ابن محمد بن صفوان الجُمَحِيّ ، وسعيد بن عبدالرحمن الجُمَحيّ ، وكلهم من أهل الحجاز (٥١) ومن المعلوم أن كلاً من ابن إسحاق والواقدي ، وهما اللذان ألفا الكتابين المعتمدين في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم قدما بغداد ، ولعلهما كتبا كتابيهما ببغداد ؛ ويلاحظ أن ابن إسحاق قدم بغداد في اوائل تأسيسها ، توفي بها في سنة ١٥١ هـ . أما الواقدي ، فقد قدمها في خلافة المأمون .

وبعد أن تسنم المهدي الخلافة ، زار الحجاز سنة ١٦٠ هـ « وأمر أيام مقامه بالمدينة بإثبات خمس مئة رجل من الأنصار ، ليكونوا معه حرساً له بالعراق وأنصاراً ، وأجرى عليهم أرزاقاً سوى أعطياتهم ، وأقطعهم عند قدومهم معه بغداد قطيعة

---

(٤٩) جامع بيان العلم ٩٧/١ .

(٥٠) انظر مقالنا « الخراج وكتاب أبي يوسف » المنشور في العدد الثاني من مجلة كلية الإمام الاعظم ١٩٧٤ .

(٥١) انظر مقالنا قضاة بغداد في العصر العباسي المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٦٩ .

تعرف بهم » [٥٢] . وكان لهؤلاء الأنصار قطيعة [٥٣] ، وقنطرة [٥٤] ، ومسجد [٥٥] ومقابر خاصة بهم [٥٦] كما كان لهم نقيب خاص [٥٧] .

غير أن قرب الكوفة من بغداد جعل أثر علمائها أظهر ، وقد أشار الى ذلك الحلبي بقوله : « غلب أهل الكوفة على بغداد ، وحدّثوا الملوك فقدّموهم ، ورغّبوا الناس في الروايات الشاذّة ، وتفاخروا بالنوادر ، وتباهوا بالترخيصات ، وتركوا الأصول ، واعتمدوا على الفروع فاختلط العلم » [٥٨] . والواقع أن مؤدبي أولاد الخلفاء العباسيين الأولين كانوا من علماء الكوفة ، فكان المفضل الضّبّيّ مؤدّب المهدي والرشيد [٥٩] ، والكسائي مؤدب الرشيد الأمين [٦٠] ، واليزيدي مؤدب المأمون [٦١] ، والفرّاء ملقن ولدي المأمون النحو [٦٢] ، وابن السكّيت مؤدب ولدي المتوكل [٦٣] .

عمل هؤلاء العلماء ، بتشجيع من الخلفاء العباسيين الأولين ، على نشر علوم القرآن والحديث والسنة والفقه ، وسيرة الرسول ، وأخبار العرب وشعرها ، وهي العلوم التي سبق أن وضع العرب أسسها ونمّوْها لأنها معبرة عن ميولهم واتجاهاتهم ومعززة لكيانهم . وبذلك استقرت الثقافة ببغداد على نفس الاسس والاتجاهات السابقة . وسرعان ما اتضحت معالم هذا الصرح الثقافي ، وازدادت عناية الناس به وتقديرهم له ؛ وأصبح لعلماء هذه العلوم الحظوة ببغداد والسيطرة على توجيهها .

(٥٢) الطبري ٤٨٤/٣ الخطيب البغدادي ٨٨/١ – ٩ .
(٥٣) الخطيب ٩٩/١ .
(٥٤) الخطيب ٩٢/١٣ ، ١٠/٤ .
(٥٥) ابن سعد ٧ – ٧٥/٢ الخطيب ٢٨٦/١٢ ، ٦/٦ ، ١٢ .
(٥٦) الخطيب ٢٦٠/١ ، ٦/٦ ، ١٦٢/٧ المنتظم ٨٥/٧ .
(٥٧) الخطيب ٢٥٩/١ المنتظم ٨٥/٧ .
(٥٨) مراتب النحويين ٩٠ وانظر أيضاً المزهر للسيوطي ٢٥٦/٢ ضحى الاسلام لأحمد أمين ٣٤/٢ ، ٢٩٧ ، حياة الشعر في الكوفة ليوسف خليف ٢٤١ .
(٥٩) الفهرست ٦٩ الخطيب البغدادي ٢٠٣/١ .
(٦٠) ابن الأنباري : نزهة الألبا ٦٩ .
(٦١) نزهة الألبا ٦٩ .
(٦٢) نزهة الألبا ٨٢ الخطيب ١٢/١٤ .
(٦٣) نزهة الألبا ١٣٩ .

ولما استخلف المأمون وعاد الى بغداد، عمل على تشجيع الكلام، وترجمة « حكمة
وائل ، ومنطق اليونان ، وعمل رصد الكواكب ، ونشأ للناس علم جديد مُرْدِ
لك ، لا يلائم علم النبوة ، ولا يوافق توحيد المؤمنين ، قد كانت الأمة منه في
نية . . » [64] ؛ وقد لقي عمل المأمون مقاومة من أهل بغداد الذين كانت قد
تقرت ثقافتهم على النحو الذي ذكرنا، فاستعمل هو والخليفتان اللذان جاءا بعده،
وة في فرض الاتجاهات الجديدة ، ولقد اضاف عمله الى الثقافة ببغداد عناصر
ـديدة ، ولكنه لم يفلح في اجتثاث الثقافة القديمـــة . وفي الأخير ، أدخلت
ناصر الجديدة في الصرح الثقافي الأول ، فأنمته دون أن تزيله ، وظلت علوم
رب والإسلام أبرز ما يميز الثقافة ببغداد والعالم الإسلامي .

★ ★ ★

---

٦٤) تذكرة الحفاظ ١/٢٢٨ .

أفغانستان
قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه

اللواء الركن محمود شيت خطاب

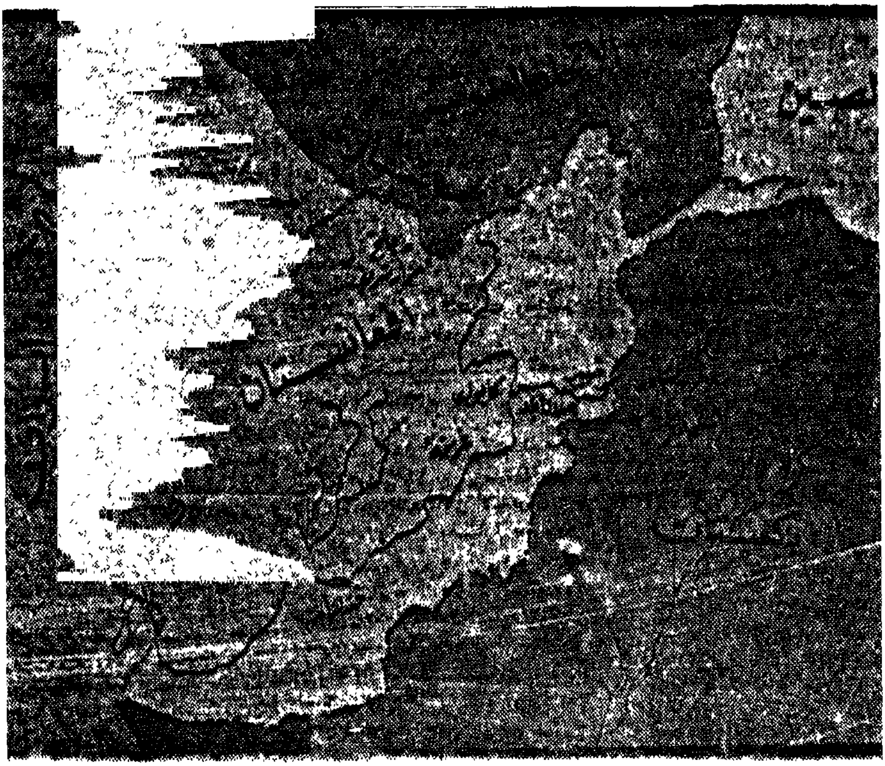
عضو المجمع

يُقصد بكلمة (أفغانستان) بلادَ الأفغان . وقد عُرِفَت أفغانستان في التاريخ البعيد باسم : (آريانا) نسبة إلى الآريين ، وتعني كلمة : (آرى) النبيل .

وتُعتبر أفغانستان مهد الآريين الذين هاجروا إليها من سهول (تُركستان) الغربية قبل الميلاد بنحو ألفي سنة ، ولو أنّ بعض المؤرخين يرجع تاريخ هجرتهم إلى أكثر من أربعة آلاف سنة .

ولما استقر الآريون في أفغانستان . تحوّلوا بمرور الأيام من حياة الرعي والانتقال إلى حياة الاستقرار ومزاولة الزراعة وبناء القرى وتعميرها ، إلى أن تَمّ لهم بناء مدينة (بَلْخ) التي عرفها العرب باسم : (أم البلاد) والتي تقع في مقاطعة : (مزار شريف) شمالي أفغانستان .

ويروي التاريخ أن الآريين الذين شيّدوا (بلخ) ، كانوا أوّل مَن سنّ القوانين وأقام الدساتير ووضع القواعد والأسس السليمة للحضارة البشريّة ، ففي الوقت الذي وصلت فيه مصر إلى قمّة مجدها ، كانت (آريانا) تضع الأسس الأولى للحضارة العالمية ، وكان الأمن والنظام قد وصلا فيها إلى أعلى مستوى حضاري ولما تكاثر سكان (آريانا) وضاقت بهم الأرض ، هاجر قسم من القبائل الآرية متّجهة نحو الهند وغرباً نحو (فارس) ووصل قسم منها إلى أوروبا ، وقد نقلوا معهم الحضارة إلى البلاد التي هاجروا إليها .



وعندما نطالع (القيداس) الأربعة ، وهي الكتب المقدّسة القديمة عند الهندوكيين ، نرى أنها تحكي وتشرح حيـاة الآريين في (بلْخ) عاصمة (آريانا) ، ومن هذا يتّضح أنْ العقيدة الهندوكيّة نشأت أولاً في أفغانستان ، ثم هاجرت إلى الهند وشاعت فيها .

وبعد ذلك ولد (زرادشت) في (بَلْخ) صاحب (أفيستا) الذي أسس المذهب (المثنويّ) بعقيدة الخير والشر .

وفي سنة ثلاثين وثلاثمائة قبل الميلاد ، غزا الأسكندر المقدوني أفغانستان وأقام مدينتي (قُندهار) و (هَراة) . واستمر حكم اليونان بعده ما يقرب من مائتي سنة.

ولما جاء الأسكندر المقدوني إلى أفغانستان ، كان معه (كلسنانس) الفيلسوف المؤرّخ ابن أخت الفيلسوف (أرسطو) ، فتأسست المدرسة اليونانيّة في أفغانستان .

واتّحد الفكر والفن البوذي . كما تحوّل الفن والفكر أيضاً إلى ما يسمى (إغريقو بوذيك) أي اليوناني البوذي ، وقد استمرّت هذه المدرسة في أفغانستان عدّة قرون وتركت فيها آثاراً باقية .

وفي القرن الأول قبل الميلاد ، تدفّقت جموع من قبيلة (كوشان) إلى افغانستان من منطقة (تركستان) الشرقية ، فقامت الأمبراطورية الكوشانيّة التي كان من أشهر حكامها (كانشكا) الذي حكم في القرن الثاني الميلادي .

وكان قد ظهر (بوذا) في الهند وأسّس مذهبه ومدرسته هناك ، إلاّ أنّ هذه المدرسة لم تنتشر تعاليمها ولم يكن لها شأن ونفوذ وصدى ، إلاّ بعد ما شاعت في أفغانستان واعتنقها ملوك الكوشانيين العظماء ، فارتفع شأنها وذاع صيتها في البلاد المجاورة ، حتى في الهند ذاتها .

وعندما قويت الدولة الساسانيّة ، تقلّصت قوة الكوشان ، وتتابعت إمارات محليّة صغيرة بيد أمراء يحكمون البلاد باسم السّاسانيين .

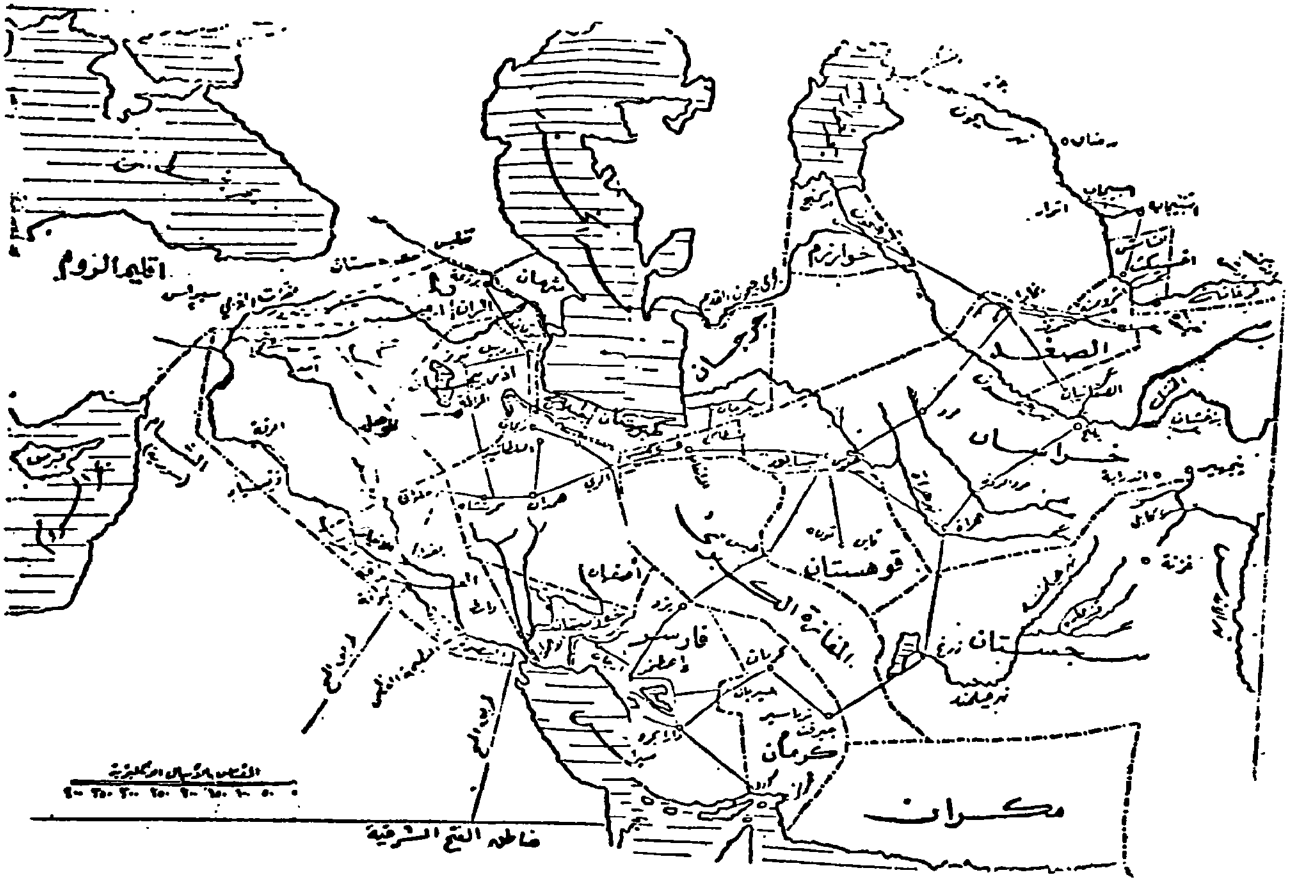
واستمرّت هذه الأمارات المسيطر عليها من السّاسانيين في الحكم ، حتى قدم المسلمون فاتحين .

وكانت أفغانستان في عهد الساسانيين تعرف باسم : (خُراسان) ، ومعنى خُراسان : أرض الشمس .

أما أيام الساسانيين : قيام الدولة السّاسانيّة ، وتنظيم دولتهم ، والادارة المركزية التي تشمل الوزارة ورجال الدين والقضايا الماليّة ، والصناعة والتجارة والمواصلات والجيش والكتّاب وموظفي الدولة وإدارة الأقاليم . والزردشتية التي هي دين الدولة والشعب ، فتجدها في مقدمة كتابنا : قادة فتح بلاد فارس [1] ، فليرجع إليها مَن شاء التعمّق في تاريخ تلك الدولة في أيام ظهور الإسلام وفي عهد الفتح الإسلامي ، فقد كانت أفغانستان قسماً من أقسام الدولة الساسانية .

وعندما اعتنق الأفغانيون الإسلام ، حطّموا الأصنام والأوثان ، وتمسكوا بالدين الحنيف ، وأخذوا ينشرونه في أرجاء أفغانستان والهند وما وراء النهر ، وحملوا مشعله

(١) قادة فتح بلاد فارس (١١ – ٨٠) .



خارطة الفتح الشرقية

شرقاً وغرباً ، فأصبحوا من أخلص دعاة الإسلام ، وكان لهم تاريخ مجيد في نشر الإسلام وبخاصة في الهند وإيران وفيما وراء النهر .

لقد أثر الإسلام في الأفغان تأثيراً عميقاً . فأصبحوا من المتمسكين بالاسلام وتعاليمه ولا يزالون . فكانت أفغانستان من حصون الإسلام القوية في ماضيها وحاضرها . وستبقى كذلك في مستقبلها باذن الله[1] .

طبيعة أفغانستان

١ — الموقع :

تقع أفغانستان في قلب آسيا في منطقة بعيدة عن البحار ، تمتد على رقعة واسعة من الأرض تبلغ مساحتها (٦٥٠,٠٠٠) كيلو متر مربع ، تشكل السفوح الغربيّة لتلك الجبال الشامخة التي تشغل وسط آسيا ، فيتكوّن معظم سطحها من مرتفعات ، خلا بعض المساحات التي تشمل قسماً من المناطق الغربية في الشمال الغربي والجنوب الغربي .

وتشكّل أفغانستان القسم الشرقي من هضبة (إيران) . وتغلب الصفة الجبليّة على سطحها ، ويكون الميل العام من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي .

وتبدأ المرتفعات في الشمال الشرقي بهضبة (بامير) التي تشكّل عقدة تتفرّع منها السلاسل الجبلية الشامخة ، ويبلغ متوسّط ارتفاعها (٣٠٠٠ م — ٣٦٠٠م) ، ولكنها تصل في بعض قممها إلى (٦٠٥٤ م) داخل أفغانستان . وتشكّل مناطق الحدود بينها وبين تركستان وكشمير وباكستان والتيبت ، وتغطى الثلوج قممها معظم أيام السنة .

٢ — الجبال :

أ — جبال هندكوش :

تمتد باتجاه الجنوب الغربي لتشغل أكثرية أرض أفغانستان ، حيث تصل الى مقربة حدود (إيران) ويستمر هذا الامتداد على طول (٥٧٥ كم) ، وتكون

---

١) انظر كتاب افغانستان (١٦ — ١٨) وكتاب أفغانستان (مواطن الشعوب الأسلامية في آسيا) (٣٣ — ٣٥) وكتاب هرات (تاريخها وآثارها ورجالها (ص ٩) .

مرتفعة في الشرق إذ يصل ارتفاعها الى (٥٣٣٤ م) ، بينما تنخفض في الغرب فلا يزيد ارتفاعها عن (٣٠٠٠ م) . وتنساب الأنهار منها في جميع الاتجاهات على شكل أودية وشعاب ، حتى أنّ كلمة : (هندكوش) تعنى جبال الأنهار وقد جزّأتها هذه السيول إلى عدّة سلاسل ، يطلق عليها أسماء مختلفة .

ب ـ جبال سليمان :

تتفرع من هضبة (بامير) وتتّجه جنوباً ، وتشكّل الحدود بين أفغانستان وباكستان ، وتتألّف من سلاسل متقاربة تخترقها أودية عميقة ، ويصل أعلى ارتفـاع لها إلى (٤٧٦١ م) في قمّـة (سيكرام) على الحـدود بين الدولتين في جنوبي شرقي مدينة (كابُل) ، ومن أشهر ممراتها : ممر (خَيْبَر) الذي يمرّ فيه نهر (كابُل) ويصل بين مدينتي (كابُل) في أفغانستان و (بيشاور) في باكستان .

٣ ـ السهول :

تمتد السهول شمالاً في مناطق ضيّقة قريبة من مجرى نهر (جيحون) الذي يشكّل الحدود بين تركستان وأفغانستان ، ولا يزيد ارتفاعها عن (٣٠٠ م) وتؤول إليها المياه المنحدرة من جبال (هندكوش) ويصل بعضها إلى نهر (سيحون) . بينما يغيض أكثرها في رمال المنطقة .

وتوجد أيضاً سهول في الغرب حول مدينة (هَرَاة) وعلى مجرى نهر (هاري رد) في مجراه الأوسط ، كما توجد سهول في الجنوب الغربي قليلة الارتفاع وأكثرها انخفاضاً على حدود إيران حيث تنتشر المستنقعات ، وتعتبر هذه الاقسام صحارى سوى ما كان منها على مجرى نهر (هلمند) .

٤ ـ المناخ :

تقع أفغانستان ضمن المنطقة المعتدلة ، سوى أجزاء صغيرة تقع ضمن الصحارى الحارة ولما كانت أفغانستان منطقة داخليّة بعيدة عن البحار والمحيطات ، لذا فمناخها قاري شديد الحرارة صيفاً شديد البرودة شتاءً ، وإن كانت الحرارة تختلف

بين المرتفعات والمناطق المنخفضة ، حيث تعتدل الحرارة صيفاً في الجبال ، فتكون هضابها ومرتفعاتها مصايف جميلة ، أما في الشتاء فشديدة البرد ، وكثيراً ما تنخفض درجات الحرارة إلى (٢٠°) درجة مئوية دون الصفر وتكون مكلّلة بالثلوج . أما المناطق المنخفضة فصيفها حار لاهب تزيد درجة الحرارة فيه على (٤٥°) درجة مئويّة ، وينام الناس على اسطحة المنازل طلباً للنسمات العليلة المعتدلة التي هي نسيم الجبال ، تخلصاً من الحر الشديد والجو الخانق داخل البيوت . وأكثر المناطق حرارة هي المناطق الجنوبيّة الغربيّة ، وفي الشتاء يعمّ الاعتدال ، وتهبط في هذا الفصل القبائل من الجبال .

وتهبّ الرياح الموسميّة على جبال (سليمان) في الصيف لا تتعدّاها ، وتحمل معها الأمطار ، أما بقيّة المناطق فتهبّ عليها الرياح الشمالية الشرقية الجافّة التي تأتي من مناطق قاريّة .

وفي الشتاء تصل إلى البلاد الرياح الغربيّة التي تحمل بعض الرطوبة من البحر الابيض المتوسّط رغم بعده ، فتسبّب هطول بعض الأمطار ، وتتساقط في المرتفعات على شكل ثلوج بسبب شدّة البرد ، كما تتعرض الأجزاء الشمالية من البلاد للرياح الباردة الشديدة البرد ، فتسبّب تلك اللفحات القارصة وتنشر الصّقيع .

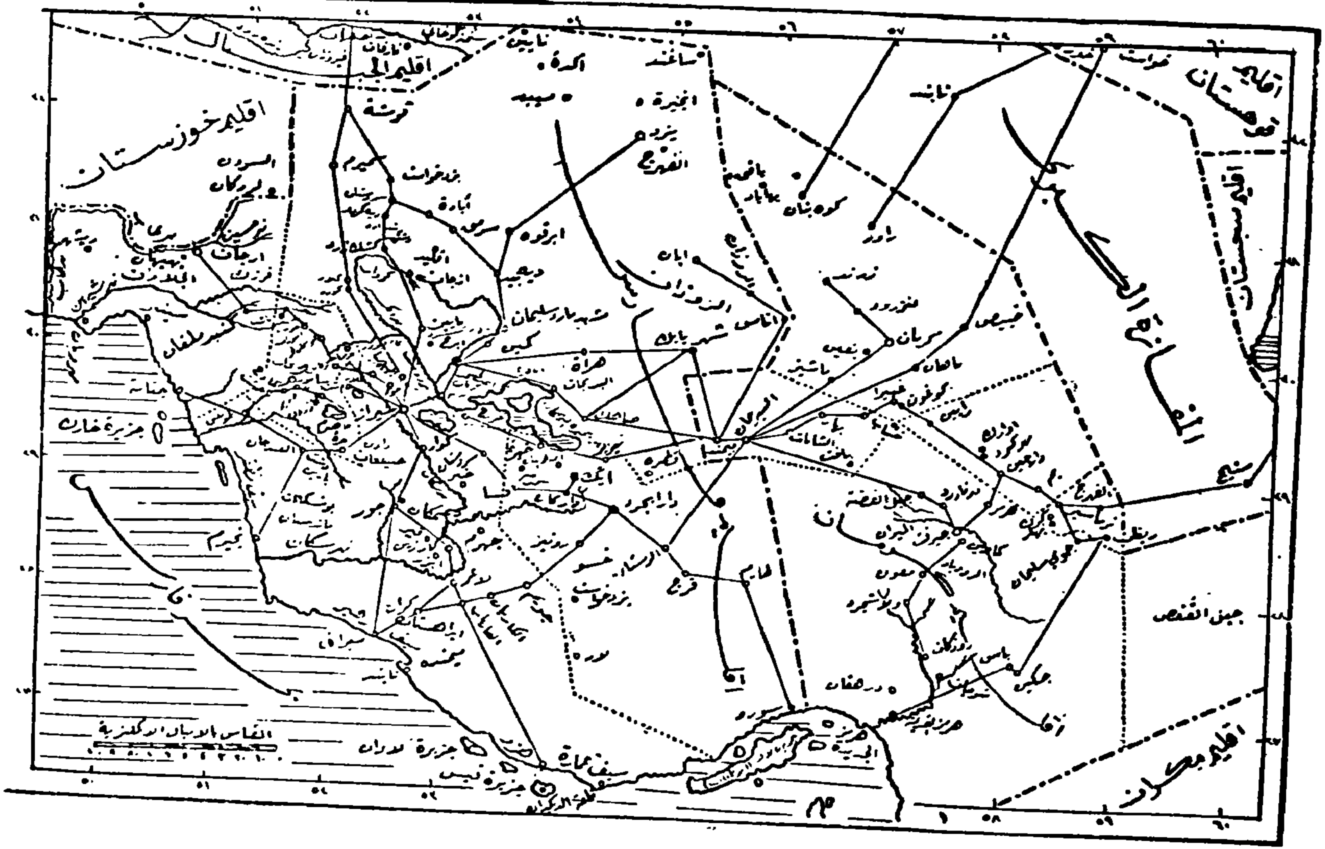
وأفغانستان بسبب بعدها عن البحار ، فهي قليلة الأمطار ، وأكثرها ما يهطل على المرتفعات في الشرق والشمال الشرقي ، حيث تبلغ الكمّيات الهاطلة من الأمطار هناك (٣٨٠ مم) في السنة . وأقلّ المناطق مطراً هي المناطق الواقعة في الجنوب الغربي ، ويبلغ ما يهطل عليها من مطر (٥٠ مم) فقط في السنة . والمعدّل العام للمطر هو (٢٥٠ مم) في السنة ، ولكن هذه الكمية تتفاوت من سنة إلى أخرى .

وتتميز سماء أفغانستان بالصحو في معظم أيام السنة ، فالصيف دائم الصحو ، وأكثر أيام الشتاء صافية السماء وأقلها غائمة ، وتسطع الشمس الدافئة في أغلب الأحيان .

٥ ــ المياه :

الأنهار في أفغانستان قليلة ، وبخاصة الأنهار الدائمة الجريان ، بسبب قلّة الأمطار ، والأنهار الجارية ضئيلة المياه ، تجري في بطون الوديان على شكل خيوط

اقليما فارس وكرمان



من الماء سببها ذوبان الثلوج الدائمة . ولكن عدد الأودية كثير ، معظمها يجفّ أغلب أيام السنة لقلة المطر . وهي تمتلئ بالمياه إثر زخّات المطر ، وتفيض في فصل الربيع وأوائل فصل الصيف لذوبان الثلوج بسبب ارتفاع درجات الحرارة ، وتشحّ فيما عدا ذلك لشدّة الحرارة التي تؤدي إلى زيادة التبخّر وقلّة التغذية والإستفادة ببعض ما يجري فيها للري .

ومن أهم هذه الأنهار :

أ : جيحون : ينبع من هضبة (بامير) ويجري في الشمال ، ويشكّل الحدود بين أفغانستان وتركستان مسافة (٦٣٠ كم) ، ويتلقى تغذيته من ثلوج (بامير) والجبال المشرفة على واديه سواء من جبال (هندكوش) من الجنوب أم مرتفعات تركستان من الشمال ، ويصبّ في بحيرة (خوارزم) مشكّلاً جزيرة واسعة (دلتا) . وكان فيما مضى يصبّ في بحر الخزر (قزوين) ، ويبلغ طوله (٢٢٤٠ كم)، ويفيض في أيام الربيع .

ومن الجدير بالذكر ، أنّ البلاد الواقعة وراءه أطلق عليها المسلمون اسم : بلاد ما وراء النهر ، نسبة إليه .

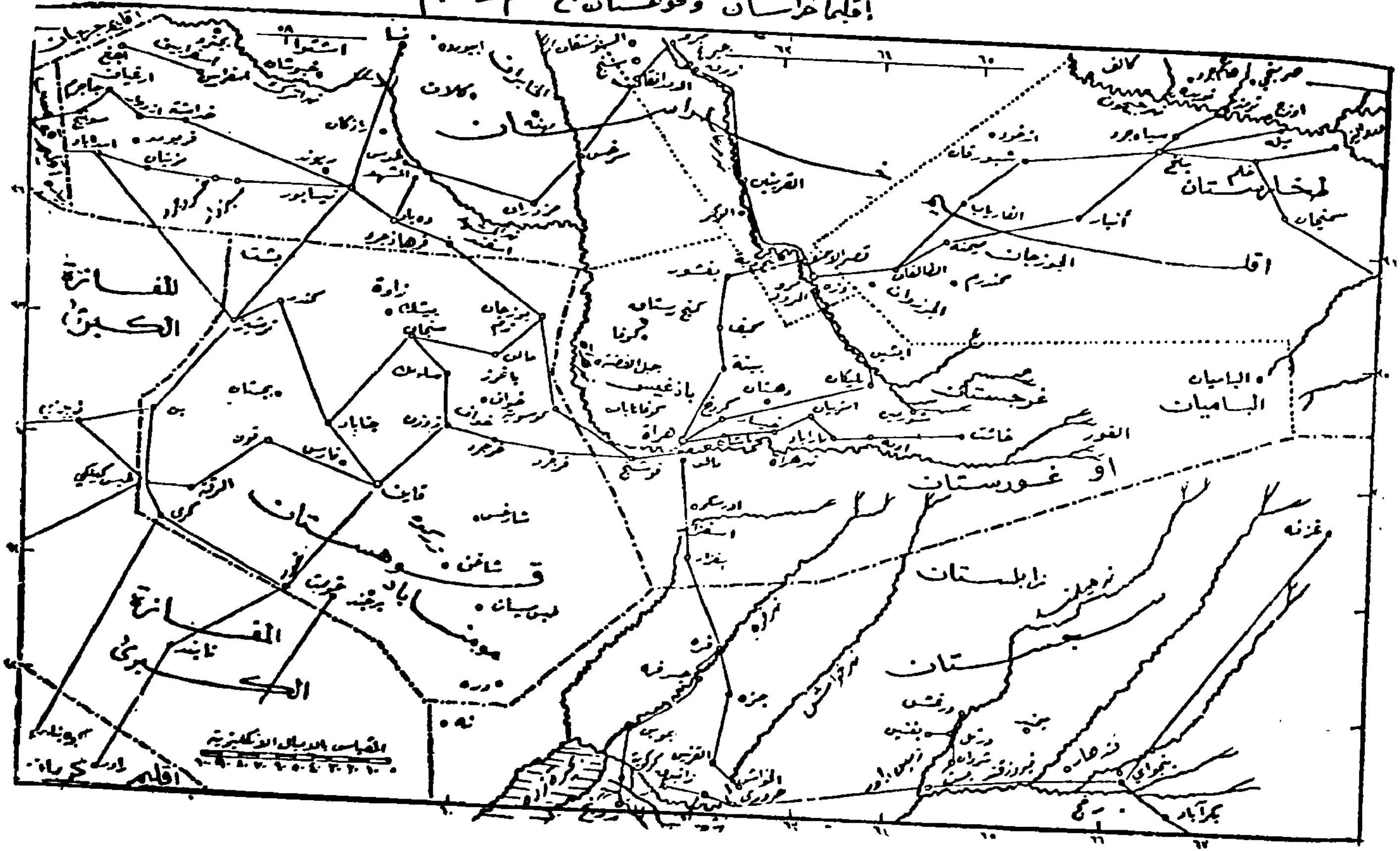
ومن المدن المشهورة التي تقع على هذا النهر مدينة (تِرْمِذ) ، وهي على حدود أفغانستان ضمن جمهورية الأزبك الخاضعة اليوم للسيطرة الروسية .

ب : نهر هلمند :

يبدأ مجراه الأعلى من المرتفعات الوسطى من جبال (كوه بابا) من غربي مدينة (كابُل) ، كما تتدفّق إليه المياه التي تنساب من الجبال الجنوبيّة لجبال (هندكوش) والسفوح الغربيّة للمرتفعات الشرقيّة عبر روافد كثيرة وأودية عديدة . واتجاه النهر نحو الجنوب الغربي ثم نحو الغرب ، وأخيراً يتّجه نحو الشمال ليصبّ في بحيرة (سيستان) على الحدود الأفغانية — الإيرانية .

ويبلغ طوله (١١٢٠ كم) ، ويروي وفروعه منطقة تزيد مساحتها على ثلث المساحة العامة لأفغانستان ، وتقع في الجنوب الغربي من البلاد .

إقليما خراسان وقوهستان مع قسم من إقليم سجستان



ج : نهر خاش :

تنحدر مياهه من جبال (تيماني) ويتّجه نحو الجنوب الغربي ، ويصب ما يفيض من مياهه في منخفض (سيستان) .

د : نهر فرح :

تنحدر مياهه من جبال (تيماني) ويمرّ بمدينة (فرح) ، ويصبح بعدها جافاً ، ولا تجري المياه في واديه إلاّ بعد زخّات المطر الشديد ، ويبلغ طوله (٦٤٠ كم) ، ويصب في منخفض (سيستان) .

ه . نهر هاروت :

يجري في الغرب . ويصب في منخفض (سيستان) .

و . نهر هاري :

يجري في الغرب . ويمتدّ إلى أواسط البلاد ، وتقع في حوضه مدينة (هَراة) . ويستمر في اتجاهه الغربي حتى يصل إلى حدود (إيران) ، ثم بين (تركستان) و (إيران) ، وأخيراً تغيض مياهه في رمال (تركستان) .

ومن المدن الواقعة على هذا النهر مدينة (سرخس) عند انعطاف الحدود الإيرانية نحو الغرب ، وتقع ضمن (تركستان) .

ويصل طول هذا النهر إلى (١٠٠٠ كم) تقريباً منها في (أفغانستان) نحو (٦٥٠ كم) والباقي في (تركستان) .

كما كانت مدينة (بيهق) تقع في مجراه الأسفل . حيث تزول مياهه قريباً منها ، وتقع هذه المدينة في (تركستان) ، وقد اندثرت اسماً ، حيث لم يطلق اسمها على ما بُني على أنقاضها .

ز . نهر مورغاب :

ينبع من شمالي جبال (هندكوش) ومن أواسط البلاد ، ويتجه نحو الغرب ، وتقع عليه مدينة (مرو) عاصمة (خُراسان) .

ح . نهر كابُل :

ينبع من وسط البلاد ، ويتّجه شرقاً ، فيمرّ بمدينة (كابُل) ، ويجتاز ممر

(خيبر) ويدخل (باكستان) ، فيمر بمدينة (بيشاور) ، وبعدها يرفد نهر (السِّند) عند مدينة (أوتوك) .

يبلغ طوله نحو (٦٠٠ كم) ، ويعتبر من أهم الأنهار الأفغانية ، لفوائده الكبرى ولاستمرار تدفّق مياهه .

السكان

١ – البوشتن Pushtuns :

يُشكِّلون ٦٠٪ من مجموع السكّان، وهم خليط من العناصر التركيّة والإيرانيّة ويجتمعون في المناطق الواقعة جنوبي جبال (هندكوش) ، كما يتواجدون في المناطق الواقعة شماليها . وهم يعملون في الزراعة كما يمتهنون الرعي ، ويتميّزون بالقامة الطويلة ولون البشرة الأسمر والشعر الأسود المتموِّج . وقد اعتادوا تحمل المشاق بسبب طبيعة بلادهم ووعورة جبالها . وتقيم بعض قبائلهم في باكستان ، وقد فصلت الحدود الاصطناعية بين أفغانستان وباكستان هذه القبائل بعضها عن فجزّأتها ، ويعرفون في باكستان باسم : قبائل (الباتان) .

ومن أشهر فروع (البوشتن) في أفغانستان : (الغلزة) وهم من فرع الجنوب ، وبسبب ميل لون هؤلاء إلى البياض ، فقد ظنّ بعضهم أنهم مجموعة خاصة تختلف عن (البوشتن) .

٢ – الطاجيك :

وهم عناصر إيرانيّة . يتميّزون بالقامة المتوسطة . ويسكنون الوديان العليا من إقليم (باداخشان) وفي السهول العليا في وسط البلاد حتى الغرب ، حيث يعمرون السهول الغربية حول مدينة (هراة) ، ويشكّلون ٣٠٪ من السكّان ، ويعملون في الزراعة والصناعة والتجارة .

٣ – الاتراك :

وهم امتداد لسكّان تركستان الغربيّة ، حيث نجد الأوزبك الذين يشكّلون ٥٪ من مجموع سكّان أفغانستان . والتركمان وهم يقيمون على الضفة الجنوبيّة لنهر جيحون . والقرغيز الذين ينتقلون في هضبة (بامير) ويرعون الأغنام والماعز

وحيوانات الياك . وبالقرب من هذه القبائل يقيم (القوزاق) أيضاً ، وهم من هذه المجموعة من القبائل .

٤ – الهزارة :

وقد انحدروا من أصل مغولي ، وعددهم قليل نسبياً ، وموطنهم المرتفعات الوسطى . ويعملون في الرعي والزراعة .

٥ – البالوخ :

وهم في الجنوب . والقليل منهم يقيمون في أفغانستان . وأكثرهم يقيم في إقليم (بلوخستان) من باكستان . وهو أقليم مجاور لأفغانستان . ويطلق عليهم : البالوج أو البالوش .

المدن

١ – كابل :

تقع على النهر المسمى باسمها : (نهر كابل) . وهي قسمان : القسم الشرقي وهو المدينة القديمة ، والقسم الغربي وهو المدينة الحديثة .

٢ – هراة :

تقع على نهر (هريرود) . ولعلها اسمها مشتق منه ، وتقع في المنطقة الغربية حيث تنتشر السهول .

وهي مدينة أثرية قديمة ، من أمهات مدن (خُراسان) ، تبعد عن (كابُل) بنحو (١٠٤٢ كم) وترتفع عن سطح البحر بنحو (١٩٢٠ م) ، يصلها بقندهار وسِجسْتان وكابل طريق معبّد ، وتتصل من الجهة الشمالية بباذغيس ومرو الروذ وجوزجان .

٣ – قندهار :

تقع على مجرى أحد فروع نهر (هلمند) قريبة من الحدود الباكستانية .

٤ – مزار شريف :

مدينة قديمة من الشمال . وهي مركز مقاطعة (بلخ) .

٥ – بلخ :

مدينة تاريخية قديمة . كانت عاصمة مملكة (ايريانا) القديمة . وكانت تحمل اسم : (باكتريا) ، وتقع إلى الغرب من مدينة (مزار شريف) . وعلى مسافة مائة كيلومتر منها تقريباً .

٦ – غزنة :

مدينة تاريخية قديمة . تقع جنوبي غربي مدينة (كابُل) على بُعد مائة وخمسين كيلومتر منها ، وهي على طريق المواصلات بين (كابُل) و (قندهار)

٧ – طالقان :

بلدتان ، إحداهما بخرسان بين (مرو الروذ) و (بلخ) ، بينها وبين (مرو الروذ) ثلاث مراحل ، وهي اكبر مدينة بطخارستان . ويقال لها : (طالقان مرو الروذ) . والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأنهر . ويقال لها : (طالقان قزوين) .

٨ – فارياب :

مدينة مشهورة بخُراسان من أعمال (جوزجان) قرب (بلخ) غربي (جيحون) . وتعرف اليوم مقاطعة بهذا الاسم ، ومركزها مدينة (ميمنة) ، وهي (ميمنة جوزجان) .

٩ – جوزجان :

اسم كورة واسعة من كور (بلخ) بخُراسان ، بين (مرو الروذ) و (بلخ) ومن مدنها (فارياب) .

وتوجد اليوم مقاطعة تحمل هذا الاسم إلى الشرق من مقاطعة (فارياب) .

١٠ – مرو :

مدينة قديمة ، وهما مدينتان : الأولى باسم : (مرو الشاهجان) وهي مرو العظمى أشهر مدن (خُراسان) وقصبتها . وهي الآن في خراسان التي تقع في الاتحاد السوفياتي . أما مرو الثانية فهي (مرو الروذ) وهي مدينة صغيرة بالنسبة

إلى (مرو الشاهجان) وقريبة منها ، بينهما خمسة أيام ، وتقع على نهر (مورغاب) في حدود أفغانستان وداخلها على حدود تركستان .

وتقدر المسافة بين هاتين المدينتين بنحو مائتين وخمسين كيلومتر .

١١ — طخارستان :

هي المنطقة الأفغانية التي تقع شرقي مدينة (بلخ) ، وهي بلاد جبليّة .

فتح أفغانستان

١ — المعركة الحاسمة :

خاض المسلمون معركة (نَهاوند) بقيادة نُعْمان بن مُقَرِّن المُزَنِيّ رضي الله عنه سنة إحدى وعشرين الهجرية (٦٤٢ م) ، وهي إحدى المعارك الحاسمة التي كانت بين المسلمين من جهة وبين الإمبراطوريّة الساسانيّة من جهة أُخرى ففتحت هذه المعركة الحاسمة للمسلمين أبواب فارس والمشرق الإسلامي ومنها أفغانستان ، لذلك أطلق المسلمون على هذه المعركة بحق اسم : فتح الفتوح .

وبدأت بعد هذه المعركة الحاسمة معارك : استثمار الفوز ، وهي معارك محلية قاتل فيها قسم من جيوش المسلمين جيوش الحكّام المحليين ، فعقد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيده سبعة ألوية لسبعة قادة ، عهد إليهم بالانسياح في المناطق الخاضعة للحكم الساساني والتي تحكم باسم حكّام فارس .

وكان من بين هذه الجيوش جيشان اتّجها نحو المنطقة التي تسمى اليوم : أفغانستان الأول بقيادة الأحنف بن قيس التميمي [1] ووجهته (خُراسان) ، والثاني بقيادة عاصم بن عمرو التميمي [2] ووجهته (سِجِسْتان) .

٢ — فتح الاحنف :

تقع (خُراسان) بين هضبة (إيران) وسفوح جبال (هندكوش) وتلال بلاد (ما وراء النهر) ، وهي اليوم ضمن ثلاث دول : أفغانستان ومن مدنها (هراة)

---

(١) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح بلا د فارس (٢١٧ — ٢٤٦) .

(٢) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (٢٧٩ — ٢٨٩) .

و (بَلْخ) ، وإيران ومن مدنها (نيسابور) ، وتركستان التي تخضع اليوم للسيطرة الروسيّة ومن مدنها (مرو الشاهجان) حاضرة (خراسان) كلّها في أيام الأحنف .

وقد شهد الأحنف قبل أن يتوجّه لفتح (خُراسان) فتح (نَهاوند) مع أهل البصرة الذين جاؤوا مدداً وعليهم أبو موسى الأشعري[1] ، فلما انصرف أبو موسى من (نهاوند) وفتح (قُم) وجّه الأحنف إلى (قاشان) ، ففتحها عنوة ثم لحق بأبي موسى الأشعري .

وبعد أن أنجز الأحنف متطلبات قوّاته القتاليّة كافة وأكمل حشدها ، سار لفتح (خُراسان) سنة ثماني عشرة الهجريّة (٦٣٩ م) ، وفي قول : سنة اثنتين وعشرين الهجرية (٦٤٢ م) .

وسار الأحنف على رأس جيشه حتى دخل (خُراسان) من (الطَبَسَيْن)[2] ، فافتتح (هَراة) عنوة واستخلف عليها .

وسار نحو (مرو الشاهجان) ، فكتب (يزدجرد) وهو في (مرو الرّوذ) إلى خاقان ملك الترك وإلى ملك (الصُغْد) وإلى ملك (الصِّين) يستمدّهم .

وخرج الأحنف من (مرو الشاهجان) بعد أن وصلته إمدادات (الكوفة) ، فسار نحو (مرو الرّوذ) ، وقدّم أهل (الكوفة) إلى (بَلْخ) وأتبعهم الأحنف ، فالتقى أهل الكوفة بيزدجرد في (بَلْخ) فهزموه . فما لحق الأحنف بأهل الكوفة إلاّ وقد فتح الله عليهم .

وتتابع أهل (خراسان) ممن شذّ أو تحصّن على الصلح فيما بين (نيسابور) إلى (طخارستان)[3] ممن كان في مملكة كسرى . أما الأحنف ، فعاد إلى (مرو الرّوذ) فنزلها ، واستخلف على (طخارستان) .

---

(١) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (١٧٨ - ١٩١) .

(٢) طبس : مدينة في برية بين نيسابور وأصبهان وكرمان ، وهما طبسان : طبس كيلكي وطبس مسينان ، ويقال لهما : الطبسان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ٢٨) وآثار البلاد وأخبار للعباد (٤٠٦) .

(٣) طخارستان : المنطقة الأفغانية التي تقع شرقي مدينة (بلخ) ، وهي بلاد جبلية .

وكتب الأحنف إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بفتح (خراسان) ، فقال عمر عن الأحنف : « هو سيّد أهل المشرق المسمّى بغير اسمه » ولكنّ عمر قال : « لَوَدِدْتُ أني لم أكن بعثت إلى (خُراسان) جنداً ، ولَوَدِدْتُ أنه كان بيننا وبينها بحر من نار » وخشي عمر أن يتقدّم الأحنف بجنوده إلى ما وراء (خراسان) من أرض المشرق . كما خشى أن تأخذ المسلمين نشوة الظفر فيتغلغلوا شرقاً ، فكتب إلى الأحنف يقول : « أما بعد ! فلا تجوزنّ النهر واقتصر على ما دونه ، وقد عرفتم بأيِّ شيءٍ دخلتم على (خراسان) ، فداوموا على الذي دخلتم به يَدُمْ لكمْ النصر ، وإياكم أن تعبروا فتنفضوا » .

لقد كان لهذا الحذر من جانب عمر ما يُسوِّغه ، فقد اتّسعت رقعة الفتح في المشرق ، فشملت أرض فارس كلّها ، وقد طالت خطوط المواصلات كثيراً ، وتوزّعت قوات المسلمين في أرجاء الشام ومصر والعراق وفارس ، وقد دلّت الحوادث من بعدُ ، أنّ عمر كان حصيف الرأي بعيد النظر . فقد سار خاقان الترك في جنده ، ويزدجرد معه ، فعبروا النهر إلى (بلخ) ، واضطروا جند الكوفة أن يتراجعوا منها إلى (مرو الروذ) . وكان الأحنف قد خرج بقوّاته ليلاً من المدينة وعسكر خارجها ، وفي الصباح جمع الناس وقال لهم : « إنكم قليل ، وإنّ عدوّكم كثير ، فلا يهولنّكم ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين . ارتحلوا من مكانكم هذا ، فاسندوا إلى هذا الجبل ، فاجعلوه في ظهوركم ، واجعلوا النهر بينكم وبين عدوّكم ، وقاتلوهم من وجه واحد » ، وكانت قوات الأحنف تقدّر بعشرين ألفاً : عشرة آلاف من أهل الكوفة ، وعشرة آلاف من أهل البصرة .

وأقبل الترك . فكانوا يناوشون المسلمين نهاراً ويتنحّون عنهم ليلاً ، فخرج الأحنف بنفسه طليعة لأصحابه ، حتى كان قريباً من معسكر خاقان الترك ، فلما تنفّس الصبح ، خرج فارس من الترك بطوقه ، وضرب بطبله ، فحمل عليه الأحنف فاختلفا طعنتين ، فطعنه الأحنف وهو يقول :

إنّ على كلِّ رئيس حقاً   أن يخضب الصَّعدة أو يَنْدَقّا

إن لنا شيخاً بها مُلَقّـــى   سيف أبي حفص الذي تَبَقّى [1]

وخرج فارس تركي ثان ، فأورده الأحنف حتفه بطعنة نجلاء ، وهو يرتجز :

إنّ الرئيس يَرْتَبي ويطلع   ويمنعُ الخُلاّء أما أربعوا [2]

وخرج فارس تركي ثالث ، فأورده الأحنف مورد صاحبيه وهو يرتجز :

جرْي الشّموس ناجزاً بناجزٍ   محتفــلاً بجريه مشارز [3]

ثم انصرف الأحنف إلى عسكره ، وأعدّ رجاله للقتال ، ولكنّ الترك آثروا العودة إلى ديارهم ، لأنّ مقامهم طال دون جدوى ، ولأنهم تكبّدوا خسائر فادحة بالأرواح ، ولأن أملهم بالنصر كان ضعيفاً ، ولأنهم اطمأنوا إلى أنّ المسلمين لن يعبروا إليهم النهر تنفيذاً لأمر الخليفة عمر بن الخطّاب .

وكان يزدجرد حين انسحب جند الكوفة عن (بَلْخ) وانضموا إلى الأحنف بـ (مرو الرّوذ) ، قد فصل بقوة فارسيّة من (بلخ) إلى (مرو الشاهجان) ، فحصر المسلمون بها واستخرج خزائنه من موضعها .

وعلم يزدجرد بانسحاب خاقان إلى (بلخ) وعزمه على الانسحاب من فارس كلّها إلى بلاده ، فأراد أن يحمل خزائنه ويلحق بخاقان حليفه . فقال له أهل فارس : أيّ شيءٍ تريد أن تصنع ؟ ! فقال : « أُريد اللّحاق بخاقان فأكون معه أو بالصين ! » ، فقالوا : مهلاً ! إنّ هذا رأي سوء ، فانك إنما تأتي قوماً في مملكتهم وتدع أرضك وقومك ، ولكن ارجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحهم فإنهم يلون بلادنا ، وانّ عدواً يلينا في بلادنا أحبّ إلينا مملكة من عدوٍ يلينا في بلاده ، ولا دين لهم ولا ندري ما وفاؤهم ! ! فأبى عليهم وأبوا عليه ، فقالوا : فدع خزائننا نردّها إلى بلادنا ومَن يلينا ولا تخرجها من بلادنا إلى غيرها ! فخالفهم يزدجرد وأصرّ على رأيه ، فخرجوا إليه وثاروا به وقاتلوه وحاشيته واستولوا على خزائنه ،

---

(١) الصمدة : الرمح ، أو آلة جارحة أصغر من الحربة . ملقى : طريح ، ويقصد به الشهيد .

(٢) يرتبي يصعد الرابية . الخلاء : جمع خلي ، وتميم تقول : خلا فلان على اللبن واللحم ، إذا لم يأكل معه شيئاً ولا خلط به . ربع بالمكان : أقام .

(٣) الشموس : الفرس تمنع ظهرها . مشارز : الشدة والصعوبة والقوة .

ففرّ فيمن معه إلى (بَلْخ) . فإذا خاقان سبقه إلى الانسحاب منها ، فتابع فراره حتى بلغ (فرْغانة) عاصمة الترك ، فقال المسلمون للأحنف : ما ترى في إتّباعهم ؟ فقال : « أقيموا بمكانكم ودعوهم » .

وأقبل أهل فارس على الأحنف ، فصالحوه وعاهدوه ودفعوا إليه خزائن كسرى وأمواله ، فسار الأحنف بجند الكوفة من (مرو الرّوذ) إلى (بَلْخ) فأنزلهم بها ، ثم عاد إلى مقر قيادته في (مرو الرّوذ) .

وكتب الأحنف إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما بالفتح . وبعث إليه بالأخماس ، فجمع عمر الناس وخطبهم . وأمر بكتاب الفتح فقرئ عليهم ، وقال في خطبته : « ألا إنّ الله قد أهلك ملك المجوسيّة وفرّق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضرّ بمسلم . ألا وإنّ الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون ، والله بالغ أمره ومنجز وعده ومتبع آخر ذلك أوّله ، فقوموا في أمره على رجل يعرف لكم بعهده ويؤتكم وعده ، ولا تتبدّلوا ولا تتغيّروا فيستبدل الله بكم غيركم ، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تُؤتى إلاّ من قِبَلكم » ، فكان فتح الأحنف لخراسان النذير الصّادق بانتهاء دولة الأكاسرة من بني ساسان ونشر رايات الإسلام في تلك البلاد [1] .

٣ – فتح عاصم :

بعد فتح (نهاوند) ، قرّر عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أن يدفع قوّات المسلمين إلى سائر أنحاء فارس . فعقد بنفسه سبعة ألوية لسبعة قادة عهد إليهم بالانسياح في ارض فارس كلّها كما ذكرنا ، وكان من بين هذه الألوية السبعة لواء (سِجِستان) دفعه إلى عاصِم بن عمرو التميمي ، وأمّره على رأس جيش من البصرة ، ثم أمدّه بأهل الكوفة بقيادة عبدالله بن عمير .

وسجستان ولاية كبيرة واسعة تشمل اليوم : منطقتي (راجستان) و (سيستان) ومن مدنها (قُنْدهار) و (زَرَنج) [2] ، ويقع منها اليوم في إيران ، وهو غربي (سيستان) .

---

(١) انظر تفاصيل فتح الأحنف في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (٢٢٠ – ٢٢٦) .

(٢) زرنج : مدينة لم يبق لها اليوم أثر ، تقع في منطقة (سيستان) على الحدود بين أفغانستان وإيران في بقعة المستنقعات ، كانت مركز الولاية .

وعسكر عاصم بالقرب من البصرة ، حتى أكمل حشد قواته وأنجز متطلباتها الإدارية ، ثم توجّه نحو هدفه (سِجستان) ، وهي أعظم من (خُراسان) وأبعد فروجاً ، يقاتل أهلها القندهار والترك وأُمماً كثيرة ، وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة ، وكلّ ذلك يدلّ على أهمية واجب عاصم ، وأنّ اختياره لهذا الواجب الخطير كان دليلاً على الثقة البالغة بقيادته .

والتقى عاصم بحُماة (سِجستان) على تخوم بلادهم ، فلم يثبتوا للمسلمين ، بل انسحبوا إلى (زَرَنْج) عاصمة ولاية (سِجستان) ، فحاصرهم المسلمون فيها وبثّوا كتائبهم تتغلغل في المنطقة كلّها . ولما أيقَن المحاصَرون أنّ طول الحصار يضرّ بمصالحهم ومصالح إقليمهم ولا يجديهم نفعاً ، طلبوا الصّلح على أن تكون مزارع (سِجستان) حمىً لا يطؤها المسلمون، وبذلك فُتحت ولاية (سجستان) ودخلت ضمن البلاد الإسلامية [1] .

٤ ـ استعادة أفغانستان :

أ ـ جهاد الاحنف بن قيس

نكث أهل فارس العهد بعد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فلما استعاد عبدالله بن عامر فتح بعض أرض فارس في أيام عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، غزا (خُراسان) وعلى مقدمته الأحنف ، فأتى (الطَبَسَيْن) وهما حصنان وبابا (خُراسان) ، فصالحه أهلهما ، فسار إلى (قُهِسْتان) ، فلقيه أهلها ، فقاتلهم حتى ألجأهم إلى حصنهم ، فقدم عليها عبدالله بن عامر وصالح أهلها .

ووجّه عبدالله بن عامر الأحنف إلى (طخارستان) ، فأتى الموضع الذي يقال له : قصر الأحنف ، وهو حصن (مرو الرّوذ) ، فصالح أهله بعد حصارهم على ثلاثمائة ألف درهم .

ومضى الأحنف إلى (مرو الرّوذ) ، فصالح أهلها بعد قتال شديد . وسيّر الأحنف سرية إلى (بغ) [2] ، فاستولت على الرستاق وصالحت أهله .

---

(١) انظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (٢٨٦) .

(٢) بغ : ويقال لها : بغشور ، وهي بليدة بين (هراة) و (مرو الروذ) .

وجمع للأحنف أهل (طخارستان) ، فاجتمع أهل (الجوزجان) و (الطالقان) و (الفارياب) ومَن حولهم ، فبلغوا ثلاثين ألفاً ، وجاءهم أهل (الصَغانيان) وهم من الجانب الشرقي من نهر (جيحون) ، فالتقوا بالمسلمين ، وجرى قتال شديد بين الطرفين ، فانهزم الفرس وحلفاؤهم ، فطاردهم المسلمون وألحقوا بهم خسائر فادحة بالأرواح .

ولحق قسم من العدو (بالجوزجان)، فوجّه إليهم الأحنفُ الأقرعَ بن حابِس التَّميْمِيّ في خيل ، وأوصى قومه بني تَمِيْم بقوله : « يا بني تَمِيْم ! تحابّوا وتباذلوا تعدل أموركم ، وابدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم » ، فسارع الأقرع ولقي العدو (بالجوزجان) ، فكانت بالمسلمين جولة ، ثمّ عادوا فهزموا عدوّهم وفتحوا (الجوزجان) عنوة .

واستعاد الأحنف فتح (الطالقان) صلحاً ، وفتح (الفارياب) ، ثم سار إلى (بَلْخ) وهي مدينة (طخارستان) ، فصالحه أهلها أيضاً .

وسار إلى (خوارزم)[1] وهي على نهر (جيحون) ، فلم يقدر عليها ، فاستشار أصحابه ، فأشاروا عليه بالعودة إلى (بَلْخ) .

وهكذا استعاد الأحنف (خُراسان) ثانية ، وكان ذلك سنة ثلاث وثلاثين الهجرية (٦٥٣ م) على عهد عثمان بن عفّان رضي الله عنه[2] .

ب ـ الربيع بن زياد الحارثي :

نقض أهل (سِجستان) بعد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، فلما توجّه عبدالله بن عامِر إلى (خراسان) سنة إحدى وثلاثين الهجرية على عهد عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، سيّر إليها من (كرمان) الربيع بن زياد الحارثيّ ،

---

(١) خوارزم : اسم اقليم وهو منقطع عن (خراسان) وعن (وراء النهر) ، وتحيط به المفاوز من كل جانب ، وحدها متصل بحد (الغزية) فيما يلي الشمال والغرب ، وجنوبيه وشرقيه خراسان وما وراء النهر ، وهي على جانبي نهر (جيحون) ، ومدينتها في الجانب الشمالي من جيحون ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك (١٦٨) ومعجم البلدان (٣/٤٧٤) .

(٢) انظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (٢٢٦ - ٢٢٨) .

فسار إليها حتى نزل (الفهرج) التي تقع بين (فارس) و (أصبهان) ومعدودة من أعمال (فارس) ثمّ من أعمال كورة (إصطخر) ، ثم قطع المفازة وهي خمسة وسبعون فرسخاً ، فأتى رستاق (زالق) من نواحي (سجستان) ، فأغار على أهله في يوم (مهرجان) وهو عيد من أعياد الفرس ، وأسر دهقان (زالق) ، فافتدى نفسه ، فحقن الربيع دمه وصالحه على أن يكون بلده كبعض ما افتتح من بلاد (فارس) و (كرمان) .

ثمّ أتى الربيع قرية يقال لها : (كَرْكَوَيْه) على خمسة أميال من (زالق) ، فصالحوه ولم يقاتلوه .

ونزل الربيع رستاقاً يقال له : (هيسون) وهو رستاق بين (زالق) و (زَرَنْج) ، فأقام له أهل النزلة وصالحوه على غير قتال .

وعاد الربيع إلى (زالق) ، وأخذ الأدلاّء منها إلى (زَرَنْج) ، وسار حتى نزل (هِنْدَمَنْد) وهو نهر مدينة (سجستان) ، وعبر جيشه وادياً يتفرع منه يقال له : (نُوْق) ؛ وأتى (دوشت) وهي مدينة بينها وبين (زرنج) ثلثا ميل ، فخرج إليه أهلها وقاتلوه قتالاً شديداً ، فأصيب رجال من المسلمين ، ولكنّ المسلمين كرّوا عليهم حتى اضطروهم إلى اللّجوء إلى المدينة بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة .

وسار الربيع إلى (ناشروذ) ناحية بسجستان ، فقاتل أهلها وظفر بهم ، ثم مضى منها إلى (شرواذ) في (سجستان) فغلب عليها وأصاب بها بعض السّبي .

وحاصر الربيع (زَرَنْج) بعد أن قاتله أهلها ، فبعث إليه (أبرويز) مرزبانها يستأمنه ليصالحه ، فصالحه على ألف وصيف ، مع كل وصيف جام من ذهب ، فدخل المسلمون (زَرَنْج) .

وانتقل الربيع بعد ذلك إلى (سناروذ) وهو نهر (سجستان) ، فعبره وأتى (قِرْنِيْن) وهي قرية من قرى (سجستان) ، فقاتله أهلها ، ولكنه ظفر بهم .

وعاد الربيع إلى (زرنج) ، فأقام بها سنتين ، ثم أتى عبدالله بن عامر ، واستخلف بها رجلاً من بني الحارث بن كعب ، فأخرجه أهل (زرنج) وأغلقوها.

وكانت ولاية الربيع سنتين ونصفاً ، وسبى في ولايته هذه أربعين ألف نسمة ، وكان كاتبه الحسن البصري رضي الله عنه .

ولما صار الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان ، عزل عبدالرحمن بن سَمُرَة عن (سجستان) وولاّها الربيع ، وكان ذلك سنة إحدى وأربعين الهجرية (٦٦١ م)، فأظهره الله على الترك .

وبقي الربيع على (سجستان) إلى أن مات المُغيرَة بن شُعْبَة [١] وهو أمير على الكوفة وذلك سنة خمسين الهجرية (٦٧٠ م) . فولّى معاويةُ زيادَ بن أبي سفيان الكوفة مع البصرة ، وجمع لهُ العِراقيْن .

وعزل زياد بن أبي سفيان الربيعَ عن (سِجستان) وبعثه إلى (خُراسان) أميراً سنة إحدى وخمسين الهجرية (٦٧١ م) ، وسيّر معه خمسين ألفاً بعيالاتهم من أهل الكوفة والبصرة ، فأسكنهم دون النهر (نهر جيحون) في (خراسان) ، فلما قدمها غزا (بَلْخ) ففتحها صلحاً ، وكانت قد أغلقت أبوابها بعدما صالحهم الأحنف بن قيس التميمي .

وفتح (قُهُسْتَان) عنوة ، وقتل مَن بناحيتها من الأتراك ، فبقي منهم (نيزك طرخان) ملك الترك ، فقتله قُتَيْبَة بن مُسْلِم الباهِلِيّ في ولايته .

وهكذا استطاع الربيع استعادة فتح (سجستان) و(خراسان) [٢] .

٥ - معارك الفتح ومعارك الاستعادة :

كانت معركة (نهاوند) بين المسلمين من جهة والامبراطورية الساسانية من جهة ، معركة حاسمة ، وكان من نتائجها فتح أبواب المشرق الإسلامي للفاتحين المسلمين ، فهي معركة سَوْقِيّة ، لأنها معركة بين أكبر حشد للدولة الإسلاميّة وأكبر حشد للإمبراطورية الساسانية ، ولأن نتائجها أثّرت في حاضر ومستقبل الإمبراطورية الساسانية في المناطق والبلاد التي كانت تسيطر عليها ، وكان تأثيرها حاسماً لانهيار القوّة الضّاربة للساسانيين .

---

(١) انظر تفاصيل سيرته في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٣١ - ٤٥٥) .
(٢) انظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (١٦٦ - ١٦٨) .

وبعد معركة (نهـاوند) الحاسمة ، توزّعت القوّات الإسـلامية التي قاتلت موّحدة في هذه المعركة تحت لواء واحد وبقيادة واحدة ، إلى سبعة ألوية بقيادة سبعة قادة ، لكل قائد من القادة السبعة هدف محدّد وواجب معيّن ، فخاض كلّ قائد معركة من معارك إستثمار الفوز ، وهي معارك تعبويّة ، قاتلت القواتُ المحليّة بقيادة حكّامها المحليين فيها الفاتحين القادمين من بعـيد بقيادة القادة المرؤوسين في أغلب الأوقات .

وقد لاقى الفاتحون مقاومة تعبوية تغلّبوا عليها بسهولة ويسر في أغلب الأوقات، ولكنّ البلاد المفتوحة نقضت واستعادت السيطرة على بلادها في الأوقات التي شغل الفاتحون بالاضطرابات الداخلية والفتن المحليّة ، لا لأن قوّات البلاد المفتوحة أصبحت قويّة متفوّقة ، بل لأنّ الفاتحين تفرّقت كلمتهم وأصبحت سـيوفهم على أنفسهم لا على أعدائهم .

وحين استطاع الفاتحون القضاء على الإضطرابات والفتن الداخليّة المحليّة ، استعادوا البلاد المفتوحة بسهولة ويسر أيضاً ، بمعارك تعبويّة هي معارك استثمار الفوز ، دون أن يخوض المسلمون معركة حاسمة سَوْقيّة أخرى .

ولكنّ معارك الفتح لم تكن سهلة التكاليف ، بل صادف المسلمون في كثير منها مقاومة شديدة ، وتكبّدوا فيها خسائر فادحة بالأرواح ، وجرى فتح بعض المناطق والمدن عنوة .

وكان لتلك المقاومة أسباب كثيرة ، لعلّ أهمها : مناعة البلاد الطبيعيّة كوعورة الجبال وسعة الصحارى وتعدّد الأنهار ، ومناعة المدن الاصطناعيّة ، كالقلاع والحصون والأسوار .

كما أنّ من الأسباب ، تفوّق المقاومين من أهل البلاد على الفاتحين عَدَداً وعُدَدا ، فقد كان قسم من حكّام تلك المناطق يحتفظون بجيش قوي ، يدافعون به عن بلادهم حين يكون الأكاسرة أقوياء ، ويقاومون جيش كسرى حين تضعف السلطة المركزية ، فهم غالباً مع كسرى القويّ وعلى كسرى الضعيف.

فلما انهارت السلطة المركزية بعد معركة (نهاوند) الحاسمة ، بقيت مقاومات

السلطات المحلية ، التي تتناسب تناسباً طردياً مع قوّة جيوش تلك السلطات ومناعة مناطقها الطبيعية والاصطناعيّة .

ومن تلك الأسباب ، الدفاع عن النفس والعقيدة والتقاليد : دفاع الحكّام عن سلطتهم ، ودفاع الحكّام والشعوب عن عقائدهم وتقاليدهم .

كما أنّ طول خطوط مواصلات المسلمين ، وتغلغلهم بعيداً عن قواعدهم الرئيسة وقواعدهم الأمامية والمتقدمة ، ساعد أعداءهم على مقاومتهم بشدة وعنف في بعض الأحيان .

والحق أنّ تغلغل المسلمين بالعمق بعيداً عن قواعدهم ، في بلاد بعيدة غاية البعد عن بلادهم ، وسط شعوب غريبة عنهم في لغاتها وعقائدها وتقاليدها ، يمكن اعتباره مغامرة من أخطر المغامرات في تاريخ الفتوح ، ومن الصعب تسويغ تلك المغامرة إلاّ بتأثير العقيدة الإسلاميّة المنشئة البنّاءة في نفوس المسلمين وعقولهم معاً ، فاستسهلوا من أجلها كلّ صعب ، وتحمّلوا في سبيلها كلّ تضحية ، وتغلبوا بها على العقبات والأهوال .

وإلاّ ، فكيف نسوّغ اندفاعهم الخطير وتغلغلهم العميق ، بقوات قليلة جداً بالنسبة لقوات أعدائهم ، لو لم تكن العقيدة الراسخة هي التي يغامرون ويندفعون ويضحّون بأرواحهم من أجلها وفي سبيلها ؟

لقد حمل الفاتحون الإسلام إلى الأمم بالفتح ، ولم يحملوهم عليه بالفتح .

ودخلت الأمم والشعوب في البلاد المفتوحة في دين الله أفواجا ، فأصبح للمغلوبين ما للفاتحين وعليهم ما عليهم .

وقد أدّى انتشار الإسلام في الأمم والشعوب التي فُتحت بلادُها إلى تصاعد قوّة الفاتحين ، لأنّ المسلمين الجدد أصبحوا عوناً للفاتحين على أعدائهم ، ولكن بقي الفاتحون هم العمود الفقري في الدفاع عن البلاد المفتوحة وفي صيانة مكاسب الفتح ، فهم القوّة الضاربة الأصليّة ، بينما أصبح المسلمون الجدد القوّة الفرعيّة المساعدة ، لذلك نقضت البلاد المفتوحة في حالات تفكّك أواصر الفاتحين الأصليين ، على الرغم من وجود المسلمين الجدد وثباتهم على الإسلام .

وانتشار الإســلام في المغلوبين ، يفسّر لنا سهولة عودة الفاتحين إلى البــلاد التي سبق فتحها واستعادتها ثانية إلى حضيرة الدولة الإسلامية ، فقد كان استعادة تلك البلاد والمناطق بفضل انتشار الإسلام أسهل بكثير واسرع من فتحها لأول مــرة .

وحين بدّل الفاتحون ما بأنفسهم ، وتخلّوا عن عقيدتهم الراسخة أو تهاونوا في تطبيقها ، بقيت البلاد المفتوحة إسلاميّة بفضل انتشار الإسلام في ربوعها ولا تزال تلك البلاد إسلامية حتى اليوم ، ذلك لأنّ الفتح الإسلامي كان فتح مبادئ لا فتح سيوف .

والقول بأنّ البلاد المفتوحة انهارت أمام الفاتحين المسلمين لضعف قوّاتها الضاربة ، يعــوزه الدليل التاريخيّ والدليل الواقعي ، فقــد فتــح الإسكندر المقدوني تلك البلاد كما ذكرنا ، فأين هو فتحــه ، وماذا أبقى من آثار ، وكم استمرّ في تلك البلاد ؟

وفي الوقت الذي كان فتح الاسكندر سحابة صيف ، لأنه فتح قوّة وبطش ، بقي الفتح الاسلامي فتحاً مستداماً حتى اليوم . وسيبقى واضح المعالم بارز الأثر ما بقي التاريخ ، لأنه فتح مبادئ . والمبادئ تبقى ، وغيرها يزول .

ومن الواضح أنّ المؤرخين — ومعظمهم من الاجانب وممن نقل عنهم من المسلمين دون تمحيص — يحاولون ما استطاعوا التقليل من أهمية انتصار المسلمين عــلى الإمبراطورية الساسانية لا حبّاً بالفُرس ولكن كرهاً للعرب والإسلام ، فالعوامل التي قضت على الفرس ، بالهزيمة كائنة ما كانت ، ليست هي العوامل التي قضت للعرب بقيام الدولة وانتشار عقيدة . لانّ استحقاق دولة للزوال لا ينشئ لغيرها حقّ الظهور والنّصر والبقاء .

كذلك لم يكن انتصار العرب على الفُرس لأنهم عرب وكفى ، فقد كان في بلاد الفرس عرب كثيرون يدينون لهم بالولاء والطّاعة ، وينظرون إليهم نظرة الإكبار والمهابة ، وكان القادرون منهم على القتال أوفر من مقاتلة المسلمين وأمضى سلاحاً وأقرب إلى ساحات القتال من أولئك النازحين إليهم من الجزيرة العربيّة .

وقد كان هناك عرب كثيرون انهزموا امام المسلمين ، وهم كذلك أوفر في العَدَد والسِّلاح ، وأغنى بالخيل والإبل والأموال .

بل إنّ الفئة القليلة من العرب المسلمين ، انتصروا على الفئة الكثيرة من العرب غير المسلمين ، في عهد الرّسول القائد عليه أفضل الصّلاة والسّلام ومن بعده أيام الرِدَّة وأيام الفتح الإسلامي الأول في عهد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه .

فهي نصرة عقيدة لا مراء ، جاءت لتبقى ، وقد بقيت فعلاً .

تلك هي عبرة فتح أفغانستان ، ما أحرانا أن نستوعبها استيعاباً كاملاً ،ونأخذ منها الدروس لحاضرنا ومستقبلنا عرباً ومسلمين .

★ ★ ★

المنهج القرآني وصياغة المصطلحات

الدكتور كامل حسن البصير
كلية الآداب ـ جامعة السليمانية
وعضو المجمع العلمي العـــراقي

القسم الثـــاني

نبحث في هذه الدراسة قضية صياغة المصطلحات وأُسُسِها المعتمدة في اغناء اللغة أداة للتعبير عن شؤون الحياة بشتى مجالاتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية وما إلى ذلك، محللين المنهج القرآني سبيلاً سَلَكته الفاظ عربية لتستوي مصطلحات تُجَسّد المدلولات الجديدة التي اقتضاها الدين الاسلامي الحنيف شِرْعَةً للحياة الدُنيا والآخِرَة .

وقـــد تناوَلْنا في القسم الأول (1) من هذه الدراسة موضوعات تتعلق بمسألـــة سِعة اللغة العربية ومدى استجابَتها لمعاني القرآن الكريم والطرق التي تسلكها اللغات في تطوير كلماتها لتستوي مصطلحات ثم نبهنا على أن هذه الطُرُق ليست من أُسُس منهج القرآن الكريم في شَيٍّ وَبَيّنا أن هذه الأُسُس أربعة نجمت عنها مجازات دلالية فيها من الذوق والفن والحيوية ما صيرها مصطلحات تؤدي مهماتها اللغوية وسواها بكل جدارة .

وقد حللنا من هذه الاسس الاساس النفسي . وبقي أن نحلل الأسس الباقية وهي الاساس الحسّي والاساس البيئي والاساس الحيوي ثم نُثبت نتائج الدراسة

(1) انظر مجلة المجمع العلمي العراقي / الجزء الأول ، المجلد الحادي والثلاثين . صفر ١٤٠٠ هـ كانون الثاني ١٩٨٠ م من ص ٤٤ – ص ٥٩

اسهامة متواضعة في حلّ مشكلة المصطلح العربي الذي نطمح الى أن يكون قوميا في اعتماده وفنياً في تداوله .

« الاساس الحسّي »

مصادره ودوره . مادة (فسق) ومدلولاتها في عصر ما قبل ظهور الاسلام ، المدلول المجازي لكلمة (الفاسقين) في سور من الطور الثاني المكي ، تقلّب مشتقات (فسق) في سور الطور الثالث المكي وترسّخ مدلولات مجازية منها ، مدلول صيغة (الفسوق) في الطور الأول المدني . مشتقات مادة (الفسق) في سور سائر الاطوار المدنية ومدلولاتها المجازية .

★ ★ ★

جسم القرآن الكريم أمورا معنوية بمجازات دلالية معتمدا أساساً حسياً في العلاقة بينها وبين مدلولاتها العربية ، وهذا الأساس الحسي قد تنوع في مصادره بين حواس البصر والسمع واللمس والذوق والشم ، فامتد سبلاً طرقتها تلك المجازات الدلالية الى العقل العربي من خلال حواسه فأثارت فيه معانيها الحسية القديمة . فجرت موازية مدلولاتها المجازية ، بين اطار هذه الموازاة ترسخت المدلولات المجازية في صور جمعت بين المادة والمعنى وضمت المحسوس الى المعقول ، فكانت خير أدوات للتعبير والتأثير .

ومما يمثل هذا النوع من المجاز الدلالي القرآني الكلمات المستمدة من مادة (فسق) ، فما هي مدلولات هذه المادة في العقل العربي قبل نزول الوحي ؟ .

يرى ابن فارس أن « الفاء والسين والقاف كلمة واحدة ، وهي الفسق وهو الخروج عن الطاعة » [1] .

وبدهي أن هذا المدلول المعنوي ان لم يكن اسلاميا محضا فهو متأخر عن المدلول المادي ، وليس من المستبعد أن يكون تسارع ابن فارس الى تقرير هذا المدلول المعنوي لمادة (فسق) تأثرا منه بابن الاعرابي الذي كان يقول .

---

١) مقاييس اللغة : ابن فارس : الطبعة الاولى ج ٤/ص ٥٠٢ .

« لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق » [1] .

ومهما يكن فان ابن فارس نفسه يحكى عن الفراء أن العرب كانت تقول : « فسقت الرطبة عن قشرها : إذا خرجت » [2] .

وعندنا أن هذا الاستعمال العربي يمثل الخط العام لمدلول مادة (فسق) مبرزاً اياه في اتجاهين : —

أولهما : خروج الشيُ عما ينبغي ألا يخرج عنه. وثانيهما : ما يترتب على هذا الخروج من نتائج ندركها في ذلك التعبير العربي بحاسة الشم نتناً في الرائحة ، ونراها بالعين فسادا في الشكل .

روى قطرب لنا تعابير عربية وردت فيها مادة (فسق) فقال : « فسق فلان في الدنيا فسقاً إذا اتسع فيها وهوّن على نفسه واتسع بركوبه لها ولم يضيقها عليه . وفسق فلان ماله إذا أهلكه وأنفقه . ويقال انه لفسق أي خرج عن الحق » [3] .

ان هذه التعابير وان لم يثبت تاريخ استعمالاتها أهي عربية اسلامية ؟ تستمد معانيها من ذينك الاتجاهين المتفرعين عن الخط العام لمدلول مادة (فسق) . وأياً كان فلنستخبر آي الذكر الحكيم لنعرف منها المدلولات التي أدت عنها هذه المادة .

ان (فاسقين) كانت الكلمة الاولى التي وردت في القرآن الكريم من مادة فسق ، وذلك في سورة الأعراف التي ترجع في تاريخها الى الطور الثاني من الوحي المكي من الهجرة الى الحبشة في نحو السنة السابعة حتى الاسراء قبل الهجرة الى المدينة بسنة في قولـــه تعالى: « وَمَا وَجَدْنا لأكثرهم مِنْ عَهْدٍ وَإنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ » [4] الضمير (هم) في هذه الآية الشريفة — كما يقول المفسرون — قد يعود الى الأمم التي خلت ، وقد يرجع الى الناس بعامة كما رجح

(١) لسان العرب : ابن منظور / دار الفكر بيروت ج ١٢/ص ١٨٣ .

(٢) مقاييس اللغة ج ٤ / ص ٥٠٢ .

(٣) لسان العرب : ج ١٢/ص ١٨٣ .

(٤) سورة الأعراف / الآية ١٠٢ .

الزمخشري قائلاً : « الضمير للناس على الاطـلاق ، أي ما وجـدنا لأكثر الناس مـن عهد يعني أن أكثرهم نقض عهـد الله وميثاقه في الايمـان والتقوى (وان وجدنا) وان الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين ، خارجين عن الطاعة مارقين » [1] .

يجسد مدلول (الفاسقين) هذا اتجاهي معنى مادة (فسق) في تعميم وشمول ، فهو يثير في الذهن خروج هؤلاء الناس عن الطاعة ويشير الى أن هذا الخروج كان ينقض لعهد سابق ، فيؤمن الى ما يترتب على هذا الخروج من فساد ، لأنه لم يكن خروجاً تلقائياً وانما كان لوناً في التردد وشيئاً من المروق .

ولعل هذا المدلول في جمعـه بين ذينك الاتجاهين يؤدي عن موقف فكري لأولئك الناس معتمداً في ذلك أساساً حسياً من اجتيازه الى ما يجسمه من أمور معنوية .

ووردت هذه الكلمة مضافة اليها في السورة نفسها في قوله تعالى يخاطب النبي موسى (ع) : « وَكَتَبنا لَهُ في الألواحِ مِن كُلِّ شَيءٍ موعِظَةً وَتَفْصيلاً لِكُلِّ شَيءٍ فَخُذْها بِقُوةٍ وأمُرْ قومَكَ يَأخُـذُوا بأحسَنِها سَأُريكُم دَارَ الفَاسقينَ » [2] .

ان الباحث لا يستطيع الاستضاءة بكلم في الآية تلقي الضوء على مدلول كلمة الفاسقين ، كما كان شأنها في الآية المتقدمة ، وان كان يقدر أن يقول : ان الفاسقين جماعة لم يرض عنهم الله تعالى .

وقد روى المفسرون في تحديد هويتهم روايات فقيل : « يريد دار فرعون وقومه وهي مصر ، كيف أقفرت منهم وُدُمّروا لفسقهم ، لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم .

وقيل : منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في أسفاركم ، وقيل : (دار الفاسقين) : نارجهنم » [3] . وهـذا التباين بين

---

(١) تفسير الكشاف : الزمخشري / طبعة بيروت / م٢/ص ١٣٦ .
(٢) سورة الأعراف / الآية ١٤٥ .
(٣) تفسير الكشاف / م٢/ ص١٥٨ .

لروايات لا يمنع الباحث عن أن يرى أولئك الفاسقين ممن غضبَ الله عليهم ، إنهم صائرون الى جهنم . وعلى هذا فان كلمة (الفاسقين) تكتسب مدلولا مجازياً ديداً كان تربة لمنبت كلمة الفاسق التي استوت مجازا دلاليا اختلفت الفرق الاسلامية في تحديد المقصود منه .

فنحن نرى ان ورود كلمة (الفاسقين) في هذه الآية يصح أساسا لأحد التعريفات التي ساقها التهانوي في حد مادة الفسق حيث قال : « الفسق بالكسر وسكون السين المهملة في اللغة : عدم اطاعة أمر الله تعالى ، فيشتمل الكافر والمسلم العاصي . وفي الشرع ارتكاب المسلم كبيرة أو صغيرة مع الاصرار عليها »[1] .

واذا كان تحليلنا هذا لمدلول كلمة الفاسقين من اليقين في شيْ ، فلا ريب أنها قد أثارت في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الوحي مخزون مدلولات مادة فسق من العقل العربي ، فانثالت في أذهان العرب ، فتصوّروا ما كان عليه أولئك الفاسقون من حال : يخرجون عن طاعة الله ويخربون الديار ويفسدون في الأرض .

ولما كانت مدلولات مادة فسق حسية ، فان تصورهم ذاك قد تجسد رؤية بالعين وشماً بالأنف ، فأدركوا أن الفاسقين صفة لقوم ينبغي أن يتجنبوهم ما داموا يطمعون في رضى الله .

وردت كلمة الفاسقين ذاتها مرتين في سور ذلك الطور . جاءت أولاهما في سورة النمل[2] ، ووقعت ثانيتهما في سورة القصص[3] . والملاحظ أنها جاءت في هاتين السورتين الكريمتين وصفاً لفرعون وملئه ، فأثبتت بذلك مدلولها المجازي المصور لمرتكبي الكبيرة المصرّين عليها الذين يصيرون الى جهنم خالدين فيها . ان مادة فسق قد تلونت في مشتقاتها بين آي السور المكية التي ترجع في تاريخها الى الطور الثالث من الاسراء حتى الهجرة الى المدينة ، فقد ورد منها الفعل (فسقوا) في قوله تعالى : « وإذا أَرَدنا أن نُهلِكَ قَرْيَةً أمَرْنا مُتْرَفيها فَفَسَقُوا فيها

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون / جـ٢ – ١١٣٢ / التهانوي / كلكتة – ١٨٦٢ م .

(٢) سورة النمل / الآية ١٢ .

(٣) سورة القصص الآية ٣٢ .

فَحَقَّ عَلَيها القَولُ » [1] .

والمفسرون يرون أن (فسقوا) ها هنا معناه الخروج عن أمر الله [2] .

وعندنا أن (فسقوا) في الآية يدل على ارتكاب ما حرم الله في القرية من الظلم والفساد المادي وما الى ذلك . وقرينة هذا المعنى النص على تحديد مكان الفعل عن ذكر ما فسقوا عنده وعلى هذا فالفعل (فسقوا) قد ورد في الآية الكريمة بمدلول غير المدلول المجازي السابق . وان كان القائمون بهذا الفعل ممن ينخرطون في زمرة الفاسقين .

وعلى أية حال فان مادة (فسق) بمعناها العام ستجد لمعانيها صدى في الفعل الذي يثير في العقل العربي مدلولات الخروج والافساد والتخريب والتجاوز عن الحق .

وقد تكرر الفعل ذاته في سورة يونس [3] بالمدلول نفسه ، وورد بصيغة المضارع في سور « الأنعام والأحقاف والعنكبوت » [4] ليدل على المعنى السابق . وجاء المصدر (الفسق) في سورة الأنعام « وَلا تأكُلُوا مِما لم يُذْكَرْ اسمُ اللهِ عَليهِ وإنّهُ لَفِسْقٌ » [5] .

اختلف المفسرون فيما يعود عليه الضمير في (إنه) فقيل : ان « الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي ، يعني : وان الأكل منه لفسق . أو الى الموصول على ، وان أكله لفسق » [6] .

فاذا صحت هذه المقالة فالفسق هنا ضرب من الخروج عن طاعة الله ، وهو على هذا قد جاء بمدلول مجازي اسلامي . بيد أن هناك من يرى ان الله تعالى قد

(١) سورة الاسراء / الآية ١٦٠ .
(٢) راجع تفسير الكشاف / م٢ ص ٦٥٤ – تفسير الجلالين/ص٢٣٤ .
(٣) سورة يونس / الآية ٣٣ .
(٤) سورة الانعام / الآية ٤٩ .
سورة الاحقاف / الآية ٢٠ .
سورة العنكبوت / الآية ٣٤ .
(٥) سورة الانعام / الآية ١٢١ .
(٦) تفسير الكشاف / م٢/ ص٦١ .

جعل من هذه الآية « ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا »[1] . فاذا استقام هذا الرأي – ونظنه مستقيما - فالفسق قد جاء بمدلول مادي قريب من المدلول العربي مثيرا في عقـول المخاطبين ما اختـزن فيها من مـدلولات فسق التي كانت تدل على الفساد المادي ، وما ينجم عنه من كراهية الأكل منه سواء أكان رطبا أم ذبيحة .

ومن هنا فورود كلمة (الفسق) في هذه الآية بعد ورود كلمة (الفاسقين) بمدلولها المجازي الاسلامي قد قرن هذا المدلول بمدلولات مادة فسق العربية ، فشدّ بذلك ذهن العربي الى هذه المدلولات القديمة والجديدة بشكل أثار فيهم كراهية الفسق والفاسقين .

وتتجلى حكمة الله هذه في تكرار كلمة (الفسق) في السورة نفسها[2] بمعنى ما أُهِلّ به لغير الله .

إن الفعل (فسق) ورد في قوله تعالى يصف ابليسا : « فَسَجدوا إلا ابليسَ كان من الجنِّ فَفَسَقَ عَن أمر ربِّه »[3] بمدلولـه المجازي الاسلامي المحـدد في الشرع باعتباره دالاً على من ارتكب معصية وأصرّ عليها كافرا كان أم مسلماً ، فترسخ بذلك هذا المدلول في آخر مرحلة من مراحل الوحي المكي معتمداً قرينـة لفظية هي عن (أمر ربه) ، كما ترسخ هذا المدلول في ورود كلمة الفاسقين خبرا في الاصل لأقوام خلت في سورتي« الأنبياء والذاريات »[4] من سور الطور المكي الأخير ، فدلت بهذا الورود على الكافرين .

ان لدينا أربع سور مكية هي : (الأعراف ، والزخرف ، والأحقاف ، والسجدة) ضمت ست آيات مدنية وردت فيها مادة الفسق ست مرات واحدة منها : بصيغة

---

(١) تفسير الكشاف /م٢/ص ٦١ .

(٢) سورة الانعام / الآية ١٤٥

(٣) سورة الكهف / الآية ٥٠ .

(٤) سورة الانبياء / الآية ٧٤ .

سورة الذاريات / الآية ٤٦ .

الماضي [١] واثنتان منها بصيغة المضارع [٢] والبواقي بصيغة اسم الفاعل [٣].

ولما كانت هذه الصيغ مجردة عن القرينة التي توجهها نحو مدلول الخروج ، وكان بعضها يتعلق بأقوام مبادة وبعضها الآخر يتصدى للناس أيام الوحي ، فاننا لا نملك الا ان نقرر : أن مدلولات مادة (فسق) في هذه الآيات كانت تدور في الحدود التي رسمتها آيات أطوار السور المكية .

ولو انتقلنا الى السور المدنية المحضة في آياتنا لنعرف ماذا جد على مادة (فسق) بشتى صيغها من مدلولات جديدة ، وجدنا صيغها واردة خمس مرات في سورة البقرة التي ترجع في تاريخها الى الطور الاول من الوحي المدني من الهجرة الى المدينة حتى غزوة بدر السنة الثانية من الهجرة ثلاث مرات : مرة واجهتنا بصيغة المضارع « يفسقون » [٤] ، ومرتين [٥] قابلتنا بصيغة اسم الفاعل في السور المكية فليس لنا إلا أن نميل الى أنهما لم تضيفا الى مدلولات المادة في السور المكية جديدا.

أما المرتان الباقيتان فقد طلعتا علينا بصيغة (الفسوق) وهي صيغة تلتقي بنا لأول مرة في حقل مادة فسق فما هو مدلول هذه الصيغة ؟ .

وقعت المرة الأولى في قوله تعالى : « فَلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جدالَ في الحَجِ » [٦] . وساق الزمخشري في مدلولها رأيين : اولهما : الخروج عن حدود الشريعة ، وثانيهما : هو السباب والتنابز بالألقاب [٧] .

وبدهي أن هذين الرأيين لا يتمايزان كثيرا ، فالمعنى الثاني جزء من المعنى الأول ، اذ أن السباب والتنابز بالالقاب من الطرق التي تفضي الى الخروج عن حدود الشريعة. والمهم أن هذين الرأيين لا يجدان صيغة الفسوق مضيفة مدلولا جديدا الى صيغ

(١) سورة السجدة/الآية ٢٠

(٢) سورة الاعراف / الآيتان ١٦٣ ، ١٦٥ .
سورة الاحقاف / الآية ٣٥ سورة الزخرف / ٥٤ .

(٣) سورة السجدة / الآية ١٨ .

(٤) سورة البقرة / الآية ٥٩ .

(٥) سورة البقرة / الآيتان ٢٦ ، ٩٩ .

(٦) سورة البقرة / الاية ١٩٧ .

(٧) راجع تفسير الكشاف / م١/ص ٢٤٣

مادة (فسق) المختلفة بمعناها المجازي الذي هو المروق عن طاعة الله : أليس الخروج عن حدود الشريعة مؤديا بمرتكبه الى الخروج عن طاعة الله ؟ .

نحن نعتقد ذلك ، واذن فلننتقل الى المرة الثانية حيث وردت هذه الصيغة في قوله تعالى : « وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله » [1] . ناهيا الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما من اظهار حق الدائن على المدين بلا زيادة أو نقصان . والمعنى على ما حرره الزمخشري : « وان تفعلوا شيئاً مما نهيتم عنه فسوق بكم » [2] . وتحرير الزمخشري — ولا ريب — لا يحدد مدلول الفسوق ، وقد جاء تحديده في تفسير الجلالين على انه « خروج عن الطاعة لاحق بكم »[3] ، وهذا التحديد ينسجم مع سياق الطلب في الآية . وبيّن أن الآخذ به يقتنع بأن صيغة الفسوق لا تكاد تومض بمدلول جديد ، ولكن متتبعي المجازات الشرعية قد أصروا على أن الفسوق بالضم لغة: الخروج عن الاستقامة، وشرعا: الخروج عن طاعة الله تعالى بارتكاب كبيرة ، أو الفسوق لغة : الخروج ، وشرعا : الخروج عن حدود الشريعة . وقيل التساب والتنابز بالألقاب [4] . وثمار هذا الاصرار (كما هو مبين) لا تبدو غير ما حرره المفسرون ، وفي ظننا أن كلمة الفسوق في هاتين الآيتين تنقلب على مدلول عريض : هو الخروج عن حدود الشريعة متخصصة في الآية الأولى بالخروج عن طاعة الله بارتكاب معصية تأتي بالدرجة الثانية بعد الرفث، ومنحصرة في الآية الثانية بالخروج عن طاعة الله بترك الاستجابة لطلبه في خدمة المجتمع الاسلامي في معترك البيع والشراء وما الى ذلك من الافتراض وحفظ الأمانات . والأمر الوحيد الذي نستطيع استخلاصه من سياق الآيتين — مقوما للمدلول المجازي في كلمة الفسوق — أن المخاطبين بهما هم المؤمنون الذين يؤدون فريضة الحج في الآية الأولى ، ويعملون في الآية الثانية ، ولعل هذا المقوم يصحح لنا استخلاص دلالة هذه الصيغة المجازية على أن المقصود به جماعة

(١) سورة البقرة / الآية ٢٨٢

(٢) تفسير الكشاف / م١/ ص ٣٢٨

(٣) تفسير الجلالين / ص ٤١

(٤) راجع كشاف اصطلاحات الفنون / ج ٢ / ص ١١٣٢ .

المسلمين الذين لا يخرجون بارتكابهم ذينك الضربين من المعصية عن حضيرة المؤمنين . واذا صح هذا فان هذه الصيغة في الآيتين هي مبتدأ ذلك النزاع الفكري بين المعتزلة ومن خالفهم في مسألة مرتكب الكبيرة أين يوضع في صفوف الايمان أو الكفر ؟ .

ان السور في الطور الثاني من الوحي المدني من غزوة بدر حتى صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة لم تكرر من مادة فسق سوى صيغة أسم الفاعل ، ذلك ان هذه الصيغة قد وردت مرتين [1] في سورة آل عمران بمدلولها السابق .

وترددت هذه الصيغة بالمدلول نفسه ابان الطور الثالث من الوحي المدني من صلح الحديبية الى غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة سبع عشرة [2] مرة في سور : (الحجرات ، والمائدة ، والنور ، والحديد ، والحشر ، والصف ، والمنافقون) ، والملاحظ ان مرة واحدة منها جاءت فيها كلمة (الفاسقون) في جواب شرط كان فعل الشرط في جملته (كفرا) ، وذلك في قوله تعالى بعد تبيان انعامه على المؤمنين : « ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » [3] .

ولعل مدلول هذه الصيغة من الآية الكريمة مرادف لمدلول الكافرين ، اذ انه خبر لمبتدأ يشكل معه نتيجة لفعل الكفر ، وهذا ما يراه المفسرون من أهل السنة [4] . ولكن الزمخشري قد انقاد لعقيدته الاعتزالية فأوّل تلك الجملة الشرطية قائلا : « (ومن كفر) يريد كفران النعمة : كقوله (فكفرت بأنعم الله) (فأولئك هم الفاسقون) أي : هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعْمة العظيمة وجسروا على غمطها » [5] .

---

(١) سورة آل عمران الآيتان ٨٢ ، ١١٠ .

(٢) سورة الحجرات/الآية ٦ سورة المائدة / الآيات : ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٨١، ١٠٨
(سورة النور / الآية ٤)
سورة الحديد الآيات : ١٦ ، ٢٦ ، ٢٧ سورة الحشر / الآيات : ٥ ، ١٩
سورة الصف / الآية ٥ سورة المنافقون / الآية ٦

(٣) سورة النور / الآية ٥٥

(٤) راجع تفسير الجلالين / ص ٢٩٨

(٥) تفسير الكشاف / م٣ / ص ٢٥٢ .

وواضح أن هذا التأويل يتجاهل مقوم المدلول المجازي لكلمة (الفاسقون) ، وهو الفعل (كفر) الذي لم يأت معه معموله ، فافترض الزمخشري أن هذا المعمول محذوف ، فقدّره بذكر أنعم الله ليقيم على ذلك مدلول كفر على أنه مدلول حقيقي هو الستر والتغطية .

على أية حال فنحن مع المفسرين الذين يرون أن الفاسقين في هذه الآية بمعنى الكافرين ، وعلى هذا فان مدلول مادة (فسق) المجازي يتبلور في هذه الآيـة ليدل على الكفر الذي هو نقيض الايمان .

وردت صيغة الفسق في سورة المائدة [1] بمدلولها السابق الذي هو ما أُهِـلَّ به لغير الله ، كما جاءت صيغة الفسوق مرتين في سورة الحجرات : أولاهما في قوله تعالى : « وكرّه اليكم الكفر والفسوقَ والعصيانَ » [2] وسياق هذه الآيـة يقتضي أن يكون (الفسوق غير الكفر . وأنه مرتبة من اللاايمان تأتي بين الكفر والعصيان) .

وثانيتهما : قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا يَسخرْ قَومٌ من قوم ٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولانساءٌ من نساءٍ عسى أن يكنّ خيراً منهنّ ولا تَلْمِزُوا أَنفسَكم ولا تَنابَزُوا بالألقاب بئسَ الإسمُ الفُسوقُ بعدَ الايمانِ » [3] .

ولعل الجو العام لهذه الآية الكريمة ينبت مدلول الفسوق ويجسده على أنه غير الكفر ، وأنه ارتكاب جريرة لا تتعدى هذه الامور التي تحدث في مجتمعات تضج بالتناقضات القبلية والدينية .

أما في الطور الرابع من الوحي المدني من غزوة تبوك حتى موت النبي (ص) في السنة العاشرة للهجرة فلم ترد مادة (فسق) الا في سورة واحدة هي سورة التوبة حيث جاءت منها بين دفتيها صيغة اسم الفاعل سبع مرات [4] . ثبت منها في آيـة :

---

(١) سورة المائدة / الآية ٣

(٢) سورة الحجرات / الآية ٧

(٣) سورة الحجرات / الآية ١١

(٤) سورة التوبة / الآيات : ٨ ، ٢٤ ، ٥٣ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٩٦.

« إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون »[1] مدلولها المرادف للكفر بشكل قاطع لا نزاع فيه ، حتى أن الزمخشري[2] حين تصدى لهذه الآية تشاغل عن تبيان معنى الفاسقين فيها ، فلم يتطرق اليه .

« الاساس البيئي »

علاقته بألفاظ قرآنية ، معاني مادة (زكا) في المعجم العربي ، المدلول المجازي لصيغة (يتزكى) في الطور المكي الاول ، صيغ من المادة في الطور المكي الثاني والمدلول المجازي لكلمة (الزكاة) ، تقلب صيغ المادة في مدلولاتها خلال سور الطور المكي الثالث ، حياة المادة في أطوار الوحي المدني .

اتخذ القرآن الكريم البيئة العربية أساساً اعتمدته ألفاظ من آيه البينات لارتداء مدلولات مجازية تهز مشاعر العربي الذي ترعرع بين احضان هذه البيئة ، وتأثر عقله بألوان مظاهرها ، من هذه الألفاظ مادة (زكا) ومشتقاتها ، فما عسى أن تكون المعاني التي تقلبت عليها هذه المادة في المعجم العربي ؟

الحقيقة أن الباحث ــ إذا ما التمس هذه المعاني فيما بين أيدينا من المعاجم ــ لم يستطع أن يرسم لها حدودا تميزها عن مدلولاتها القرآنية ، ذلك لأن أصحاب هذه المعاجم قد خلطوا بين هذه المدلولات وتلك المعاني . فتاه معهم قارؤهم ، ولم يهتد رشدا .

ولو حاولنا أن نلتقط ما ثبت من تلك المعاني على أنها عربية جاهلية وأجهدنا أنفسنا في ذلك ، لما خرجنا الا بثلاثة معان : أولها : الزيادة والنمو من قولهم « الزرع يزكو زكاء ، محدود ، وكل شيْ يزداد ويسمن فهو يزكو زكاء » . وثانيهما : الحسن واللياقة يقولون : « هذا الأمر لا يزكو بفلان أي « يليق به » . وثالثها : الشفع من الاعداد فالعرب : تقول للفرد : خسا ، وللزوجين اثنين : زكا » .

أورد الفيروزآبادي مادة (زكا) بمدلول الزيادة والنمو مقصورة فقال « زكى كرضي : نما وزاد كتزكى » .

---

(١) سورة التوبة / الاية ٨٤

(٢) راجع تفسير الكشاف / م٢ / ص ٢٩٩

والغريب أن هذه المدلولات لم تترسخ في نصوص شعرية ثبت أن اصحابها ممن قالوها قبل ظهور الاسلام، مما يجد الباحث نفسه يتريث من القطع في جاهليتها برأي حازم ، ولكنه مع هذا لا بد من أن يصغي الى ابن فارس وهو يقرر أصل هذه المعاني قائلا : « زكى » الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة » [1] فيستنتج أن هذه المادة كانت تترسخ في العقل العربي وتفيض على لسانه لتدل على الزرع ، وهو في خير حالاته زائدا ناميا ، فيكون لها وقع لذيذ على مشاعره اذ أي شيءٌ ألذ الى قلب العربي من زيادة الزرع ونمّوه في بيئته القاحلة التي لولا ما منّ الله عليها من زرع لكانت مقبرة له ؟ ! ومهما يكن فلنتقدم الى المعجم القرآني لنلتمس فيه هذه المادة وصيغها المختلفة التي ترددت في آية البينات عبر أطوار نزولها المختلفة . تقع في الطور الاول من الوحي المكي من ابتدائه حتى الهجرة الى الحبشة في السنة السابعة من البعثة على صيغة تفعّل في مادة (زكا) ، وقد وردت مرتين : أولاهما : في قوله تعالى : « قد أفلح مَنْ تَزَكّى » [2] .

ويرى المفسرون ان معنى تزكى هو تطهّر ، أما بأي شيءٌ يكون هذا التطهر ؟ فالمتفق عليه أن يكون بالايمان . والواقع أن سياق الآية لا يبين أداة التطهر ولا يحددها ، ولكن هذه الأداة تبدو في المرة الثانية حيث قال الله تعالى : « وسَيُجَنَّبُها الأتْقَى. الذي يُؤتِي مَالَهُ يَتَزَكّى» [3] . فهذه الآية الكريمة تنص على الحال أداة للتزكى ، فمعنى (يؤتى ماله يتزكى) : « متزكيا به عند الله تعالى بأن يخرجه لله تعالى لا رياء ولا سمعة ، فيكون زاكيا عند الله . وهذا نزل في الصِّديق (رضي الله تعالى عنه) لما اشترى بلالا المعذب على ايمانه ، وأعتقه » [4].

وعلى هذا فان هذه الصيغة الفعلية من مادة (زكا) قد اقترنت بالمال طريقاً لها منذ تلك الفترة المبكرة من نزول الوحي . ولما كانت هذه الصيغة ومدلولها لا تمت الى معاني مادة (زكا) وصيغها العربية الجاهلية الا في حروفها الأصلية ، فليس

---

(١) معجم مقاييس اللغة / ج٣ / ص ١٧
(٢) سورة الأعلى / الآية ١٤ .
(٣) سورة الليل / الآيتان ، ١٧ ، ١٨
(٤) تفسير الجلالين : ص ٥١٣

ا إلا أن نميل الى أن القرآن الكريم قد خلع عليها مدلولها المجازي منتخبا حروفها
لأصلية ليطرف بها العقل العربي فيثير فيه معانيها التي هي الزيادة والنماء والصلاح
ا الى ذلك ، فيستجيب للنهوض بهذا العمل ما دام يعلم أن ثماره خير وحسنى .
ا في الطور الثاني من الوحي المكي من الهجرة الى الحبشة حتى الاسراء قبل
هجرة الى المدينة بسنة فقد كثرت صيغ المادة حيث وردت في طائفة من السور
بع صيغ منها ، تكررت بمجملها احدى عشرة مرة . فأولى هذه الصيغ صيغة
تَفَعَّلَ) التي جاءت ثلاث مرات [1] بمدلول تطهر مجردة عن أداة التطهر.
انية هذه الصيغ صيغة (يَفَعّل) ، وقد أدغمت التاء في الزاي وقد وردت مرتين [2]
عنى تطهر ايضا . وثالثها : صيغة (فعيل) التي جاءت مرة واحدة [3] بمعنى
لماهر . ورابعتها : صيغة اسم المصدر زكاة التي وردت خمس مرات في ثلاث
ر هي « الأعراف ، ومريم ، والنمل » [4] . ان كلمة الزكاة قد وردت لأول
ة بمدلول ما يدفعه المؤمن من ماله نصاباً معيناً الى من يستحقه في قوله تعالى :
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ إنا هُدْنا إليكَ قالَ عذابي
يبُ بهِ مَنْ أشاءُ ورحمتي وَسِعَتْ كلَّ شَيءٍ فَسأكْتُبُها لِلذينَ يتقونَ
ؤتُون الزكاةَ والذين هم بآياتنا يؤمنونَ » [5] .

فايتاء الزكاة هو ثاني ثلاثة سبل الى رحمة الله وجنته ، واذا عدنا بالذاكرة الى
اني (زكا) العربية الجاهلية التي ترسخت في البيئة العربية أدركنا عبقرية
لول هذه الكلمة المجازي وعمق تأثيره في النفس . فالعربي يعلم لمادة (زكا)
اني الزيادة والنماء في الزرع ، فاذا دفع ذلك النصاب ضريبة سماها القرآن
كاة ، وقع في وجدانه أن ما يدفعه لا يذهب هباء وانما يزداد وينمو كما يزداد
رع وينمو . وهذه العلاقة البيئية تخلع على المدلول المجازي اللون الأخضر والرائحة

) (سورة طه / الآية ٧٦) مرة واحدة (سورة فاطر / الآية ١٨ مرتين)
) سورة عبس / الآية ٣ ، ٧ .
) سورة مريم / الآية ١٩ .
) سورة الاعراف / الاية ١٥٦ ، (سورة مريم / الآيات ١٣ ، ٣١ ، ٥٥)
(سورة النمل / الآية ٣) ..
) سورة الاعراف / الآية ١٥٦ .

الطيبة والطعم اللذيذ ، ثم ان ايتاء الزكاة يسير بصاحبه الى الجنة ، والجنـــة تنهض في الآخرة على الزرع والخضرة من بين ما تنهض عليه .

وهكذا لايجد العربي المسلم القادر بُدأ من نفسه وشعوره من أن يؤتي الزكاة، وهو طيب الخاطر مسرور الفؤاد . ووردت كلمة الزكاة بهذا المدلول مرة في سورة النمل [١] ومرتين في سورة مريم [٢] ، وجاءت مرة ثالثة فيها بمدلول : « قيل : انه الطهارة ، وقيل : الصدقة » [٣]. وذلك في قوله تعالى : « وَحَنَاناً من لَدُنّا وزكاةً وكان تقيا » [٤] .

أما في الطور الثالث من الوحي المكي في الاسراء حتى الهجرة الى المدينة فقد وردت في سورها صيغة تفَعّل وقد أدغمت التاء في الزاي مرة واحدة [٥] بمدلول تطهر ، وجاءت فيها كلمة (الزكاة) ست مرات : خمس مرات [٦] منها بمدلول الصدقة ، والمرة السادسة في قوله تعالى : « فأردْنا أن يُبدِلَهُما رَبُّهُما خيـــرا منه زَكاةً وأقربَ رُحْماً » [٧] بمعنى : « الطهارة والنقاء من الذنب » [٨] .

ولعل هذا المعنى لا يبعد عن مدلول الزكاة صدقة ، وانما يشع عنه ويومض خلاله ، ذلك لأنه ثمرته : فمن يدفع الزكاة يجن الطهارة والنقاء ثمنا ، وبهـــذا المعنى يترسخ مدلول الزكاة المادي والمعنوي ، ويستوي حافزا يحفز المؤمنين القادرين على الأخذ بأيدي اخوانهم ممن يستحقون الصدقة .

ووقعت فيها صيغت (فعيلة) بمعنى الطاهرة مرة واحدة [٩] .

---

(١) سورة النمل / الآية ٣ .
(٢) سورة مريم / الآيتان : (٣١ ، ٥٥)
(٣) تفسير الكشاف / م٢ / ص ٨
(٤) سورة مريم / الآية ١٣
(٥) سورة النازعات / الآية ١٨
(٦) سورة الأنبياء / الآية ٧٣ ، سورة المؤمنون / الآية ٤ ، سورة الروم / الآية ٣٩ ، سورة لقمان/ الآية ٤ ، سورة فصلت / الآية ٧ .
(٧) سورة الكهف الآية ٨١
(٨) تفسير الكشاف / م٢ / ص ٧٦١
(٩) سورة الكهف / الآية ٧٤

ولأول مرة جاءت فيها صيغة اسم التفضيل من مادة (زكا) في قوله تعالى : « فَلْيَنظُر أيُّها أزكى طعاماً فَلْيَأْتِكم برزق منه » [1] بمعنى حدده الزمخشري قائلا : « (أزكى طعاماً) : أحل واطيب وأكثر وأرخص » [2] . وهذا التحديد — وان لم تكن تفاصيله قائمة على مقوم في الآية وقرينة بين ألفاظها — يستمد من المعاني الجاهلية التي وردت عليها مادة (زكا) في اللغة العربية وقلبت بين حدودها الاستعمالات القرآنية . ومع هذا كله فلا بأس أن ننبه الى أن هذا المعنى القرآني يعكس الجانب المادي الذي وردت فيه مادة (زكا) قبل الوحي لتعبر عن الزرع ، والطعام ولا ريب من ثمار الزرع في الاغلب الأعم ، فاذا صح ما نراه فان هذا الاستعمال القرآني في هذا الطور من تاريخ سوره الكريمات يثير في العقل العربي ظلال مادة (زكا) العربية في ضوء مدلولاتها المجازية القرآنية ، فيبقى ذلك العقل متيقظا يذكر المؤمن المتصدق بما سيعود عليه من خير اذا قدم الزكاة عن طيب خاطر . ونتحول الى المدينة ، ونقف بين يدي سور الطور الاول من وحيه من الهجرة الى غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة ، فنجد في سورة البقرة صيغة اسم التفضيل من مادة (زكا) وردت مرة واحدة في قوله تعالى : « وإذا طَلَّقْتم النساءَ فَبلَغْنَ أجلَهُنّ فلا تَعضُلُوهُنّ أن يَنكِحْنَ أزواجَهُنّ اذا تَرَاضَوا بينهم بالمعروف ذلك يُوعظُ به من كان منكم يؤمن بالله واليومِ الآخرِ ذلكم أزكى لكم وأطهرُ واللهُ يعلم وأنتم لا تعلمونَ » [3] .

فما معنى كلمة أزكى في هذه الآية الكريمة ؟ فهي ترد معطوفاً عليها بكلمة أطهر فهل هي مرادفة لها ؟ .

ينقل الزمخشري عمن لم يسمه فيقول : وقيل : « أفضل وأطيب » [4] ، فاذا استقام هذا فمعنى ذلك أن (أزكى) قد اكتسب معنى الافضل في القرآن الكريم ،

---

(١) سورة الكهف / الاية ١٩

(٢) تفسير الكشاف / م٢ / ص ٧١٠ .

(٣) سورة البقرة / الآية ٢٣٢

(٤) تفسير الكشاف / م١/ص٢٧٨

وواضح ان هذا المعنى ليس ببعيد عن مدلول الأطهر ، مما يجوّز الزعم أن (أزكى) في هذه الآية مرادفة للأطهر .

ان اسم المصدر زكاة يتكرر في سورة البقرة خمس مرات [1] بمدلوله المجازي الصدقة . ولأول مرة تأتي في هذه السورة صيغة (فَعّلَ) في حالة المضارع متعديا مسندا الى الله تعالى ، وقد تكررت ثلاث مرات [2] لتدل على التطهير من الشرك وسائر الأرجاس ، وأتت هذه الصيغة مُسندة الى واو الجماعة في آية مدنيـــة [3] ضمت الى سورة النجم من سور الطور الثاني المكي بمعنى فسره الزمخشري قائلا : « (فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير وعمل الطاعات : أو الى الزكاة والطهارة من المعاصي » [4] ، فمعناها على الاجمال هو معنى الصيغة في الآيات السابقة .

ان سور الطور الثاني من الوحي المدني من غزوة بدر الى صلح الحديبية فــي السنة السادسة من الهجرة لم تحمل الينا من مادة (زكا) صيغة جديدة ، ولم تخلع عليها مدلولا جديدا ، وغاية ما ورد منها اسم مصدر الزكاة مرة واحدة [5] بمدلوله المجازي المعهود ، وصيغة فعل في حالة المضارع مرتين [6] بمدلولها السابق .

أما سور الطور الثالث من الوحي المدني من صلح الحديبية الى غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة ، فقد أدارت صيغا كثيرة من مادة (زكا) بعضها قد مرّ بنا في الاطوار السالفة مثل اسم المصدر الزكاة الذي ورد في هذه السور عشــر مرات [7] بمدلول الصدقة . وصيغة اسم التفضيل التي وردت فيها مرتين [8] بمعنى

(١) سورة البقرة / الآيات : ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ ، ١٧٧ ، ٢٧٧ .
(٢) سورة البقرة / الآيات : ١٢٩ ، ١٥١ ، ١٧٤ .
(٣) سورة النجم / الآية ٣٢ .
(٤) تفسير الكشاف : م٤/٤٢٦ .
(٥) سورة الاحزاب / الآية ٣٣ .
(٦) سورة آل عمران / الآيتان (٧٧ ، ١٦٤) .
(٧) سورة النساء / الآيتان ٧٧ ، ١٦٢ ، سورة المائدة / الآيتان ١٢ ، ٥٥ ، سورة الحج /الآيتان ٤١ ، ٧٨ ، سورة النور ، / الآيتان ٣٧ ، ٥٦ ، سورة المجادلة / الآية ١٣ ، سورة البينة/ الآية ٥ .
(٨) سورة النور / الآيتان ٢٨ ، ٣٠ .

أطهر وأفضل . وصيغة (فَعَّلَ) في حالة المضارع ، وقد وردت بين آياتها أربع مرات [1] بمعنى يطهر . وبعضها جديد وهو صيغة فعل المجرد مقصورة كـ (رضي) التي وردت لأول مرة في قوله تعالى : « ولولا فضلُ اللهِ عليكم ورحمتُه ما زكىَ منكم مِنْ أحدٍ أبدا » [2] بمعنى « ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه » [3] . وتأتي طائفة سور الطور الرابع من الوحي المدني من غزوة تبوك الى موت النبي (ص) في السنة العاشرة للهجرة لتكرر صيغتين سابقتين من مادة (زكا) . هما اسم المصدر (الزكاة) التي وردت أربع مرات [4] بمعنى الصدقة ، وصيغة (فَعَّلَ) التي وردت مرة [5] واحدة بمعنى طهر .

وهكذا يتبين لنا من هذا العرض المستفيض : أن المعجم القرآني غني بصيغ مادة (زكا) التي تضرب بمعانيها في العقل العربي مستمدة جذورها من بيئته ، فتشدّه الى النهوض بواجب دنيوي هو عصب الحياة الاقتصادية المنظمة في المجتمع الاسلامي ، ذلك هو ايتاء الزكاة فضلة عن أموال الأغنياء الى الفقراء ، فيلتقي الفريقان أخوة تحت راية المساواة والعدالة الاجتماعية

« الاساس الحيوي »

مغزاه ، صيغ مادة شرع ومعانيها في عصر ما قبل ظهور الاسلام دلالة اختيار القرآن لها ، صيغ من المادة في الطور المكي الثالث ومدلولاتها المجازية ، المادة في أطوار الوحي المدني .

مما لا جدال فيه أن الاسلام دين أقره الله تعالى للناس أجمعين ، وسيّره في البيئات كلها ، وخلّده على الأزمنة كافة ، ومن هنا فان أسس مجازات كتابه

---

(١) سورة النساء / الآيتان ٤٩ ، ٥٩ .
سورة النور / الآية ٢١ .
سورة الجمعة / الاية ٢ .
(٢) سورة النور / الآية ٢١
(٣) تفسير الجلالين / ص ٢٩٣ .
(٤) سورة التوبة / الآيات ، ٥ ، ١١ ، ١٨ ، ٧١ .
(٥) سورة التوبة / الآية ١٠٣ .

العظيم لم تقتصر على نفس دون أخرى ولم تنحصر في حواس وتبتعــد عن حواس غيرها ، ولم تتلون ببيئة وتعرض عن سواها ، وانما ضمت الى عددها أساساً عامــاً هو الحياة بأوسع معانيها ، فكان هذا الاساس الحيوي منبتاً نبتت فيه مجازات دلالية : منها كلمة (الشريعة) : فما هو أصل هذه الكلمة بمعانيهـا العربيـة التي أدت عنها في عصر ما قبل ظهور الاسلام .

يرى إبن فارس أن « الشين والراء والعين أصل واحد . وهو شيْ يفتح في امتداد يكون فيه » (١) .

ووردت صيغ من هذا الأصل في اللغة العربية قبل نزول الوحي بستة معان رئيسة : أولى هذه الصيغ : الشريعة « وهي مورد الشاربة الماء » . وثانيتها : « شرع الوارد يشرع شرعا وشروعا : تناول الماء بفيه » . وثالثتها : « شرعت الدواب في المـاء تشرعا شرعا وشروعا أي دخلت » . ورابعتها : « الشريعة والشراع والمتشرعة : المواضع التي ينحدر الى الماء منها » . وخامستها : « الشرعة والشريعة في كلام العرب : مشرعة الماء وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون . . . والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عدا لا انقطاع له . ويكون ظاهرا معينا لا يسقى بالرثاء وفي المثل : أهون السقي التشريع . وذلك لأن مورد الابل إذا ورد بها الشريعة لم يتعب في اسقاء الماء لها كما يتعب إذا كان الماء بعيدا » . وسادستها : الشرعة : « حبالة من العقب تجعل شَرَكاً يصاد به القطا ، ويجمع شِرعا » . ان هذه الصيغ في تقلبها على تلك المعاني الرئيسة تلتقى في دائرة واحدة تصب فيها ، وتستمد منها خازنة في العقل العربي مدلولا عاما هو : الماء وما يتعلق به واردة منه وسبلا اليه ، فكيف أدار القرآن الكريم صيغ هذه المادة ؟ وما هي المدلولات المجازية التي خلعها عليها ؟ .

لم ترد مادة شرع في السور المكية الا في طورها الثالث الذي يبدأ بالاســراء قبل الهجرة الى المدينة بسنة واحدة وينتهي بالهجرة المباركة وقد وردت منها في سورة الشورى من سور هذا الطور صيغة الفعل الماضي مرتين : أولاهما : في قوله

---

(١) مقاييس اللغة / حـ٣/ ص ٢٦٢

تعالى : « شَرَعَ لَكُم مِن الدينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً والذي أوحَينا إليك وما وصَّينا بِهِ إبراهيمَ ومُوسى وعيسى أَن أقِيموا الدِينَ ولا تَتَفرَّقُوا فيهِ كَبُرَ على المُشرِكينَ ما تَدْعُوهُم إليهِ ، اللهُ يَجْتَبي إليهِ من يَشاءُ ويَهدِي إليهِ مَن يُنيبُ » [1] . وثانيتهما : في قوله تعالى : « أمْ لَهُم شركاءُ شَرَعُوا لَهُم من الدِينِ ما لَم يَأذَن بِهِ اللهُ ولَولا كَلِمَةُ الفَصلِ لَقُضِيَ بَينَهُم وإنَّ الظالمينَ لَهُم عَذابٌ أليمٌ » [2] فما هو مدلول شرع في هاتين الآيتين ؟ .

من المفسرين [3] من لم يكلف نفسه عناء الكشف عن هذا المدلول ، ومن اللغويين من نبّه عليه متسرعا كما فعل ابن الاعرابي فيما روى عنه أبو العباس قائلا : « شرع أي أظهر » [4] . فأي غنى في هذا التنبيه ؟ ! . لا نظن أن فيه شيئاً ذا بال ، وعلة ذلك أنه يغفل التماس معاني مادة شرع التي تنعكس ظلالها في الفعل ويثيرها هذا الفعل في العقل العربي الذي استوعبها منذ اجيال وتشرب بها في ممارسته اليومية .

رأينا فيما مضى أن صيغة (شرع) تنبت في معان تلتقي حول الماء وما يتعلق به من الواردة والسبل اليه ، وهي تبشر في حروفها الشين والراء والعين بالحياة ، ذلك لأنها تدل على الماء العذب اليسير في تناوله . ولما كان الله تعالى يقدر الامور حق أقدارها اختارت مشيئة صيغة الفعل في الآيتين من هذه المادة وجعلتها فعلاً متعدياً متعلقه — في الآية الاولى — : الجار والمجرور (من الدين) ، ومعموله : (ما يوصي به أعلاما من أنبيائه هم : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم أفضل الصلوات) وفسر الزمخشري المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من الرسل فيه بقوله : « أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » والمراد : اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته ، والايمان برسله وكتبه » [5] .

---

(١) سورة الشورى / الآية ١٣

(٢) سورة الشورى / الآية ٢١ .

(٣) راجع تفسير الكشاف / م٤ / ص ٢١٥ .

(٤) تهذيب اللغة / الازهري / دار الكاتب العربي ج١/ص ٤٢٥ .

(٥) تفسير الكشاف .

وعلى هذا فصيغة الفعل هنا مجاز دلالي لا يراد بها معانيها الجاهلية ، وانما يراد بها تنزيل أصول الاديان التي جاءت خيرا للانسان منذ أيام نوح ، وما يزال خيرها حتى تم على يدي الرسول الكريم محمد (ص) عقيدة تجمع الناس أجمعين وتهبهم طريقا للحياة السعيدة في الدنيا وصراطا للحياة الخالدة في الآخرة .

والعربي حين يسمع هذه الآية تنفجر في عقله المعاني القديمة لهذه الصيغة ، فيروح يوازن بينها وبين هذا المدلول الجديد ، فيتمثل الدين ينبوع ماء لأول وهلة ، ثم يمعن في عَظَمة هذا الدين فيراه ماء لا كالماء وحياة لا كالحياة ، ذلك لأنه كان يعرف الماء من خلال مادة شرع ، ويدرك الحياة التي تنتج عن هذا الماء .

واذا كانت مشيئة الله قد اختارت من هذه المادة فعلا لتصوير تنزيل الأديان واظهارها يؤمن بداهة وبالموازنة : أن هذا المنزل المظهر المشروع خير من الماء طريقاً وأحسن منه ثمرة . انها العبقرية اللغوية التي اتسمت بها لغة القرآن الحكيم تنفتح في هذا المجاز الدلالي هذا المدلول وأكثر من هذا المدلول الذي نحس به ونعجز عن ابرازه رغم ما نحاول .

ان الله تعالى قد أراد أن يخص مدلول صيغة الفعل شرع ذاك بقدرته ، فجاءت هذه الصيغة في الآية الثانية صاعقة من التقريع تهز هؤلاء الذين زين شيطانهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا ، « لأنهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين ، وتعالى الله عن الاذن فيه والأمر به » [1] . وتأتي سورة الجاثية من سور هذا الطور من الوحي المكي حاملة الينا لأول مرة صيغة (شريعة) من مادة شرع مخاطبة الرسول (ص) في قوله تعالى : « ثمَّ جَعلناكَ على شَرِيعَةٍ مِنَ الأمرِ فَاتَّبِعْها ولا تتبِعْ أهواءَ الّذينَ لا يَعلمُونَ » [2] .

ان بعض المفسرين واللغويين قد تباينوا في تحديد مدلول (على شريعة) في هذه الآية الكريمة ، فالزمخشري يرى أن مدلولها « على طريقة ومنهاج » [3] ، والفرّاء

---

(١) تفسير الكشاف : م٤ / ص ٢١٨ .

(٢) سورة الجاثية / الآية / ١٨ .

(٣) تفسير الكشاف : م٤ / ص ٢٨٩ .

يقول أن معناها « على دين وملة ومنهاج » [1] .

وهذا الخلاف جوهري في حقيقته ، ما دام المبتلون به ينتبذون مكاناً قصّيا عما يجسده هذا المدلول من صورة ، وهو يطرق العقل العربي .

وقد كان الليث أقرب ما يكون لهذه الصورة حين عقب على معنى الشريعة والشراع والمتشرعة : التي هي مواضع ينحدر منها الماء قائلا : « وبها سمي ما شرع الله للعباد شريعة من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيره » [2] .

فهل من ضير أن نعتبر صيغة (شريعة) في تلك الآية مرآة لكل ما يتجمع حولها من معان عربية ومدلولات اسلامية ؟ ليس هناك من ضير ، بل إن فيه الحق والحق كله ، فذلك الاستعمال القرآني هو مولد المجاز الدلالي لكلمة الشريعة وهو مولد لغوي رائع تمخض من عبقرية لغة القرآن الكريم .

استعملت سور أطوار الوحي المدني من مادة شرع صيغتين : أولاهما : كلمة (شُرّعاً) ، وقد جاءت في آية مدنية [3] ضمت الى سورة الأعراف المكية حالا عن الأسماك التي كانت تأتي اليهـود في يوم السبت ، فدلت على أنها « ظاهرة على وجه الماء » [4] .

ويبدو أن هذه الدلالة مما تقلبت عليه صيغ من مادة شرع قبل نزول الوحي ، فقد نقل عن الحسن قول : « تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض ، يقال : شرع علينا فلان اذا دنا منا وأشرف علينا . وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا » [5] .

وثانيتهما : صيغة (شرعة) التي وردت في سورة المائدة من سور الطور الثالث المدني من صلح الحديبية الى غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة ، وذلك في قوله تعالى : « وَأَنزلنا إليكَ الكتابَ بِالحقِ مُصَدِّقا لِما بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكتابِ

(١) تهذيب اللغة : جـ١ / ص ٤٢٥
(٢) لسان العرب : جـ١٨ / ص ٢٠٠
(٣) سورة الاعراف / الآية ١٦٣ .
(٤) تفسير الكشاف / م٢/ص ١٧١ .
(٥) تفسير الكشاف : م٢ / ص ١٧١ .

ومُهيمناً عَلَيه فَاحْكُمْ بَيْنَهم بما أَنزَل الله وَلا تَتَّبعْ أَهواءهُمْ عَمّا جاءكَ مِنَ الحَقّ لِكُلٍ جَعَلْنا مِنكُم شِرْعَةً ومِنهاجا ولَوشاءَ اللهُ لَجَعَلَكُم أُمّةً واحدةً وَلكِنْ ليبلوكم في ما آتاكم فاستبِقوا الخَيراتِ الى اللهِ مَرْجِعُكم جَميعا فَينبئُكُم بما كُنْتم فيهِ تَختَلِفونَ »[1] .

يرى الزمخشري أن شرعة في هذه الآية الكريمة بمعنى شريعة[2] ، والاعتراض عليه قائم يستفسر عن علة تجاوزها عن صيغة فعيلة الى (فعلة) بكسر الفاء أو (فعلة) بفتح الفاء على قراءة « يحيى بن وثاب »[3] ، سيما وقد وردت لفظة الشريعة في الطور الثالث من الوحي المكي بذلك المدلول المجازي المتسع .

ويستوى هذا الاعتراض حجة مفحمة ، اذا ما نبهنا الى سياق الآية التي تتحدث عن انزال الله تعالى كتابا خاصا بكل نبي ، ونظن ان هذا السياق قد أملى على من نقل عنهم الأزهري غير مُسَمٍّ أياهم فقالوا :

« الشرعة والمنهاج جميعاً : الطريق »[4] .

وفرّق محمد بن يزيد بين الشرعة والمنهاج بمعنى الطريق فقال : « شرعة معناها ابتداء الطريق . والمنهاج الطريق المستمر »[5] .

وأي كان فنحن نميل الى أن معنى الشرعة غير مدلول الشريعة ، ونخصص فنزعم : أن شرعة تدل على معنى جديد هو الأسلوب الخاص بكل رسول في التعبير عن الدين الذي جاء به ، وهذه الدلالة دون دلالة الشريعة سعة وشمولا ، وآية ذلك ـ بالاضافة الى سياق الآية التي وردت فيها ـ أن مبناها أقل من مبنى (شريعة) وقديما قيل : (قلة المبنى تدل على قلة المعنى) .

ومهما يكن فان رحلتنا مع مادة (شرع) وتقلّب صيغ منها في اللغة العربية وورود بعض هذه الصيغة في آي الذكر الحكيم تنتهي بنا الى أن المدلول المجازي

(١) سورة المائدة / الآية ٤٨ .
(٢) تفسير الكشاف : م١/ص ٦٤٠ .
(٣) تفسير الكشاف : م١/ ص ٦٤٠ .
(٤) تهذيب اللغة : ج١ / ص ٤٢٤ .
(٥) تهذيب اللغة : ج١ / ص ٤٢٤ .

الذي يشع من هذه المادة خلال الكلمات القرآنية : شرع ، شريعة ، شرعة يعتمد الحياة أساسا لهذه الصورة الرائعة التي يتمثلها الانسان في كل زمان ومكان وهو يوازي بين هذا المدلول والمعاني العربية للمادة ، فاذا الماء الدافق رمز الحياة يتبادر الى ذهنه عندما يعلم أن الدين الاسلامي قد اتخذ تلك الكلمات للدلالة على أنظمته وقوانينه التي يشرعها لحفظ المجتمعات الانسانية ودوام سعادتها في الدنيا وفي الآخرة .

« نتائج البحث »

خصائص المصطلح القرآني ، ظواهر سلبية في المصطلح العربي ، مقترح لوضع المصطلح العربي المنشود .

إن ترسيخنا لمدلول المصطلح القرآني الذي سمّيناه مجازاً دلاليا وتحليل أسس منهج صياغته وما أشرنا اليه من القصور في المصطلح الذي لم يصغ في ضوء هذا المنهج – أمور تتمخض عن نتائج نود أن نشير الى ثلاث منها : –

أولاها : ان المصطلح العربي الذي نجم عن أسس المنهج القرآني في صياغة المصطلحات يمتاز بخصائص فنية ولغوية وشعورية وقومية : تتمثل في أن هذا المصطلح ليس لفظاً جامداً أو رمزاً متحجراً اصطلح عليه قومٌ فيما بينهم لغرض آني ولمرحلة منقطعة وفي بيئة محسورة ، وإنما هو بناءٌ جمالي يضرب بجذوره في نفوس الناطقين بلغته فتشدهم اليه في تعاطف وتفاعل مؤديا عن فكرهم الموحد أمة واحدة ترفرف راياتها الفكرية في وطنِها الكبير بلا حدود وبلا عوائق .

وثانيتها : أن المصطلحات العربية المعاصرة التي صيغت استجابة لمقتضيات تطور الحياة العلمية والثقافية والحضارية – تعاني في الاغلب من ظواهر سلبية أبرزها : التعثر بحدود قطرية وبضيق استعمالي ، ومجافاة الذوق اللغوي العربي الأصيل والقيم الفنية الجمالية ، وتعدد صِيَغها وتباين كلِمِها . مما أدى بها ذلك كله في هذا النطاق الى أن تكونَ محلية لا ترتقي الى الأفق القومي الراحب الموحد وتستوى قاصرةً عن تأثير في نفوس متداوليها ومشاعرهم وتتميع في اعتمادها الفاظاً محددةً لمداولات مقررة .

ا : أن التحرك لمعالجة هذه الظواهر السلبية ضرورة علمية ولغوية قومية
تراث العربي وعموده الفقري لغـة القرآن الكريم منهج هذه اللغـة
مة المصطلحات سلامة تحقيق اهدافها .

هنا فنحن نقترح أن يكون هذا التحرك على يدي المجمع العلمي العراقي في
ن سلامة اللغة العربية الذي سنّه مجلس قيادة الثورة الموقر تعبيراً قومياً علمياً
وليباته التاريخية تجاه الأمة العربية ، وذلك بتشكيل لجنة تحضيرية لعقد
المستوى القومي تتمثل فيها المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية وجامعـة
لعربية والشخصيات اللغوية بغية تدارس خطة تفصيلية تتشعب طريقـة
منهج وإنجازٍ واهدافا : تتناول مشكلات المصطلح العربي وكيفية حلّها
المحدد لذلك .

ںور بهذا الصدد أن توصي تلك الندوة بتشكيل لجان قومية تنهض بوضـع
م متخصصة مَسَوّدات تعرض على مؤتمر عام من المتخصصين يتولى دراسة
لمعاجيم شريحةً شريحة لاقرارها ، ثم الإلزام باعتمادها مصطلحات قومية
وحدة .

★ ★ ★

اللثغة

عند الكندي .. وفي ضوء العلم الحديث

الدكتور فخري الدباغ

(عضو المجمع)

أستاذ الطب النفسي - كلية طب الموصل

العلمي العربي يدعونا جميعاً الى التعرف به أولاً ثم التعريف به ثانياً ، ليس
يقة تاريخية صرفة ومستقلة ، بل كمجهودعلمي عرضة للدراسة والمقارنة والتمحيص.
رتأيت أن أتقدم بهذه الدراسة المقارنة كبداية مماثلة في المستقبل ان شاءالله
أسلوباً جديداً هو التعريف بمدى ما ينطبق من الانتاج العلمي العربي القديم
لحصيلة الحاضرة للعلم الحديث في الموضوع ذاته ، وبذلك نقف على جوانب
ة من ذلك التراث وعلى عبقرية المفكرين والعلماء العرب ، وما لهم وما عليهم —
ين عامل الزمن والتطور الحضاري والتقني — .

ي العلوم الطبية وما يماثلها من علوم تطبيقية أخرى كعلوم الحياة والزراعة
، رحب وشاسع للدراسات المقارنة . وقد وجدت — كبداية — أن رسالة الطبيب
سوف الفلكي يعقوب الكندي في « اللثغة » ، تصلح أن تكون موضوعاً مناسباً
فاً لأن اللثغة اضطراب وعلة واسعة الانتشار الى يومنا هذا وموضوع اهتمام علوم
، والتربية وعلوم النفس والاجتماع ، وان كان يقع ضمن الاختصاص الدقيق
، النفسي وطب أمراض الجهاز العصبي — وخاصة بين الأطفال .

اللثغة في المفهوم الطبي الحديث :

اللثغة هي أحد أمراض الكلام ، ويتميز باخفاق المصاب في لفظ حرف أو كثر بصوته الصحيح المعروف مما يؤدي الى تشويه في نطق الكلمة أو الجملة ، هو تحويل الحرف الى غيره ، كأن ينطق (اللام) غيناً أو (السين) شيناً أو الصاد) تاءً أو (السين) فاءً . . الخ . وعادة ما يكون هذا التغيير في اللفظ سيطاً لا يؤثر على فهمنا للكلمة والجملة ، إلا اذا كان المرض شديداً واللثغة قوية شاملة لبضعة حروف .

وقد تكون اللثغة طبيعية في مرحلة الطفولة عندما يمر الطفل في مراحل النضج والتكامل العضوي والنفسي وتمكنه من نطق لغته الأم . فنطق الانسان إذن حصيلة خبرة ورياضة عقلية ومراس عضلي – عقلي يأتي بالتعلم التدريجي في مرحلة النمو للطفولة في البيت والمدرسة والمجتمع عن طريق التقليد والمحاكاة والتدريب . فاذا لَثِغَ الطفل لم نعتبره مريضاً باللثغة ، بل إننا كثيراً ما نجد لثغته موضوع تسلية وسرور الأهل والمعارف لما يصدر عن لثغته من طرائف ومُلَح كلامية ممتعة .

مما تقدم نعرف ان اللثغة هي علة في النطق الصحيح للحروف ، وان النطق الصحيح يعتمد على جهاز الكلام (في الحنجرة والبلعوم والفم والانف..) ،ويعتمد كذلك على تغذية ومساعدة من جهازي النظر والسمع . ولكن ، كثيراً ما يحدث التباس وخلط بين اللثغة كما عرفناها واضطراب من نوع آخر يتميز بالتقطع والتردد أي اضطراب في ذلاقة وسيولة الكلمات والجمل ونسق الحروف ومكوثها أثناء النطق وهو ما يدعى بـ « التلعثم » أو اللعثمة . وفي هذا المرض يكون لفظ الحرف صحيحاً لكن المصاب يتردد في نطقه ، فاما أن يعيد لفظه عدة مرات وحده أو يكرر جزءاً من الكلمة التي يدخل في تركيبها أو أن يكرر الكلمة مع الحرف . . ، أو أنه يعاني من توقف وعجز تام عن نطق الحرف وكأن جسماً أو شيئاً قد توقف في الحلق والفم وعصي هناك ، ويصحب ذلك توتر وتقلص في جهاز النطق بأجمعه وكأنه متجمد على الكلمات والحروف مانعاً اياها من الانطلاق . والتقطع الشديد

الذي يحدث نتيجة اضطراب المصاب وخجله بحيث يتكلم بجلبة وسرعة فيركم ويكّوم ، هو أشد درجات اللعثمة .

إن اختلاف اللثغة عن اللعثمة بالأعراض والأسباب لا يمنع بالطبع أن يكونا نوعين من اضطرابات الكلام والنطق ، ولذلك يمكن جمعهما وتصنيفهما تحت عنوان واحد هو « عسر الكلام » . واقتضى التنويه بهذا لرفع الالتباس الذي لا يسلم منه حتى الأطباء غير المتخصصين .

مفهوم اللثغة عند الكندي :

لم يتطرق الكندي الى تقطع الكلام بل كان يقصد دائماً ــ وبصورة بديهية ــ اللثغة بمفهومها الحديث وهو تحويل الحرف الى غيره . يقول الكندي في رسالته :

« . . واعلم يا أخي أن اللثغة إنما تعرض من سببين : إما لنقصان آلة النطق واما لزيادتها فلا تقدر أن تستريح على الأماكن الواجبة للنطق مثل مقاديم الأسنان وجميع الأماكن الواجبة للنطق . فأما الحروف التي تعرض فيها اللثغة من قبل زيادة العضو فهو السين والضاد والجيم والراء والشين تعرض في الزيادة والنقصان . وقد تعرض اللثغة أيضاً من جهة أخرى من ضعف العضو المنطقي ، وليس هذا مما يجري في الأكثر . . »

ثم يقول في موضع آخر : « . . وها هنا علتان أخريان هي الأخن والألكن . وانما تعرض هاتان العلتان من غلظ آلة النطق وهو اللسان وسعة الخياشيم . . . ، وأما الأخن فان النفس يسبق الى الخياشيم . . »

ويذكر الكندي تقطع الكلام فقط عندما يحلل كيفية تعلم المخلوق الصغير النطق، لأن الطفل يكتسب مهارة النطق الصحيح بالانتباه والاصغاء والتمرين والاعادة والمحاكاة، ولاشك أنه يعاني من التردد والتقطع أثناء ذلك إضافة الى وقوعه في اللثغة الوقتية حتى يصل الى مرحلة السيطرة على النطق الصحيح. يقول الكندي:

« . . . ولقد عسر على الشيوخ أن يعلموا ما اللثغة وما اللعلة [1] في الطفل أنه

(١) اللعلة : لعل كلمة شك وظن وحسبان ورجاء وطمع (الصحاح) ، وهي دلالة التردد (الكاتب) .

إذا قلت بين يديه مرة ومرتين خبراً حكى قولك في ذلك وهو لا يعلم أين ينبغي ا
أن يضع لسانه في الأماكن الواجبة النطق التي قدمنا ذكرها في مصدر كتابنا هذ
في نعت الحروف وما يجب لها . . . »

وهكذا نجد أن الكندي لم يصنّف تردد الطفل النامي وتقطّع كلامه كنوع آخ
من أمراض الكلام ، وهذا دليل على اعتباره هذا النوع من اضطراب النطق ظاه
فيزيولوجية طبيعية زائلة . أما التردد والتقطـــع المستمر الناتج عن أسباب أخرى (
ضرورة لذكرها في هذا البحث) فهو النوع الآخر من أمراض الكلام الذي أش
إليـــه .

وميّز الكندي بعض التعابير والمصطلحات ذات المفهومين أو الدلالتين فأ
عنصرَ « اللَّثَغ » فيها وليس عنصر « اللعثمة » والتردد ، إذ يقول :

« نريد الآن أن نسمي الى هذه الأعراض اللازمة كل واحد مما يجب أن يسم
اللاثغ بالتاء يقال له التأتاء أو المتمتم ، واللاثغ بالجيم يقال له المدمدم ، واللاثغ با
يقال له ذا العقل ، واللاثغ بالعين يقال له المناغي العيّ ، واللاثغ بالقاف يقال
ذا الحبس ، واللاثغ بالفاء يقال له الفأفاء . . . » .

ومن الجدير بالذكر هنا أن مرض تقطع الكلام (اللعثمة) يطلق عليه أ
تلك الاصطلاحات ذاتها ولكن بدلالة التردد والاعادة . فاذا قيل رجل تأتاء
تأتأة فهو الذي يكثر من ترداد التاء إذا تكلم . . ، وكذا الفأفاء . . كما سنأتي
ذكره . .

الوصف الجنيني والتشريحي للنطق :

ذكر الكندي باقتضاب جداً جملة واحدة عن أصل تكوين جهاز النطق
يقول في أول رسالته وكأنه يسترسل من حديث سابق :

« . . . فلما تكاملت هذه الثلاثة الأشراج [٢] وائتلفت كان النطق ، فلما
النطق بحركات مختلفة مرة يُرفع ومرة يضع بجزم مرة ليستريح العضو الذ
آلة للنطق . . . الخ »

---

(٢) الأشراج : جمع شرج ، وشرج واحد أي ضرب واحد (الصحاح) .

وهو يشير بذلك – وبعجلة خاطفة – الى اجتهاده في كيفية تكون آلة النطق . الإنسان من ثلاثة أضرب من الاعضاء أو الانسجة في مرحلة تكون الجنين ، كتفي بهذا الحد . ولا نتوقع في عصره أن يذكر أكثر من ذلك ، بل لا نتوقع أن كر أي شيء عن الجانب الجنيني لجهاز النطق وهو علم حديث جداً يتطلب سة خلايا وأنسجة الجنين ، وكذلك دراسة أجنة الحيوانات الأخرى للمقارنة تعمال المجهر الاعتيادي وحتى المجهر الألكتروني . لكنه يعود ويذكر بمهارة دد أجزاء ومكونات جهاز النطق في أماكن متفرقة من رسالته ، إذ يقول :

« . . . آلة النطق مثل مقاديم الأسنان وصدر الحنك والأرحية واللهاة وخارج سنان والشفتين » . ويذكر في مكان آخر : « . . نقول في نعت انها تحتاج الى ، يخرج من عَمَن [٣] الرية [٤] بفتحة وهمزة اللهوات بمبدأ نغمة ووقفة . . » . كر في مكان آخر : « . . نقول في نعت العين تحتاج الى نغمة مع نفس يبدأ اللهاة ويقف معها بهمزة اللسان الى اللهوات وفتحة بالغلصمة وكسرة ورد اللسان صدر الحنك . . » . ويذكر في مكان آخر الخياشيم والنغانغ .

ربهذا الوصف التشريحي الدقيق يقدم الكندي الدليل على مهارته في تحديد ماء النطق . وبالمقارنة بما قدمه لنا علم التشريح والأجنّة الحديث نجد أنه نفل أو ينسَ شيئاً عدا ذكر كلمة (الحنجرة) وقد أشار إليها بالحقيقة من ف غير مباشر عندما ذكر (الغلصمة) و (النفس) و (النغمة) وهي العناصر جزاء ذات العلاقة الوثيقة بوظيفة الحنجرة وبالحبال أو الأوتار الصوتية التي كن بالمستطاع رؤيتها داخلياً آنذاك ولا تشريحها على الأموات . إذاً فقد ذكر دي في مجمل رسالته جميع الأعضاء والأجزاء الداخلة في تكوين جهاز النطق لمهم عدا الحجاب الحاجز – وهي : (الرئتان Lungs ، والنفس – الهواء – Brea ، والغلصمة Glottis ، واللهاة Uvula ، والخياشيم Nasopharynx نك Palate – ولم يفرّق بين الحنك اللين والصلب – ، واللسان ، والاسنان

عمن بالمكان : أقام به ، والعمن : المكان (الصحاح) .

الرية : الرئة ، وعمن الرية : مكان الرئة .

العليا والسفلى ـ الثنايا ، والأمامية والخلفية ـ الرحى ـ ، وخارج الأسنان ـ أي الأسنان ـ أي ما بين الأرحية والخدّين ، والشفاه العليا والسفلى . .) .

الوصف الوظيفي (الفزيولوجي) للنطق :

ينتقل الكندي بعد ذلك ، وبتسلسل علمي منطقي ، الى وصف الحروف وكيف تتكون في جهاز النطق بصورة سليمة فيذكر تلك الأجزاء من جهاز النطق المشتركة في إخراج صوت كل حرف والحركات الواجبة لذلك وكأنه يصف العملية بدقة وسهولة من يشاهد تلك الحركات على شاشة جهاز الأشعة في مختبر علمي معاصر .

ويتناول الكندي وصف تكوين أصوات الحروف واحدة بعد أخرى مبتدئاً بحرف الألف فالباء فالجيم بتسلسل : أبجد . . هوز . . حطي . . كلمن . . الى آخرها . ولا أجد ضرورة لسرد عملية نطق كل حرف من حروف العربية كما وصفها الكندي فهي مذكورة جميعها في ثلاث صفحات تقريباً . . ، ولكن أرى من المناسب ذكر أمثلة ونماذج منها للدلالة على مهارته في وصف عملية النطق . يقول الكندي : « نبدأ بعون الله ومنته في نعت الألف لأنها أول مجيء الفاعل الأولي واللغة الأولى . نقول إن الألف تحتاج الى نغمة وفتحة ورد طرف اللسان الى صدر الحنك واخراج نفس يسير بين الشفة السفلى والأسنان العليا .

الدال : نقول في نعت الدال إنها تحتاج الى نغمة مع همزة بطرف اللسان على طرف الحنك ومقاديم الأسنان وفتحة ثم عطفة اللسان الى داخل طرف الحنك

الواو : نقول في نعت الواو ، تحتاج الواو الى نغمة مع جمع الشفتين وتضييقهما حتى يخرج النفس خفياً وفتحة وجمعة أخرى كالأولى .

الصاد : نقول في نعت الصاد تحتاج الى مدى يسير من نفس يخرج من بين اللسان والحنك فيما بين الأسنان العليا بهمزة فيما بين اللسان وصعد مقاديم الاسنان والحنك وفتحة . . . »

وهكذا يتناول الكندي كل حرف من حروف الهجاء العربية ويصف أسلوب لفظه صوتاً واضحاً سليماً . ولا يمكن أن نعزو هذا الوصف الفيزيولوجي للفظ الحروف العربية Phonetics الى تأثير من الطب اليوناني لأن الحروف اليونانية تختلف

عن العربية بالطبع ، ولكل حرف آلية وحركات خاصة في الأجزاء التشريحية لجهاز النطق بأجمعه . وتبرز خصوصية بحث الكندي في علم الصوت العربي في قوله :

« . . . ونحن واصفون بعون الله جل ذكره وبادئون بالأصل في الوصف لدلائله بأكثر ما يقدر عليه من بيان ما تحتاج إليه العربية لأنه ليست لغة أفصح ولا أعذب ولا أخف من اللغة العربية » .

ثم يشخّص الكندي تلك الحروف التي تكون أكثر عرضة للخلل واللثغة من غيرها فيقول :

« . . وقد لخّصنا في ذلك قدر الطاقة والعلة التي حدتنا الى ذلك لنعرف حقيقة ما قصدنا من ذلك ونقرب علمه على السامع له . فأما العشرة الحروف فهو هذا الذي أنا ذاكره منها : الغين والسين والشين والكاف والضاد والجيم والحاء والزاي والقاف والراء » .

وفي اللغة الانكليزية ، نجد أن علماء الطب وأمراض الكلام يذكرون ستة أحرف فقط تتعرض للثغة وهي الـ : k, g, p, b, t, d, ونلاحظ أن اثنين منها هي أحرف سنّية (td) واثنين شفوية (pb) واثنين حلقية (kg) .

كذلك يشير الكندي الى دور الخياشيم والحنك (اللهاة) والحجم النسبي للّسان في تكوين الألفاظ أو في إحداث اللثغة لدى الأخن والألكن إذ يقول :

« . . وها هنا علتان أخريان وهي الأخن والألكن . وانما تعرض هاتان العلتان من غلظ آلة النطق وهو اللسان وسعة الخياشيم ، والعلة في ذلك أن العضل المحركة لهذا العضو لا تطيق حمله وتحركه وتنقله عن الأماكن الواجبة للنطق فيعرض من ذلك اللكن . وأما الأخن فان النفس يسبق الى الخياشيم . . . » .

الكتابة وعلاقتها بالكلام واللغة :

انتقل الكندي في رسالته الى ذكر مقومات الكلام وعناصر اللغة وشرح كيف أن اللغة هي وسيلة تخاطب وتفاهم ونقل معلومات . . ، وكيف أن الألفاظ والحروف والكلمات رموز ضرورية للدلالة على المعنى . . ، وكيف أن الحروف وألفاظها

وأعدادها تختلف من لغة الى أخرى مما قد يؤثر في مقدرتها على التعبير ومدى اتساعها ولكنها بالنهاية تؤدي الى الغاية المطلوبة منها وهي التعبير وافهام الآخرين.. ، فيقول :

« . . . فلما كانت هذه اللغة لازمة للنطق في القائل من الناس احتاجت اللغة الى رباط يحويها ويمسكها لنظر ما في حقيقتها يعرف مقصودها من الصواب والخطأ . فربطها الفاعل الأولي باثنين وعشرين حرفاً تحويها وتنبيء عن حقائقها لاظهار ما في الحكمة ، وذلك أن الحاجة ماسة إليها . ولعلة أخرى أيضاً اذا كانت المكاتبة تحتاج اليها حاجة شديدة ليدون بها علم الظاهر والباطن . فأما العلـــم الظاهر البيّن فعلم سقراط وأفلاطون ، والعلم الباطن فعلم موسى وسليمان ابن داود . ولعلة أخرى أيضاً . وذلك إذا كان الانسان بالقرب من صاحبه وناطقه صاحبـــه بشيء فهم عنه وأجابه عن كلامه واذا كان في بعد لا يسمع منه فالحاجة في ذلك ماسة الى المراسلة . فاذا كثر الخطب الى المكاتبة فلهذه العلة ربط الفاعل الأول اللغات كلها ، كل لغة بقدر ما تحتاج تستعمل من الحروف ، وذلك أن منها ما يحتاج الى ثمانية وعشرين حرفاً وهي لغة العرب ، ومنها ما يحتاج الى ٢٤ حرفاً وهي لغة اليهود والنصارى مثل ذلك . وزعموا أن لغة الفرس تحتاج الى ٣٦ حرفاً ولغة الهند ٢٠ حرفاً ولغة الزنج اثنا عشر حرفاً ولغة الفراعنة ٢٢ ، فقد بينا زيادات اللغات ونقصانها . »

وقد انتبه الكندي الى أن اللغة تعني الكتابة أيضاً وليس الكلام والحديث فحسب ، وبذلك أدخل في رسالته العنصر المهم الآخر في اللغة لأن أمراض الكلام في المفهو، الحديث قد تصيب عنصر الكتابة أكثر من إصابتها عنصر النطق . وإن ما ذكر الكندي عن « المراسلة » ينبيء عن علم الاتصالات الحـــديث ommunication وعلم نفس اللغة phycholinguistics ، لأن الكتابة أصبحت اليوم وسيلة الاتصال الحضاري في الإعلام والعلم والادب والسياسة .

أسباب اللثغة :

يتضح للقاريء العام من مطالعته لرسالة الكندي أنه يتطرق لذكر أسباب مختلف

للثغة وفي مواضع متفرقة بدون تنسيق أو نسق واحد مما يضفي على الأسباب مسحة من الغموض لا تتلاءم مع الأسلوب الحديث في علم الأمراض الحديث . ولكن الطبيب المختص يتمكن بسهولة أن يفهم ما قصد إليه الكندي من تعليل مرض اللثغة والتي يمكن سردها (بحسب اجتهاد الكندي) في أدناه:

١ ــ إن اللثغة ترجع الى تغير ما في آلة النطق بصورة عامة ، اذ يقول: «.. فمتى تغيرت آلة النطق وزالت عن الأماكن الواجبة للنطق فسد لذلك المنطق وأتى بخلاف ما قصد له الناطق» .

٢ ــ إن اللثغة قد تنتج أيضاً و بصورة خاصة من علة في اللسان ، وعلة اللسان تكون إما بتقلّصه الشديد (التشنج) أو باسترخائه المتزايد (الاسترخاء) إذ يقول :

« . . . نقول إن تغيير اللسان عن الحال الجاري المجرى الطبيعي يكون من عرضين لازمين : إما من تشنج وإما لاسترخاء . فأما التشنج فهو أن يأتي الانسان بألفاظ غير تامة ، وأما الاسترخاء فهو أن يأتي الانسان بالفاظ زائدة خارجة عن الجاري المجرى الطبيعي على غير نظام . فأما التشنج فمثل القائل في موضع الراء ألللا ومثال ذلك قول القائل في موضع السين الثين . ومن الكـــلام ما لا يحصى كثرة ».

٣ ــ إن اللثغة وان كانت غالبية الحدوث لدى الاطفال والصغار فلا ينجو منها الكبار ، إذ يقول :

« إعلم يا أخي فدتك نفسي أن اللثغة تظهر في لغة العرب في عشرة أحرف للمسنين والأصاغر في أكثر من ذلك في المنطق . . »

٤ ــ ويعود الكندي فيذكر آلة النطق كمصدر أساس للثغة ، إذ يقول :

« . . . واعلم يا أخي ان اللثغة إنما تعرض من سببين إما لنقصان آلة النطق وامـــا لزيادتها فلا تقدر أن تستريح على الأماكن الواجبـــة للنطق مثل مقاديم الأسنان وجميع الأماكن الواجبة للنطق . . . إلخ ، ثم يقول : وقـــد تعرض اللثغة أيضاً من جهة أخرى من ضعف العضو المنطقي . . »

٥ ــ ويخصص الكندي فقرة كاملة ــ كما ذكرنا سابقاً ــ لوصف علة الألكن والأخن ، ولا موجب لتكرارها . ولكن إدراجها من جملة اسباب اللثغة يؤكـــد

تشخيص الكندي لأهمية الأحجام النسبية لأجزاء جهاز النطق وتناسقها ، بحيث يمكن أن تكون هي السبب وليس التشنج والاسترخاء .

٦ ــ وأخيراً ، وفي الباب الثامن يجمل الكندي مجموعة آرائه في أسباب اللثغة فيقول : « نريد أن نبين من أي العلل يعرض ذلك . إعلم يا أخي أن هذه تعرض من ثلاثة وجوه : أحدها تكون لقوى النفس الناطقة فتزول عن الحال المجرى الطبيعي . الثاني لضعف النفس الناطقة فلا تقدر أن تحرك العضل تحريكاً شديداً فيفسد لذلك النطق . والوجه الثالث يكون إما لزيادة آلة النطق وإما لنقصانه . فأما علة زيادة العضو المنطقي فتكون من البرد والرطوبة أو من الحرارة والرطوبة مع سعة مجاري العضو فتدغم آلة الطبيعة أكثر مما يجب له من المقدار فيغلظ العضو ويكبر ويفسد النطق لذلك ، وذلك أنه يسترخي . وأما نقصان العضو المنطقي فيكون من برد ويبس أو من حر ويبس مفرط . وتعرض هذه العلة أيضا من جهة أخرى وهو أن العضو المنطقي يغلظ أكثر من المقدار ويصغر ويزيد أكثر من المقدار فلا يقدر العضو المنطقي أن يستريح على الأماكن الواجبة للنطق فيفسد لذلك المنطق . وهذه العلة والتي قبلها واحدة في الزيادة والنقصان ، وذلك أن العلة الأولى تزيد وتنقص في الطول . والعلة الثانية تزيد وتنقص في العرض . »

إن التفسيرات التي تقدم بها الكندي لايضاح أسباب اللثغة يمكن ترجمتها الى الصيغ العلمية الحديثة في علوم أمراض الجملة العصبية والطب النفسي وفق الأسس البارزة التالية :

١ ــ اعتمد الكندي على افتراض وجود أحد عاملين في اللثغة : الأول عامل التشنج ، والثاني عامل الاسترخاء في عضلات جهاز النطق وخاصة اللسان . وهذ حقيقة طبية مؤكدة في الأمراض العصبية حيث ان التخريبات العصبية إما أ تكون « علوية تشنجية » Spastic upper motor neurone lesion أو « سفلية استرخائية » Hypotonic lower motor neurone lesion .

٢ ــ واعتمد كذلك على « نقص أو زيادة » في آلة النطق ومكوناتها . وهذا يؤيده علم الأعصاب الحديث كذلك . لأننا نعرف أن اللثغة واللكنة والأخن تنت

عن العلل الطبية التالية التي ترجع الى زيادة أو نقص في جزء أو أكثر من جهاز النطق مثل: أمراض الحنجرة، الزيادات والتجمعات اللمفاوية في البلعوم والخياشيم، الزوائد اللحمية في مؤخرة الأنف ، غلظ حجم اللسان ، أو صغر حجم اللسان بالنسبة الى سعة التجاويف المحيطة به ، تشوهات اللهاة ، تشقق الحنك ، تشوهات أخرى في الحنك ، عاهات وأمراض الأسنان واللثة والفك .

٣ ـ عدم إغفال الكندي للجانب النفسي والتعليمي في اللثغة لدى الأطفال وهم في بداية مرحلة التكلم وهو أمر معترف به حالياً .

٤ ـ أما اعتماده الرطوبة واليبوسة والبرد والحرارة في تفسير الزيادة والنقص والتشنج والاسترخاء في آلة النطق فهو دون شك دليل تأثر الكندي بالفكر الطبي الإغريقي وخاصة نظرية جالينوس في سوائل الجسم . وللسوائل علاقة بالرطوبة واليبوسة وبالحر والبـــرد .

٤ ـ لم يتطرق الكندي الى أعراض تفصيلية ، كما نجدها الآن في علم الأمراض العصبية ، وهي أن أمراض الكلام يمكن أن تنتج بصورة عامة ، من عاهة أو إصابة في أحد من ثلاثة مواقع من الجهاز العصبي والنطق كما موضح فيما يلي :

أ ـ في الدماغ ذاته ـ أي المناطق والمراكز العليا ذات العلاقة باللغة . . والكلام والكتابة .

ب ـ في جهاز النطق نفسه وما ينتاب أجزاءه من عاهات وتخريبات ونواقص وزوائد .

ج ـ في الطريق ما بين الدماغ (المركز الأعلى) وجهاز النطق (المركز الأسفل) أي في الحزم والألياف العصبية التي تربط بينهما وتنقل النواهي والايعازات العصبية من الدماغ الى آلات النطق .

ولا ننكر أن عصر الكندي لم يكن ليساعد إلا على التركيز على جهاز النطق الواضح للعيان ـ أي في المنطقة (ب) المذكورة أعلاه ، والى علاقة ما مع الدماغ والعقل ـ أي في المنطقة (أ) أعلاه .

دور العقل في اللغة :

اللغة – والكلام والكتابة – في علم الطب الحديث وعلم نفس اللغة وظيفة عقلية عليا ما تزال غامضة ومحيّرة لأنها من أعقد وأدق عمليات الدماغ وأرقاها في سلم التطور الحياتي البيولوجي للجنس البشري لما فيها من تنوع ورمزية وفلسفة وارتباط بالذاكرة والتسجيل . وأعقد ما في اللغة أنها لا ترتكز على بقعة معينة من الدماغ يمكن أن ندعوها بتعبير (مركز) خاص بالنطق والكلام إذ نجدها موزعة على بضعة مراكز متباعدة ومنتشرة هنا وهناك في الدماغ لكنها تتضافر جميعها لنحت وصنع واخراج وهندسة الكلام المنطقي المفهوم . وهذا هو الجانب العقلي في اللغة – أي عملية متسلسلة من : الإحساس – فالإدراك – فالتصنيع – فالاخراج لعناصر الكلام المتناسقة المنسجمة سواء بالنطق أو بالكتابة . وتتم كل هذه العمليات في مناطق متفرقة من الدماغ تجمعها شبكات من ألياف عصبية تنسقها وتوحدها بانسجام عجيب وبليغ .

أما الجانب الحركي أو العملي من الكلام فينفذه جهاز آخر للكلام هو جهاز النطق الذي يتكون من أعضاء النطق التي ذكرناها في باب تشريح ووظائف النطق (كالحنجرة . . واللسان . . والاسنان . . والشفاه . . الخ) . فهو جهاز تنفيذي يتلقى الأوامر والتعليمات التنظيمية من الجهاز الأعلى المفكر (الدماغ) عن طريق الألياف العصبية التي تربط بين الجميع .

وقد أشار الكندي في رسالته الى العامل الإلهي ودور الخالق في هبة اللغة للبشر عندما كان يعيد ذكر (الفاعل الأول) في مقدمة رسالته ، واشارته الى ربطه اللغة بعدد معين من الحروف تتميز بها كل لغة عن أخرى على ظهر البسيطة ، وكذلك ربطه اللغة بعلمي الظاهر والباطن أو لغة الدنيا (العلم والانسانيات) ولغة الإلهيات (الغيبيات والروحيات) ، وهذا الجانب الفلسفي للغة ليس موضوع الجدل والنقاش هنا . إلا أن الناحية الحساسة والخطيرة التي لم تغب عن ملاحظة الكندي استطاعته التفريق بين العقل والنطق دون إطلاعه على الخفايا التشريحية والفيزيولوجية للجهاز العصبي كما هي متوفرة الآن . يقول الكندي في رسالته :

« . . . وقد تعرض اللثغة أيضاً من جهة أخرى من ضعف العضو المنطقي ، وليس هذا مما يجري في الأكثر وانما يحد الشيء بالحد الأكثر. وذلك أن الفلاسفة حدّوا الانسان أنه حي ناطق ميت ، ومنهم من زاد في الحد المتعقل . فلما زادوا العقل في الحد أخرجوا من حد الإنسانية من كان جاهلاً . وقد نرى إنساناً أخرس ، فليس ينبغي الحد بالانسانية لأنه ليس بناطق وهذا محال . ولكن لا يقع الحد إلا على الأكثر كما قلنا مراراً . » .

ويتضح من هذا المقطع أن الكندي أكد كونَ مرض النطق والكلام والخرس قد يكون علة مستقلة لذاتها ولا يمكن الاستدلال بها أو الاستناد اليها لمعرفة وقياس درجة الذكاء والعقل و « الانسانية » لدى الفرد . أي قد يكون الفرد مصاباً باللثغة أو أخرس تماماً ولكن ذكاءه متوقد . وبذلك وضع الكندي يده على عناصر اللغة والكلام ورفع الالتباس الذي يقع فيه كثيرون بربطهم علة الكلام بنقص في العقل أو اضطراب في التعقل . وبعبارة أخرى ، استطاع الكندي أن يشير الى كون النطق وظيفة لجهاز سفلي هو جهاز النطق وأن الفرد غير الناطق أو الأخرس قد يكون سليم العقل تماماً وليس ناقصه وأنه « انسان » رغم كونه جاهلاً وغير ناطق ، وبذلك أزال الحدود الصارمة والتعجل في الحكم على عقلية الانسان من نطقه رغم أن(بعض) أسباب اضطرابات النطق واللثغة هو النقص العقلي الولادي mental subnormality

ونحن نجد في المجتمعات المعاصرة المتقدمة تلك الأعداد الكبيرة لمدارس الأطفال الصم والبكم الذين يعانون من صعوبات النطق والكلام ولكنهم يتمتعون بذكاء طبيعي وما فوق الطبيعي ، وهو مثال واقعي حي لما أشار اليه الكندي من ضرورة التعامل الانساني مع هذه المجموعة من البشر .

اللثغة لغوياً (٥) :

عنون الكندي رسالته باصطلاح « اللُثْغَة » واستخدم الكلمة طيلة شرحه لها ، وكان موفقاً في ذلك أكثر من علماء اليوم لأن الاستعمال الحديث للكلمة يحيط به

(٥) راجع في هذا الباب المعاجم والقواميس المعتمدة مثل : لسان العرب ، الصحاح ، القاموس المحيط ، المورد ، المعجم الطبي الموحد ، قاموس أوكسفورد .

ـوض ويصاحبه خلط بين نوعين من اضطرابات النطق كما ذكرنا :

الأول ــ اللثغة الحقيقية (٦) التي عناها الكندي وهي اضطراب في لفظ الحروف كلمات وتعديل الحرف الى غيره كأن يصير الراء غيناً أو لاما والسين أو الصاد . . . الخ .

والثاني ــ اللعثمة (٧) أو تقطع الكلام وتردده دون وجود خلل في صوت الحروف فظها من ناحية الصوت . والمصاب بهذا النوع من المرض ينطق الحرف أو الكلمة . الجملة ويردد أو يقطّع بعض أوصالها . وهكذا يطلق على من يتردد في حرف فاء اذا تكلم بالرجل « الفأفاء » وفيه « فأفأة » ، وعلى من يتردد في حرف التاء بـ التأتاء » وفيه « تأتاة » ، وعلى من يتكلم بسرعة وجلبة واضطراب بالذي « يركم» . « يكوّم » Clutter ، وكلها من دلائل « حبس الكلام » (٨). و « ذا العقـــل » هو الذي عنده حبسة لسان أو امتناع كلام (٩) . ويقال تلعثم الرجل و « تلعذم » إذا امتنع كلامه (١٠) واذا تمكّثَ في الكلام وتوّقفَ وتردّدَ .

ونعود الى اللثغة فنقول إنها ترادف « اللَّثغ » أيضاً . ولَثَغَ الرجل (أو لَثِغَ) لَثَغاً ــ فهو ألْثَغ ، والمرأة لَثْغَاء . واللثغة التي ترادفها بالانكليزية كلمة dysarthria وردت في المعـــجم الطبي الموحـــد بمعنى « اللكنة » وهي ما تطرق اليها الكنـــدي في موضع خاص مما يدل على ان اللكنة هي جزء من أعراض اللثغة . واللُكْنَة هي « عُجْمة » في اللسان وعِيٌ . أما الخرس فيعني باعتقادنا « الخرس الدماغي » الذي ينتج عن تخريب وعلة في المراكز العليا للكلام في الدماغ . ويرادف الخرس اصطلاح dysphasia و aphasia في حين ورد في المعجم الطبي الموحد بمعنى «عسر الكلام» ، وعسر الكلام مفهوم عام وشمولي قد يعني أية صعوبة في الكلام ولأي سبب تقريباً ، لذلك فانني أتردد في تقبّله كما هو دون مناقشة .

---

(٦) وهي المرادف الدقيق لاصطلاح dysarthria .

(٧) وهي المرادف لاصطلاحي Stammer, Stutter وتعني ايضا التمتمة والفأفأة والتأتأة والثأثأة.

(٨ ، ٩) وهي المرادفات لأقصى درجات اللعثمة التشنجيـــة tonic block ، ووردت في المعجم الطبي الموحد كرادف لكلمة aphasia .

(١٠) وترادف مصطلح « الصمات » aphemia ،واللاصوت aphonia ، والتوقف speech block

مما تقدم ، نجد أنفسنا وسط مجموعة من المصطلحات العلمية ذات المدلولات المتشابهة أحيانا والمختلفة أحياناً أخرى بين القديم والحديث ولكنها لا تدعو للارتباك أو القلق .

تقييم رسالة الكندي في النصف الثاني من القرن العشرين :

إن النظرة الموضوعية والتحليل العلمي النقدي لرسالة الكندي في اللثغة تقتضي احتساب فارق الزمن بكل ما يعنيه ذلك من تطور علمي وتقني في حقل العلوم الطبية والنفسية . لذلك فان المقارنة عسيرة بين انتاج علمي صدر قبل أكثر من أحد عشر قرناً وواقع علمي توصل اليه علم القرن العشرين . ولعل من حسن الحظ أن تكون رسالة اللثغة للكندي ذات محتوى ومستوى علمي ممتاز يمهد لي سرعة المقارنة ويُسْرَها وكأنني أتحدث عن مجهود علمي حدث قبل قرن فقط . وها أناذا أستعرض بايجاز مواطن ونواحي النقد والتقييم :

١ — إتبع الكندي في رسالته منهجاً علمياً في الكتابة والبحث. فقد قسم موضوعه الى ثمانية أبواب وتدرج في تلك الأبواب من الأصول التشريحية للنطق — الى مكونات جهاز النطق — الى مفهوم اللغة والحروف والرموز — الى علاقتها بالكتابة وبعلمي الظاهر والباطن — الى وصف فيزيولوجية النطق — الى وصف أنواع أخرى من اللثغة — الى علاقتها بالعمر وبالتعلم وبالخرس والذكاء والعقل والانسانية ، ثم انتقل الى شرح الأسباب اجمالاً .

٢ — كان وصفه لتكوين أصوات الحروف مجزياً دقيقاً يدل على عمق الملاحظة التي لا تقل عن دقة الأدوات والأجهزة التقنية المتوفرة لدينا حالياً كرسم وتخطيط ومتابعة تكون سير الأصوات ونغمتها وعلوها وانخفاضها وذبذبتها وحركة كل جزء من جهاز النطق مثل : أجهزة التسجيل الصوتي ، ورسم الموجات الصوتية على الشاشة الألكترونية ، وتصوير حركات الحنجرة والأوتار الصوتية واللهاة والحنك واللسان بأجهزة الأشعة .

٣ — لم يذكر الكندي في رسالته شيئاً عن علاج اللثغة — خلاف ما جاء في رسالته في الباه ووصفه لتفاصيل العقاقير المناسبة لمعالجته — ، ولعل تحاشيه لذلك

يرجع بالحقيقة الى عدم وجود دواء أو « عقار » خاص باللثغة — وحتى يومنا هذا ، لأن علاج اللثغة يكون بعلاج السبب ، وليس من سبب واحد للثغة ، بل هنالك أسباب متعددة . فاذا كانت في أوتار الحنجرة فعلاجها خاص ، واذا كانت في الأسنان فعلاجها في تعديل وترميم الأسنان . . ، واذا كانت في الحنك المشقوق فالعلاج بخياطته وترقيعه جراحياً . . ، واذا كانت العلة في تعلم خاطىء للنطق أو لأسباب ولادية تتعلق بضعف أو ضخامة أو تقلص في اللسان والحنك والبلعوم فعلاجها يكون بـ « تمارين الكلام » Speech therapy . ولتمارين الكلام في يومنا هذا خبراء ومدرسون مختصون يعلمون الطفل فنون وأساليب نطق الحروف بالصورة الصحيحة باستعمال المرايا والاشارات والرقوق السينمائية والتلفاز والتسجيلات الجاهزة.

وهكذا نجد ان علاج اللثغة بالحقيقة لا يعتمد على العقاقير قطعاً وأن الأساس هو في معرفة موطن العاهة ومعالجتها أو بالتمارين الدؤوبة المتواصلة . واذا علمنا أن معاهد وخبراء تعليم النطق وتمارين الكلام محدودة وتكاد تقتصر على الدول المتقدمة حضارياً . . ، فاننا لن نستغرب أبداً إذا وجدنا الكندي (٨٠٠ — ٨٧٣م) قبل ألف ومئة عام لم يذكر أو لم يتصور إمكانية علاج اللثغة بالتمرين والتعليم المبرمج .

٤ — أما تأثير الطب الاغريقي — الروماني على علم واجتهادات الكندي فلا يمكن نفيها ، وتحتاج الى دراسة خاصة وتتبع دقيق لما ذكر عن الصوت واللغة والنطق في كتابات جالينوس وتراجم حنين بن اسحاق والجاحظ . ولكن رسالة الكندي تعتبر من الدراسات الجامعة الشاملة ذات الخصوصية العربية في هذا الموضوع .

فذلكة عن رسالة الكندي في اللثغة :

أفادنا الزميل البحاثة دكتور يوسف حبي عندما ذكر معلومات تفصيلية عن رسالة الكندي في اللثغة وغيرها ، وكيفية العثور على المخطوطة وعن كيفية نشرها (١١) أقتطف منها ما يلي :

(١١) يوسف حبي « الكندي في الباه واللثغة ، مجلة بين النهرين ، العدد ٢٨ ، ص ٣٥٥ ، ١٩٧٩ .

تعتبر رسالة الكندي في اللثغة أوسع واشمل وأدق دراسة طبية – لغوية في هذا الموضوع رغم أن هذا النوع من أمراض الكلام قد تناولها بالذكر الطبيب الاغريقي – الروماني جالينوس في دراسته للصوت ، وكذلك الجاحظ في فصل من كتابه (البيان والتبيين) عندما تطرق الى ذكر الحروف التي تتعرض للتحول والاختلاف في اللثغة .

وكانت رسالة الكندي ضمن المخطوطة الوحيدة في مكتبة أيا صوفيا في اسطنبول تحت الرقم (٤٨٣٢) . وقد نشرها الاستاذ الايطالي (جوزيبي تشيلنتانو) G. Celentano كملحق للمجموعة السنوية للمعهد الشرقي في نابولي عام ١٩٧٩ ، المجلد ٣٩ ، القسم الأول ، تحت عنوان :

Due Scritti Medici di AL-Kindi
Testo Della Risala Fi'l - Lutga
(Tavv. VIII - XI)

ويظن الناشر (تشيلنتانو) – وهو صاحب الفضل في التعريف بمجموعة من نصوص عربية قديمة أخرى – أنها الرسالة الوحيدة في اللغة العربية من هذا النوع عثر عليها ضمن المخطوطة المذكورة آنفاً . ثم إن الباحث (هيلميث ريتر) Hellmet Riter بدأ في عام ١٩٣٢ بالتعريف بمحتويات تلك المخطوطة الفريدة وفيها مجموعة كتب ورسائل ومقالات الكندي التي بلغت الثلاثين نشرت جميعها وأعيد نشر بعضها أكثر من مرة .

أما الأستاذ فؤاد سيزكين فقد أفاد أن كتب ورسائل الكندي في حقل الطب بلغت تسعة وثلاثين أشهرها (الأقرباذين) [١٢].

---

(١٢) المصدر السابق نفسه .

المراجع

1— BRAIN , Lord & WALTON, J.N. "Diseases of the nervous system" Oxford university press, oxford, (1969) .

2— BRAIN, Lord " Speech Disorders " . Butterworths : LONDON, (1965) .

3— MARTIN, F. Schwartz "Stuttering Solved ." Heinman : London, (1976) .

4— MORELY, Muriel E. "The Development and Disorders of Speech in childhood". Livingiston Ltd. : London, (1965)

5— VINKEN, P.J. & BRUYN, G.W. " Handbook of Clinical Neuro - ology". Vol. 4 John Wiley & Sons Inc. : New York , (1969)

6— WILSON, D. Kenneth "Voice Problems of Children". The Williams & Willins : Baltimore, (1972) .

★ ★ ★

الأَغلبُ العِجليُّ

حياته وشعره

الدكتور نوري حمّودي القيسي

كلية الآداب – جامعة بغداد

لم تكن دعوة التحرير التي قادتها جيوش الدعوة الاسلامية دعوة محدودة في اطار الجزيرة العربية، ولم يكن إيمان المحررين الذين حملوا مشاعل النور، وقدموا نفوسهم رخيصة في سبيل الله، ايماناً مجرداً، وانما كانوا يحملون العقيدة التي التي تتهاوى أمامها كل الادعاءات، وينشرون الفكر الذي لا تنتهي عند حدوده ابعاد، ولا تقف في رحاب مسيرته حوائل، وقد مهدت لهذه الدعوة ممارسة اصيلة، واسلوب تنظيمي متقن، واستعداد للتضحية مُهيّأ، وإيثار فريد، وايمان مطلق بقيادة الرسول الكريم الذي خلق في نفوس اصحابه من حب البذل وقدرة المجابهة وتحمل المسؤولية ما جعلهم قادة الاجيال وروّاد الفكر، وبناة الدولة، وبقيت هذه الافكار السمحة، والعقيدة المخلصة تتوقد في نفوس المحررين الذين خرجوا من الجزيرة ليعدوا للانسان كرامته، ويحققوا للجموع البشرية مجالها الرحب في الحياة، وصورتها المشرقة في العمل، ودورها الحضاري في البناء الثقافي. وقد سجل اولئك الابطال في اسفار التاريخ من خوالد الاعمال ما حفلت به الاخبار وتناقلته الاحداث حتى اصبح سيرة تقتدى ومنهجاً يُتّبَع، وصوتاً يُستجاب له. وقد سجل الشعراء الذين رافقوا تلك السرايا مواقف بطولية نادرة، وهم يدافعون عن الارض، ويسجلون وقائع الاحداث، ويبثون في نفوس المقاتلين روح العزيمة ويؤكدون فيها قدرة الثبات ونوازع الانتصار ويتركون في نفوس

اهالي الارض المحررة اطيب الاثر . فكان ابو محجن الثقفي والاغلب العجلي ومالك ابن الريب والمغيرة بن حبناء والصمــــة القشيري وعشرات الشعراء الذين ماتوا في مواقع الفتح واستشهدوا في ديار الغربة وكتب عليهم الموت وهم يصارعون قـــوى البغي ، ويدافعون عن كرامة الأمة ، ويرسمون لمستقبلها المشرق صورة الإنسان الجـــديد .

والاغلب العجلي يمثل هذه الصورة الجـــديدة التي حملت عطاء جيلـــين ، وكشفت عن طبيعة التوجه الذي ترسخت اصوله في نفوس المؤمنين ، طبعهم الاسلام بقيمه السمحة ، واكدّ في نفوسهم الأعراف العربية التي عاشت في حياتهم لوناً مميزاً ووجهاً مشرقاً وصورة فريدة . . والاغلب العجلي من الشعراء المغمورين الذين طمست معالم حياتهم ، وضاعت اصول شعرهم ، وتبددت فرائد اعمالهم التي قدموها عبر مسيرتهم الطويلة وهم يعاصرون اكبر دعوة في التاريخ ، ويشهـــدون اروع تغيير اجتماعي استهدفت مبادؤه اصول المجتمع وتحويل علاقاته الاجتماعية وبنائه السلوكي ، الى بناء يتفق مع مبادىء الدعوة ويحقق في ظلها دوره التاريخي ، ويقدم من خلالها ريادته ورسالته وتجمع المصادر التي وقفت عند ترجمته على انه ينتسب الى عجل بن لجيم وهو بالتالي من وائل الذين امتدت بهم رقعة السكن من اليمامة الى البصرة [1] وهو الذراع الشرقي لجزيرة العرب التي كانت تتحرك فوقها مجموعة من القبائل وتتناثر فوق ساحلها جحافل البطون العربية وهي تزرع الارض وفاءً ، وتتعامل معها تعامل الابناء البَررة الذين ظلوا أمناء عليها ، مؤمنين بقدرتها الكريمة . ومباركين لها كل عطاء إنساني خيّر . وقد بقي صوته القوي يجسد انتماءه الذي يعدّه مفخرة ، ويحقق شخصيته التي لا تجد لنفسها وجو إلاّ في حالة الانشداد الى القوم ، ولا ترى لوجودها ظلاً اذا لم يكن على صلة بك الناس الذين يشاركونه وحدة المصير ، ويؤمنون معه بالمهمة الجديدة التي بـــد يضطلعون بها لحماية الذمام والدفاع عن الحمى والخوض في اتون المعركة الحاسمة ولعل بدايته بالضمير نحن ، واسلوب مخاطبته بضمير الجماعة والتزامه بهذا الاحسا

---

(١) البغدادي . الخزانة ٣٣٣/١ - ٣٣٤

المتميز يؤكد حقيقة المشاعر الجماعية التي كانت تتعالى في نفوس هؤلاء الشعراء وهم يتحدثون عن الحرب ، والحرب لا يدخلها الانسان أعزل ، والحرب لا يقاومها الرجل الفرد ، وانما هي معركة فاصلة لا بد ان تتجمع فيها القوى ، ويتكاثر الاصحاب والاخوان ، وتتحد الكلمة لتصبح قوية ، ويتفق الجهد ليكون منتجاً ، ويتلاحم الشعور لينطلق قدرة مؤثرة .

نحن بنو عجل إذا احمَرَّ الحَدَقْ

ولَبِسَ الأبطال ما ذيُ الحَلَقْ

وثارَ للحرب عَجاج فسَمَقْ

نحمي الذِّمامَ حينَ لا يَحمي الفَرِق

فالجبان لا يمكن ان يدافع ، ولا يستطيع الحماية ، ولا تتهيأ له عوامل المقاومة ، وعندها يعزل عن المعركة ليتولاها القادرون ، ويخوض غمارها المؤمنون ، وينبري لصيانتها من كتب عليه ان يرتبط بالمصير الواحد والهدف المطلوب والغاية التي تحقق للجميع العز والرفاه ، والحق والحرية ، والمجد والكرامة .

والاغلب اسم عرف به مجموعة من الشعراء ولكنهم لم يدركوا شأو صاحبنا ولم يصلوا الى ما وصل اليه ، ولم تكتب لهم الشهرة التي ادركها هذا الشاعر ، فمنهم الاغلب الكلبي الذي ذكره الآمدي فقال « لم اجد له في اشعار كلب شعراً واظن شعره دُرس ، فلم يدرك » [1] ولعله من الشعراء القدامى الذين ضاع شعرهم ضمن من ضاع .

اما الاغلب الآخرفهومن الأزد الذي « انشد له بندارشعراً في معاني الشعر ولم يرَ له الآمدي – كما يقول – ذكراً في اشعار الأزد ويظنّه اسلامياً متأخراً [1] .

والاغلب العجلي عاش تسعين سنة واستشهد بنهاوند سنة (١٩ أو عشرين أو احدى وعشرين) [2] مع من استشهد وقبره فيها مع قبور الشهداء .

---

(١) البغدادي . الخزانة ١/٣٣٣ – ٣٣٤

(٢) البلاذري . فتوح البلدان /٣١٢ وسمط اللآلي ٢/٨٠١

ونهاوند لها في القلوب ذكرى ، وفي التاريخ مجد ، وفي امتداد الدعوة قدرة مؤمنة وعقيدة راسخة ، وتضحية نادرة ففيها قتل النعمان بن مقرن فأخذ الراية بعده ففتح الله عليه ، وعندما سمع عمر بن الخطاب (رض) باستشهاد النعمان وضع يدَه على رأسه وجعل يبكي وقال يجيب عثمان النهدي عندما قال قُتل والله في آخرين لا اعلمهم، فأجابه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ولكن الله يعلمهم[1]. وكان الاغلب مع الذين يعلمهم الله في وقعة ذلك الفتح الذي اطلق عليه فتح الفتوح..

إن استشهاده في فتح نهاوند يؤكد ان سبعين سنة من حياته قضاها قبل الهجرة، وهي سنوات مليئة بالاحداث ، زاخرة بالوقائع الا ان الضياع الذي لف حياته الأولى قد حرمنا من اشعاره التي قالها ، واخباره التي كانت امتداداً لحياة طويلة . لم نوفق الى تحديد ملامحها ، ولم نستطع الوقوف على بعض مظاهرها . ولكنها تؤكد ان التزامه بقضايا قومه كانت مسألة بارزة في حياته ، والانتصار لهم كانت مسألة اساسية فيها ، فقد خلد وقائعهم ، وسجل أحداثهم ، وشهد أيامهم ، وكانت (ذي قار) يوماً مجيداً من أيامه الخوالد التي أرخ فيها لقومه وهم يقاومون جبروت الدولة الفارسية، ويحققون لأمتهم اروع انتصار ، في اكبر معركة، توحدت فيها القبائل ، واتفقت فيها المشاعر ، وتحددت في اطارها مسؤولية الفرد والجماعة .

وعندما تعالى نور الإسلام، وبدأت بوادر الدعوة تشق دروبها في كل شعب من شعوب الجزيرة ، وبدأت سماحتها تغمر كل قلب من تلك القلوب ، كان الاغلب واحداً من اولئك الذين ادركوا الاسلام فاسلم وحسن اسلامه وهاجر [2] ، ولا بد ان تكون هجرته واحدة من تلك الهجرات التي حاول المسلمون الاوائل من خلالها أن يؤكدوا وفاءهم للدعوة، وايمانهم بها، وجهادهم من أجل استمرارها ، فكانت هجرة الحبشة وهجرة الرسول الكريم وهجرة الصحابة الاخيار الى المدينة ولم تحدد لنا هجرة شاعرنا وهذا ما ذهب اليه ابن حجر [3].

---

(١) البلاذري . فتوح البلدان /٣١٢

(٢) ابن قتيبة . الشعر والشعراء /٦١٧

(٣) ابن حجر . الاصابة ٥٦/١

وارجح ان تكون الثالثة . ولم تكن الأولى لان اسماء المهاجرين الاوائل معروفة ، وهي لم تكن الثانية ايضاً وربما كانت تمثل الاتجاه الاسلامي الذي كان يلتزم به كل المسلمين الذين يستجيبون للدعوة ويجدون بقاءهم في مواضع سكناهم لا يجديهم نفعاً ، لأن بقاءهم يدفع المشركين الى ايذائهم ، والنيل منهم ، والأغلب لم يكن من الشعراء الذين اوقفوا شعرهم للدعوة ، ولا ممن وظف شعره لنشرها أو الدفاع عنها أو مجابهة من اعترض سبيلها ، لاننا لم نجد في شعره ما يحقق ذلك ، وربما كانت له محاولات في هذا الباب الا ان شعره لم يصل الينا ، كما اننا لم نجد اسمه في عداد اولئك الشعراء الذين عرفوا بدفاعهم عن الدعوة ، والتزموا بمواقف المناهضة التي حمل لواءها شعراء الدعوة امثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وغيرهم . الا ان ذلك لم يمنع الشاعر من الانتقال الى الحياة الجديدة التي حمل اليها بقايا طبيعته الشعرية والمتمثلة في بعض اهاجيه التي يغلب عليها سمة الإقذاع[1] ، ومن الطبيعي ان تظل هذه الخصيصة ملازمة له بعد ان أمضى في الجاهلية حوالي سبعين سنة ترسخت في تقاليدها عاداته ، وتصلّبت تراكيب اساليبه ، وتحددت صيغ مضامينه .

والاغلب – كما تؤكد كل المصادر – راجز جاهلي اسلامي ، وهو احد المعمرين عمّر في الجاهلية، عمراً طويلاً وادرك الاسلام فحسُن اسلامه[2] وللاغلب عقب لم نقف على اخبارهم ،ولم تعرف احوالهم ، اشار اليهم في حديثه[3] عنه المرزباني فقال نقلاً عن الاصمعي : كان ولده يزيدون في شعره حتى افسدوه وقال الاصمعي :وكان من ولده انسان يصدق في الحديث والروايات ويكذب عليه في شعره[4] ، ولا بد ان تختفي وراء هذه المقولة امور كثيرة تتعلق بقدرة ابنائه على الشعر ، واعتزازهم بأبيهم ، وكثرة مفاخراتهم التي كانت تدفعهم الى هذا الموقف ، ومع هاتين المقولتين فاننا لم نقف على الطريقة التي كانت تتم بها

(١) الآمدي . المؤتلف والمختلف / ٢٣
(٢) البكري . سمط اللآلي ٢/٨٠١
(٣) المرزباني . الموشح /٢١٣
(٤) المرزباني . الموشح /٢١٣

زيادة ، والكيفية التي تستخدم بها .

والاغلب العجلي لم يكن الوحيد من الشعراء الذين صحبوا قوافل التحرير على الرغم من شيخوخته فقد كان هناك مجاميع أخرى ، لكن بداية هـذه الرحلة التي قطعها وهو في هذه السنّ تمثل ايمانه الذي دفعه الى ان يخرج من جزيرة العرب ويحمل في قلبه حبّ الدعوة ، ويطوي بين ضلوعه صدق الايمان المطلق ، ووجد في صفوف سعد بن ابي وقاص ، القائد المظفر أصحاباً مؤمنين ، رفعوا في ظلال الدعوة الوية التضحية ، ونزل مع من نزل الكوفة ، واتخذ منها سكناً له[1].

ويعد الاغلب ارجز الرجاز وأرصنهم كلاماً واصحهم معاني وقال ابن قتيبة هو اول من شبّه الرجز بالقصيد وأطاله وكان الرجز قبله انما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة ، اذا خاصم أو شاتم أو فاخر [2] وعـدّه ابن الاثير في اسد الغابة من الصحابة ، وقال ابن حجر في الاصابة نقلاً عن ابن قتيبة انه ادرك الإسلام فاسلم وهاجر ، ثم كان ممن سار الى العراق مع سعد نزل الكوفة واستشهد في وقعة نهاوند وقد استدركه ابن الاثير [3] وقال المرزباني في معجمـه هو مخضرم [4] ، والغريب ان ابن قتيبة لم يذكر هجرته كما نقلها صاحب الخزانة في الشعر والشعراء . وقال ابن سلام وكان مقدّماً يقال انه أول من رجز [5] وذكر صاحب الاغاني نقلاً عن ابن سلام انه اول من رّجز الاراجيز الطوال من العرب [6] ويبدو ان مسقطاً اصاب النص فجاء على هذه الهيئة ، وقد التفت الى ذلك محقق كتاب الطبقات في هامش الصفحة وقال ابن حبيب ، كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة ، وما جرى هذا المجرى ، فتأتي منه بأبيات يسيرة ، فكان الاغلب اول من قصّد الرجز ثم سلك الناس بعده طريقته [7] .

---

(١) البغدادي . الخزانة ١/٣٣٣
(٢) ابن قتيبة . الشعر والشعراء /٥١١
(٣) البغدادي . الخزانة / ٣٣٣
(٤) البغدادي . الخزانة ١/٣٣٣
(٥) ابن سلام . طبقات فحول الشعراء / ٧٣٧
(٦) ابو الفرج . الاغاني ٢١/٢٩
(٧) الاغاني ٢١/٢٩

ان هذه الاشارات التي وقفت عندها هذه الكتب ، وسجلها هؤلاء النقاد تمثل دلالة واضحة من دلالات قدرة هذا الشاعر على استخدام الرجز وتشبيهه بالقصيد والاطالة بنظمه ، وتطويره وفق الصيغة التي ارادها ، والشكل الذي رغب فيه ، وهذا يعني انه من اوائل الرّجاز الذين وجهوه وجهة جديدة ، ووضعوه في قالب مخالف لما كان عليه ، وفي ذلك تتجلّى قدرة هـذا الشاعر المتميز ، وتتضح براعته التي جعلت النقاد الاوائل يذكرونه بهذه الصفات ، ويدّعون له هذه الادعاءات .

لقد كان للشاعر موقف محدد من مسيلمة وسجاح تجسّد في هجائه المقذع لهما ، وقد حمل هذا الهجاء الآمدي على ان يقول « وله في المفاحشات ما ليس لشاعر [1]، ان ضياع ديوان الشاعـر قد حرمنا من خصائص شعره التي تميز بها ، ومع ورود بعض الاشارات التي تؤكد أن للاغلب العجلي ديواناً مكتوبـاً فقد مع كثير من دواوين الشعر التي فقدت فقد ذكرَه ابو الطيب اللغوي في كتاب الابدال وهو يعلق على نسبة قطعة من شعره .

كانت تميم معشراً ذوي كرم . .

فقال : وجدت هـذا الشعر للاغلب العجلي في ديوانه كما ذكره الجوهري [2] ونقل صاحب الخزانة حديثاً جرى عن شعره قال « فقد نسبه غيره الى الاغلب العجلي الراجز ، ورأيته انا في اول ديوانه [3] .

ولعلّ كتباً اخرى وقفت على الديوان ، واشارت اليه ، واخذت عنه ، الا ان العثورعليه لم يتحقق حتى وقتنا هذا وربما ستجود به الأيام ويقف عليه باحث أو محقق وقد اختفى في زوايا مكتبة مهجورة أو مجموع شعري أو خزانة كتب مـا تزال غير مفهرسة ، وعندها يصبح الحديث عن شعره متكاملاً ، والوقوف عنـد خصائصه حقيقة ، ودراسته مجالاً من مجالات الدراسة ، وبقيت اشطار الاستشهاد المنتزعة من الديوان منثورة في كتب اللغة والأدب يعتمدها المؤلفون في تأكيدشاهد ،

(١) الآمدي . المؤتلف والمختلف /٢٣
(٢) ابو الطيب اللغوي . الابدال ٢/٨٩
(٣) البغدادي . الخزانة ٢/٢٥٩

نتاج قاعدة أو تثبيت رواية ، أو دعم حجة ، وهي أدلّة تؤكد الحقيقة التي تؤيد اقتطاعها من قصائد ، وان بقيتها قد ظلت حبيسة الديوان الضائع ، المفقود الذي حمل مَضامين هذا الشاعر المبدع الذي قدّم للرجز العربي ؛ جديدة ولوناً فنياً متطوراً .

نّ ابداع الشاعر لم يقف عند حدود الرجز وانما توزع بين القريض والرجز ارته عندما سُئل عن نظمه الشعر كان جوابه :

أرجــزاً تريــدُ أم قصيداً . .

ولوجه باب هذين الفنين الشعريين ، وقدرته على التعامل معهما بنفس الروح المقدرة [1] وفي اجابته الثانية عندما قطع عنه العطاء تأكيد آخر عــلى فيهما عندما قال :

فقد سألت هيّناً مــوجــودا . .

سع ابن سلام الاغلب على رأس الطبقة التاسعة من الرّجاز وجاء بعده ابو العجلي والعجاج ثم رؤبة بن العجاج وهذا يعني تقدمه على طبقته ، وفضله ، ومنزلته في مقاييس ابن سلام ، واشار كذلك الى أنه كانت للاغلب يصعد عليها ثم يرتجز وقد اختار له اربع مقطعات . وفي كل هذه الدلائل واضحة على تقدمه ونبوغه وشهرته وفضله . ثم جاء بعده النقاد القدامى ا بفضله، وقدموه على غيره ، ومنحوه من الخصائص ما جعله في موضــع ، وبراعة وقدرة . وانّ هذا التقديم كان يستند في اقوالهم الى مجموعة من ط التي رفعته الى هذا المقام ، فالرجز له ابوابه واغراضه ، وله استعمالاته ، فهو نشيد الحرب ، واداة التحريك في كل عمل ، وعنصر الاستثارة معنى متحرك ، ووزن شعري سريع ، وجرس لفظي سلس . لأنه من العذبة التي يميل اليها السمع ، ويقبلها الحس . ولأنه يعتمد الثروة اللغوية اللفظي الذي يمدّ الشاعر بالنفس الطويل، والتمكن وفي اشارة القلقشندي كر فيها ما كان يحفظه الاغلب من أرجاز بلغت اربعة عشر الف ارجوزة [2]

الفرج . الاغاني ٣١/٢١

لقشندي . صبح الاعشى ٢٩٣/١

دليل على سَعة محفوظات الشاعر ، واشارة الى ما كان يدّخره من النصوص ، وهي بالتالي مادة جديدة ، وصور جاهزة ، والفاظ وافرة ، توفر عليه عناء البحث ، وتيسّر له سبيل القول ، وتقريب المآخذ التي كان يعالج بها موضوعاته .

لقد تميزت لغة الرجز عن غيره من الشعر بالغرابة ، وحوشي اللفظ وقد حمل ذلك ابا العلاء المعري على ان يسكنهم ناحية حقيرة من جنته في رسالة الغفران ، وقد احتج على ذلك بان الله يحب معالي الامور ويكره سفسافها وان الرجز من رديْ الشعر وسفسافه [1] . ومن الطبيعي ان يكون المعري حانقاً على الرجز السقيم الذي تتصارع فيه الالفاظ ، وتتجالد التراكيب ، وترتطم الصور حتى تكاد تتداخل من حيث مقارب الحروف ، أو تراكيب الدلالات . اما الرجز الذي كانت تتعالى منه المعاني العذبة . وتنساب فيه الصور الجميلة ، والمشاعر الرقيقة والصور المتحركة فكان لوناً آخر استخدمه العرب في ايامهم وسيرهم ، فجرى على السن الشعراء غناءً ، وتداولته النفوس باستحسان .

ولابد لي وانا اعرض لحياة هذا الشاعر من أن أؤكد الغرابة التي اعترت بعض اراجيزه وقد حملت هذه الغرابة بعض اللغويين على الابتعاد عن شعره . والتحرّج في روايته ، فالاصمعي الذي عرف بحفظه للشعر لم يحفظ له سوى ارجوزتين ونصف من التي على القاف [2] ، وامتنع خلف عن رواية شعره [3] .

اما ظاهرة اختلاط شعره بغيره من الرجاز أو الشعراء فهي مسألة طبيعيةيكاد يتفق فيهـــا الرجّاز لاسباب تتعلق بالشعراء انفسهم وبالشعر ذاته والتشابه في المعالجة والغرض والمناسبة واختيار الصور تشكل النقطة التي يلتقي عندها الرجاز ، وهذا ما جعل شعرهم تشابهاً تتدافع فيه النسبة ويختلف فيه الرواة فالعجاج ورؤبة وابو النجم ورشيد بن رميض ومنصور بن يحيى ودكين كلهم من الرجاز والشعراء الذين اختلطت اشعارهم ، واضطربت النسبة اليهم . وهذا ماجعل شاعرنا يتعرض

---

(١) ابو العلاء المعري . رسالة الغفران / ٢٩٨

(٢) البغدادي . الخزانة ٢/٢٥٨

(٣) المرزباني . الموشح /٢١٣

لمثل هذا الاختلاط الذي اوشك ان يُصبح صورة لكثير من مقطعاته. على ان هذه الظاهرة لم تحل دون الانتفاع من شعره والاستشهاد به في مواضع الاستشهاد لان اللغويين كانوا يجدون في شعره مادة غنية يعتمدونها في التدليل ويستخدمونها في مجال المعارضة ، ويرتكزون عليها في حالات المفاضلة .

ان هذه الدراسة القصيرة التي وقفت عندها وانا اجمع ما تشتت من شعره لا توضح البعد الحقيقي لحياته الطويلة التي استغرقتها شاعراً له قدرته ، ومجاهداً له فضله ، وشهيداً له ثوابه ولكنها محاولة تقدم للدارسين نموذجاً من اولئك الشعراء الذين لم يبتعدوا عن ضمير امتهم ، ولم يعيشوا بعيدين عن احداثها الكبار التي ظلت رمزاً من رموز الاعتزاز ، وصورة من صور الفخر . فكانوا روّاد فكر ، وحماة عقيدة ، ودعاة مجد مؤثل ، وستظل لمحات هؤلاء الشعراء ، والمضامين الاجتماعية والثقافية التي عبروا عنها تمثل التوجه الاجتماعي الذي كان المجتمع يشق طريقه اليها ، كما كانت اعمالهم واجهة فكرية واضحة ، ارتسمت من خلالها خطواتهم البناءة ، وتحدّدت في مجال اعمالهم اعلامها البارزة .

إن جمع رجز هذا الراجز يشكل اضافة اخرى الى اضافات العمل الحقيقي لتراث الامة الشعري ، كما انه يضيف علماً آخر من اعلام الشعراء الذين حملوا قدرهم مع قوافل التحرير ليمنحوا الانسان حرية الحياة وسلامة الوجود ، وقد أدّى دوره الكامل في اعز تضحية يقدمها وهي الاستشهاد في بقعة طاهرة سالت فوق روابيها دماء المحررين العرب ، وهم ينقذون ابناء العراق من عبودية المجوسية وسلطة الغدر التي كانت تمدّ سلطانها الى كل مجال لاخضاع البشر واستعباد النفس ، وطي معالم التحرير . وهو شهيد من اعداد كبيرة من الشهداء الذين حملوا الراية وأدّوا الامانة وحققوا لأمتهم الخلود ، ولعقيدتهم الوفاء والتضحية .

(١)

قال الاغلب العجلي :

١ – الحِلمُ بعدَ الجهلِ قد يؤوبُ (١)

---

(١)

١– في امالي اليزيدي ١٠٠ وفي الخزانة ١ : ٣٣٢ يثوب بدلا من يؤوب .

دليل على سَعة محفوظات الشاعر، واشارة الى ما كان يدّخره من النصوص، وهي بالتالي مادة جديدة، وصور جاهزة، والفاظ وافرة، توفر عليه عناء البحث، وتيسّر له سبيل القول، وتقريب المآخذ التي كان يعالج بها موضوعاته.

لقد تميزت لغة الرجز عن غيره من الشعر بالغرابة، وحوشي اللفظ وقد حمل ذلك ابا العلاء المعري على ان يسكنهم ناحية حقيرة من جنته في رسالة الغفران، وقد احتج على ذلك بان الله يحب معالي الامور ويكره سفسافها وان الرجز من رديْ الشعر وسفسافه [1]، ومن الطبيعي ان يكون المعري حانقاً على الرجز السقيم الذي تتصارع فيه الالفاظ، وتتجالد التراكيب، وترتطم الصور حتى تكاد تتداخل من حيث مقارب الحروف، أو تراكيب الدلالات. اما الرجز الذي كانت تتعالى منه المعاني العذبة، وتنساب فيه الصور الجميلة، والمشاعر الرقيقة والصور المتحركة فكان لوناً آخر استخدمه العرب في ايامهم وسيرهم، فجرى على السن الشعراء غناءً، وتداولته النفوس باستحسان.

ولابد لي وانا اعرض لحياة هذا الشاعر من أن اؤكد الغرابة التي اعترت بعض اراجيزه وقد حملت هذه الغرابة بعض اللغويين على الابتعاد عن شعره، والتحرّج في روايته، فالاصمعي الذي عرف بحفظه للشعر لم يحفظ له سوى ارجوزتين ونصف من التي على القاف [2]، وامتنع خلف عن رواية شعره [3].

اما ظاهرة اختلاط شعره بغيره من الرجاز أو الشعراء فهي مسألة طبيعيةيكاد يتفق فيهـــا الرجّاز لاسباب تتعلق بالشعراء انفسهم وبالشعر ذاته والتشابه في المعالجة والغرض والمناسبة واختيار الصور تشكل النقطة التي يلتقي عندها الرجاز، وهذا ما جعل شعرهم تشابهاً تتدافع فيه النسبة ويختلف فيه الرواة فالعجاج ورؤبة وابو النجم ورشيد بن رميض ومنصور بن يحيى ودكين كلهم من الرجاز والشعراء الذين اختلطت اشعارهم، واضطربت النسبة اليهم. وهذا ماجعل شاعرنا يتعرض

---

(١) ابو العلاء المعري. رسالة الغفران / ٢٩٨

(٢) البغدادي. الخزانة ٢/٢٥٨

(٣) المرزباني. الموشح /٢١٣

لمثل هذا الاختلاط الذي اوشك ان يُصبح صورة لكثير من مقطعاته. على ان هذه الظاهرة لم تحل دون الانتفاع من شعره والاستشهاد به في مواضع الاستشهاد لان اللغويين كانوا يجدون في شعره مادة غنية يعتمدونها في التدليل ويستخدمونها في مجال المعارضة ، ويرتكزون عليها في حالات المفاضلة .

ان هذه الدراسة القصيرة التي وقفت عندها وانا اجمع ما تشتت من شعره لا توضح البعد الحقيقي لحياته الطويلة التي استغرقها شاعراً له قدرته ، ومجاهداً له فضله ، وشهيداً له ثوابه ولكنها محاولة تقدم للدارسين نموذجاً من اولئك الشعراء الذين لم يبتعدوا عن ضمير امتهم ، ولم يعيشوا بعيدين عن احداثها الكبار التي ظلت رمزاً من رموز الاعتزاز ، وصورة من صور الفخر . فكانوا روّاد فكر ، وحماة عقيدة ، ودعاة مجد مؤثل ، وستظل لمحات هؤلاء الشعراء ، والمضامين الاجتماعية والثقافية التي عبروا عنها تمثل التوجه الاجتماعي الذي كان المجتمع يشق طريقه اليها ، كما كانت اعمالهم واجهة فكرية واضحة ، ارتسمت من خلالها خطواتهم البناءة ، وتحدّدت في مجال اعمالهم اعلامها البارزة .

إن جمع رجز هذا الراجز يشكل اضافة اخرى الى اضافات العمل الحقيقي لتراث الامة الشعري ، كما انه يضيف علماً آخر من اعلام الشعراء الذين حملوا قدرهم مع قوافل التحرير ليمنحوا الانسان حرية الحياة وسلامة الوجود ، وقد أدّى دوره الكامل في اعز تضحية يقدمها وهي الاستشهاد في بقعة طاهرة سالت فوق روابيها دماء المحررين العرب ، وهم ينقذون ابناء العراق من عبودية المجوسية وسلطة الغدر التي كانت تمدّ سلطانها الى كل مجال لاخضاع البشر واستعباد النفس ، وطي معالم التحرير . وهو شهيد من اعداد كبيرة من الشهداء الذين حملوا الراية وأدّوا الامانة وحققوا لأمتهم الخلود ، ولعقيدتهم الوفاء والتضحية .

(١)

قال الاغلب العجلي :

١ – الحلمُ بعدَ الجهلِ قد يؤوبُ [١]

(١)

١– في امالي اليزيدي ١٠٠ وفي الخزانة ١ : ٣٣٣ يثوب بدلا من يؤوب .

٢ – وفي الزمــانِ عَجَــبٌ عجيــبُ
٣ – وعبــرةٌ لو ينفــعُ التجريــــبُ
٤ – واللــبْ لا يشــقى بــه اللبيــبُ
٥ – والمرءُ مُحصىً ســعيُه مرقوبُ (٢)
٦ – يهرمُ او تعتاقُــهُ شــــعوبُ
٧ – وكــلُّ أقصــى ربضــه قريــبُ

(٢)

قال الاغلب العجلي :

١ – جاريــةٌ مــن قيسِ ابنِ ثَعْلَبَهْ
٢ – كَريمــةٌ اخــوالهــا والعَصَبَهْ
٣ – قبّــاءُ ذات سُــرَّةٍ مقعّبَــهْ
٤ – كأنّها حُقّةُ مِسْكٍ مُذهبهْ (١)
٥ – ممكورةُ الأعــلى رِداحُ الحجبَــهْ
٦ – كأ نّها حليــةُ سيف مذهبــه (٢)
٧ – اهوى لها شيخٌ شديــدُ العصبَــهْ
٨ – خاظي البضيــع ايــره كالخشبَــهْ (٣)
٩ – فضَرَبــت بالوَدِّ فــوقَ الارنبــه
١٠– ثــمَّ انثنتْ بــه فويقَ الرقبــه (٤)
١١– فانصرفَتْ وهي حصانٌ مُغضَبَــهْ
١٢– فأعلنــتْ بصوتهــا أنْ يــا أبــه
* ١٣– [كــلُّ فتاةٍ بأبيهــا مُعْجَبَــهْ]

٢– في حاشية امالي اليزيدي ١٠٠ أقصى بدلا من محصى .

(٢)

(١) القباء : الضامرة البطن ، المقعبة : السرة التي دخلت في البطن .
(٢) المكورة : المطوية ، الحجبة : رأس الورك .
(٣) الخاظي : المكتنز ، البضيع : اللحم .
(٤) الارنبة : طرف الانف .

(٣)

قال الاغلب العجلي :

١ ـ إذا لقيت واحداً مِنْ ضبّـــــهْ
٢ ـ . . . عشــراً في ســواء السّبَهْ
٣ ـ غمــزَ العبــاديِّ عفاصَ الدَّبّــهْ

(٤)

وقال الاغلب في الإبل :

١ ـ على قــلاصٍ يعمــلاتٍ قَــبِّ
٢ ـ وهُــنَّ يمصعــنَ امتصاع الأطبِ
٣ ـ مُتَّسِــقاتٍ كضلــوعِ الجنـبِ

(٥)

قال الاغلب يصف فحلاً :

١ ـ وهــو اذا جرجر بعــد الهبِّ (١)
٢ ـ جــرجــر في حنجرَةٍ كالحُــبِّ
٣ ـ وهامــةٍ كالمرجــلِ المنكــب

ـ واراد بجارية امرأة من االعرب اسمها كليسة كان بينهما مهاجاة .

٢ـ في التـــاج للزبيدي مادة (حلي) بيضاء بدلا من قباء ، مقببة بدلا من مقـبة .

٦ـ في المستقصي في امثال العرب للزمخشري ٢ : ٢٢٩ وفي اللسان (خلل) خلة بدلا من حلية .

٧ـ في المستقصى للزمخشري ٢ : ٢٢٩ غليظ الرقبة .

١٢ـ في فصل المقال للبكري ١٨٣ ورجعت من صوتها هيا أبه، وفي المستقصى للزمخشري ٢ : ٢٢٩ وصرخت منه وقالت يا أبه .

* الشطر كما ينسبه الميداني والزمخشري في امثالهما المجموعة الى العجفاء ويبدولي ان الاغلب ضمنه شعره تضميناً .

(٤)

٢ـ في المعرب مادة (مصع) عن التكملة جوانح يمحصن محص الاظب .

٣ـ في المعرب واللسان مادة (مصع) كاتساق .

(٥)

(١) في المغرب مادة (جلع) عود اذا جعجع .

٢ـ الجرجرة : الصوت والجرجرة تردد هدير الفحل .

(٦)

• قال الاغلب العجلي :

١ - كـأنّ صـوتَ نابـه الأذبّ
صريـفُ خطّافٍ بقَعْوٍ قَعْـبِ

(٧)

١ - ماضٍ امـام الركـب مـذلعبّ

(٨)

قال الاغلب :

١ - مـا زلت يوم البين الوي صَلبـي
٢ - والرأسَ حـتى صرْتُ مثّل الأغلب

(٩)

قال الاغلب العجلي :

١ - كمـذلعـبّ الفرسـك المهالب[1]

(١٠)

قال الأغلب :

١ - تخطـو عـلى خدَلّـجِ الانبوبِ[1]

= ٢- في جمهرة اللغة لابن دريد ١٥٣ جرجر في شقشقة

ينسب الصاغاني هذه القطعة خطأ الى دكين وهي للاغلب نظراً الاجماع الرواة عدا الصاغاني على نسبتها له ولغتها الشعرية تنسجم ولغة الاغلب في الصياغة .

(٦)

• يرويه الزبيدي في تاج العروس مادة (ذبب) الى الاغلب والى دكين ويقول انه موجود في اراجيزهما ، ويبدو لي ان الشعر للاغلب وليس لدكين .

(٧)

١- في اللسان عن التكملة للصاغاني مجلعب – مادة (ذلعب) .

ارى ان القطع ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ مع اشطار اخرى مفقودة تشكل قصيدة واحدة الا انني لم اهتد الى رواية تجمعها فآثرت ابقاءها على هيئتها . حرصاً على المنهج العلمي الذي التزمت به .

(٩)

(١) الفرسك : ضرب من الخوخ ليس ينفلق عن نواة

(١٠)

(١) الخدلجـة : الممتلئة .

(١١)

١ – أشرفَ ثدياهــا عــلى التريُّــبِ
٢ – لم يعــدوا التّفليك في النّتوُّبِ [١]

(١٢)

قال الاغلب :

١ – رُبَّ غُلامٍ قَدْ جرى في فِقْرَتِهْ
٢ – مــاءَ الشبابِ عنفــوانَ سَــنبته
٣ – أنْعَــظَ حتى اشتدَّ سَمُ سُمَّتِهْ

(١٣)

كان للاغلب سرحة يصعد عليها ثم يرتجز فقال :

١ – قَدْ عرَفَتني سَرْحَتــي فأطّتِ [١]
٢ – وقَدْ شَمِطْتُ بعدَهــا واشْمَطّتِ

(١٤)

قال الاغلب العجلي :

١ – كم بَعْدَهــا مِنْ وَرْطَةٍ ووَرْطَةِ
٢ – دافعها ذو العــرش بعــد وَبْطَتي
٣ – ودافَــعَ المكروهَ بَعْــدَ قَعْطَتي [١]

---

(١١)

(١) في تاج العروس مادة (نتب) التربب وهو تصحيف .

٢– في الحور العين ٩ والتنوب .

(١) التفليك من فلك الثدي .

والتريب : ما بين الثديين والترقوتين . والتتوب : النهود وهو ارتفاعه .

(١٢)

١– في معجم مقاييس اللغة ٢ : ٣٨٧ رأت غلاماً .

٢– في معجم مقاييس اللغة ٢ : ٣٨٧ شرته بدلا من سنبته ، وقد نون (عنفوان) بالرفع .

(١٣)

(١) الاطيط : صوت الجوف من الخواء وحنين الجذع .

(١٤)

(١) القعط : الشدة والتضييق يقال قعط فلان على غريمه اذا شدد عليه في التقاضي

(١٥)

١ ـ وتـــارة يكـــدُ أنْ لم يُجـــرَحْ

٢ ـ عرْعَرَةَ المتـــكِ وكينِ المشدَّحْ (١)

(١٦)

١ ـ بيـــن طريٍّ ســـملكٍ ومـــالـــح

٢ ـ ولُقّـــح وصامـــدٍ مجـــالـــح (١)

(١٧)

١ ـ تَخالُـــهُ مِـــن كَرْفِهِـــنَّ كالحا

٢ ـ وافْتَـــرَّ صابـــاً ونَشُوقَـــاً مالحـــا

(١٨)

١ ـ أبو عيالٍ يَكْدَحُ المَكادِحَا (١)

(١٩)

قال الأغلب العجلي :

١ ـ حَيّاكَةٌ عَنْ كَعْثَبٍ لم يُصْمِحِ (١)

(٢٠)

كتب عمر الى عامله: أنْ سل لبيدا والاغلب ما احدثا من الشعر في الإسلام؟

---

(١٥)

(١) المشدح : الحـــر

(١٦)

(١) ناقة صمدة وصمدة : حمل عليها فلم تلقح .

(١٧)

١ـ في تاج العروس (ملح) كربهن وهو تحريف .
اعتقد ان هذه القطعة جزء من قصيدة وصفية مفقودة فالوصف فيهذين الشطرين واقع لواحد منهما وقد تكون القصيدة لوحة صيد بقّي منه هذا الوصف الموجز لحركة واحدة من الحمار .

(١٨)

(١) يكدح لعياله ويكتدح أي يكتسب بهم .

(١٩)

(١) الحياكة : تمشي مفرجة بين ارجلها ، يصمح صماح العرق : الكريه الرائحة .

(٢٠)

فقال الاغلب :

١ — أرجَــزَاً تُريــدُ أم قَصيــدَا ؟
٢ — لقَدْ سَأَلْتَ هَيِّنــاً مَوْجــودا

(٢١)

قال الأغلب العجلي :

١ — لا يُحْسِــنُ التحميــضَ إلاّ سَرْدا

(٢٢)

قال الاغلب العجلي : (من البحر الطويل)

١ — فمَا تُرْبُ أثْرَى لو جَمَعْتَ تُرابَها
بأكثرَ مِن حَيّي نزارٍ على العَــدِّ

(٢٣)

قال الاغلب العجلي :

١ — قال لها في بعضِ ما يُسَطِّــرُهْ
٢ — وهي تنادي تَحْتَــهُ وتَــذْمرهْ
٣ — وهو شديــدٌ لفظُــهْ وذَكَــرُهْ
٤ — مَنْ يشتري سيفي وهــذا أثَــرُه

(٢٤)

قال الاغلب العجلي :

١— في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١١٣ أرجزاً سألت .
٢— في طبقات الجمحي ١١٣ فقــد وفي الاصابة ١ : ٢٦ وفي الخزانة ١ : ٣٣٧ وفي الفرائد الغوالي ١٢٩ لقد طلبت .
ورد الشطران بروايات مختلفة من حيث الترتيب . في امالي اليزيدي ١٠٠ وفي احدى روايتي الاغاني ٢١ : ٣٣ وفي الخزانة ١ : ٣٣٧ جاء في جميع هذه المصادر معكوساً فالصدر عجز والعجز صدر

(٢١)

١— التحميض : الاقلال من الشيء .

(٢٢)

١— اثرى : اسم موضع .

(٢٣)

١— في هامش فصل المقال ٥٥ قالت له في بعض ما تسطره .

١ ـ ما إنْ رأينا ملكا أغـــارا
٢ ـ أكثرَ منـه قِـرَةً وقـــارا [1]
٣ ـ وفارسـاً يَستَلِـبُ الهجـارا [2]

(٢٥)

قال الاغلب :

١ ـ بلَـتْ بـه عُـلا بطامِثَـرّا [1]
٢ ـ ضَخْـمَ الكراديـسِ وأى زِبَـرّا

(٢٦)

وانشد ابن بري للاغلب العجلي شاهداً على مال حَيَر بفتح الحاء أي كثير :

يا مَـنَ رأى النعمان كان حَيَرا
من كُلّ شـيء صالحٍ قد اكثرا

(٢٧)

وانشد ثعلب :

ثُمْـتَ خَلَـهُ المُمَـرّ الأسمرا
لو مَسّ جَنبي بـازلٍ لَجرْجرا [1]

(٢٨)

وله (للاغلب) :

١ ـ نحنُ جلَبنـا الخيـل مِنْ غوّارِ
٢ ـ شـوازبا يَقْـذِفْـنَ بالأمهـارِ
٣ ـ تَرْدي بنا طوامِـحَ الأبْصَـارِ

(٢٤)

(١) القرة والقار : الغنم .

(٢) الهجار : طوق الملك بلغة حمير .

(٢٥)

(١) المثر : كثير النكاح ، الأر : ايقاد النار .

(٢٧)

(١) اللسان : (جرر)

٤ – يحمِلْنَ تَحْتَ الرَّهَجِ المُثَارِ
٥ – كُلَّ كريم في الوغى مهصارِ
٦ – أهلِ النَّدَى والحِلْمِ والوَقارِ
٧ – كمْ فيهم من بطلٍ مِغْوارِ
٨ – أشْعَثَ قَدْ ليحَ مِنَ الغوارِ
٩ – تَنشَقُّ عَنْهُ ظُلَمُ الغمَارِ
١٠ – تَمَزُّقَ الليلِ عنِ النَّهَارِ

(٢٩)

قال الاغلب العجلي :

اذا انجلى فاثور عين الشمس (١)

(٣٠)

قال الاغلب العجلي : –

١ – كأنَّ تحتَ خُفِّها الوهاصِ
٢ – ميظبَ أكم نِيْطَ بالملاصِ (١)

(٣١)

قال الاغلب :

صَلْتَ الجبينِ ظاهرَ الشيراصِ (١)

(٣٢)

قال الاغلب :

١ – فهي على ما كان من نشاصِ

---

(٢٩)

(١) الفاثور عند العامة الطست . والبيت في اللسان (فثر) .

(٣٠)

(١) الوظب : الوطء ، الاملاص : الحبال المحكمة .

(٣١)

(١) الشرصتان : ناحيتا الناصية وهما ارقها شعراً .

٢ ـ بـظربِ الأرضَ وبـالـدلاصِ [١]

(٣٣)

قال الاغلب العجلي :

١ ـ اصبحت لايحمل بعضي بعضي
٢ ـ منفّهاً أروحُ مثلَ النقض
٣ ـ طول الليالي اسرعتْ في نفضي
٤ ـ حنين طولي وطوين عرضي
٥ ـ ثم انتحَيْنَ من عظامي مَخضي
٦ ـ اقعدْنَني من بعدِ طولِ نَهضي

(٣٤)

وقد فرق الاغلب العجلي بين الرجز والقريض .

أرجزاً تريدُ ام قريضا
كليهما أجِدُ مستريضا [١]

---

(٣٣)

(١) الدلاص . الملساء .

اعتقد ان القطع ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ تشكل مع اشطر مفقودة اخرى قصيدة في وصف الناقة الا اننا لم نعثر على سند او نص يقرر هذه الحقيقة لذا ارتأينا كتابتها على هذه الهيئة .

٣- في (المعمرون) للسجستاني ٨٧ إن الليالي ، وفي البيان والتبيين أرى الليالي ولم ينسبه لاحد. وفي الاغاني ٢١ : ٢٨ إن الليالي . وفي الخزانة ٢ : ١٦٩ على زعم الاعرابي انه من شوارد الرجز لا يعرف قائله وقد ورد على روايته : حر الليالي .

٤- في المعمرين ٨٧ وفي البيان والتبيين ٣ : ٥٨٦ وفي المقتضب ٤ : ١٩٩ - ٢٠٠ . أخذن بعضي وتركن بعضي . ونسب في المقتضب الى العجاج خطأ حيث تتبعت ديوان العجاج تحقيق عزة حسن صفحة صفحة فلم اجده له في شعره .

وفي شرح شواهد المغني ٢ : ٨١١ منقول عن شرح سيبويه للزمخشري طوين طولي وحنين عرضي . ، وفي شرح شواهد المغني ٢ : ٨١١ وخزانة الادب : ٢ : ١٦٩ نقضن كلي ونقضن بعضي ، وفي الخزانة رواية ابي محمد الاعرابي الذي يعتبره من شوارد الرجز لا يعرف قائله : طوين طولي وطوين عرضي .

٥- في الخزانة رواية ابي محمد الاعرابي ٢ : ١٦٩ : ثم التحين .

٦- في البيان والتبيين ٣ : ٥٨٦ النهض .

(٣٤)

(١) اللسان (قرض) .

(٣٥)

قال الأغلب العجلي يصف شابا جامع امرأة :

١ ــ لو أنّها لاقــت غلاماً طائـــطا

٢ ــ ألقى عليهـــا كَلْكَلاً عــلابــطا

(٣٦)

قال الأغلب فيما انشده ابو سعيد :

١ ــ طَلسةُ شـــيخٍ أرْسَحٍ زحَنْقَفِ[1]

٢ ــ لـــه ثنايـــا مِثْــلُ حَبِّ القَلْقَفَ

٣ ــ فبصرَتْ بناشـــيء مُهَفْهَـــفِ

(٣٧)

قال الاغلب العجلي :

١ ــ يـــا ربَّ حَرْبٍ ثــرَّةِ الأَحلافِ

(٣٨)

قال الاغلب العجلي :

١ ــ نحنُ بنو عجلٍ اذا احمرَّ الحَدَقْ

٢ ــ ولَبِسَ الأَبطالُ ماذيَّ الحَلَــقْ

٣ ــ وثـــارَ للحربِ عجــاج فَسَمَــقْ

٤ ــ نحمي الذمـــار حـــين لا يحمي الفَرِقْ

(٣٩)

قال الاغلب العجلي :

١ ــ المـــرءُ تَـــوَّاقٌ الى مـــا لم ينَـــلْ

٢ ــ والمـــوتُ يتـــلوه ويلهيـــه الأَمَلْ

(٤٠)

١ ــ وشَـــرُّ مـــا رامَ امرؤٌ مالم ينَـلْ[2]

---

(٣٦)

(١) قال ابو زيد : الزحنقف : الزاحف على استه .

(٤٠)

(٢) يضرب في طلب المتعذر .

(٤١)

١ ـ كُلُّ شيءٍ ما خلا جاري جَلَلْ

(٤٢)

١ ـ فالويلُ لو ينجيه قول الويلْ

٢ ـ يسعى بيدٍ وذيل (كذا) [١]

(٤٣)

قال الاغلب العجلي :

١ ـ إذا رأوا حَوْمَ المنا لم يرحلوا

٢ ـ اخرى ولم ينبوا ولم يهللوا

٣ ـ ياليتني اسالي يفعَلُ

٤ ـ ضرباً وطعناً او يموتَ الأعجلُ [٢]

(٤٤)

قال الاغلب العجلي :

١ ـ عهدي بقيس وهي من خير الأُمَمْ

٢ ـ لا يطأون قدماً على قَدَمْ [٣]

(٤٥)

قال الاغلب العجلي :

١ ـ ياربَّ شيخٍ مِنْ لَكيزٍ كَهْكَمِ [٤]

قَلّصَ عن ذاتِ شبابٍ خِدلِم [٥]

---

(٤٢)

(١) فانما اراد الرجل فجعل الذيل مكانه للقافية / ينظر مقاييس ابن فارس ٢ : ٣٦٦ .

(٤٣)

(٢) لفظه : ليتني وفلانا يفعل بنا كذا حتى يموت الاعجل / ينظر مقاييس ابن فارس ١ : ١٥٩ .

- في مقاييس اللغة لابن فارس ١ : ١٥٩ جاء هكذا : يا ليتني اسالي يفعل بنا كذا حتى يموت الأعجل

(٤٤)

(٣) اي هم رؤساء ليسوا اتباعا يطأون اعقاب غيرهم .

(٤٥)

(٤) الكهكم : الذي يكهكه في يده .

(٥) الخدلم : الممتلئة الساقين .

(٤٦)

قال الأغلب :

١ ـ فَبَصَرَتْ بِعَزَبٍ مُلأَمِ

٢ ـ فَأخذت من رادنٍ وكركم [1]

(٤٧)

قال الأغلب :

١ ـ ان قابل العرسَ تشكّى وخَضَم

(٤٨)

قال الأغلب :

١ ـ بعد شميم شاغفٍ وفَغْمِ [1]

(٤٩)

قال الأغلب العجلي :

١ ـ وواجهتْهُ بعظيم الحجم

أبيضَ رابي الربلتين ضَخْمِ

(٥٠)

قال الأغلب العجلي :

١ ـ خوارسٌ وحرشفٌ كالدِّيمِ

٢ ـ لا تتأنّى حَذَرَ الكُلُومِ

(٥١)

قال الأغلب العجلي :

---

(٤٦)

(١) الرادن : الزعفران .

٢- في مقاييس اللغة ٢ : ٥٠٥ وأخذت .

(٤٧)

اللسان (خضم) .

(٤٨)

(١) في اللسان (فغم) .

(٥١)

١ ـ ينفيهـم عـن كـَلأٍ غـمـّـيمِ
٢ ـ ضَربَ القُـدار نيقةَ القـديـمِ
٣ ـ يفرق بيـن النفـس والنسـيمِ (١)

(٥٢)

قال الأغلب العجلي :

١ ـ إنـّـا على التشواقِ منـا والحزَنْ
٣ ـ ممـا نَمُـدُّ للمـطيِّ المستفنْ
٣ ـ نسوقها سَنّاً وبعضُ السوقِ سَـنْ
٤ ـ حـتى نراهـا وكأَنَّ وكـأَنْ
٥ ـ أعناقُهـا ملـزَّزاتٌ فـي قـرَنْ
٦ ـ حـتى إذا قضوا لُبانـاتِ الشجنْ
٧ ـ وكلُّ حاجٍ لفـلانٍ او لهـن
٨ ـ قامـوا فَشدُّوها لمـّا يشقى الأَرن
٩ ـ ورحلوهـا رحلـةً فيها رعن (١)
١٠ـ حتـى أنخنـاهـا الى مَـنٍ ومَن

قال الأغلب :

(٥٣)

١ ـ فَبِتُ أمريهـا وادنـو للثّـنَـنْ
٢ ـ بقـازح الجلزمتيـنِ كالـرسـن

(٥٤)

قال الأغلب :

١ ـ ليـس مِنَ اللائـي تُسوَّى بالغَمَنْ

---

(١) اراد بالنفس جسم الانسان او دمه وبالنسيم الروح / ينظر التاج (نسم) .
(١) قوله رحلة فيها رعن أي استرخاء ولم يحكم شدها من الخوف والعجلة .

(٥٣)

- في اللسان (ننن) قاسم الجلزمتين ، الثنة : الشعرات التي في مؤخر رسغ الدابة .

(٥٥)

قال الأغلب العجلي يذكر وقعة يوم ذي قار :

١ – قـد علموا يـومَ خُنابـزينـا
٢ – إذْ مـالتِ الأَحيـاءُ مقبلينـا
٣ – إنـا بنـو عِجْـلٍ إذا لقينـا
٤ – نمنـع مِنّـا حـدٌّ مَنْ يَلينا
٥ – ما منـه قبـحُ فعلـه يـرينـا
٦ – [نحنُ منعْنـا جـوف والغينـا *
٧ – وقـد تدلّـى عِنبـا وتينـا]
٨ – أمـا الجبايـاتِ فقـد غشينـا
٩ – وقد ولجنـا جَـوف مُولِعينـا
١٠– بفاقـراتِ تحـتَ فـاقـرينـا
١١– يتركْنَ مـن ناحيـةٍ رهينـا
١٢– نقارعُ السـنينَ عـن بنينـا
١٣– الغمـرات حتـى ينجلينـا
١٤– ثَمّـتَ يَـذهبْـنَ ولا يَجينـا
١٥– لـو كُنّ صُـمّ جندلٍ يلينـا

(٥٦)

١ – فانطـحْ بفودي رأسـه الأركانا [1]

---

(٥٥)

٦– في معجم البلدان ٤ : ٨٩٥ نحن هبطنا بطن والغينا .

* البيت المتكون من الشطرين السادس والسابع وجدته منفرداً ولصلته الوثيقة بالقطعة ورنا وز وغرضا رجحت انه جزء من القصيدة قد شذ عنها فأثبته في هذا التسلسل وحصرته بين قوسين .

١٢– في ديوان العجاج رواية الاصمعي ٣٤ : يقاتل .

١٣– في شرح ديوان العجاج ٣٤ : (في الغمرات ثم ينجلينا) وفي معجم مقاييس اللغة ١ : ٤٥٥ (فغمرا وفي المقاييس ايضا ٤ : ٣٩٣ (الغمرات) وفي معجم ما استعجم للبكري ٤٠٥ (الغمـرات وفي المستقصى للزمخشري ٢ : ١٧٨ (والغمرات) وفي الاصابة ١ : ٥٦ (الغمرات) .

١٤– في الاصابة ١ : ٥٦ تذهبن ... تجينا وهو تحريف .

(٥٦)

(١) الفود : ناحية الرأس ، والفودان : قرنا الرأس وناحيتاه ، ويقال بدا الشيب بفوديه .

(٥٧)

قال الأغلب العجلي يصف فرساً :

١ – أغرُّ من خيلِ بني ميمونِ
٢ – بين الجميليات والحرون [١]

(٥٨)

قال الأغلب العجلي :

١ – فيا شمالي زاوجي يميني
٢ – وإنْ كرهْتِ عشرتي فبيني
٣ – فإنما يُضنُّ بالضَّنينِ [١]

(٥٩)

قال الأغلب العجلي :

١ – اقبلَ في ثوبٍ معافريٍّ [١]
٢ – بين اختلاطِ الليلِ والعشيِّ
٣ – ماضٍ إذا ما همَّ بالمضيِّ
٤ – قال لها : هلْ لكِ يا تا فيِّ
٥ – قالت له : ما أنتَ بالمرضيِّ •

---

(٥٧)

(١) جميل فرس لبني عجل من نسل الحرون .

٢– في التاج مادة حمل (الحميليات) وهو تصحيف بين

(٥٨)

(١) ومعناه : تمسك بإخاء من يتمسك باخائك ، وشر الناس صحبة والأمهم اخاه من يرى لنفسه من الحق ما لا يرى عليها .

(٥٩)

(١) المعافري : حي من همدان تنسب اليهم الثياب المعافرية ، والماضي الذي لا يتوانى ولا يكل في امر اذا هم به .

٤– في الخزانة ٢ : ٢٥٨ يا ناقي وهو تصحيف بين .

• يقول : قال لها ذلك الرجل الماضي بلب هذه المرأة هل لك رغبة في قالت له لست بالرضي فيكون لي رغبة فيك .

(٦٠)

قال الأَغلب في سَجاحِ لما تزوجت مسيلمة الكذاب :

١ – قد لقيتْ سَجاحِ من بعدِ العمى
٢ – تاح لها بعدكَ حِنزابٌ وزى
٣ – مُلوَّحاً في العينِ مجلوزَ القَرا
٤ – مثلَ الفنيقِ في شبابٍ قد أنى
٥ – مِنَ اللجيميّين اصحابِ القُرى
٦ – ليسَ بذي واهنة ولا نسا

(٦٠)

١ – في الاغاني ٢١ : ٣١ اقد في مختار الامالي ٢ : ٣٧ لقد . في اللسان مادة ـ وزى ـ قد ابصرت . في التاج مادة – حنزب – قد ابصرت .

٢ – في التاج مادة – وزى – عن القالي : قد علقت بعدك حنزاباً وزى .

٣ – في الاغاني ٢١ : ٣١ مثل العتيق وفي مختار الاغاني ٢ : ٣٧ مثل فنيق .

٧ – في الأغاني ٢١ : ٣١ ومختار الاغاني ٢ : ٣٨ نشا بلحم وفي تاج العروس – حنزب – دام له خبز ولحم ما اشتهى .

٨ – في طبقات الجمحي ٥٧٤ تنتح .

١٢– في توجيه اعراب ابيات ملغزة الاعراب ١٠٤ عضوه . وفي فصل المقال ٢٢٠ عرق فعله .

١٤– في طبقات الجمحي ٥٧٤ له حسا . وفي الاغاني ٢١ : ٣١ وفي المختار ٢ : ٣٨ – خمس زكا .

٢٠– في الاغاني ٢١ : ٣١ والمختار ٢ : ٣٨ كأن في اجلادها .

٢٢– في جمهرة العسكري ٢ : ١٨٥ والحلف ، وهو تصحيف وتحريف .

٢٣– في اضداد ابي الطيب اللغوي ١ : ٣٨٧ – لما رأى من فرجها ما قد ترى .

٢٤– في الاغاني ٢١ : ٣١ قال الا أدخله . وفي جمهرة العسكري ٢ : ١٨٥ (قلت) في سطري البيت وفي كتاب فصل المقال ٢٢٠ (قال الا ألجمه ؟) وفي المختار ٢ : ٣٨ (ادخله) .

٢٦– في جمهرة العسكري ٢ : ١٨٥ تقول . وفي مستقصى الزمخشري ٢ : ٢٩٦ تقول وكذلك في المختار ٢ : ٣٨ .

٢٧– في جمهرة العسكري لمثل ذا ٢ : ١٨٥ احسيك وفي المستقصى ٢ : ٢٩٦ وفي المختار ٢ : ٣٨ احسيك .

٢٨– في جمهرة العسكري ٢ : ١٨٥ يبرى لها كبناً وهو تصحيف ظاهر .

٣١– في جمهرة العسكري ٢ : ١٨٥ تنطف في فصل المقال ٢٢٠ عينه بمثل المصطكى

قال ابن سلام عن الاصمعي (ان هذه القصيدة في الجاهلية لجشم بن الخزرج) وهذا وهم لان زواج مسيلمة في صدر الاسلام .

٧ – نشا بخبـزٍ وبلحـمٍ مـا اشتهى
٨ – حـتى شـتا ينتـح ذفـراهُ الندى
٩ – خاظي البضيـع لحمُـهُ خظابظـا
١٠– كأنمّـا جُمّـعَ من لحم الخُصَى
١١– إذا تمطّى بين بُردَيـه صَـأى
١٢– كأَنَّ عرقَ ايـرهِ اذا ودى
١٣– حبلَ عجوزٍ ضَفّـرَتْ سبع قوى
١٤– يمشى عـلى قوائـمٍ لـه زكـا
١٥– يرفـع وسطاهُنَّ مـن بـردِ الندى
١٦– قالت : متى كنت ابا الخير . متى ؟
١٧– قال : حديثـاً ، لم يغيرْنـي البـلى
١٨– ولم أُفارقْ خُلّـةً لي عـن قِلى
١٩– فانتفشَتْ فَيشَتُـهُ ذاتُ الشـوى
٢٠– كأنَّ فـي أجيادهـا سبع كُـلى
٢١– مـا زال عنهـا بالحديثِ والمنـى
٢٢– والخُلُقُ السفسافُ يردي في الردى
٢٣– قـال : الا تريْنَـهُ قالـت أرَى
٢٤– قال : الا أُشيمُهُ ؟ قالـت : بـلى
٢٥– فشـامَ فيها مثلَ محراثِ الغضـا
٢٦– يقول : لمـا غابَ فيـها واسـتوى
٢٧– لمثلها كنتُ أُحسيكِ الحُسَـا
٢٨– يبـرى لها كينا كأطرافِ النـوى
٢٩– وقد تطلّتْ حين هَـمَّ وادّنـى
٣٠– مـن طيبِ مصانَ الذي كان اشترى
٣١– تقذفُ عينـاه بِعِلْـكِ المُصْطَكى

(٦١)

قال الأغلب العجلي :

١ – قد سرني الشيخ الذي ساء الفتى

٢ – اذ لم يكن ما ضم امساد الغفى *

★ ★ ★

الشعر الذي يُنسَبُ له ولغيره

(١)

وأنشد للأغلب :

١– إذا تخازرت وما بي من خزرْ

٢ – ثم كسرْتُ الطرف من غير صورْ

٣ – وجدتني ألوي بعيدَ المستمر

٤ – احملُ ما حملتُ من خير وشرْ

٥ – أبذا اذى بوذيت من كلْبٍ ذكر

٦ – اسودَ فزّاحٍ يعويِّ في السّحرْ

(٢)

قال الأغلب العجلي :

١ – أعابرانِ نحنْ في العبّارِ

---

(٦١)

* اعتقد ان هذا البيت هو جزء من المقصورة السابقة – ٥٤ – لكني لم اهتد الى تسلسلها فيها فأوردته على حاله حرصاً على الامانة العلمية .

(١)

٢– في حيوان الجاحظ ٢ : ٢٨٠ (كسرت العين) وينسب محقق الكتاب الاستاذ عبدالسلام محمد هارون القطعة لعمرو بن العاص ، واعتقد أن القطعة للأغلب اعتمادا على رواية ابي محمد (ابنالاعرابي) التي استشهد بها الجواليقي في (شرح ادب الكاتب) ص ٣٢١ ، حيث قال :– قال ابو محمد « وتأتي تفاعلت بمعنى اظهارك ما لست عليه مثل تغافلت وتجاوزت) وأنشد للاغلب .

(٢)

١– في اضداد ابي الطيب اللغوي : أغابران .... الغبار – وقد نسبها للاغلب العجلي وفيها تصحيف . وقد وجدتها في ديوان العجاج رواية الاصمعي بتحقيق الاستاذ عزة حسن ، فهي للعجاج وليست للاغلب وتسلسل هذين الشطرين في الديوان (٢٧ ، ٢٨) ص ٨٧ .

٢ ــ أم غابــرانِ نحــنُ فــي الغُبّار

(٣)

قال الأغلب العجلي :

١ ــ أرجــزاً تريــدُ ام قــريضــا
٢ ــ ام هكــذا بينهمــا تعــريضــا
٣ ــ كلاهمــا اجيــد مســتريضــا

(٤)

* قال الأغلب العجلي يذكر يوم الزورَين :

١ ــ إنْ سَرّكَ العزّ فجخجخْ بجُشَمْ [1]
٢ ــ أهــلِ النبــاة والعديــدِ والكــرم
٣ ــ جاؤوا بزَوْرَيهــم وجئنــا بالأَصَمْ [2]
٤ ــ شيخ لنا كالليثِ مــن باقي إرم
٥ ــ قد كدمَ الشيبُ قفاه فكــــدم
٦ ــ شيخ لنا معاودِ ضَرْبَ البُهَــمْ
٧ ــ مؤيدِ الخلْــقِ إذا هَــمَّ عزَمْ

---

(٣)

في اللسان (روض) ينسبها خطأ لحميد الأرقط بينما ينسبها التبريزي في كتاب شروح سقط الزند ٢ : ٦٧٧ الى الأغلب ، ونسبها الاغلب ايضا الطوسي في تفسير التبيان ٧ : ٢٠. وارجح نسبتها للاغلب لما لها من علاقة بقصة الشاعر مع الخليفة عمر بن الخطاب (رض). ويجعلها الدكتور علي جواد الطاهر من ضمن شعر الاغلب .

(٤)

(١) فجخجخ : ناد فيهم وتحول اليهم ، أو ادع بها تفاخر معك .

(٢) وهذا الرجز يقوله في يوم الزويرين حرب كانت بين بكر وتميم. وقوله وجئنا بالاصم يعني رئيسهم يومئذ ابا مفروق عمرو بن قيس بن عامر الشيباني ، كان يلقب بالاصم، وانهزمت يومئذ تميم لا يلوي والد على ولد واخذت بكر الزويرين / ينظر السمط ٢ : ٨٠١ .

والزورين : قال ابو عبيدة وهما بكران مجللان قد قيد وهما وقالوا هذان زورانا اي الاهانا حتى يفرا / ينظر شرح القصائد السبع شرح الانباري ص ٤٩٢ .

وقد اكثر الشعراء في هذا اليوم (الزويرين) لا سيما الاغلب العجلي فمن ذلك ارجوزته التي اولها :- إن ســرك العز فجخجخ بجشم / ينظر الكامل لابن الاثير ١ : ٦٠٦. =

٨ ـ يُمكِّنُ السيف إذا الرمحُ انفصمْ
٩ ـ كهمّــةِ الليث إذا ألليث هَــمْ
١٠ـ فدىً لــه من طالبٍ خالي وعــم
١١ـ إذ ركبت ضبّةُ اعجــازَ النّعَــمْ
١٢ـ فلم تدعْ ساقــاً لها ولا قَــدَمْ
١٣ـ ولّوا ســلالاً واتقونــا بالحُــرَمْ

* في القصيدة ـ ٤ ـ اضطراب واختلاف كبير في مصادر تخريجها من حيث النسبة وترتيب الابيات واختلاط قسم من ابياتها مع ابيات لشعراء اخرين .

ففي الاغاني طبعة دار الثقافة ١٥ : ١٩٩ تنسب بعض الابيات التي اوردها ابن الشجري في قصيدة الاغلب الى رشيد بن رميض العنزي ، كذلك الحال عند التبريزي في شرحه لحماسة ابي تمام ١٨٤ ـ ١٨٥ واكد تلك النسبة لرشيد البصري في حماسته ٢١٧ . وهذه رواية الاغاني للقطعة المختطلة مع قصيدة الاغلب ، والشطر الثامن من حماسته ابي تمام .

١ ـ هــذا اوأن الشــد فاشتدي زيــم
٢ ـ ليــس بــراعــي ابــل ولا غنــم
٣ ـ ولا بجزار عــلى ظهــر وضــم
٤ ـ نــام الحــداة وابــن هند لم ينم
٥ ـ بانــت يقاسيها غــلام كالــزلــم
٦ ـ خــدلــج الســاقــين خفاق القــدم
٧ ـ قــد لفهــا الليــل بســواق حطــم
٨ ـ مــن يلقنــي يــود كـا أودت إرم

وابن الشجري في حماسته ١ : ١٤٤ ضم بعضاً من هذه الابيات الى قصيدة الاغلب العجلي .
وقد ارتأيت حذفها من القصيدة لاجماع الرواة عداه على نسبتها لرشيد بن رميض العنزي كما ان القصة التي رواها صاحب الاغاني حول ابن هند وغزوته لليمن والقصيدة قيلت فيه تؤكد نسبتها لرشيد لا الى الاغلب .

ويروي ابو الطيب في كتاب الابدال ٢ : ٨٩ عن ابي عبيدة ان قسما من ابياتها يعود الى يحيى ابن منصور ، وهذه هي الابيات حسب رواية ابي عبيدة :ـ

١ ـ كانــت تميــم معشــراً ذوي كــرم
٢ ـ غلصمــة مــن الغلاصــم العــظم
٣ ـ مــا جنبــوا ولا تــولــوا من أمــم
٤ ـ قــد قابــلوا أو ينفخــون في فحــم
٥ ـ جــاؤوا بزوريهــم وجئنــا بالأصــم
٦ ـ شــيخ لنــا كالليــث مــن باقي ارم
٧ ـ شــيخ لنــا معــاود ضــرب البهــم

=

١٤– واستمطروهـــا ديمــاً بعد دِيَـمْ

١٥– يومــاً فجاءتهـــم شآبيــب بــــدم

١٦– كانـــت تميـــم معشرا ذوي كرم

١٧– غلصمة من الغلاصيــم العــــظم

١٨– هل غيرُ غار صلكَ غاراً فانهزم

١٩– قد قاتلوا لو ينفخـــون في فحـــم

٢٠– وصبروا لو صبروا على أمَـــمْ

= ويعترض ابن بري على رواية ابي عبيدة فيقول « وقد وجدت هذا الشعر للاغلب في ديوانه كما ذكره الجوهري » / ينظر الابدال لابي الطيب اللغوي ٢ : ٨٩ وعند تثبيت القصيدة معزوة الى الاغلب أخذتها برواية ابن بري لانه قرأ ديوان الاغلب واطلع عليه بنفسه ووجد تلك الابيات له . اما ما خالف رواية ابن بري وجاء على رواية ابي عبيدة فقد احترزت من نسبته للاغلب واعتبرت رواية ابي عبيدة ونسبته تلك الابيات الى يحيى بن منصور قد تكون سليمة لانه في النقائض يجوز تتبع ابيات الشاعر وتثبيتها في نقيضتها مع الرد وهذا ما وقع ليحيى فيجوز انه تتبع ابيات الاغلب وثبت نقيضها من نظمه . والتضمين في الشعر جائز .

وفي الختام اعتقد ان القصيدة رقم – ٤ – بجميع ابياتها المثبتة من (١ – ٢٠) تعود للاغلب العجلي لاجماع الرواة على نسبتها له . اما ما خالفها حسبما جاء في رواية ابن الشجري فهي ليست له ، وكذلك بعض الابيات على رواية ابي عبيدة هي ليست لم ايضاً بل ليحيى بن منصور .

١ – في الشعر والشعراء ٦١٧ وفي الكامل ١ : ٦٠٥ فجحجح .

٣ – في النقائض شرح ابي عبيدة ١ : ٢٥٩ ساقوا زويريهم ، وفي العقد الفريد ٥ : ٢٠٧ جاؤوا بزوربهم ، وفي شرح القصائد السبع للانباري ٤٩٢ جاؤوا بشيخيهم ، وفي حماسة ابن الشجري ١ : ١٤٤ جاؤوا بشيخيهم) وفي الكامل ١ : ٦٠٦ بزويريهم .

٤ – في العقد الفريد ٥ : ٢٠٧ لنا قد كان من عهد ارم . وفي شرح الانباري للقصائد السبع الطوال ٤٩٢ شيخ لنا كان على عهد ارم . وفي فصل المقال ٨٤ شيخ قـديم المهد من عهد ارم وفي سمط اللالي ٢ : ٨٠١ شيخ لنا قد كان من عهد ارم .

٦ – في حماسة ابن الشجري ١ : ١٤٤ قتل البهم .

٨ – في العقد الفريد ٥ : ٢٠٧ فكر بالسيف . وفي الكامل ١ : ٦٠٥ يضرب بالسيف . وفي السمط ٢ : ٨٠١ يكر بالسيف اذا الرمح انقصم يكر بالرمح اذا الرمح انحطم .

١٧– في العقد الفريد ٥ : ٢٠٧ والابدال ٢ : ٨٩ واللسان والتاج (غلصم) غلصمة من الغلاصم .

١٨– في اللسان رقم ، هل غير غار هد غارا فانهدم .

١٩– في فصل المقال ٨٤ نفختم لو تنفخون في فحم، وفي شرح الصولي لديوان ابي تمام ٣٥٠ وماتلوا

(٥)

قال الأغلب العجلي :

١ – عنـد الصباحِ يحمدُ القومُ السُّرَى[1]

– تخريج القصائد والقطع –

– ١ –

من ١ – ٧ في المؤتلف والمختلف ٢٣ . والاشطار من ١ – ٦ في هامش كتاب الامالي لليزيدي ص ١٠٠ وفي خزانة الادب ١ : ٣٣٣ .

– ٢ –

الاشطار (١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣) في المستقصي ٢ : ٢٢٨ – ٢٢٩ منسوبة للعجفاء بنت علقمة خطأً . والشطران (١ ، ٢) في المقتضب ٢ : ٣١٥ في المتن والحاشية وفي اللسان مادة (ثعلب) . والاشطار (١ ، ٣ ، ٤ ، ٦) في التاج مادة (خلل ، حلي) . والشطران (١ ، ٣) في ضرائر الشعر ١٦٥ وفي التاج مادة قعب . والشطر (١) في الكتاب لسيبويه ٣ : ٥٠٥ .

والاشطار من (٢ – ١٣) عدا الشطر (١١) في الخزانة ١ : ٣٣٢ . والاشطار (١١، ١٢، ١٣) في فصل المقال١٨٣ وينسبها مرة للاغلب واخرى للعجفاء خطأً.

---

(٥)

(١) ذكر ابو عبيدة أن هذا المثل للاغلب .

وقال محمد بن حبيب وغيره من علماء البصريين ان اول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث اليه ابو بكر رحمه الله وهو باليمامة أن سر الى العراق ... وفي الليلة الرابعة من المسير قال رافع بن عمير الطائي : انظروا هل تروا سددا عظيما ، ما إن رايتموها والا فهو الهلاك – وبعد رؤيتها تجمعوا على الماء فقال خالد : –

١ – لله در رافـع أنـى اهتـدى
٢ – فـوز مـن قـراقـر الـى سـوى
٣ – خمسـاً اذا صـار بهـا الجيش بكى
٤ – مـا سـارها مـن قبلـه إنس يرى
٥ – عند الصباح يحمـد القـوم السـرى
٦ – وتنجـلي عنهـم غيابـات الكـرى

اعتقد ان المثل للاغلب لاشتهاره بالامثال والحكم لا سيما في اخريات حياته ويجوز ان يكون خالد قد ضمنه القطعة التي رواها ابن حبيب .

والشطر (١٣) في جمهرة الامثال للعسكري ٢ : ١٤٢ وينسبه للعجفاء وفي امثال الميداني ٢ : ١٣٤ وينسبه للعجفاء ايضاً .

— ٣ —

الاشطار كلها في الوحشيات ١٩٧

— ٤ —

الشطران (١ ، ٣) في المعاني الكبير ٥٣ ، والشطران (٢ ، ٣) في المعرب واللسان (مصع) .

— ٥ —

الاشطار (١ ، ٢ ، ٣) في جمهرة ابن دريد ١٥٣ وفي المعرب (جلع) واللسان (جرّ ، جرر) وبين روايتي المعرب واللسان اختلاف وتنسب في المعرب برواية الصاغاني لدكين وهو وهم .

والشطران (٢ ، ٣) في معجم مقاييس اللغة (جرّ) .

— ٦ —

الشطران في التاج لمادة (ذبب) وينسب ايضا لدكين .

— ٧ —

الشطر في اللسان مادة (ذلعب) ويرويه الصاغاني ببعض الاختلاف وينسبه لدكين

— ٨ —

الشطران في جمهرة اللغة لابن دريد ٣١٨ وفي البارع في اللغة ٢٧٣ .

— ٩ —

الشطر في التاج مادة (فكّ)

— ١٠ —

الشطر في خلق الانسان ٣٢١

— ١١ —

الشطران في الحور العين ٩ وفي اللسان (ترب) وفي التاج (نتب) الشطر الاول (١) في مقاييس اللغة ١ : ٣٤٧ .

— ١٢ —

الاشطر (١ ، ٢ ، ٣) في اللسان (صرى) والشطران (١ ، ٢) في مقاييس اللغة ٢ : ٣٨٧ .

— ١٣ —

البيت بشطريه في طبقات ابن سلام ٥٧٢ وفي المعرب شمط وفي الاغاني ٢١ : ٣٢

— ١٤ —

الاشطر (١ ، ٢ ، ٣) في اللسان (مقط) والشطر (٣) في المعرب (قعط) .

وقال في اللسان (أطط) قال الاغلب وذكر الشطر الاول وقال : قال ابن بري هو للراهب واسمه زهرة بن سرحان وسمى الراهب لانه كان يأتي عُكاظ فيقوم الى سرحة فيرجز عندها ببني سُليم قائماً فلا يزال ذلك دأبه حتى يصدر الناس عن عكاظ وكان يقول وذكر الشطرين .

— ١٥ —

الشطران في تاج العروس مادة (شدح)

— ١٦ —

البيت بشطرين في المعرب — صمد —

— ١٧ —

البيت في المعرب (كرف) وفي اللسان والتاج (ملح)

— ١٨ —

الشطر في اللسان (كدح)

— ١٩ —

الشطر في حيوان الجاحظ ٢ : ٢٨٠ وفي كتاب خلق الانسان ٢٩٥

— ٢٠ —

ورد الشطران مختلفين من حيث الترتيب فالشطر (١ ، ٢) في طبقات ابن سلام ١١٣ وشرح القصائد السبع للانباري ٤٩٢ وفي رواية ثانية للاغاني ٢١ : ٣٣ وفي الاصابة ١ : ٢٦ وفي الفرائد الغوالى ١٢٩ . والشطران (١ ، ٢) في امالي اليزيدي ١٣٧

١٠٠ وفي الاغاني ٢١ : ٣٣ وفي الخزانة ١ : ٣٣٧ .

— ٢١ —

الشطر في اللسان مادة (حمض)

— ٢٢ —

البيت في التاج مادة (ثرى)

— ٢٣ —

الاشطر (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) في المستقصى للزمخشري ٢ : ٣٦٣ . والشطر (٤ ، ٥) في فصل المقال المتن والهامش ٢٢٠ .

— ٢٤ —

الاشطار (١ ، ٢ ، ٣) في السمط ٢ : ٩٣٦ وفي المعرب واللسان (وقر ، قور ، هجر) والشطران (١ ، ٢) في المعاني الكبير ٤٧٥ ومقاييس اللغة ٥ : ٨٠ وفي المخصص ٧ : ١٣٣ وفي اللسان والتاج (انن) و (وكر)

— ٢٥ —

الشطران في مقاييس اللغة ١ : ١٢ وفي المعرب (أرَّ) واللسان (أرر)

— ٢٦ —

الشطران في اللسان (حير)

— ٢٧ —

الشطران في اللسان (جرر)

— ٢٨ —

الاشطار باجمعها من (١ — ١٠) في الحماسة الشجرية ١ : ١٤٦ ومنه اخذ عمر فروخ في كتابه تاريخ الادب العربي ٢٧٤ .

— ٣٠ —

الشطر في اللسان (فثر)

— ٣١ —

الشطر في اللسان (شرص)

— ٣٢ —

الشطران في المعرب واللسان مادة (دلص)

— ٣٣ —

الاشطر (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) في شرح شواهد المغني عن شرح الزمخشري لكتاب سيبويه ٨١١. والاشطار نفسها في الخزانة رواية ابن الاعرابي اعتبرها من شوارد الرجز ٢ : ١٦٩ . والاشطار (٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) في المعمرين ٨٧ وفي البيان والتبيين ٣ : ٥٨٦ وفي الاغاني ١٨ : ٢١ . والشطران (٣ ، ٤) في المقتضب المقتضب ٤ : ١٩٩ — ٢٠٠ ينسبها خطأ للعجاج وفي شرح شواهد المغني برواية البكري ٨٨١ .

— ٣٤ —

الشطران في اللسان (قرض) .

— ٣٥ —

الشطران (١ ، ٢) في جمهرة اللغة لابن دريد ١٨٤ ، والشطر (٢) في المعرب (علط) .

— ٣٦ —

الاشطار (١ ، ٢ ، ٣) في المعرب (زحف)

والاول والثاني في اللسان (زحنقف)

— ٣٧ —

الشطر في الكامل لابن الاثير ١ : ٦٠٦

— ٣٨ —

الاشطار (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) في الحماسة الشجرية ١ : ١٤٢ — ١٤٣ وعنه نقل عمر فروخ في تاريخ الادب العربي ٢٧٤ .

— ٣٩ —

الشطران (١ ، ٢) في الاصابة ١ : ٥٦ . والشطر (١) في فصل المقال ٣٢٣ .

— ٤٠ —

لشطر في جمهرة الامثال ١ : ٢٦٤ وفي امثال الميداني ١ : ٥٠٢ وفي المستقصى
زمخشري ٢ / ١٣٠ .

— ٤١ —

لشطر في اضداد ابي الطيب اللغوي ١ : ٤٩

— ٤٢ —

شطران في مقاييس اللغة ٢ : ٣٦٦

— ٤٣ —

لاشطار (١ ، ٢ ، ٤) في المستقصى للزمخشري ٢ : ١٤٢ . والشطران (٣ ، ٤)
ي معجم مقاييس اللغة ١ : ١٥٩ مع وجود اختلاف في الراوية .

— ٤٤ —

بيت بشطريه في المعاني الكبير ٥٣٥

— ٤٥ —

بيت بشطريه في اللسان (خدل)

— ٤٦ —

بيت بشطريه (١ ، ٢) في التاج (ردن) والشطر (١) في مقاييس اللغة
' : ٥٠٥ .

— ٤٧ —

شطر في اللسان (خضم)

— ٤٨ —

شطر في اللسان (فغم)

— ٤٩ —

بيت بشطريه في كتاب خلق الانسان ٣١٣ .

— ٥٠ —

بيت في اللسان (دوم)

ـ ٥١ ـ

الاشطار (١ ، ٢) في كنز الحفاظ ٨٨ والاشطار (١ ، ٣) في اللسان مادة (نسم) وفي التاج (دوم ، نسم) والشطران الثاني والثالث في اللسان (نسم)

ـ ٥٢ ـ

الاشطار كلها في اللسان مادة (رعن)

ـ ٥٣ ـ

الشطران (١ ، ٢) في كتاب خلق الانسان ٢٨٦ وفي اللسان (ثنن)

ـ ٥٤ ـ

الشطر في اللسان (غمن)

ـ ٥٥ ـ

الاشطار (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ١٢ ، ١٣) في الفاخر ٢٥٦

والشطران (٥ ، ١٣) في معجم مقاييس اللغة ١ : ٤٥ و ٤ : ٣٩٣ وفي فرائد اللآلي ٤٥ ، والشطران (٦ ، ٧) في المعرب (ولغ)، والاشطار (٨، ١٠، ١١) في معجم البلدان ٢ : ١٣ . والاشطار (٩ ، ١٠ ، ١٣) في معجم ما استعجم البكري ١ : ٤٠٥ والاشطار (١٣ ، ١٤ ، ١٥) في المستقصي للزمخشري ٢ : ١٧٨ والشطران (١٣ ، ١٤) في الاصـــابة ١ : ٥٦ ، والشطر (١٣) في شروح سقط الزند ٧١٤ .

ـ ٥٦ ـ

الشطر في اللسان (فود) .

ـ ٥٧ ـ

الشطران في المعرب (غرر) وفي التاج (حمل) .

ـ ٥٨ ـ

في المستقصى للزمخشري الاشعار (١ ، ٢ ، ٣)

والشطر (٣) في جمهرة الامثال ١ : ٤٩ وفي امثال الميداني ١ : ٧١

— ٥٩ —

الاشطار (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) في ضرائر الشعر المتن والهامش ٢٠١ وفي الخزانة ٢ : ٢٥٨ والشطران (٤ ، ٥) في معاني القران للفراء ٢ : ٧٦ في شرح القصائد التسع المشهورات للنحاس ٢ : ٧٧٦ وفي الضرائر ٢٠١ .

— ٦٠ —

الاشطار من (١ — ٣١) في طبقات فحول الشعراء ٥٧٣ و ٥٧٤ ، والاشطار (١ ، ٢ ، ٣ ، ١٢ ، ١٣) في اللسان (ودى — وزى) . والاشطار (١ ، ٢ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣) في التاج (ودى ، وزى) والاشطار (١ ، ٣ الى ٢٦) في الاغاني ٢١ : ٣١ وفي المختار ٢ : ٣٧ — ٣٨ . الشطران (٩ ، ١٥) في جمهرة ابن دريد ٣٠١ . والاشطار من (١٢ — ٢٧ ، ٣١) في فصل المقال ٢٢٠ والاشطار (١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١) في جمهرة الامثال للعسكري ٢ : ١٨٥ . والشطر (١٢) في توجيه اعراب ابيات ملغزة الاعراب ١٠٤ . والاشطار (٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣١) في اضداد ابي الطيب اللغوي ٣٨٧ . والاشطار (٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) في المستقصى ٢ : ٢٩٦ والشطران (٢٥ ، ٣١) في المعرب مصلك والشطر (٣١) في اللسان (صطك) .

— ٦١ —

الشطران في اللسان (غفا) .

(تخريج الابيات في القصائد والمقطعات المنسوبة له ولغيره)

— ١ —

الاشطار (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) في شرح ادب الكاتب ٣٢١ .
والاشطار (١ ، ٢ ، ٥ ، ٦) في حيوان الجاحظ ٢ : ٢٨٠ منسوبة في الهامش الى عمرو بن العاص .

— ٢ —

الشطران في ديوان العجاج وهما في شعره تحت تسلسل ٢٧ ، ٢٨ ص ٧٨ وفي

كتاب الاضداد لابي الطيب اللغوي ١ : ٥٣٠ منسوبة خطأً للاغلب .

— ٣ —

الاشطار (١ ، ٢ ، ٣) في شروح سقط الزند ٢ : ٦٧٧ وفي همع الهوامع المتن والهامش ٢ : ١٦ . والشطر (١) في تفسير التبيان ٧ : ٢٠ وفي متن همع الهوامع ٢ : ١٦ .

— ٤ —

الاشطار (١ ، ٢ ، ٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠) في اللسان (فجخجخ) زور ، غلصم ، فحم والاشطار (١ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٨) في الكامل لابن الاثير ٦٠٥ — ٦٠٦ مجلدا الشطر (١) في الشعر والشعراء ٢ : ٦١٧ وفي المعارف ١٠٩ غير منسوب ، وفي المقاييس ١ : ٤٧ . والاشطار (٣٤ ، ٥) في شرح القصائد السبع للانباري ٤٩٢ .

والاشطار (٣ ، ٤ ، ٦) في الابدال لابي الطيب اللغوي ٢ : ٨٩ والاشطار (٣ ، ٤ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠) في العقد الفريد ٥ : ٢٠٧ والاشطار (٣ ، ٤ ، ٨) في السمط ٢ : ٨٠١ والشطر الذي يليه مكرر عنه عدا كلمة الرمح مكان السيف في الشطر الاول .

الاشطار (٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩) في الحماسة الشجرية ١ : ١٤٤ مع ابيات اخرى اختلطت بالقصيدة وهي ليست للاغلب فاخرجتها من القصيدة . والاشطار (٣ ، ٦ ، ١٩) في شرح الصولي لديوان ابي تمام ٢ : ٣٥٠ والشطر الثالث في اللسان (زور) منسوب للاغلب العجلي . وقال صاحب اللسان . قال ابن بري قال ابو عبيدة معمر بن المثنى إن البيت ليحيى بن منصور وانشد قبله اربعة اشطار .

والشطران (١٦ ، ١٧) في اللسان (غلصم) منسوبان للاغلب والاشطار (١٨ ، ١٩ ، ٢٠) في اللسان (فحم) منسوبة للاغلب .

وفي شرح التبريزي لنفس الديوان ٣ : ١٨٨ . الشطر (٦) في كتاب المعاني الكبير ٨٢٦ والاشطار (١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠) في التاج (غلصم ، فحم) .

ـ ٥ ـ

الشطر في امثال الميداني ٢ : ١٧٤ غير منسوبة وفي فصل المقال ٢٦٦ ثم يذكر برواية ابي عبيدة نسبة المثل لخالد بن الوليد مع الاشطر الخمسة الاخرى التي اثبتها في هامش المثل لعدم اتفاق القصة مع زمن الاغلب والحادثة وقعت بعد موته .

★ ★ ★

كلمات تركية في اللهجات اليمانية

القاضي
اسماعيل بن علي الاكوع

كانت اليمن أقل الاقطار العربية تأثرا باللغة التركية وبخاصة مناطق القبائل التي ظلت لهجاتها سليمة ونقية لبعدها عن المؤثرات الخارجية بينما نجد صنعاء وبعض مدن اليمن الأخرى قد تأثرت بها حينما كانت اليمن مشمولة بنفوذ الدولة العثمانية في العهد الاخير (١٢٦٥–١٣٣٦ ﻫ) فاستقطبت منها بعض المصطلحات الضرورية التي تتعلق بالإدارة المدنية والأنظمة العسكرية والاجتماعية وهي التي لم يكن لها عهد بها من قبل فأخضعها اهل اليمن لقواعد لهجاتهم ، وصارت جزءاً منهـــا .

وقد تتبعت ما يوجد على السنة الناس منها مما كان شائع الاستعمال في اليمن الى عهد قريب فدونته وشرحت مدلوله واستعنت على فهم ما استغلق عليّ فهمه من معاني بعض الكلمات ببعض الإخوة الأتراك كالاستاذ الدكتور كوبن مدير المركز الاسلامي في اسطنبول والدكتور عثمان اوزتورك وغيرهما .

على أن الكثير من هذه الكلمات لم يعد مستعملا بعد أن هجرتها الالسن وحلت محلها كلمات عربية مستحدثة .

١ – آفَـــرِمْ : أصلها آفَرِيْن ، وهي من الفارسية ومعناها مرحى أو حسنا

٢ – أبْلَـــه : الاخت الكبرى وتوسع في مدلولها فصارت تـــدعـــى المعلمة . وقد جاءت الكلمة اخيرا الى اليمن من مصر مع المعلمات المصريات ومن أخذ عنهن بالتقليد والمحاكاة .

٣ — اسْـبَنَك : نوع من البقول اداماً ، وتعرف في مصر سَبَانِـخ محرفة عن التركية وما تزال مستعملة .

٤ — اسْـكِلَه : المرفأ الذي ترسو عنده السفن .

٥ — أسْـكِي : القديم وكان يطلق على الجيش النظامي ويقابله الجيش البراني وسيأتي ذكره .

٦ — افنْـدِم : أصل الكلمة أفندي وتعني السيد ، واذا قيل أفنـدم فمعناها سيدي ، وقد اختفت الكلمة في اليمن الا ّ أنه أعيـد استعمالها بعد قـدوم الجيش المصـري الى اليمن سنة (١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م) فأخذناهـا منه مجددا ويستعملها الجنود لضباطهم والضباط الصغار لمن هم أعلى منهم رتبة .

٧ — الدِوانَـات : أصلها الدوان وهي من الفارسية ومعناها القفازان (جوارب اليَدَيْن) وقد أخذنا نستعمل الكلمة الفرنسيةجُوَنْتي .

٨ — أورْنيشْـك : إحالة المريض على الطبيب وهي مستعملة .

٩ — أمير الآي : رتبة عسكرية ويقابلها (عميد) .

١٠— باروت خَانَه : مستودع البارود (الباروت) ويوجد محل في الصافية العدنية بجوار المطار يعرف حتى اليوم بهذا الاسم لان الامام يحيى المتوفى سنة (١٣٦٧) هـ (١٩٤٨ م) أمر صانعي البارود بالخروج من صنعاء الى ذلك المكان حتى لا يحدث انفجار أو حريق في المدينة .

١١— بالُـوزَة : حلوى سائلة كالمحلبية مصنوعة من الحليب والسكر والنشأ الا أنها أرق من المحلبية .

١٢— بُراصَـة : نوع من فصائل البَصَل تستعمل إداماً مع اللحم المفروم

١٣— برّانـي : يطلق على الجيش غير النظامي ويطلق الآن على الشيء

الخارجي . ولعل المقطع الأول من الكلمة من أصل عربي من البر ضدّ البحر .

١٤- بَرْبَــر : اصلها من الفرنسي ومعناها معا ويقال : بَرْبَرعَرْش، وعرش محولة أيضاً من مَارْس بالفرنسي ، وتستعمل أمرا للجنود في خطوات منتظمة .

١٥- بَرَدات : مفردها بَرْدَه وأصلها بِرْدِي ومعناها ستارة النافذة وهي مستعملة .

١٦- بَرْدَق : الكأس أو الكوب وهي مستعملة .

١٧- بَرْشَــق : اللفافة الخارجية التي تُطْوى بها الرسالة ويكتب عليها اسم المرسل اليه .

١٨- بَرَوَانَــه : مروحة الطائرة ، وأصلها من الفارسي .

٢٠- بُشْتَخْتَــه : خزانة الكتب .

٢١- بَشْمَــق : الحذاء ما تزال مستعملة على قلة، وقد أخذ الناس في استعمال الكلمة المصرية (جزمة) .

٢٢- بَصْمَــة : التوقيع بالإبهام على الورق كالختم ، والبصمة نوع من القُماش (مستعملة) .

٢٣- بُقْشَــة : كانت الى قبل سنوات وحدة الريال (العملة اليمانية) والبقشة : القطعة المربعة من القطن توضع فيها الثياب وأصلها بجشة وهي من الفارسي .

٢٤- بقــلاوة : نوع مــن الحَلْوى المحشوة بالجوز واللوز والفستق (مستعملة) .

٢٥- بَلُــوك : الكتيبة أو السرية من الجيش وعدد أفرادها (١١٠) رجل .

٢٦- بُوتِــي : حذاء طويلة وأصلها من الفرنسي (مستعملة) .

٢٧- بَــوْرَزان : البوق المصنوع من النّحاس (مستعملة) .
٢٨- بُوْلَــة : طابع البريد ، وأصلها من الايطالي .
٢٩- بَــيْرَق : الراية أو العلم والكلمة واردة في المغازي للواقدي .
٣٠- تِبْسِــي : طبق كبير من النُّحاس أو الألمنيوم تقدم فيه أطباق الطعام (مستعملة) .
٣١- تَبّــه : قمة الجبل أو الربوة ، وقد تطلق على الربوة نفسها (مستعملة) .
٣٢- تَتَــن : وفي صنعاء وذمار ويَرِيم تِتِن ، وهو التبغ . (مستعملة)
٣٣- تِخْتَــة : الخَشَب ، ويطلق على السَبُّورة .
٣٤- تَطْلِــي : نوع من الحلوى ، كما يطلق أيضاً على الماء العذب (مستعملة) .
٣٥- تفَشْقِــي : صانع البندقيات .
٣٦- جَــزْوَة : ابريق صغير ليس له غطاء وهو خاص بغلي ماء قهوة البُنّ واعدادها (مستعملة) .
٣٧- جِسْكِــي : مَســطرة .
٣٨- جُمْرُك : وجمعها جمارك ، وهي المكان الذي يتقرر فيه تقدير ما يلزم على التاجر من مال على ما يستورده أو يصدره ولعلها المكوس (مستعملة) .
٣٩- حَرّانَــه : طبل كبير يُقرع من كلا الجانبين وهو من أجزاء الجَوقة الموسيقية (مستعملة) .
٤٠- خَاشَوقــة : خاشوق ، وهي الملعقة .
٤١- خَافِقيّــة : قصعة من الحديد الرقيق المطلي بالصين .
٤٢- خانــه : المكان الخالي في الدفتر للارقام أو نحو ذلك .
٤٣- خُشَاف : ماء الزبيب أو المشمش ويعرف في اليمن بالنقيعة (مستعملة)

٤٤- خُوجَـة : معلم الصبيان .

٤٥- دَاقَش : ناقل من المُنَاقلة وهو نقل الموظفين أو الجنود من مكان الى آخر واستبدالهم بآخرين .

٤٦- دَانَـه : قذيفة (مستعملة) .

٤٧- دُبّابَـة : مستودع الاسلحة ويقال إن أصلها من الفرنسي .

٤٨- دُشْـمَان : أصلها دُوشمان ومعناها العدو . وهي من أصل فارسي (مستعملة) على قلة .

٤٩- دُغْـري : المشي الى الامام (مستعملة) .

٥٠- دَلّـة : ابريق القهوة المصنوع من النحاس وأصلها من الفارسيّ (مستعملة) .

٥١- دَمَجانـه : القارورة الكبيرة من الزجاج ، وصارت تطلق على العربية (مستعملة) .

٥٢- دَمْغَـة : محبرة الختم . والدمغة : الرسوم التي تأخذها الحكومة (مستعملـة) .

٥٣- دُوَيْدَار : اصلها من الفارسي والمراد بها الخادم الصغير في قصر الملوك والأمراء ، وقد ورد ذكره عند المقريزي في كتابه السلوك .

٥٤- الرِشْدِيّة : المدرسة الثانوية .

٥٥- روشـته : وصفة الطبيب وأصلها من الإيطالي (مستعملة) .

٥٦- رَقَـن : يقال : رَقّن قيد الموظف اذا فُصِل من عمله .

٥٧- رَفْلَـة : الفوضى .

٥٨- زِبـط : الجلف ، وربما أنها مشتقة من ضبط والضابط ! .

٥٩- زَنّـه : القميص الضيق الكمين للرجل والمرأة (مستعملة) ولكنها خاصة في التركي بالنساء ، كما يطلق ايضا على الحذاء الخاص بالنساء .

٦٠- سَـــانـِي : الى الأَمام (مستعملة) .

٦١- سَبَارش : ما يُخصم من مرتب الموظف شهرياً لاهله وأقربائه حسب رغبته وهي من الفارسية .

٦٢- سَرِيّـــة : الحاملة التي يوضع عليها المريض لنقله الى المستشفى أو في المستشفى نفسه لنقله الى غرفة العملية (مستعملة)

٦٣- سِرْكِـي : دفتر توقيع الموظفين عنـــد دخولهم الى مكان عملهم وخروجهم منه .

٦٤- سِفِرْطاس : كلمة مركبة من كلمتين الأولى عربية وهو السفر والاخرى تركية وهي طاس : ومعناها الإناء الخاص بطعام المسافر (مستعملة) .

٦٥- سلام لك : كلمة مركبة من مقطعين سلام وهي عربية ولك التركية ومعناها حجرة استقبال الزائر والضيف .

٦٦- سَنْجَـــق : المقاطعة من البلاد .

٦٧- سبنجي تاك : إحاطة الجنود بالعدو من كل جانب .

٦٨- سِنَيْـــدار : خادم المسجد وأصلها من الفارسي (مستعملة) .

٦٩- سُـــواري : الفارس مفرد الفرسان والجمع سوارية (مستعملة) .

٧٠- شَـــتَل : الشوكة الخاصة بالتقاط الطعام من الطبق الى الفم .

٧١- شِـــتّي : سند الاستلام .

٧٢- شارشوة : شارشفة وهي اطار النوافذ وغيرها (مستعملة) .

٧٣- شَرْشَف : ثوب أسود ترتديه المرأة عند خروجها من البيت(مستعملة)

٧٤- شِـــفْت : وهي قرصا الخبز ونحوه (مستعملة) .

٧٥- شـــنطه : الحقيبة (مستعملة) .

٧٦- شِـــنْكُو : الاناء المصنوع من الحديد المطلي بطبقة رقيقة من الصين

٧٧- صاغ : حي سوي ، في صحة جيدة ، ويقال صاغ سليم للمعنى نفسه .

٧٨- صُنُــف : الصف في المدرسة أو الفصل .
٧٩- الضابــط : آمر الجند وجمعه ضُباط ، وهم درجات (مستعملة) .
٨٠- طابُــور : خمس سرايا أو كتايب ، ومجموعه من (٦٠٠ الى ٧٠٠) جندي .
٨١- طَــازَهْ : طري (مستعملة) .
٨٢- طَاسَــه : طاس ، وهو الإناء من المعدن (مستعملة) .
٨٣- طِبْشِــي : طُوبجي وهو الرامي بالمدفع .
٨٤- طَبّــه : الكرة وكانت تستعمل في اليمن الأسفل .
٨٥- طُلْمَــه : المحشي من الخضروات .
٨٦- عَرْض حال : مفرداتها عربية وتركيبها تركي وهي : الشكوى
٨٧- عُرْضِــي : وأصلها (أوردو) ، وهو الجيش ، وقد أطلق في اليمن على ثكنات الجيش (مستعملة) .
٨٨- عَشّــي : الطــاهي .
٨٩- عَطَش : نار ، وأصلها آطش .
٩٠- عَنْقَريــة : تكليف المرء بعمل شاق بدون أجر (مستعملة) .
٩١- عَوْنــي : جبة فضفاضة لها غطاء للرأس كالبُرْنُس وكــان يستعملها موظفو الدولة العثمانية وما تزال تستعمل على قلــة .
٩٢- عَيَــك : وضع القدم أو الرجل في حالة تأهب للتحية العسكرية .
٩٣- فُــرْن : التَنُّور ، وبعضهم يقول : (فُورم) (مستعملة) .
٩٤- فَنْطَزِيّة : حفلة الإبتهاج بالعيد أو بالعرس .
٩٥- فَيْطُوسْ : بيطوس أو فيدوس والكلمة مركبة من فايده وطز وهي الفسحة ، أو العطلة بعد الدراسة .
٩٦- قائم مقام : رتبة عسكرية وتقابلها (العقيد) في الاصطلاح العربي ، كما أنها كانت تطلق على العامل .

٩٧ـ القَارِي : عربة النقل التي يجرها الحمار أو البغل أو الحصان وهي من الفارسي (مستعملة) .

٩٨ـ القَامشْ : السوط من الجلد (مستعملة) .

٩٩ـ القانون : الشرطي يعلق على صدره لوحة نحاس مكتوب عليها القانون .

١٠٠ـ القاووش : مكان الجنود

١٠١ـ القايش : الحزام (مستعملة) .

١٠٢ـ القَرَوانــة : الطشت الواسع (مستعملة) .

١٠٣ـ قــاوق : أصله قاوُوق وهو غطاء الرأس الذي يلف عليه العمامة (مستعملة) .

١٠٤ـ قَزْلَــة : أصلها قازلة وهي فعل الفاحشة .

١٠٥ـ قَشْلَــة : مقر الجيش ، ويقال في مصر قِشلاق (مستعملة) .

١٠٦ـ قُــوزي : الخروف الصغير (مستعملة) .

١٠٧ـ كاصَــة : الخزانة الحديد (مستعملة) .

١٠٨ـ كَبُّــوت : المِعْطف (مستعملة) .

١٠٩ـ كِدْمَــة : الخبز المصنوع من أنواع متعددة من الحب (مستعملة)

١١٠ـ كِربْــاج : السوط (مستعملة) .

١١١ـ كُــرْت : الكرة ويطلق على الذئب .

١١٢ـ كُرُشِــن : القلم الرصاص (مستعملة) .

١١٣ـ كَــرْك : المعطف من جلد الضأن (مستعملة) .

١١٤ـ كَرَكُون : المركز العسكري .

١١٥ـ كَــرّي : الحصا (مستعملة) .

١١٦ـ كريْوُلَــة : السرير ، وأصلها من الايطالي وما تزال تستعمل عند كبار السن .

١١٧- كُشْـك : برج مصنوع من الخشب يوضع على اجدى نوافذ المنزل (مستعملة) .

١١٨- كَلَبَـك : كالبك غطاء الرأس المصنوع من جلد الضان وأصلها قالبان .

١١٩- كمَـرْ : الحزام الموجود فيه جيب .

١٢٠- كنافـة : حلوى تتخذ من عجين الحنطة وتجعل على شكل خيوط دقيقة ويتم إنضاجها بالسمن ثم يضاف اليهـا السكر المعقد (مستعملة) .

١٢١- كُوْبِـري : الجِسر مستعمل عند قليل من الناس .

١٢٢- كَوْشَـن : قوجان وهو المستندات .

١٢٣- لَجَـن : لگن الطشت الكبير الذي تغسل فيه الثياب (مستعملة)

١٢٤- لُوكَنْدة : المطعم ، وأصلها من الإيطالي وتطلق على النزْل (الفُنْدق)

١٢٥- ماسُـورَة : الأنبوبـة (مستعملة) .

١٢٦- ماسَـة : منضدة وأصلها من الفارسي (مستعمل) .

١٢٧- مُبَصِّـر : مفتـش .

١٢٨- مَسْـد : مَسْت وهو الحذاء الطويل .

١٢٩- مَشْـق : الخط الذي يُحْتذى عليه وهي من الفارسية (مستعملة)

١٣٠- المَضْبَطـة : التقرير أو الشرح للوثائق أو المستندات أو الكشف بأسماء المسجونين او نحو ذلك (مستعمل) .

١٣١- مُضَربِيّـة : الجُبّة المحشوة بالقطن .

١٣٢- مَفْـرَزة : وحدة عسكرية من سريتين الى ثلاث سرايا .

١٣٣- مـلازم : رتبة عسكرية ولعل أصلها عربي (مستعمل) .

١٣٤- منـاورة : قيام بعض الجيش بقتال بعضه الآخر على سبيل التمثيل للمعارك والقتال الحقيقي (مستعمل) .

١٣٥- مِنبَلَـة : آلة ارسال البرقيات السلكية واللاسلكية .

١٣٦- نَامُونـــة : نموذج ، عينه (مستعملة على قلة) .
١٣٧- نبتْشي : أصلها نُوبتشي وهي كلمة مركبة من مقطعين الأول نوبة وهي عربي . وهو المبنى المستدير الخاص بالحراسة وتشي الحارس (مستعملة) .
١٣٨- نَــوْل : أصله نولون أجرة السفر على الباخرة أو الطائرة ووردت الكلمة في رحلة ابن بطوطة وصبح الاعشى للقلقشندي (مستعملة على قلة) .
١٣٩- هـــزّار : الف وهو من الفارسي ، والهزار في اليمن : الشُحْرُور
١٤٠- هَلَلَـــه : عُملة صغيرة كانت تطلق على نصف بقشة وهي جزء من ثمانين جزء من الريال ، وما تزال تستعمل في المملكة السعودية كوحدة للريال السعودي .
١٤١- ورْشَــة : المصنع (مستعملة) .
١٤٢- بُبــرْقان : الغطاء الخاص بالنائم (مستعملة) .
١٤٣- يَسَــك : أصلها ياصاق والمعنى المنع (مستعمل) .
١٤٤- يتَـــك : فرش النوم ، وكانت في الأصل تطلق على النوم (مستعمل على قلة) .
١٤٥ يلَــق : الصِدار وهو ثوب يغطي الصدر وليس له أكمام (مستعمل)
١٤٦- يُــك : لا شـــيء .
١٤٧- يكُـــون : المجموع (مستعمل) .
١٤٨- يلَـــن : كذب .

كما أخذ اليمانيون في استعمال بعض المصطلحات التركية مثل المأذونية ، المأمورية ، المسئولية ، وجمعوا الكلمات جمعا مؤنثا على الطريقة التركية مثـــل الاجراء الاجراءات ، الترتيب . الترتيبات ، التعديل ، التعديلات ، الترقية ، الترقيات التنظيم التنظيمات التنقيب التنقيبات . الصادر والوارد ، الصادرات والواردات ، الصرفيات والمصروفات ، العائدات ، المعاملات ، الواجبات .... الخ

العلوم على مذهب العرب

الدكتور ياسين خليل

كلية الآداب — جامعة بغداد

١ — ان من اوائل شروط البحث العلمي عند كتابة بحث ما الالتزام الكامل بالموضوعية ، واعتماد النصوص ، وتوفير الادلة الثابتة للبرهان على الفروض ، سواء كان ذلك من جهة الاثبات او جهة التكذيب والرفض ، كما ان تعيين حدود البحث ومجالاته هو الخطوة الاولى التي تعقبها خطوات اخرى من ابرزها طرح الفرضية ، واعتماد المنهج العلمي لمعالجتها . واستنباط النتائج المترتبة على الفرضية او الفرضيات بعد البرهان عليها بصورة قطعية .

وفي ضوء ما تقدم نطرح السؤال الآتي :

ما المقصود بالعلوم على مذهب العرب ؟

اولاً :

نقصد بالعلوم في العبارة « العلوم على مذهب العرب » مجموعة المعارف العلمية التي ارتبطت بحياة الانسان العربي واسلوب معيشته ، فهي ليست مجرد معلومات نظرية او تصورات اسطورية ، بل مجموعة واسعة من الملاحظات والمشاهدات والتجارب والخبرات التي تكونت من خلال تفاعل الانسان مع المحيط الخارجي ، فاصبحت بفضل عناصرها التجريبية والعملية مبادئ ومنطلقات واساليب يفيد منها الانسان في حياته اليومية ، فضلاً عن احساسه بانها لازمة وضرورية له لفهم ما يجري في الكون . فهي مبادئ لانها الاساس الذي أقام عليه الانسان العربي بناء نظرة شاملة للكون والحياة ،وهي منطلقات لانها تؤلف الجذور الفكرية والعقلية

لاستيعاب معارف جديدة ، وهي اساليب لانها تكون بمجموعها قواعد للتعامل مع العالم الخارجي والتعرف عليه وتوقع ما يمكن حدوثه .

ثانياً :

ونقصد بالعبارة « على مذهب العرب [1] » ما اختصت به العرب واسلوبها في البحث والاستقصاء والتجربة والاختبار . ونظراً لارتباط ذلك بالعلوم فان المقصود من العبارة جميعها ما اختصت به العرب من معارف، وما تميزت به من معلومات ومعطيات تبلورت وتراكمت نتيجة التطور الحضاري الذي شهده الانسان العربي قبل اتصاله بالحضارات الاجنبية: اليونانية والفارسية والهندية واللاتينية . ولم تكن هذه المعارف تجريبية بحتة ، بل ازدادت ثراءاً بالتعليل والتنبؤ ، وهذا معناه ان العلوم عند العرب قد تجاوزت حدود التجربة الساذجة الى التجربة المنظمة والخبرة الهادفة ، ومحاولة توظيف هذه الخبرة في الحياة اليومية من خلال الاعتماد على مبادئ عامة لتعليل الحوادث وما يقع من وقائع ، وامكانية التنبؤ بما قد يحدث في المستقبل من خلال ربط سببي اساسه توقع ظهور المعلولات عند ظهور العلل، وغياب المعلومات عند غياب العلل .

ويجرنا البحث بعد ذلك الى ضرورة تحديد مجالات هذه المعارف بغية تصنيفها في العلوم حسب صلة كل معرفة بالعلم الذي تخصه ، فنطرح السؤال الآتي : —

ما هي العلوم على مذهب العرب وكيف نصنفها ؟

اذا نظرنا الى ما خلفه العرب من معارف قبل عصر الترجمة لوجدناها تنحصر في دائرة العلوم الطبيعية مع شيء من الرياضيات، فهي تتوزع على العلوم الآتية: —

(١) علم الحساب ، (٢) علم الفلك ، (٣) علم الانواء الجوية ،
(٤) علم النبات ، (٥) علم الحيوان .

ولسوف نبين مساهمات العرب في هذه العلوم من خلال ما جمعه العلماء الاوائل من العرب وما صنفوه من مؤلفات في العلوم على مذهب العرب .

٢ — ننتقل بعد تحديد موضع البحث الى الفروض التي نريد طرحها ومناقشتها ليتبين لنا الطريق بشكل اوضح ، فنختار المنهج العلمي الذي سنطبقه في ضوء

ض ، ومجالات البحث. والفرضيات التي نختارها للمناقشة والبحث ثلاث هي :

ـية الاولى :

ان ليس للعرب قبل الاسلام من معارف علمية ، وحسبهم من المعرفة ما يتصل
ـهم البدائية والجاهلية ، فالعرب مجرد اقوام بداثية متصارعة واعراب رحل ،
ـس لهم من اسباب الحضارة الا اليسير جداً [٢] .

ـية الثانية :

ان ليس للعرب قبل اتصالهم بالحضارات الاجنبية اية معارف علمية ، وان
ـة التراث اليوناني والفارسي والهندي الى اللغة العربية كان هو الباعث الوحيد
ـة العلمية التي شهدها العالم العربي الاسلامي في العصر الوسيط [٣] .

ـية الثالثة :

ان للعرب ثروة علمية كبيرة في مجالات علمية عديدة قبل الاسلام ثـم
ـت وتوسعت بفضل الاسلام والعلوم العربية المتصلة به من قرآن وحديث وتاريخ
وفقه وادب ، فشكل كل ذلك قاعدة صلبة لاستيعاب العلوم الاجنبية والتوسع
والاضافة اليها وتعديل ما ورد فيها من اخطاء وعيوب ، فلولا تلك القاعدة
ـدثت النهضة العلمية العربية ، ولبقيت العلوم الاجنبية محصورة في دائرة
ـة من المعرفة .

ان الخطأ الذي وقع فيه اصحاب الرأي (الفرضية) الاول واصحاب الرأي
ـ واحد ، وان اختلفت الاجتهادات ، ويكمن هذا الخطأ في اعتقادهم ان
« العرب » ينطبق فقط على عرب الحواضر مكة والمدينة والطائف وما حولها
قبائل واعراب في الفترة الزمنية التي سبقت ظهور الدعوة الاسلامية ، وان
« الجاهلية » تعني جهل العرب بالمعارف العلمية اضافة الى جهلهم بالتوحيد ،
الصحيح هو ان اسم « العرب » ينطبق على منطقة واسعة سكنتها اقوام عربية
ـت عليها حضارات متقدمة ساهمت مساهمة كبيرة في رفد مسيرة العـلم
ـازات كبيرة ، فهم عرب الجزيرة العربيـة وعرب العـراق وعرب الشام

وعرب اليمن وغير ذلك ، وان المراكز الحضارية والعلمية التي اقيمت في هذه المناطق هي مراكز حضارية عربية ، وان العلوم التي انجزتها هي تراث علمي عربي [٤] ، تناقلت الاجيال العربية معارفه بالاخبار والاشعار والحكم والامثلة اضافة الى توارث ممارسات عملية في المعارف التي ترتبط بالعمل والتطبيق . وان لفظة « الجاهلية » تعنى جهل عرب الجزيرة العربية في الفترة التي سبقت ظهور الاسلام بالله ورسوله ، وليس المقصود منها الجهل بالعلم والمعرفة [٥] .

وانفرد اصحاب الفرضية الثانية بخطأ آخر لاعتقادهم بان العقلية العربية كانت قاحلة ولم تصبح علمية الا بفضل العلم اليوناني المترجم الى اللغة العربية . ويكمن الخطأ في هذا الاعتقاد في انهم اغفلوا مساهمة العلماء العرب في العلوم التي اطلق عليها اسم « العلوم العربية » ، وهي علوم القرآن والحديث والفقه والتشريع والتاريخ واللغة والأدب ، كما اغفلوا فضل الاسلام في ازالة الخرافات والاوهام التي تعرقل كل تطور علمي ، وتمهيده الطريق نحو طلب العلم باستخدام العقل وتدعيمه بالعمل ، وما اشتمل عليه القرآن الكريم من آيات تخص كل جوانب الكون والحياة.

ان القرآن الكريم والعلوم العربية قد خلقت لدى الانسان العربي المسلم ارضية صالحة لاستيعاب العلوم ، فضلاً عن بناء شخصيته المتميزة بطلب الحق والعدل في الاحكام ، ومواصلة السير في طريق امتحان الآراء والاقوال بالمحاكمة العقلية والتجربة ، فكانت الموضوعية والتجريبية المستندة الى احكام عامة صائبة هي السبيل الوحيد للتثبت من شتى الفرضيات والنظريات العلمية في العلوم الطبيعية خاصة .

فالاسلام حد فاصل بين فترتين او عهدين . فنزول القرآن الكريم بلغة عربية على امة العرب بما اشتمل عليه من احكام عامة ونظرة شاملة الى الكون والحياة يعزز الاعتقاد بان الامة العربية كانت على قدر كبير من التطور الثقافي والحضاري يؤهلها لفهم ما ورد في القرآن الكريم من آيات حول الانسان والحيوان والنبات والطبيعة والظواهر الطبيعية والكون وغير ذلك ، كما انه في الوقت نفسه وحد الجهد العربي في نظرة واحدة الى الكون والحياة ، فساهم مساهمة كبيرة في نقل

المعرفة من حالة التبعثر الى حالة عقلية منظمة تجلت بخاصة في العلوم التي ارتبطت به ، حيث احتل الكتاب والتصنيف في العلوم المختلفة وتدوين الاخبار والاشعار والسير وغير ذلك المكانة الاولى في اهتمام العلماء العرب الاوائل .

اما الفرضية الثالثة فهي التي نهدف الى البرهان عليها في هذا البحث ، وهو برهان نفي بالنسبة للفرضية الاولى والثانية ، وبرهان اثبات بالنسبة للفرضية الثالثة .

٣ — وفي ضوء ما تقدم يتعين علينا تحديد المنهج الذي نتناول به هذا البحث ، وما يلزمنا من تحليلات لاثبات الفرضية الثالثة ، وهذا امر يتطلب ان يضم المنهج ثلاثة اركان رئيسة :—

اولاً :

ان يلتزم بالدراسة التاريخية من حيث تتبع ما انجزته العقلية العربية في العلوم قبل عصر الترجمة ، وذلك بالاعتماد على المراجع الصحيحة التي ثبتت ما نطلق عليه « العلوم على مذهب العرب » في جميع المجالات وحيثما ظهر ذلك ، لان من المصنفات ما انفرد بذكر هذه العلوم على اساس ما عرفه العرب وما وجد في لغتهم من مدلولات على مفرداتها ، كما ان من المصنفات ما ذكر بعض جوانب ما عرفه العرب على سبيل الاستشهاد او الاستطراد التاريخي . فهذه المعلومات وغيرها تكون المادة الرئيسة لموضوع البحث ، وان مهمة المنهج تتجلى في ربط هذه المعلومات بعضها ببعض في اطر موحدة ، واستنتاج ما يمكن استنتاجه في حدود الموضوعية والتسلسل التاريخي .

ثانياً :

ان يلتزم بالدراسة التحليلية من حيث فهم ما انجزته العقلية العربية وكشف دوره في رفد مسيرة العلم من جهة وفي المساهمة التي انجزها في النهضة العلمية العربية بعد الترجمة من جهة اخرى . والتحليل اللغوي والعلمي للنصوص والآثار ليس بالمهمة السهلة ، لان على الباحث ان يكون حذراً لكي لا يحمل النص اكثر مما يجب فيقع في الخطأ . بل عليه ان يعتمد في الوقت نفسه سبيل المقارنة

عند الضرورة واعتماد نصوص كثيرة لموضوع واحد ، والتعرف بعد ذلك على الخصائص الفكرية المشتركة .

ثالثاً :

ان يلتزم بالدراسة النقدية من حيث ازالة بعض الشكوك والظنون لكشف ما هو صادق ومتين فلا تتسرب اليه بعدئذ نقاط الضعف . والنقد عملية تواكب التحليل ، سواء كان النقد منصباً على النص ذاته أو المرجع أو كان منصباً على النتائج المستنبطة من الوقائع المثبتة . والنقد في الدراسة التاريخية هو الدليل نحو كشف الحقائق ، اذ لا يجب التسليم بالآراء والأفكار من دون تمحيص وتدقيق ، كما ان النقد قد يساعد الباحث على سد كثير من الفجوات التي غالباً ما تظهر في التعامل مع الدراسات التاريخية ، وذلك بكشف ما يجب أن يطرح كفرضية او رأي لتكون الدراسة مستكملة لجميع جوانبها فلا تبقى مبتورة ، وفيها فجوات تثير الشك والريبة .

٣ - واول العلوم التي نتناولها بالبحث علم الحساب على مذهب العرب ، ولاجل معرفة طبيعته يجب التمييز بين اربعة انواع من الحساب شاع إستعمالاتها بين العرب في نهضتهم الحضارية ، وهذه الانواع هي :-

أ - الحساب العلمي : ويقصد به مجموعة الطرق الحسابية المستخدمة لاغراض الحياة اليومية ، والتي يفتقر اليها الإنسان في التجارة ، وتوزيع الاموال والمواريث وحساباتها ، وحساب العمل والاجور ، واحصاء المحاصيل والإنتاج ، وقياس المسافات والمساحات وغير ذلك من الأوجه الحياتية التي تتطلب معرفة جيدة للأعداد والكسور والعمليات الحسابية من جمع وضرب وطرح وقسمة وغير ذلك .

ب - حساب المنجمين : ويقصد به مجموعة الطرق الحسابية التي استخدمها المنجمون وعلماء الفلك في حساب الاشهر والسنين ودوران الافلاك ومعرفة الابراج وحركات الكواكب وغير ذلك من الظواهر الفلكية . واعتمد هذا الحساب على النظام الستيني ، وهو بلا شك من اصل بابلي أخذه اليونان

كذلك لحساباتهم الفلكية . ويقوم هـــذا الحساب على معرفة بالاعداد والكسور اضافة الى مجموعة العمليات الحسابية الاربـــع وغيرها مما يستوجب عملـــه في حسابات الافلاك وترتيب الجداول الفلكية .

ج — الاريثماطيقي : (الحساب النظري) : ويقصد به : « معرفة خواص الاعداد من حيث التأليف ، اما على التوالي أو بالتضعيف » (٦). ويعرف ابو نصر الفارابي (٨٧٣— ٩٥٠م) الحساب النظري بانه « يفحص الاعداد باطلاق على انها مجردة في الذهن عن الاجسام وعن كل معدود منها ، وانما ينظر فيها مخلص عن كل ما يمكن ان يعد بها من المحسوسات ومن جهة ما يعم جميـع الاعداد التي هي اعداد المحسوسات وغير المحسوسات فعلم العدد النظري يفحص عن الاعداد على الاطلاق، وعن كل ما يلحقها في ذواتها مفردة من غير ان يضاف بعضها الى بعض » (٧) .

د — الحساب الهندي : ويقصد به ما ورثه العرب من الحساب وعملياته عن الهنود ، ويمتاز بانه يقوم على نظام عشري ، وكان محمد بن موسى الخوارزمي (٧٨٠ — ٨٥٠ م) اول من الف فيه كتاباً فساهمت الطريقة الحسابية الجديدة في استخدام الارقام والصفر ، اضافـــة الى العمليات الحسابية من تضعيف وتنصيف وجمع وتفريق وغيرها بالنسبة للاعداد والكسور (٨).

ان ما نقصد بالحساب على مذهب العرب هو الحساب العملي ، وقد كان مستعمـــلا قبل الاسلام في التجـــارة والمعاملات المختلفـــة . والادلة عـــلى استعمالـــه انه كان للعرب تجارة واسعـــة في مجتمع مكة والمدينـــة وحولهما ، كما كانت لهم تجارة وقوافل مـــع عرب اليمـــن وعرب الشام . والدليل الآخر على استعمال هذا الحساب ما ورد في القرآن الكريم من آيات كثيرة مختصة بالمعاملات والصدقات والمواريث والغنائم ومختلف الالتزامات الشرعية وغير ذلك كما ورد في الآيات القرآنية ذكر الاعداد من آحاد وعشرات ومئات والوف اضافة الى ذكر الكسور مثل النصف والثلث والخمس والثمن وغير ذلك ، وكل هذا يحتاج الى دربة ومهارة حسابية في الجمع والضرب والقسمة والطرح ، خاصة اذا

ادركنا الصعوبات الكبيرة التي يلاقيها الحاسب عند قسمة المواريث على الافراد حسب ما تقتضيه احكام الشريعة الاسلامية ، لان ذلك يتطلب الى جانب المهارة الحسابية قدرة تفوق ما يوفره الحساب العملي من عمليات حسابية . وهذا امـــر يقودنا الى الاعتقاد بان علم الحساب العمـــلي قد تطور وتوسع بفضل ما يقتضيه التشريع الاسلامي من احكام مشفوعة بالقسط والعدل ، وان علم الجبر قد نشأ وتطور نتيجة هذه المتطلبات ، وانه وليد الحساب العملي .

لقد ازدادت العناية بعلم الحساب بعد ظهور الاسلام وانتشار الدعوة نظراً لارتباطه الوثيق بالشريعة الاسلامية بوجه عام وبالمؤسسات الجديدة او الدواوين المختلفة في الدولة العربية بوجه خاص ، فاحصاء الجنود والارزاق وجباية الاموال والخراج والضرائب واستيفاء الزكاة على الاموال وتطبيق مختلف الاحكام الشرعية ، وفي البيع والشراء واستصلاح الاراضي وكري الانهار وحساب المساحات المزروعة وغير المزروعـــة من الارضين ، وتثبيت الحقوق والعطاءات والـــديون وغير ذلك من الامور الهامـــة التي تتعلق بجميـــع شؤون الحياة العامـــة ، تتطلب معرفـــة جيدة بالحساب ومختلف العمليات فيه ، اضافة الى توفر المتخصصين وهم الحُسّاب الذين يقومون بهذه الامور الحسابية .

وقد ألف العلماء العرب في هذا الضرب من الحساب لاسباب علمية وعملية : اولها تثبيته كنوع من انواع الحساب وعرضه باسلوب علمي دقيق مترابط الاجزاء يعتمد على بيان اصوله واركانه ومختلف العمليات العامة فيه ، وثانيها تقديمه كمرجع لعمال الدواوين والحُسّاب في اجراء المعاملات المختلفة ، وتفادياً للاخطاء التي غالباً ما تظهر نتيجة الاجتهاد وعند غياب المرجع الصحيح . ويذكر ابن النديم في كتابه « الفهرست » طائفة من المهتمين بعلم الحساب جاء ذكرهم في المقالة السابعة — الفن الثاني ، حيث تناول اخبار اصحاب التعاليم ، المهندسين والارثماطيقيين والموسيقيين والحُسّاب المنجمـــين وصناع الالات واصحاب الحيـــل والحركات ، كما ذكر في المقالة الثانية — الفن الثالث ، طائفة من علماء النحو واللغة ممن خلطوا بين مذهب البصريين ومذهب الكوفيين ، فكان من بينهم احمد بن داود الملقب

« ابو حنيفة الدينوري» (ت-٨٩٥ م) ، الذي ذكر له من الكتب : كتاب النبات ، كتاب الفصاحة ، كتاب الانواء ، كتاب القبلة والزوال ، كتاب حساب الدور ، كتاب الرد على الاصفهاني ، كتاب البحث في حساب الهند ، كتاب البلدان ، كتاب كبير ، كتاب الجمع والتفريق ، كتاب الجبر والمقابلة . كتاب الاخبار الطوال ، كتاب الوصايا ، كتاب نوادر الجبر ، كتاب الشعر والشعراء ، كتاب ما يلحن فيه العامة [٩] .

وممن ذكرهم ابن النديم في المقالة السابعة – الفن الثاني ، محمد بن موسى الخوارزمي ، وله من الكتب الرياضية : كتاب الحساب الهندي ، كتاب الجمع والتفريق ، كتاب الجبر والمقابلة [١٠] . واذا عقدنا مقارنة بين المصنفات الرياضية للخوارزمي والدينوري لوجدنا تشابهاً كبيراً ، اذ الف كل واحد منهما في الحساب الهندي ، وفي الجبر والمقابلة ، وفي الجمع والتفريق . ومن الممكن ان نستنتج مع قليل من التحفظ ان كتاب الجمع والتفريق عند كل منهما قد اختص بالحساب العربي [١١] .

ويعد كتاب ابي الوفاء البوزجاني (٩٤٠ – ٩٩٨ م) الموسوم : « كتاب ما يحتاج اليه العمال والكتاب من صناعة الحساب» خير معبر عن الحساب المستخدم في الدواوين والحياة العامة ، يؤكد ذلك ما ذكره في صدر كتابه : « كتاب يشتمل على جميع ما يحتاج اليه الكامل والمبتدئ والتابع والمتبوع من الحساب وصناعة الكتابة واعمال الخراج وسائر الانواع التي تجري في معاملات الدواوين ، من النسبة والضرب والقسمة والمسايح والطسوق والمقاسمات والتصريف ، وغير ذلك بما يتعامل به الناس في طبقاتهم ويحتاجون اليه في معايشهم » [١٢] ولسوف نتعرف على الحساب العربي من خلال هذا الكتاب ، فنتناول الخطوط البارزة والرئيسة فيه على هيئة نقاط وموضوعات :–

أولاً : يذكر الكتاب الاعداد الطبيعية وكذلك الكسور المختلفة على هيئة لفظية مثال ذلك : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، اربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، ثمانية ، تسعة ..... وهكذا بطريقة العد الطبيعي ، ويذكر الكسور كنسبة بين

عددين وعلى هيئـــة لفظيـــة كذلك مثال : ثلاثة اسباع ، اربعـــة اخماس ، ونصف وخمس وعشر .... الخ .

والملاحظ ان هذه الطريقة في تدوين الاعداد تختلف عن طريقـــة حساب الجمل التي تتخـــذ من الحروف الابجدية رموزاً للدلالة عـــلى الاعداد ، وعن طريقة التدوين بالارقام . وهذه الطريقة اقدم من الطرق الاخرى . وقد استعملها العرب قبل الاسلام ، كما وردت في القرآن الكريم بالهيئة اللفظية كذلك .

ثانياً : تجري بين الاعداد (الصحاح) والكسور مختلف العمليات الحسابية ، وتتصدر النسبة والضرب والقسمة هذه العمليات ، وذلك على اساس ان جميـــع الانواع الحسابيـــة وحساب المعاملات تعتمد عليها ، فهي بمثـــابة الاصول والاركان. وقد ذكر البوزجاني « أن كل واحد من الضرب والقسمة يحتاج الى النسبة ، فهي تستعمل في الضرب والقسمة ، وبخاصة في انواع الكسور منها . والنسبة لا يحتاج شيء منها الى الضرب والقسمة الا في مسائل نوادر ، فلذلك قـــدمنا النسبة على الضرب والقسمة .وخلطنا الضرب بالقسمة لان كل واحـــد منهما يحتاج الى الآخر . فان الضرب نستعمل فيه القسمة ، والقسمة يستعمل فيها الضرب »[١٣].

ثالثاً : والنسبة هي قدر عددين ، احدهما عند الآخر ، وتنقسم ثلاثة انواع هي :ــ

نسبة القليل الى الكثير مثـــل نسبة الاربعة الى الستة ، ونسبة الكثير الى القليل مثل نسبة التسعة الى الاربعة ، ونسبة المساواة مثل نسبة الاربعة الى الاربعة ، وان اول هـــذه الانواع هو ما يحتاجـــه حساب المعاملات واصحاب الـــدواوين لمعرفـــة الكسور . وتنقســـم الكسور الى اربعـــة انـــواع هي : الـــرؤوس ، المركب ، المضاف ، والاصم ، « فالرؤوس هو كل كسر يمكن ان يلفظ به مفرداً من غير اضافتـــه الى كسر آخر ، مثل النصف والخُمس والعُشر . والمركب هو كل كسر مركب من الرؤوس ، مثل ثلاثة ارباع ، اربعة اخماس ، خمسة اسباع . فالمضاف هو كل كسر تكون حكايته من اضافة الى آخر ، مثل نصف سدس ، ثلث سبع . والاصم هو الكسر الذي لا يمكن تحصيله بهذه الانواع الثلاثة من الكسور ، وهو مثل جزأين من احدعشر ، ومثل ثلاثة اجـــزاء من ثلاثة

ومثل اربعة اجـــزاء من سبعة عشر » [١٤] ومن الجـــدير بالملاحظة هنا ان
. من الالفاظ المعبرة عـــن الكسور في اللغة العربية تسعة هي : النصف
والربع والخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر ($\frac{١}{٢}$ ، $\frac{١}{٣}$ ، $\frac{١}{٤}$ ،
$\frac{١}{٦}$ ، $\frac{١}{٧}$ ، $\frac{١}{٨}$ ، $\frac{١}{٩}$ ، $\frac{١}{١٠}$) ، وانه مـــن الافضـل استخـدام هـــذه
ر في التعبير عـــن الانواع الاخرى ، او بعبارة اخـــرى : رد الأنواع
ى من الكسور الى هذه البسائط من الالفاظ الحسابية . فالكسر $\frac{١}{١٦}$ يعبر
ثلاً بنصف ثمن ($\frac{١}{٢} \times \frac{١}{٨}$)، والكسر (ثلاثة اخماس) $\frac{٣}{٥}$ يعبر عنه
ـ وعشر ($\frac{١}{٢} + \frac{١}{١٠}$) . واذ كان الكسر اصمّ فان طريقة التعبير المفضلة
كون بالتعريب مثال ذلك ثلاثة اجزاء من احد عشر تكون بالتقريب ربعاً
ـس تسع ($\frac{١}{٤} + \frac{١}{٥} \times \frac{١}{٩}$) .
أ : والضرب تضعيف احد العددين بقدر ما في الآخر من الآحاد [١٥] ،
انواع بسيطة واخرى مركبة . والبسيطة تنقسم الى الانواع الاتيـــة : ضرب
حاح في الصحاح وهو الاساس في الضرب والقسمة ، وضرب الكسور في
ور ، وضرب الصحاح في الكسور . امـــا الانواع المركبة فهي : ضرب
حاح والكسور في الصحاح ، وضرب الصحاح والكسور فيالكسور ، وضرب
حاح والكسور في الصحاح والكسور .
ساً : والقسمة عكس الضرب ، وهي تفريق احد العددين بقدر ما في الآخر
الآحاد [١٦] ، ومنها انواع بسيطة واخرى مركبـة . والبسيطة تنقسم الى الانـواع
نية : قسمة الاعداد الصحيحة على الاعداد الصحيحة ، وقسمة كسور على
ور ، وقسمة الصحاح على الكسور ، وقسمة الكسور عـــلى الصحاح . اما
واع المركبة فهي : قسمة الصحاح والكسور على الصحاح ، وقسمة الصحاح على
حاح والكسور ، وقسمة الصحاح والكسور على الكسور ، وقسمة الكسور على
حاح والكسور ، وقسمة الصحاح والكسور على الصحاح والكسور .
ساً : وهذا الحساب بكسوره وعملياته الحسابية يعتمد او يرتبط بالنظـــام

الستيني ، فالكسور الملقبة بالرؤوس على سبيل المثال عددها تسعة ، منها ستة تنسب الى الستين صحيحاً بلا كسر ، وثلاثة منها لا تنسب الى الستين الا بكسر . والستة الصحاح هي النصف ، الثُلث ، الربُع ، الخُمس ، السُدس ، العُشر . وهي من الستين على التوالي : ثلاثون ، عشرون ، خمسة عشر ، اثنا عشر ، عشرة ، ستة . اما الذي لا يخرج الا بكسر فهو السُبع والثُمن والتُسع .

سابعاً : ولم يقتصر الحساب العملي على العمليات الحسابية فقط ، بل شمل كذلك ما يتصل منه باعمال المساحات : الدائرة، قطع الدوائر، المثلث القائم الزاوية ، المثلث المنفرج الزاوية ، المثلث الحاد الزوايا ، المربعات ، ذوات الاضلاع الكثيرة وغيرها من الاشكال المركبة ، المجسمات ، وغير ذلك، كما شمل اعمال الخراج المختلفة . والتصريف واعمال المقاسمات ، وحساب الابنية والتجصيص والمسنيات وغيرها من الاعمال التي تحتاج الى علم الحساب .

ويرتبط بهذا الحساب مباشرة حساب الجبر والمقابلة، فقد استخدم الخوارزمي اصول هذا الحساب من الاعداد والكسور والعمليات الحسابية المختلفة بطريقة لا تختلف من حيث المنهج والعرض ، وقد جعله قريناً للحساب العملي في الموضوعات التي يعالجها ، فذكر ذلك بقوله : « ألفت من كتاب الجبر والمقابلة كتاباً مختصراً حاصراً للطيف الحساب وجليله لما يلزم الناس من الحاجة اليه في مواريثهم ووصاياهم وفي مقاسمتهم واحكامهم وتجاراتهم ، وفي جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحة الارضين وكري الانهار والهندسة وغير ذلك من وجوهه وفنونه » (١٧) .

ويبدو لنا بوضوح ان الخوارزمي عرف بشكل جيد الحساب العملي الذي مارسه اصحاب الدواوين والمعاملات (وان جزءاً من هذا الحساب يعود بلا شك الى اصول بابلية.) كما ادرك الصعوبات التي يلقاها الحُسّاب في عملياتهم سواء كانت متصلة بالمواريث او المقاسمات او المعاملات التجارية ، ففي غالب الاحيان يكون البحث عن المجهول هو الغاية ، وان اختلاف المجاهيل يجعل من الحاسب دقيق العمل والنظر في ايجاد الطريقة المناسبة للحل . ولا يستبعد ان تكون بعض

العمليات الجبرية المتفرقة كانت معروفة عند اصحاب الدواوين والمعاملات ، وان مهمة الخوارزمي كانت حصر هذه المعلومات في كتاب واضح الاصول والأُسس مشفوعاً بمجمل العمليات الحسابية المعروفة في الحساب العملي (١٨)، وقـد عالج الخوارزمي في ضوء حساب الجبر والمقابلة المعاملات والوصايا وجملة من الابواب التي اختصت بالديون والتركات والانصبة وغير ذلك .

٤ – والعلم الآخر الذي كان للعرب فيه نصيب وافر من الانجاز هو « علـم الانواء » الذي اشتمل على معلومات فلكية اضافة الى معارف متنوعة بالرياح والامطار والسحب وغير ذلك . فاعتمدت هذه المصنفات في الانواء على ما ورد في اشعار العرب واسجاعهم وامثالهم وحكمهم واخبارهم ، فكانت خير معبر عن معارف العرب في علم الانواء .

لا شك ان اول الذين اهتموا بالمعارف العربية قبل الاسلام وبعده علماء اللغة ، حيث استعانوا بفصحاء الاعراب والبادية في تسجيل كثير من المعلومات الخاصة بالنجوم والكواكب والبروج والمنـازل ، وانواع النباتات وخصائص الحيـوانات واسماء الموجودات المختلفة ، وكانت غايتهم جمع مفردات اللغة العربية ، وصيانة او تنقية اللغة العربية مما علق بها من شوائب اللحن نتيجة اتصال العرب بالاعاجم ، وضبط قواعد اللغة وفصاحة اللسان . لقد امدت هذه الحركة اللغوية القوية علماء معاجم اللغة بعدد كبير من المفردات ، كما انها افادت العلماء في شتى انواع العلوم من حيث المصطلح العلمي والمعرفة العلمية العامة ، وزودت علماء النحو واللغة بالشواهد المختلفة .

يذكر ابن النديم في الفهرست عدداً من العلماء العرب الذين اولوا اهتمامهم بجمع معارف العرب عن الانواء ، فوضعوا المصنفات في ذلك ، وفيما يلي ما يذكره من اسماء الكتب ومؤلفيها : « كتاب الانواء للاصمعي ، كتاب الانواء لابي محلم ، كتاب الانواء لقطرب ، كتاب الانواء لابن الاعرابي ، كتاب الانـواء للمبرد ، كتاب الانواء لابن قتيبة ، كتاب الانواء لابي حنيفة الدينوري ، كتاب الانواء للزجاج ، كتاب الانواء لابن دريد ، كتاب الانواء للوهبي ، كتاب الانواء

للمرثدي ، كتاب الانواء لوكيع ، كتاب الانواء لابن عمار ، كتاب الانواء لابي غالب احمد بن سليم الرازي ، كتاب الانواء لمحمد بن حبيب »[١٩] .

واستمرت الكتابة في علم الانواء على مذهب العرب على الرغم من ترجمة امهات الكتب الفلكية والطبيعية ، اليونانية والهندية ، الى اللغة العربية ، وافاد علماء الفلك من العرب من المعلومات الواردة في كتب الانواء ، كما نجد بعض المؤلفين على مذهب العرب يقتبسون معلومات عن كتب الفلك المترجمة الى اللغة العربية . فمن المعروف أن عبدالرحمن بن عمر الصوفي (ت – ٩٨٦ م) يذكر في كتابه الموسوم « صور الكواكب الثمانية والاربعين » اسماء الكواكب التي استعملها العرب في القديم ، ويحاول ان يربط بين مذهب المنجمين ومذهب العرب عند استعراضه لنجوم الكواكب . كما ان المؤلفات الفلكية لابي الريحان البيروني (٩٧٣ – ١٠٤٨ م) ، وهي كتاب الآثار الباقية من القرون الخالية ، وكتاب القانون المسعودي » ، قد احتوت على معلومات من الفلك على مذهب العرب .

ومن اشهر العلماء الذين ألفوا في علم الفلك على مذهب العرب مع تأثرهم بالمذاهب الفلكية الاخرى ابو علي المرزوقي (ت – ١٠٣٠ م) في كتابه « الازمنة والامكنة » ، وابو اسحق ابراهيم بن الاجدابي (ت – ١٠٧٧ م) في كتابه « الازمنة والانواء » . وقد وصلت الينا بعض المصنفات في علم الانواء ، بينما ضاع الجزء الآخر منها ، ويعتبر في حكم المفقود . ومن المصنفات التي وصلت الينا : كتاب الانواء لعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت – ٨٨٩ م) ، وكتاب الازمنة والامكنة للمرزوقي ، وكتاب الازمنة والانواء لابن الاجدابي . اما كتاب الانواء لاحمد بن داود ابي حنيفة الدينوري فانه مفقود ، وقد ذكره عبدالرحمن الصوفي في كتابه مفضلاً اياه على غيره من كتب الانواء بقوله : « واما الفرقة الاخرى فانها سلكت طريقة العرب في معرفة الانواء ومنازل القمر ومعولهم على ما وجدوه في الكتب المؤلفة في هذا المعنى . ووجد في الانواء كتباً كثيرة اتمها واكملها في فنه كتاب ابي حنيفة الدينوري ، فانه يدل على معرفة تامة بالاخبار الواردة عن العرب واشعارها واسجاعها فوق معرفة

غيره ممن الفوا الكتب في هذا الفن »[٢٠] .

وعلى الرغم من فقدان كتاب الدينوري وكتب اخرى في الانواء ، الا اننا نستطيع ان نتعرف عليها من خلال المصنفات التي اخذت عنها ، وهي مصنفات فلكية ومعاجم لغوية ، ولعل كتاب المخصص لابي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده (ت ـ ١٠٦٦ م) خير المعاجم اللغـوية في تنـاول علم الانـواء على مذهب العـرب ، حيث خصص السفر التاسع من كتابه للبحث في الانواء ، فاختص بالذكر ما وصل اليه من معارف عن ابي حنيفة الدينوري ، وابن دريد ، والخليل بن احمد الفراهيدي ، وابي عبيد وابن الاعرابي ، وابن السكّيت وغيرهم .

ان المعلومات التي وردت في كتب الانواء لا تمثل الا جزءاً يسيراً من معرفة العرب بالانواء ، ولا يمكن ان نفترض بانها تعكس الصورة الصحيحة والكاملة لما عرفه العرب في هذا العلم ، وذلك للاسباب الآتية :—

١ — كانت غاية المشتغلين بالانواء جمع المعلومات عن هذا العلم من زاوية لغوية ، ولم يكن من بينهم من كانت له معرفة دقيقة وصحيحة بعلم الفلك ، وبالتالي فان تكوين صورة كاملة عن علم الانواء من خلال هذا المسح اللغوي لا يمكن ان تكون وافية ، اضافة الى امكانية تسرب الاخطاء اليها .

٢ — اعتمدت هذه المصنفات على معارف اهل البادية والاعراب باحوال السماء ، وهي معارف متوارثة ومنقولة شفاهاً بالشعر والسجع والمثل . وبالتالي فانها لا تعكس الا ما له صلة بحياتهم المعاشية وما تفرضه عليهم احوالهم في الانتقال والسفر والزرع والجـدب وغير ذلك ، فهي لا تعكس لنـا معرفة تامة عن ما ورثه العرب عن اسلافهم او الحضارات التي سبقتهم في هذا المضمار ، كما اغفلت معرفة عرب المدن والحواضر ، وهي معرفة لا نشك في ان تكون على درجة عالية من النضج ، وان الآيات الكريمة تشير بوضوح الى نضج هذه المعرفة عنـد اهل الحضر والمدن .

٣ — ان تدوين المعرفة الفلكية من خلال ما وصل من الامثال والاشعـار والاسجاع التي يتداولها الاعراب وسكان البادية لا تمثل معرفة دقيقة باحوال

السماء والمنازل والابراج ، وان كانت تحتوي على اسماء الكواكب والنجوم وبعض احوالها ، وقد يقع الخطأ نتيجة جهل الراوي او سوء تحليل المدوّن . لذلك كانت هذه المعلومات عرضة للنقد من قبل علماء الفلك والهيئة العرب ، وادرك الصوفي هذه الحقيقة بقوله : « ولا ادري كيف كانت معرفته بالكواكب (يقصد أبا حنيفة الدينوري) على مذهب العرب عياناً ، فانه يحكي عن ابن الاعرابي وابن كناسة وغيرهما اشياء كثيرة من امر الكواكب تدل على قلة معرفتهم بها . وان ابا حنيفة ايضاً لو عرف الكواكب لم يسند الخطأ اليهم »(٢١).

وعلى الرغم من كل الانتقادات التي وجهت الى كتب الانواء من قبل علماء الفلك والهيئة ، الا ان حقيقة تبقى راسخة هي ان صورة القبة السماوية كما يراها العرب واسماء النجوم والكواكب فيها بقيت متداولة في كتب الفلك ، ولا يسعنا هنا الا ان نرسم هذه الصورة من خلال مؤلفات العرب في الانواء،فنذكر المبادئ والاصول والاسماء برهاناً على ما وصله هذا الفن من رقي في المعرفة .

اولاً : منازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً وهي : الشرطان ويسمى النطح كذلك ، البطين ، الثريا ، الدبران ، الهقعة ، الهنعة ، الذراع ، النثرة ، الطرف ، الجبهة ، الزبرة وتسمى الخرتين كذلك ، والصرفة ، العواء ، والسماك الاعزل . ثم الغفر ، الزباني ، الاكليل ، القلب ، الشولة ، النعائم ، البلدة ، سعد الذابح ، سعد بُلع ، سعد السعود ، سعد الاخبية ، الفرغ الاول ، الفرغ الثاني ، وبطن الحوت ويسمى السمكة والرشاء كذلك(٢٢) . والسبعة الاولى هي منازل الربيع ، والسبعة الثانية هي منازل الصيف ، والسبعة الثالثة هي منازل الخريف ، والسبعة الرابعة والاخيرة هي منازل الشتاء . ويعد العرب اربعة عشر منزلاً من هذه المنازل شامية ، واربعة عشر يمانية ، فيبدأون بالشرطين حتى السماك الاعزل ، ثم تبدأ المنازل اليمانية بالغفر حتى بطن الحوت .

ولا يظهر من المنازل في القبة السماوية غير اربعة عشر منزلاً ، بينما تختفي عن الناظر الأربعة عشر منزلاً الاخرى ، فاذا غاب احدها في المغرب طلع رفيقه من المشرق ، بحيث تبقى في القبة السماوية اربعة عشر منزلاً دائماً . وتسمى

منازل القمر نجوم الاخذ كذلك ، لان القمر يأخذ كل ليلة منها في منزل ، يقال اخذ القمر نجم كذا ـ نزل به وانشد ابو عبيد :

وأخوت نجوم الأخذ الا أنضةً
انضة محل ليس قاطرها يثري [٢٣]

ثانياً : والشرطان كوكبان يقال انهما قرنا الحمل . ويسميان النطح الناطح ، ويسمى النطيح ايضاً . واحد الشرطين في ناحية الشمال ، والآخر في ناحية الجنوب ، والى ناحية الشمال كوكب صغير يعد معهما احياناً، فيقال الاشراط[٢٣] والبطين ثلاثة كواكب خفية كانها اثافي . والثريا اصلها من الثروة ، وهي كثرة العدد ، وهي ستة انجم ظاهرة ، في خللها نجوم كثيرة خفية . والدبران كوكب احمر منير يتلو الثريا بين يديه كواكب كثيرة مجتمعه من ادناها اليه كوكبان صغيران يكادان يلتصقان به كلباه والبواقي غنيمته [٢٥] . والهقعة رأس الجوزاء ، وهي ثلاثة كواكب صغار مثفاة وتسمى الاثافي . والهنعة كوكبان ابيضان ، يقال لاحدهما : الذر وللآخر الميسان . « والذراع هي ذراع الاسد المقبوضة . وللاسد ذراعان مقبوضة ومبسوطة . والمبسوطة تلي اليمن والمقبوضة تلي الشام والقمر ينزل بالمقبوضة وهما كوكبان ، بينهما قيد سوط . وكذلك المبسوطة مثلها الصورة الا انها ارفع في السماء . وسميت مبسوطة لانها أمد منها. وبين الذراعين كواكب يقال لها الاظفار » [٢٦] . والنثرة ثلاثة كواكب متقاربة احدها كانه لطخة وهو « انف الاسد » . والطرف طرف الاسد ، وهما كوكبان من بين يدي الجبهة . وقدام الطرف كواكب كثيرة ، يقال لها « الاشعار » [٢٧] . والجبهة جبهة الاسد وهي اربعة كواكب خلف الطرف ،وحيال الجبهة كوكب منفرد يسمى «الفرد». والزبرة زبرة الاسد وهي كوكبان نيران على اثر الجبهة ويسميان الخراتين . والصرفة كوكب واحد على اثر الزبرة ، مضيء عنده كواكب صغار طمس [٢٨] والعواء اربعة انجم على اثر الصرفة . والسماك هما السماك الاعزل وهو كوكب ازهر ، والسماك الرامح . والغفر ثلاثة كواكب خفية بين السماك الاعزل وبين زباني العقرب على نحو من خلفه العواء [٢٩] . والزباني هما قرنا العقرب وهما

كوكبان مفترقان . والاكليل رأس العقرب وهو ثلاثة كواكب مصطفة معترضة . والقلب قلب العقرب وهو الكوكب الاحمر وراء الاكليل بين كوكبين يقال لهما النياطان . والشولة كوكبان متقاربان في ذنب العقرب . والنعائم ثمانية كواكب على اثر الشولة . والبلدة وهي رقعة في السماء لا كواكب بها بين النعائم وبين سعد الذابح ، ينزل القمر بها » (٣٠) وسعد الذابح كوكبان غير نيرين احدهما مرتفع في الشمال والآخر هابط في الجنوب . وسعد بلع نجمان مستويان في المجرى وسعد السعود ثلاثة كواكب احدهما نير والآخران دونه . وسعد الاخبية اربعة كواكب متقاربة . واحد منها في وسطها ، وهي تمثل برجل بطة . ويقال ان السعد منها واحد ، وهو انورها . والثلاثة اخبيته (٣١) .

والفرغ الاول فرغ الدلو المقدم . والدلو اربعة كواكب ، اثنان منها هو الفرغ الاول ، واثنان منها الفرغ المؤخر . والفرغ الثاني هو الفرغ المؤخر . والحوت كواكب كثيرة ، وفي موضع البطن نجم منير هو قلب الحوت .

ثالثاً : والبروج في علم الفلك على مذهب العرب اثنا عشر برجاً هي : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت .

« ولكل برج منزلان وثلث من منازل القمر الثمانية والعشرين . فللحمل : الشرطان والبطين وثلث الثريا . وللثور : ثلثا الثريا والدبران وثلثا الهقعة . وللجوزاء ثلث الهقعة والهنعة والذراع . وللسرطان : النثرة والطرف وثلث الجبهة . وللاسد : ثلثا الجبهة والزبرة وثلثا الصرفة . وللسنبلة : ثلث الصرفة والعواء والسماك . وللميزان : الغفر والزبانى وثلث الاكليل . وللعقرب : ثلثا الاكليل والقلب وثلثا الشولة . وللقوس : ثلث الشولة والنعائم والبلدة . وللجدي : سعد الذابح وسعد بلع وثلث سعد السعود . وللدلو : ثلثا سعد السعود وسعد الأخبية وثلثا الفرغ المقدم . وللحوت : ثلث الفرغ المقدم والفرغ المؤخر والرشاء » (٣٢) .

رابعاً : والفلك في اللغة العربيةما إستدار ، وهو مجرى النجوم والشمس والقمر والكواكب . والسماوات طباق وهي سبعة . فبالاضافة الى الشمس والقمر توجد

الكواكب الخنس (المتحيرة) ، وهذه سيارة في البروج ، الا انها متفاوتة السرع بعضها عن بعض ، فما كان منها فوق الشمس فهو ابطأ من الشمس ، وما كان منها دون الشمس فهو اسرع من الشمس . وهذه الكواكب هي : زحل والمشتري والمريخ وعطارد والزهرة . وزحل بطيء السير وفي لونه صفرة ، ومسيره في كل برج اثنان وثلاثون شهراً . ثم المشتري وهو كوكب ابيض كبير ، ومسيره في كل برج سنة ، ثم المريخ وهو كوكب احمر شديد الحمرة ويقطع الفلك في سنتين « ويقيم في كل برج سبعة واربعين يوماً اذا اسرع . وربما اقام في البرج شهرين ونصفاً اذا ابطأ . وهذا اذا كان مستقيماً ، فاما اذا رجع في برج فانه يقيم فيه ستة اشهر » (٣٣) . ثم الشمس ومسيرها في كل برج شهراً . ثم تليها الزهرة وهي اعظم الكواكب منظراً واشدها نوراً وبياضاً ، ومسيرها في كل برج خمسة وعشرون يوماً او سبعة وعشرون يوماً (٣٤) . ثم عطارد ومسيره في كل برج سبعة ايام ، او سبعة عشر يوماً اذا اسرع ، وكان مستقيماً ، وربما اقام في البرج الواحد قريباً من شهرين اذا كان راجعاً (٣٥) ، ثم يليه القمر ، ومسيره في كل برج ليلتان وثلث ليلة ، وفي كل منزل ليلة . « ويستسر اذا كان الشهر ثلاثين يوماً ، ليلة تسع وعشرين ، ويستسر اذا كان الشهر تسعة وعشرين يوماً ليلة ثمان وعشرين . ويقطع المنازل في استسراره كما يقطعها في ظهوره . والعرب تسمى آخر ليلة في الشهر « البراء » لتبرء القمر فيه من الشمس » (٣٦) .

خامساً : يذكر الصوفي في استعراضه لصور الكواكب على مذهب العرب كذلك فمن الامثلة على ذلك ما ذكره بالنسبة لكوكبة الدب الاصغر فيقول : « فاما الاصغر فان العرب تسمي السبعة على الجملة بنات نعش الصغرى ، منها الاربعة التي على المربع نعش والثلاثة التي على الذنب بنات . وتسمي النيرين من المربع الفرقدين والنير الذي على طرف الذنب الجدي وهو الذي يتوخى به القبلة » (٣٧) وبالنسبة لكوكبة الدب الاكبر فانها تتألف من سبعة وعشرين كوكباً ، « والعرب تسمى الاربعة النيرة التي على المربع المستطيل والثلاثة التي على ذنبه بنات نعش الكبرى . وبني نعش وآل نعش منها الاربعة النيرة التي على المربع المستطيل

وهي السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر نعش والثلاثة التي على الذنب بنات ويسمى ايضاً الاربعة التي عـلى النعش سرير بنـات نعش ويسمى الذي على طرف الذنب وهو السابـع والعشرون القايد والـذي على وسطه العناق والذي يلي النعش وهو الذي على اصل ذنبه الجوز . وفوق العناق كوكب صغير ملاصق له يسميه العرب السها ، وفي بعض اللغات من العرب السنا ، والصيدق ونعيش » [٣٨] .

ويذكر لنا ابن الاجـدابي الى جانب بنات نعش الصغرى وبنات نعش الكبرى جملة اخرى من مشاهير الكواكب هي العوائد، والفكة والنسران والفوارس والردف والصليب والكف الخضيب والكف الجذمـاء ، والعيوق والكوكب الفرد وعرش السماك والحيل والشماريخ وسهيل والسعود والسفينة . ويعـدد لكل منها ما فيها من كواكب على مذهب العرب [٣٩] .

٥ – ولم تكن معرفة الانسان العربي – في الجاهلية وصدر الاسلام وقبل الاتصال بالثقافات الاجنبية – بالظواهر الفلكية مجردة ، بل كانت مشفوعة باغراض عملية كذلك . فالدين الجديد وما يقتضيه من تعيين القبلة واوقات الصلاة والحج وصوم شهر رمضان وغير ذلك من الشعائر الدينية تقتضي الاهتمام بالمعرفة الفلكية بشكل واسع ، كما ان صلة الظواهر الفلكية بالازمنة والمواقيت والحساب معروفة تتصدر معرفة الانسان العربي بالانواء اضافة الى الارتباط القائم بين الانواء والازمنة والظواهر الجوية من مطر ورياح وعواصف وجدب وغير ذلك ، وارتباط الانواء بالطالـع حسناً كان او سيئاً .

« قال ابو عبيد : الانواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في ازمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف ، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته ، وكلاهما معلوم مسمى ، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة ، ثم يرجع الامر الى النجم الاول مع استئناف السنة المقبلة . وكان العرب في الجاهلية اذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا : لابد من ان يكون عند ذلك مطر

او رياح ، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك الى ذلك النجم ، فيقولون : مطرنا بنوء الثريا والدبران والسماك » [٤٠] . » والنوء على الحقيقة سقوط نجم في المغرب وطلوع آخر في المشرق ، فالساقطة في المغرب هي الانواء ، والطالعة في المشرق هي البوارح » [٤١] .

ومن المعروف ان العرب في الجاهلية جعلوا النجوم مسؤولة عن الظواهر الجوية والتغيرات الحادثة في الطقس حتى جاء الاسلام وابطل الرسول الكريم هذا الاعتقاد ، الذي هو واحد من بين ثلاثة امور هي : الطعن في الانساب ، والنياحة ، والانواء .

اما ما يخص الازمنة عند العرب ، فان للعرب في الجاهلية اسماءاً للايام والاشهر غير تلك التي ظهرت بعد الاسلام . فالاسبوع يتألف من سبعة ايام ، وان اسماء الايام فيه كما ظهرت بعد الاسلام هي الاحد والاثنان والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة والسبت ، اما اسماء الاسبوع عند عرب الجاهلية فهي : « السبت – شيار ، الاحد – اول ، والاثنان – اهون واوهد واهود ، والثلاثاء – جُبار ، والاربعاء – دُبار ، والخميس – مؤنس ، والجمعة – العَروبة » [٤٢] . واسماء الاشهر في الاسلام هي المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة . اما اسماء الاشهر في الجاهلية فهي :– المؤتمر – المحرم ، وناجر – صفر ، وخوان – ربيع الاول ، وبصان – ربيع الآخر ، والحنين – جمادى الاولى ، ورُبّى – جمادى الآخرة ، والاصم – رجب ، وعاذل – شعبان ، وناتق – رمضان ، ووعل – شوال ، وورنة – ذو القعدة ، وبُرك – ذو الحجة . [٤٣]

اما بالنسبة لفصول السنة فان العرب « تذهب في عدد الازمنة الى الابتداء بفصل الخريف ، وتسميه الربيع . لان اول الربيع ، وهو المطر ، يكون فيه ، ثم يكون بعده فصل الشتاء ، ثم يكون بعد الشتاء فصل الصيف » [٤٤] ويقسم بعض العرب السنة الى نصفين شتاءاً وصيفاً ، ثم يقسم الشتاء الى نصفين ، فيكون الشتاء اوله والربيع آخره ، ويقسم الصيف الى نصفين ، فيكون الصيف اول له والقيظ آخره . « وقد يقسم الشتاء على ثلاثة والصيف على ثلاثة ، فتكون السنة كلها ستة

ازمنة ، ثلاثة للشتاء وثلاثة للصيف . ويسمى كل زمن باسم الغيث الواقع فيه ، فاول ازمنة الشتاء الوسمي ، ثم الشتاء ، ثم الربيع ، وكلها شتاء . واول ازمنةالصيف الثلاثة : الصيّف ، مشدد الياء ، ثم الحميم ، ثم الخريف ، وكلها صيف» (٤٥)

« فاما اوقات هذه الازمنة في السنة فانها محدودة عندهم فيما ذكر مالك،رحمه الله بسقوط المنازل وطلوعها . فلكل زمن منها اربع منازل وثلثان . ومدة ذلك ستون يوماً وثلثا يوم . وهم يعتدون في ازمنة الشتاء بالسقوط ، وفي ازمنة الصيف بالطلوع . فصار حسابهم لاجل ذلك بالمنازل الشامية خاصة ساقطة وطالعة . فـاول ذلك الوسمي ، وله من النجوم الحوت والنطح، والبطين، والثريا، وثلثا الدبران . فهذه سقوط هذه المنازل هي في زمن الوسمي . ثم الشتاء . ونجومه ثلث الدبران الباقي ، والهقعة ، والهنعة ، والذراع ، والنثرة . وثلث الطرف . فهذه سقوط هذه المنازل، وهي في زمن الشتاء . ثم الربيع ثلثا الطرف الباقي والجبهة . والزبرة ، والصرفة ، والعواء، فهذه سقوط هذه المنازل وهي في زمن الربيع . ثم يدخل الصيف ويحسب بالطلوع .. ومنزله السقوط . ويعاد من اول الحوت ، فيقسم لازمنة الصيف على نحو ما قسم لازمنة الشتاء فتكون نجوم ازمنة الصيف هي نجوم ازمنة الشتاء بعينها ، الا انها في الشتاء ساقطة ، وهي في الصيف طالعة . ومن الناس من يبتدئ في القسمة من الفرغ المؤخر ، ويختم بالصرفة . وهذا اشبه بمذهب العرب . حكى ابن كناسة او غيره ان الوسمي عند العرب سقوط الفرغ المؤخر الى سقوط الثريا » (٤٦) .

ونأتي بعد ذلك الى حساب السنين فنجد الامم مختلفة في ذلك ، فمنهم من يأخذ بالسنة الشمسية ، ومنهم من يأخذ بالسنة القمرية ، ومنهم من يمزج بينهما . والعرب في الجاهلية من بين الامم التي تمزج بين التقويمين او السنتين ، بينما اكتفى المسلمون بالسنة القمرية ، واشتهر الروم والقبط والسريان بالسنة الشمسية . ويذكر البيروني ذلك بقوله : « فمستعملو سنة الشمس مفردة هـم الروم والافرنجية والقبط والسريانيون والفرس والسغد ، وربما استعملها النصارى في بعض امورهم دون بعضهم . ومستعملو سنة القمر مجردة هم امة الاسلام

فقط من بين سائر الامم ، والمازجون بين السنتين هم الهنـد وترك المشرق والصين والعرب في الجاهلية واليهود .... (٤٧) .

ان عدد ايام السنة الشمسية ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوماً وربع يوم ، وتكبس كل اربع سنوات ، فتكون السنة الرابعة ثلاثمائة يوم وستة وستين يوماً ، بينما عدد ايام السنة القمرية (العربية) ثلاثمائة واربعة وخمسون يوماً وخُمس وسدس يوم . وبذلك يظهر الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية بعدد الايام ، وهو الامر الذي ادى بعرب الجاهلية الى محاولة كبس السنة القمرية بزيادة الايام بين السنتين ، نظراً لاستعمالهم السنة الشمسية والقمرية معاً . والفرق بين السنتين « عشرة ايام ونصف وثلث ونصف عشر بها تسبق سنة القمر سنة الشمس في المرة الواحدة ، فمن اراد الاخذ بكليهما احتاج الى الحاق ما يجتمع من ذلك السبق في المرات » (٤٨) . وكانت العرب في الجاهليـة تزيد في كل ثالثه من سنيها شهراً واحداً ، فتكون تلك السنة ثلاثة عشر شهراً قمرية ، وكان يسمون ذلك النسيء (٤٩)، وقد ابطل الاسلام ذلك وحرمه بالآية الكريمة : « انما النسيء زيادة في الكفر يُضل به الذين كفروا ، يحلونه عاماً ، ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله .... (سورة التوبة : الآية ٣٧) .

ولم تكن نظرة الانسان العربي الى الكون بكل ما فيه من ظواهر الا صورة تعززها الوحدة في الموقف والارتباط ، فليست الظواهر والموجودات من جمـاد وحيوان ونبات الا شواهد حقيقية على وحدة الكون وارتباط الاشياء والظواهر فيه بعضها ببعض . فكانت مراقباته للسماء وما يحدث فيها اساساً لتفكيره العلمي ، فالحساب يعتمد على حركة الشمس الظاهرية وحركة القمر ، كما يعتمد علـم الانواء على تلك المراقبات المستمرة للافلاك والكواكب، بالاضافة الى المعـرفة بالمنازل والبروج ، وما يتصل بالانواء من ظواهر جوية مثل الامطار والرياح والبرد والبرق والرعد وغير ذلك . وارتبطت معرفة العربي العلمية للنبات بالفصول والظواهر الجوية وبالانواء كذلك ، وكانت الفلاحة مرتبطة بالمعرفة الفلكية والانواء بصورة عامـة . وقد الف سنان بن ثابت بن قـرة (ت ٩٤٣ م) كتـاباً

في الانواء ، رتبه على الايام ، حيث بيّن احوال الارض والجو لكل يوم . ومـــا يصدق على النبات والفلاحة يصدق كذلك على الحيوان ، وذلك لارتباط حياة الحيوان ونتاجه بالفصول والنبات والكلأ والحشيش .

واهتم الانسان العربي بالظواهر الجوية لعلاقتها المباشرة بحياته ومعاشه ، وقد وصل الينا من الاشعار والحكم والاسجاع العربيـــة ما يبرهن على ادراك ثاقب بالحالات الجوية وانواع الرياح والسحاب والامطار وغير ذلك ، بحيث يمكن القول ان هذه المعرفة تؤلف بحد ذاتها ركناً اساسياً من معرفته العامة بالطبيعة والكون « فامهات الرياح ، وهي معاظمها ، اربع وهي : الشمأل ، والجنوب ، والصبا ، والدبور . فالشمأل تأتي من ناحية القطب الاعلى ، والجنوب تأتي من ناحية القطب الاسفل ، والصبا تأتي من وسط المشرقين ، والدبور تأتي من وسط المغربين (٥٠) . ويطلق العرب على ريح الشمأل شامية ، لانها تأتي من ناحية الشام ، وعلى ريح الجنوب يمانية ، لانها تأتي من ناحية اليمن . وعلى ريح الصبا شرقية ، وريح الدبور تأتي من دبر الكعبة . ولكل ريح من هذه الرياح الاربعة خواص ، فريح الشمال مذمومة لانها تقشع الغيم وتأتي بالبرد ، ولكنها في الوقت نفسه تصاحب الضباب فتصبح الارض كأنها ممطورة ، وهي لاجل ذلك تحمد. اما ريح الجنوب فانها تثير البحر حتى تسوده وتظهر كل ندى كامن في بطن الارض حتى تلين الارض . والدبور قليلة الهبوب ، وهي اكثر عجاجاً وسحاباً لا مطر فيه ، وهي هيف تيبس الارض وتحرق العود من النكباء التي بين الدبور والجنوب التي تجيء من مغيب سهيل (٥١) .

وقد اطلق العرب على انواع السحب بعض الاسماء التي تصفها ، كما ميزوا بوضوح بين السحب الممطرة والسحب غير الممطرة . وانا لنذكر بعض هذه الاسماء الدالة على كل سحابة . فاذا كان السحاب طوال الاعناق سمي بالعبط ، واذا كانت السحابة مؤلفة من سحب صغار متباعدة سميت نمـــرة وهي مخيلة للمطر . واذا كان السحاب اسود ، فهو سحاب مظلم ، وذلك عـــلامة من علامات الغيث . واذا كان السحاب ابيض يبرق بضوء ، فذلك دليل على مائه . واذا

كان السحاب بطيئا في سيره فهو كثير الماء . اما اذا كان السحاب اصهب الى البياض ، فذلك دليل على الجدب ، لانه لا يحمل ماءاً .

ويذكر لنا ابن سيده في « المخصص » جملة واسعة من الاسماء التي يطلقها العرب على انواع السحب . ومن هذه الاسماء الصبير وهي السحابة البيضاء ، والنمرة او النمر من السحاب وهو قطع صغار متدان بعضها من بعض ، والقزع وهو قطع متفرقة صغار ، والكسف وهي سحابة عريضة ، والصرمة وهي قطعة من السحاب ، والرمي وهي قطع صغار دقاق قدر الكف او اكبر شيئاً ، والكنهور وهي قطع مثل الجبال ، والخال وهي سحابة ضخمة ، ودلوح وهي سحابة مثقلة بالماء ، والمعصرات وهي ذوات المطر . والعين وهي كل سحابة تبدأ من قبل القبلة ، والريق وهو السحاب المطر ، والعقر وهو السحاب الابيض ، والنقيح وهو سحاب صيفي . والركام وهو السحاب اذا ركب بعضه بعضاً . والرباب وهو السحاب المتعلق دون السحاب وقد يكون ابيض ويكون اسود ، والهيدب وهو الذي يتدلى ويدنو مثل هدب القطيفة . والمزن سحاب ذو ماء ، وسحابة خلوج اي كثيرة الماء والبرق . والقماية سحاب اسود ذو ماء كثير ، وسحابة لهموم اي غزيرة المطر (٥٢) .

وخلاصة القول في انواع السحب ان العرب قد وصفوا الاسماء المطابقة لاوصاف كل سحابة ، فلأنواع السحب التي لا تحمل الماء وغير ممطرة اسماء خاصة ، ولانواع السحب الممطرة اسماء اخرى ، كما اختلفت اسماء السحب حسب الرقة والكثافة . ولم تكن معرفتهم بالسحب الممطرة مجردة عن معرفتهم بعوامل اخرى فلكية وجوية ، بل نجد تلك المعرفة مرتكزة على عدة عوامل . فبالاضافة الى نوع السحابة وشكلها ولونها وابتعادها عن الارض او دنوها منها ، فان معرفتهم بالريح والانواء والفصول والازمنة وغير ذلك عوامل مؤثرة في تكهنهم بالغيث والسيول والامطار . فمما ورد عن ابي حنيفة الدينوري قوله : « من أمارات الغيث الهالة التي تكون حول القمر ، فان كانت كثيفة ومظلمة كانت من دلائل المطر ، ولاسيما ان كانت مضاعفة . ومن دلائله الندأة وهي

الحمرة التي تكون عنـــد مغرب الشمس ايام الغيوث » [٥٣] . ولعل ما ورد عــن الشيخ الاعرابي غُنيمته ما يشير بوضوح الى الاستدلال ببعض الظواهر قبل هطول المطر . : روي ان شيخاً من العرب كان في غنيمة له فسمع صوت رعد فتخوف المطر وهو ضعيف البصر ، فقال لأمة له كانت ترعى معه كيف ترين السماء فقالت كأنها ظُعُنُ مقبلة ، فقال ارعي ثم قال كيف ترين الســماء قالت كأنها بغال دهم تجر جلالها ، فقال ارعي ثم قال كيف ترينها فقالت كأنها ثروب معزى هزلى ، فقال ارعي ثم قال كيف ترينها قالت اراها استوت وابيضت ودنت من الارض فكانها بطون حمير صُحر قال انجي ولا نجاء بك ، فلجأ الى كهف وادخل غنيمته وجاءت السماء بما لا يقام بسبيله » [٥٤] .

واستدل العرب بالرعد والبرق والحمرة لمعرفة السحاب الممطر من غيره ، فربطوا بذلك عوامل متعددة من اجل التأكد من هطول المطر او انقطاعه . وقد ميزوا بوضوح بين الحمرة التي تدل على الجدب ، والحمرة التي تدل على المطر . فالاولى التي تدل على الجدب تكون بغير سحاب او مع سحاب رقيق ، اما الثانية فانها تكون شديدة عند الطلوع والغروب في سحاب متكاثف .

٦ ــ ان اهتمام الانسان العربي بالاحوال الجوية والانواء والافادة من خبراته في هذا الميدان من المعرفة قد انار له السبيل للسير بالقوافل وركوب البحر الى مناطق بعيدة طلباً للتجارة وبحثاً عن مناطق جديدة يسكنها ، كما ارتبطت معرفته بالاحوال الجوية والانواء بالنبات والزراعة والرعي وتدجين الحيوانات وغير ذلك من الاوجه المختلفة للحياة الزراعية . ولم تكن معرفته بالنبات مقتصرة على ما يفيد الحيوان في الرعي من حشائش واعشاب ، بل تجاوزت ذلك بكثير ، وانه من الخطأ حصر المعرفة النباتية عند العربي في هـــذا المجال الضيق ، اذ ليست معرفة العربي النباتية مقصورة على حياة الاعراب وما تشتمل عليه من خبرات بدائية ببعض النباتات .

ان رسم صورة حقيقية للمعرفة النباتية على مذهب العرب تقتضي ان نلـــم بجميع اطراف الموضوع ومصادره ، وان نتوسع في الاحاطة بالحضارات العربية المتقدمة التي سبقت ظهور الاسلام . ومعرفة ما قدمته من معارف متقدمة في هذا

المجال . وبناءاً على ذلك يجدر بنا ان نحيط بالاوجه المختلفة للمعرفة النباتية على مذهب العرب ، فنعين صورها بالطريقة الآتية :ـ

اولاً : لقد شهد الوطن العربي قبل الاسلام ظهور حضارات كثيرة بلغت مرتبة عالية في التقدم الزراعي ، وقد كانت عناية انسان هذه الحضارات بالارض والنبات والزراعة كبيرة نظراً لخصوبة الارض وتوفر المياه واعتماد المجتمع على الزراعة ،فاكتسبت الاقوام العربية التي سكنت ارض العراق والشام واليمن والجزيرة العربية خبرة واسعة في مجالات المعرفة بالنبات والزراعة . وقد اشتهر الانباط او الكلدانيون من سكان العراق بفلاحة الارض وعلاج امراض الاشجار ودفع الآفات عنها وتحسين الثمار ونوع الانتاج في فصول السنة مع معرفة واسعة بانواع الارضين والنبات والشجر واستخدام الاعشاب والنباتات في معالجة الامراض(٥٥).

ثانياً : اشتهرت مكة قبل الاسلام بالتجارة ، بينما اشتهرت المدينة بالزراعة ، وعرفت اليمن بالزراعة والفلاحة والتجارة ، وكانت على اتصال دائم بالمراكز الحضارية في الجزيرة العربية ، بحيث يمكن القول ان العرب قبل الاسلام كانوا على معرفة واسعة بالنبات والزراعة ، يؤيد ذلك ما جاء به القرآن الكريم من آيات في وصف النبات والاشجار والثمار من انواع مختلفة كما ان اهتمام الرسول الكريم بالزراعة واستصلاح الاراضي دليل ثابت على فكر حضاري يعتمد الزراعة اساساً لتوفير القوت والمعاش لجميع الناس . فمن الآيات الكريمة في النبات والثمر قول الله تعالى : « وهو الذي انشأجنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً اكُله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده ، ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين» (سورة الانعام: الآية ١٤١) . وجاءت احاديث الرسول الكريم في احياء الارض وتنظيم الزراعة واستصلاح الارض والتصرف بالمياه وغير ذلك ادلة واضحة على مقدار اهتمام الاسلام بالزراعة والنبات (٥٦) .

ثالثاً : ولم تقتصر معرفة الانسان العربي على الزراعة وتدجين الحيوان ، بل تعدت ذلك الى معرفة خصائص بعض النباتات والاعشاب في معالجة الامراض

والقروح والجروح ، وهي معرفة اساسها الخبرة الطويلة وما تعلمته الاقوام العربية التي سكنت الحواضر والامصار من معارف طبية وصيدلانية . وقد امدت هذه المعرفة الطبيب العربي والصيدلاني كذلك بمعلومات جيدة غير تلك التي نقلها عن الكتب الطبية والنباتية عن اليونان بعد عصر الترجمة . وقد زخرت الكتب الطبية بانواع الحشائش والنباتات التي وصفها العرب للعلاج ، وكتاب الحاوي الكبير لابي بكر محمد بن زكريا الرازي (٨٥٤ – ٩٣٢ م) ، وكتاب القانون لابي علي بن سينا (٩٨٠ – ١٠٣٧م) وغيرهما من كتب الطب شواهد على هذه المعرفة، كما ان كتاب الجامع لمفردات الادوية والاغذية لضياء الدين عبدالله بن احمد المعروف بابن البيطار (١١٩٧ – ١٢٤٨م) ، وكتاب تذكرة اولى الالباب والجامع للعجب العجاب لداود بن عمر البصير الانطاكي (ت – ١٦٠٠م) وغيرها من كتب النبات والصيدلة ادلة على مقدار ماافاده الفكر النباتي والصيدلاني من معرفة العرب بالنباتات والاعشاب الطبية .

ومن اوائل العلماء العرب الذين اولوا عناية كبيرة بالنبات والشجر على مذهب العرب طائفة من علماء اللغة ، حيث التمسوا هذا النوع من المعرفة عن طريق الاتصال بفصحاء العرب ومن كانت له دراية كبيرة بشؤون النبات والشجر ، فدوّنوا هذه المعرفة في الكتب والمعاجم اللغوية . ويتميز هذا النوع من الاستقراء بناحيتين : الاولى لغوية بما تتضّمنه من مفردات لغوية مختلفة لشتى مفردات النبات والشجر ، والثانية علمية بما تتضمنه من اوصاف لنوع كل نبتة من سوق واغصان وثمار وبذور واوراق وغير ذلك . وقد اورد ابن النديم في كتاب الفهرست طائفة من هؤلاء العلماء مع ذكر ما صنفوه من كتب في هذا الباب [٥٧] .

ولنا هنا وقفة عند بعض هؤلاء العلماء فنذكر منهم الخليل بن احمد الفراهيدي (ت – ٧٨٦ م) ، والنضر بن شميل (ت – ٨٢٠م) وأبا عبيدة البصري (ت – ٨٢٤ م) وأبا سعيد عبدالملك بن قريب المعروف بالاصمعي الباهلي (ت – ٨٢٨م) وأبا زيد الانصاري ، واحمد بن حاتم ، وابن الاعرابي وأبا عبدالله محمد بن زياد ، ويعقوب بن اسحاق بن السكيت ، وأبا حاتم

سجستاني ، وأبا حنيفة الدينوري (ت ـ ٨٩٥م) وغيرهم، وقد وضع هؤلاء علماء مصنفات قيمة في النبات على مذهب العرب ، فاشتمل كتاب العين للخليل لى جملة واسعة من اسماء النبات والشجر ، واشتمل كتاب الصفات للنضر بن ميل على خمسة اجزاء ، حيث ذكر في الجزء الخامس منه الزرع والكرم والعنب لبقول والاشجار والرياح والسحاب والامطار [٥٨]. وصنف ابو عبيدة البصري ددأ من الكتب في النبات والحيوان واللغة ، والف الاصمعي كتاب النبات والشجر ذي ذكر منه اسماء الارض من حيث قبولها للزرع والنبات ، واسماء النبات ، اطواره المختلفة ، واقسام النبات الى احرار وغير احرار ، وحمض وخلة ، وما بت من النبات في السهل وفي الرمل . وذكر اسماء النبات حتى بلغ عددها نحو ٢٨ اسماً [٥٩]. ولا بي زيد الانصاري مصنف في النبات والشجر ، ولاحمد ن حاتم كتاب في الزرع والنخل ، وكتاب الشجر والنبات ، ولابن الاعرابي كتاب صفة الزرع وكتاب النبات ، وكتاب النبت والبقل ، ولابن السكيت ، كتاب النبات والشجر ، ولابي حاتم السجستاني كتاب النخلة وكتاب الزرع ، كتاب الكرم ، وكتاب النبات ، وكتاب العشب . اما ابو حنيفة الدينوري فله ن الكتب في شتى المعارف ، وكان كتاب النبات الذي صنفه من بين ثلاثة كتب شتهر بها هي علم الانواء وعلم النبات وعلم القرآن . ويقع كتاب النبات للدينوري ي ستة مجلدات احتوت على جميع ما عرفه العرب من انواع النبات والشجر ، متاز هذا المصنف بالاضافة الى الثروة اللغوية بسعة المعرفة في النبات والوصف علمي الدقيق لكل نبتة ، كما يبين قدرة فائقة على الاستقصاء العلمي وتطبيقاً نهج علمي في المعاينة والتدقيق والتفريق بين انواع النباتات . واشتمل كتاب نبات للدينوري على معجم باسماء النباتات والاشجار ، وعلى ابواب تختص الرعي والمراعي والكمأة والصمغ والدباغ والزناد والروائح وغير ذلك . ونظراً لشمولية كتاب النبات ودقة المعلومات الواردة فيه فقد اصبح مصدراً ومرجعاً مهماً أفادت منه كتب المعاجم اللغوية وكتب الطب والعقاقير بالاضافة الى المصنفات التي تناولت علم النبات على مذهب اليونان وعلم الفلاحة .

لقد اتبع الدينوري منهجاً لغوياً وعلمياً معتمداً في ذلك على ما ورد على ألسنة فصحاء العرب ، وما تشير اليه اسماء النباتات من دلالات ، مبيناً بوضوح تام كل ما يتصل بالنبتة والنبات من صفات وخصائص ، وفيما يلي بعض الشواهد على صدق هذا المنحى : —

سلع :

« اخبرني اعرابي من اهل السراة ، قال : السلع شجرة قيل السنعبق الا انه ينبت بقرب الشجرة ثم يتعلق بها فيرتقي حبالاً خضراً ، لا ورق له ، ولكن قضبانه يلتف على الغصون ويتشبك . وله ثمر مثل عناقيد العنب، صغار ، فاذا اينع اسوّد ، فتأكله القرود فقط ، لا يأكله الناس. ولا السائمة . قال: ولم اذقه، واحسبه مرّاً . قال : واذا قصف ، سال منه ماء لزج صاف ، له سعابيب» (٦٠).

سنعبق :

« اخبرني اعرابي من الازد، قال : السنعبق نبات ينبت في الصخر فيتدلى حبالاً خضراً ، لا ورق له . وله نَور مثل نَور الدفلى لا يأكله شيء ولا تجرسه النحل. له رائحة خبيثة. واذا قصف منها عود ، سال منه ماء لزج له سعابيب»(٦١).

حناء :

« ابو حنيفة : شجره كبار مثل شجر السدر وله فاغية وهي نَوره وبزره وعناقيد متراصة اذا انفتحت اطرافها شبهتها بما ينفتح من الكزبرة الا انه اطيب رائحة واذا تحات نَوره بقيت له حبة غبراء صغيرة اصغر من الفلفلة والفاغية كل نَوره طيبة الرائحة ، وقد خصت فاغية الحناء بذكر الفاغية فيقال الفاغية فتعرف من غير تشبيه وهي ذكية حمراء . وقال مرة اخرى الفاغية تخرج امثال العناقيد وينفتح فيها نوار صغار فتجتنى منه ويزيت به الدهن الذي يقال له دهن الحناء فيقال الدهن المغفو . وانما تطحن الحناء من ورقه وتنّور في السنة مرتين وهي بارض العرب » (٦٢).

ووجدت الثروة اللغوية والعلمية في النبات طريقها الى كتب المعاجم ، وقد اعتمد علماء اللغة والمعاجم على ما صنفه العلماء العرب الاوائل في النبات، فنجدهم

يذكرون ما دوّنه هؤلاء عند استعراضهم لنبتة او شجرة ، متوسمين في ذلك الدقة والامانة في النقل[٦٣] . وهكـــذا نستطيع القول ان علم النبات على مذهب العرب يمثل صورة صادقة لمعرفة الانسان العربي بأحوال النبات واوصافه وكل ما يتصل به من ثمار وزرع واستزراع وما ينتج عنه من صموغ وادوية والبان وغير ذلك.

وفي سبيل توضيح معالم هذه الصورة نرسم خطوطها العامة على الوجه الآتي : —

اولاً :

تمثل معرفة الانسان العربي بالنبات حصيلة كبيرة من الخبرات الطويلة في فن الزراعة والرعي والمراعي، ومعرفة دقيقة بانواع النباتات والشجر ومواسم الزراعة والاستزراع ، وحاجــة النبـــات الى الماء وانواعـــه سواء كان مـــاء نهر او بئر او مطر ، ومعرفة بانواع الاراضي الصالحة للزرع والمراعي ، وسواء كانت تلك الاراضي رملية او سهلية او جبلية او مستوية ، ومعرفة باوصاف الشجر وتوريقها وتنويرها واوصافها من حيث قلة الاوراق وسقوطها ، وحجم الاشجار وعيوبها ، وآفات الزرع ، واجزاء النبتة ، وادوات الزراعة المختلفة وغير ذلك من الامور الزراعية التي تدل بوضوح على معرفة جيدة ودقيقة بالنبات .

ثانياً :

تمثل معرفة الانسان العربي بالنبات وجهاً من وجوه معرفته الشاملة بالكو والحياة ، اذ ارتبطت معرفته النباتية بالفلك والانواء ، كما ارتبطت حياته بالزراء والمطر والارض ، لذلك كانت ملاحظـــاته المستمرة للنجوم والكواكب جدي ومهمة في استدلالاته على الخصب والجدب ، وكثرة الامطار وقلتها ، ومواس الزرع والحصاد ، والرياح وانواعها ، وكل ما له صلة بحياته المعاشية واهتماما بالحيوان والنبات على السواء .

ثالثـــاً :

استدعت حاجة الانسان العربي بالنبات والحيوان ضرورة المحافظة على الم في خزانات وسدود ، فكان انسان اليمن والعراق والشام على معرفـــة واسعة بطر الارواء المختلفة واساليب شق الجداول والترع والانهار بالاضافة الى معرفته بـ

سدود والافادة من المياه المخزونة فيها للزراعة في المواسم التي يقل فيها المطر او تعرض الارض الى الجفاف . لذلك تطور فن الزراعة وتنوعت اساليبه على مدار سنة ، وتنوعت النباتات المزروعة حسب الفصول السنوية ، بالاضافة الى مـــا نوم به السدود من منافع لدرء اخطار السيول عند هطول الامطار .

بعاً :

لقد امدت المعرفة النباتية الانسان العربي بانواع مختلفة من الصناعات فمن نبات استخلصت انواع الصموغ والروائح والعقاقير لمعالجة الامراض، كما افاد ن النبات في مجالات البناء والصناعات اليدوية المختلفة ، بالاضافة الى صناعة نسي والسهام ودباغة الجلود ، واستخدام النبات من انواع مخصوصة لقدح النار ، يره لغسل الثياب ، والاصباغ ، وصناعة انواع الحبال ، ويفيد الزرع والزراعة، لحروب والمعارك ، وبناء الحصون وغير ذلك من الاوجه التي تعتمد على صناعة ستخدام الاخشاب .

– وعرف الانسان العربي قبل الاسلام وبعده انواعاً مختلفة من الحيوانات ، ير الى ذلك ما خلفته الامثلة والاسجاع والاشعار والاخبار من معلومات دقيقة ولت سلوك الحيوان واسلوب معاشه وطرق اصطياده واماكن معيشته بالاضافة ، الصفات الجسمية والالوان للحيوانات المختلفة ، بحيث يمكن الاستنتاج بان ـه المعرفة قد تجاوزت حدود الملاحظات العابرة ، وانها انتقلت بالفعل الى جلة دقة الملاحظة والمراقبة المستمرة للحيوان من جميـــع الوجوه ، وبخاصة ك الحيوانات التي افاد منها في حياته اليومية والمعاشية .

ان سعة الرقعة الجغرافية التي استوطن فيها الانسان العربي وتجواله في مناطق نوعة من الارض العربية ، جعلت معرفته بانواع الحيوانات على درجة عالية من وسع ، فعرف بذلك جميع انواع الحيوان الذي يعيش في الجزيرة العربية ارجها ، كما تعلّم كيفية تربية انواع مخصوصة من الحيوان وطرق تكاثرهـــا فادها ، والمحافظة على ما تنجبه من خلف . لذلك فان افضل وسيلة لرسم ورة عامة لمعرفته بالحيوان هي ان نستعرض اولاً مصنفات العلماء العرب في

الحيوان الذين ذهبوا في التأليف باستقصاء هذه المعرفة مباشرة من فصحاء العرب من الناحيتين اللغوية والعلمية على السواء ، ثم استقصاء هـــذا المذهب في دراسة الحيوان في المصنفات الاخرى التي جاءت بعد ذلك ثانياً ، وهي مصنفات المعاجم اللغوية وكتب الحيوان المتخصصة .

ذكر صاحب الفهرست في كتابه عدداً من الفصحاء والعلماء العرب الذين صنفوا الكتب في الحيوان وغيرها من العلوم ، ومنهم يزيد بن عبدالله المعروف بابي زياد الكلبي ، وله كتاب الابل ، ونهشل بن زيد ابو خيرة ، وله كتاب الحشرات ، وابو محلم الشيباني ، وله كتاب الخيل ، والنضر بن شميل ، وله كتاب الصفات الذي احتوى على الابل فقط في الجزء الثالث ، وابو الحسن سعيد بن مسعدة الملقب بالاخفش المجاشعي ، وله كتاب صفات الغنم والوانها وعلاجها واسنانها ، وابو عبيدة معمر بن المثنى التميمي ، وله كتاب الحيوان ، وكتاب البازي ، وكتاب الحمام ، وكتاب الحيّات ، وكتاب العقاب ، وكتاب الخيل ، وكتاب الابل ، وكتاب اسماء الخيل ؛ وسعيد بن اوس الانصاري المعروف بابي زيد ، وله كتاب الابل والشـــاة ، وكتاب الوحوش ، وكتـــاب نعت الغنم ؛ وعبدالملك بن قريب الاصمعي ، وله كتاب الخيل ، وكتاب الابل ، وكتاب الشاة ، وكتاب الوحوش ، واحمد بن حاتم ، وله كتاب الابل ، وكتاب الخيل ، وكتاب الطير ، وكتاب الجراد ؛ وابو حاتم السجستاني ، وله كتاب الطير ؛ وكتاب الوحوش ، وكتاب الحشرات ، وكتاب النحل والعسل ، وكتاب الابل ؛ وغير هؤلاء من العلماء(٦٤) .

وقد افادت كتب معاجم اللغة العربية من هذه المصنفات كثيراً ، وكان ابن سيده في كتابه « المخصص » اميناً على تصنيف الحيوان على مذهب العرب ، ودقيقاً في النقل ، اذ يذكر على الدوام اسماء العلماء الذين يأخذ عنهم ، وحسبي هنا ان ابدا بتصنيف الحيوان على مذهب العرب بالاعتماد على طريقة تصنيف الكتب وطريقة تناول ابن‌سيده لموضوعات الحيوان وأصنافه في كتابه « المخصص » .

فالملاحظة الاولى التي يدركها المرء بسهولة عند استعراضه للكتب الخاصة بالحيوان هي انها تتناول بالتفصيل الاصناف الآتية :ـ الخيل ، والابل ، والغنم ،

والوحوش ، والسباع ، والحشرات ، والطير . والملاحظة التانية هي ان بعض الكتب تناولت ابواباً تدخل تحت هذه الاصناف مثل الجراد والنحل والحيات والبازي والحمام والعقاب وغير ذلك . ولقد تناول ابن سيده اصناف الحيوان في الجزء السادس والجزء السابع والجزء الثامن من كتابه ، وذلك حسب كتب وابواب ، فذكر كتاب الخيل ، وكتاب الابل ، وكتاب الغنم ، وكتاب الوحوش ، وكتاب السباع ، وكتاب الحشرات ، وكتاب الطير .

اشتمل كتاب الخيل على جملة واسعة من المباحث الخاصة بالخيل مثل حملها ونتاجها واسنانها وخلقها بالاضافة الى ما يستحب في الخيل وما يكره ، والوانها وشعورها واصواتها ونعوتها وعيوبها وأدواؤها وسماتها . كما اختص بذكر خصاء الخيل وصفة مشيها وغزوها ، ونعوتها في الجري وفي العرق والطلق والاعياء ، بالاضافة الى ركوب الخيل وسوابقها وحسن الثبات عليها ومحابسها واكرامها واهانتها ، وغير ذلك من الصفات والخصائص (٦٥) . واشتمل كتاب الابل على جملة واسعة من المباحث الخاصة بالابل من حيث حملها ، ونتاجها وصفاتها من قبل اوقاتها وكيفية حملها ، ومن حيث نعوتها في نتاجها وكثرة النتاج وقلته ، واسنان الابل ، ومظام الابل وحنينه ، والحلب والرضاع ، والوان الابل واصواتها ، وعلف الابل واجترارها ، وصغار الابل ، وسمات الابل وعيوبها وامراضها ومعالجة جرب الابل ، وادواؤها في المرض وانواع امراضها وغير ذلك من الصفات والخصائص (٦٦) . واشتمل كتاب الغنم على معلومات واسعة مما يتعلق بكل جوانب حياة الغنم وخصائص الاغنام وصفاتها ، ومن حيث الحمل والنتاج ، ورضاع الغنم وضروعها والبانها ، ومظام الغنم وحلبها واسنان اولادها ، وشيات الضأن ونعوتها ، وشيات المعز ونعوتها ، واصوات الغنم ، ونعوتها من قبل صوفها وشعرها ، وتناطحها وخصاؤها ، وصغار الغنم وعيوبها ، وامراض الغنم ، وضروب الغنم (٦٧) . واشتمل كتاب الوحوش على جملة من الحيوانات التي هي من دواب البر مما لا يستأنس ، مثل الظباء والوعول والأيل ونحوه ، والبقر ، والحمر الوحش والحمير ، والنعام ، والفيلة والكركدن او الهرميس ، وقد اختص الكتاب بدراسة نتاجها وسفادها

واولادها وصفاتها واصواتها وسلوكها وغير ذلك من الخصائص والصفات التي ترافق كل نوع من انواع الوحوش (٦٨). واشتمل كتاب السباع على جملة واسعة من الحيوانات هي الاسود ، والنمور ، والذئاب والضباع ، والفهود ، والببر والنمس ، وبنات آوى ، والدببة ، والخنازير ، والقردة ، والثعالب والارانب والكلاب وغير ذلك (٦٩) . واشتمل كتاب الحشرات على مجموعة من الحيوانات هي الدواب الصغار مثل اليربوع والقنافذ والضباب ، والجرذ والفأر ، والوبر ، وابن عرس ، ومنها الهوام وهي الورل والعظاء والحرباء وام حبين ، ومنها الاحناش والدواب والعقرب ، والحيات ، والخنافس ، والجعلان ، والعناكب ، والقمل والنمل ونحوهما ، والدود ونحوه ، والقردان والحلم واشباهها (٧٠). واشتمل كتاب الطير على دراسة شاملة لحياة الطيور ومعيشتها وسفادها وبيضها وافراخها وعشها وخلقها واصواتها وصفاتها وطيرانها . كما اشتمل على انواع اخرى من الطيور مثل النسر والصقر والبازي والشاهين والعصفور والحمام . وصنفت الجنادب واليعاسيب والنمل والذباب من الطير . كما ان من الطير ما يسكن البر ومنها في الماء . وقد ذكر ابن سعدة مجموعة كبيرة من طيور البر منها الغراب والعقعق والخفاش واليمامة والحمامة والدجاج والجراد وغير ذلك (٧١) .

ان التأليف للمصنفات الخاصة بالحيوان على مذهب العرب قد اعتمدت منهجاً علمياً لا يقل دقة عن منهج ارسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ق . م) في دراسة الحيوان . فكثيراً ما نلمس في الوصف لحيوان ما دقة في الملاحظة ، واستقصاءاً لفعالياته وسلوكه وطرق معيشته بالاضافة الى معاينة ذلك الحيوان عن كثب لمعرفة ما يمتاز به من صفات وخصائص . لذلك فان رسم صورة واضحة لعلم الحيوان على مذهب العرب يتطلب بيان ابرز ما فيها من خطوط رئيسة ، وهي بايجاز كما يأتي :—

اولاً :

اعتمدت الدراسة على ناحيتين لغوية وعلمية ، فجاءت المؤلفات زاخرة بالمصطلحات العلمية والاشتقاقات اللغوية والمعاني الدالة على اوجه متعددة لحياة

الحيوان . فلقد تناولت هذه المؤلفات بالدراسة الصفات والخصائص العامة لصنف او نوع من انواع الحيوانات . ثم فصلت الدراسة كل حيوان من حيث صورته ولونه وسفاده وصغاره ومعيشته وصوته وسلوكه وخلقه وغير ذلك من الاوجه التي تؤلف حياة الحيوان .

ثانياً :

اعتمدت الدراسة على الملاحظة الدقيقة لكل حيوان مهما بلغ حجمه في الصغر او العظم ، وعلى المتابعة المستمرة لحياته قصد تسجيل كل ما يصدر عنه من سلوك فردي او جماعي ، وما يظهر عليه من اختلاف في السلوك والمظهر قبل السفاد وبعده ، وسلوكه مع الانثى وصغاره . وكيفية ارضاعهم وجلب القوت لهم وبناء الاعشاش ، وما يقتات عليه من غذاء . وغير ذلك ، فكانت الطبيعة بالنسبة للانسان العربي هي المكان الطبيعي لدراسة حياة الحيوان وملاحظة سلوكه في محيطه الطبيعي .

ثالثاً :

اعتمدت معرفة الانسان العربي للحيوان على استقصاء صفة او صفات جوهرية تكون السمة العامة لصنف معين من اصناف الحيوان ، وتندرج تحته مجموعة اخرى من الانواع . لذلك نجد التصنيف للحيوانات الى خيل ، وابل ، وغنم ، ووحوش ، وسباع ، وحشرات وطير يقوم على اساس ملاحظة تنوع كل صنف في ذاته واتفاقه في صفات جسمية او سلوكية او غيرهما . واعتمد التصنيف على التعريف ، وقد ظهرت اختلافات بين علماء العرب حول الانواع التي تندرج تحت كل صنف . ولكننا بشكل عام نجد خطاً واضحاً ومحصلة واحدة تجمع ما ذهبوا اليه ، فالخيل والابل والغنم من الاصناف التي تستأنس ، بينما الوحوش مثل الظباء والحمر الوحش والايل وغير ذلك من دواب الارض لاتستأنس . كما نجد تمييزاً بين السباع وغيرها من الاصناف مثل الحشرات والطير والوحوش ، وذلك على اساس طباع كل صنف وسلوكه وكيفية معيشته . فالحشرات دواب صغار فهي تضم كل الهوام والاحناش بالاضافة الى تلك الحيوانات التي تسكن جحور

الارض مثل اليربوع والجرذ والفار . وان صنف الطير يشتمل على الحيوانات القادرة على الطيران سواء ما كان منها مثل الحمام واليمام والعصافير والجوارح ونحو ذلك او كان منها غير ذلك مثل الخفاش والجراد والذباب والنحل واليعاسيب .

رابعـــاً :

اعتمدت معرفة الانسان العربي للحيوان على وصف الصفات والاعضـــاء الجسيمة للحيوانات المختلفة مـــع التمييز وبعض الاحيان بين ما يعيب الحيوان في اعضائه ، وما يكون حميداً . ففي باب خلق الخيل على سبيل المثال نجد تفصيلا لكل اجزاء الرأس واسمائها ، وكذلك بقية اعضاء الجسم ، ويصدق الشيء نفسه على معظم الحيوانات التي تناولوها بالدراسة . وان اللغة العربية لشاهد على ذلك من خلال ما نجد من اسماء لكل عضو من اعضاء الحيوان سواء كان طيراً او وحشاً او حشرة وسواهم .

خامســـاً :

اعتمدت معرفة الانسان العربي للحيوان على ملاحظة طباعه وسلوكه مثـــل ذلك حنين الابل الى اوطانها وخلوج الناقة على ولدها ، وذكاء الخيل وصبرها ، واخلاق الشاء الحزون (التي تلمس ثياب من مر بها) والشموم ، وغير ذلك . وربط العربي بين الصفات الجسمية والسلوكية لبعض الحيوانات مثل الخيل والابل ، كما ربط بين الاصوات المختلفة للحيوانات وما تدل عليه مثال ما يحدث اثناء السفاد وقبله وبعده ، ودعوة الصغار او زجرهم ، وما يصدر عن الحيوان من اصوات في حالات مختلفة .

ان هذه الصورة (والمنهج) بقيت واضحة في كتابات العلماء العرب ، فمن اشهر المؤلفات في علم الحيوان ما كتبه عمرو بن بحر الجاحظ (٧٨٠–٨٦٩ م) في كتاب الحيوان الذي يقع في سبعة اجزاء ، حيث تناول فيه كل ما يعرفه العرب من حيوانات معروفة في محيطهم وغريبة عنهم . وعلى الرغم من استعانته بعض الاحيان بما كتبه ارسطو في الحيوان ، الا ان الخط الفكري العام لمؤلفه بقي محافظاً على منهج مذهب العرب في علم الحيوان [٧٢] كما نجد المعجم العلمي الذي طرحه

كمال الدين الدميري (ت – ١٤٠٥م) في كتابه حياة الحيوان الكبرى لا يخرج عن الخط الفكري العام لمذهب العرب في علم الحيوان على الرغم من استعانته بما ألفه اليونان فـــي هذا المضمار .

الهوامش

(١) وردت هذه العبارة في اكثر من موضع واحد مثبتة في كتاب عبدالرحمن الصوفي الموسوم « صور الكواكب الثمانية والاربعين » ، وذلك عند مناقشة ما كتبه ابو حنيفة الدينوري في الانواء باعتبار ذلك طريق العرب في معرفة الانواء الى جانب مذهب المنجمين كذلك .

(٢) ذهب المتزمتون بالدين الاسلامي مذهب الرافضين لكل رأي يقول بوجود معارف متطورة لدى عرب الجاهلية ، لاعتقادهم ان ذلك هو السبيل لاثبات عظمة الاسلام وسمو تعاليمه وما ينطوي عليه من معارف وعلوم .

(٣) حاول معظم رجال الاستشراق الغربي التقليل من اهمية المعرفة العلمية لدى عرب الجاهلية ، وذهب بعضهم الى نفي كثير من الاخبار العلمية الذي كانت عندهم مثل معرفتهم بالبروج ، والمنازل ، والنسيء وغير ذلك . وعدوا ما كان عندهم مجرد معرفة بدائية .

(٤) من الخطأ ربط اسم « العرب » باهل البادية والصحراء ، والاعتقاد بانهم اقوام الجزيرة العربية فقط ، فالعرب سكان الامصار والحواضر ، كما ان الحضارات التي اقيمت في مختلف بقاع الجزيرة قبل الاسلام في اليمن والعراق والشام وغيرها هي حضارات عربية امدت الانسان العربي دومـــاً بتراث علمي ضخم .

(٥) ورد في لسان العرب «ان الجاهلية هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الاسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالانساب والكبر والتجبر وغير ذلك » لسان العرب لابن منظور الجزء الثالث عشر ص ١٣٧ – ١٣٨ (طبعة بولاق – الدار المصرية للتأليف والترجمة)

(٦) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون الجزء الثالث ص١٠٩١ تحقيق علي عبدالواحد وافي (لجنة البيان العربي) .

(٧) ابو نصر الفارابي : احصاء العلوم ص٩٣ – ٩٤ تحقيق عثمان امين (دار الفكر العربي بمصر ١٩٤٩) .

(٨) غياث الدين الكاشي : مفتاح الحساب تحقيق وشرح : احمد سعيد الدمرداش ومحمد حمدي الحنفي الشيخ (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة) .

(٩) ابن النديم : الفهرست ص ٨٦ تحقيق رضا تجدد المازندراني (طهران ١٩٧١) .

(١٠) يوجد خطأ في كتاب الفهرست ص ٣٣٣ – ٣٣٤ ، حيث نسبت هذه الكتب الى سند بن علي ، بينما الصحيح انها من تصانيف الخوارزمي ، وربما يكون الخطأ قد نتج بسبب الاستنساخ .

(١١) ان سبب التحفظ هو ان الكتابين المذكورين مفقودان ، ولا يمكن الحكم عليهما بشكل قاطع .

(١٢) ابو الوفا البوزجاني : علم الحساب العربي ص ٦٤ ، تحقيق احمد سعيدان (عمان – الاردن) .

(١٣) المصدر نفسه ص ٧٠

(١٤) المصدر نفسه ص ٧٢ .

(١٥) المصدر نفسه ص ١٢٤

(١٦) المصدر نفسه ص ١٢٦

(١٧) محمد بن موسى الخوارزمي : كتاب الجبر والمقابلة ص ١٦ ، تقديم وتعليق : علي مصطفى مشرفة ومحمد مرسي احمد (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – مصر ١٩٦٨) .

(١٨) انظر مجمل هذه العمليات والمعادلات في بحثي « منطق الخوارزمي في الجبر والمقابلة » (مجلة : التراث العلمي العربي – العدد الثاني) . (جامعة بغداد ١٩٧٨) .

(١٩) الفهرست لابن النديم ص ٩٧ .

(٢٠) عبدالرحمن الصوفي : كتاب صور الكواكب الثمانية والاربعين ص ٧ (حيدر اباد الدكن – الهند ١٩٥٤) .

(٢١) المصدر نفسه ص ٧ .

(٢٢) ابن سيده : المخصص ، السفر التاسع ص١٠ (المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت) وتتفق جميع كتب الانواء في تسمية هذه المنازل .

(٢٣) المصدر نفسه: السفر التاسع ص ٩

(٢٤) عبدالله بن مسلم بن قتيبة : كتاب الانواء (في مواسم العرب) ص ١٧ (حيدر آباد الدكن – الهند ١٩٥٦) .

(٢٥) ابن سيده : المصدر السابق السفر التاسع ص ١٠

(٢٦) ابن قتيبة : المصدر السابق ص ٤٨ – ٤٩

(٢٧) المصدر نفسه: ص ٥٥

(٢٨) المصدر نفسه: ص ٥٩

(٢٩) المصدر نفسه: ص ٦٧

(٣٠) المصدر نفسه: ص ٧٥

(٣١) المصدر نفسه: ص ٨٠

(٣٢) المصدر نفسه: ص ١٢١

(٣٣) ابراهيم بن اسماعيل بن الاجدابي : الازمنة والانواء ص ٩١ حققه د. عزة حسن (وزارة الثقافة والارشاد القومي – دمشق ١٩٦٤) (يذكر ابن قتيبة ان مسير المريخ في كل برج خمسةواربعون يوماً ، بينما يذكر ابن الاجدابي ان مسيره سبعة واربعون يوماً اذا اسرع .... الخ) .

(٣٤) ابن الاجدابي: ص٩٢ (يذكر ابن الاجدابي ان مسير الزهرة خمسة وعشرون يوماً ونحوها وتبطئ تارة ، فتقيم في البرج اكثر من شهر ، بينما يذكر ابن قتيبة (ص ١٢٨) ان مسير الزهرة سبعة وعشرون يوماً) .

(٣٥) ابن الاجدابي: ص٩٣ (يذكر ابن الأجدابي ان عطارد تقيم في البرج الواحد بين سبعة عشر يوماً وشهرين ، بينما يذكر ابن قتيبة (ص ١٢٨) ان مسير عطارد في كل برج سبعة أيام) .

(٣٦) ابن قتيبة : المصدر السابق ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٣٧) الصوفي : المصدر السابق ص ٢٧ .

(٣٨) المصدر نفسه : ص ٣٢ .
وانظر كذلك ابن الاجدابي (ص ٦٧) ، حيث يذكر ان بنات نعش الكبرى سبعة كواكب اربعة منها على شكل التربيع وتسمى نعشاً ، والثلاثة بناته وحذاء الاوسط من البنات نجم صغير جداً ، يكاد يلتقي به ، يسمى السها . وبه يضرب المثل في الحفاء فيقال « أريها السها وتريني القمر » .

(٣٩) ابن الاجدابي : المصدر السابق ص ٦٥- ٧٦

(٤٠) ابن منظور : لسان العرب ، المجلد الاول ص ١٧٦ .

(٤١) المصدر نفسه .

(٤٢) ابن سيده : المصدر السابق ، السفر التاسع ص ٤٢

(٤٣) المصدر نفسه: ص ٤٣

(٤٤) ابن قتيبة : المصدر السابق ص ١٠٤

(٤٥) ابن الاجدابي : المصدر السابق ص ٩٨

(٤٦) المصدر نفسه: ص ٩٩ - ١٠٠

(٤٧) ابو الريحان البيروني : القانون المسعودي ، الجزء الاول ص ٦٩ (حيدر آباد - الدكن ١٣).

(٤٨) المصدر نفسه: ص ٩١

(٤٩) ذهب كرلو نلينو في كتابه « علم الفلك : تاريخه عند العرب في القرون الوسطى (روما : ١٩١١) في مناقشة مسألة النسيء الى ايراد اراء مختلفة ، ليصل الى التشكيك في معرفة العرب بوجود الكبس وكيفيته ، فمرة يلجأ الى اختلاف المفسرين في معنى النسيء الوارده في الآية الكريمة ، ومرة اخرى يورد كلام بعض علماء الفلك ومنهم البيروني وما ثبته من روايات ليصل الى القول : « ان هذه الاخبار بوجود الكبس وكيفيته عند عرب الجاهلية جميعاً من باب مجرد الظن والتخمين ذهب اليه الفلكيون في عهد لم يقف فيه احد على حقيقة النسيء (ص ٩٢ - ٩٣) ، ثم يناقش نلينو اراء المحدثين من المستشرقين عن انواع حساب السنين عند عرب الجاهلية ، محاولا التشكيك فيما توصلوا اليه . والمنهج الذي اتبعه نلينو يعتمد من حيث الاساس على ابراز الاختلافات بين الروايات ومحاولة الطعن بالاراء المؤيدة بوجود الكبس عند عرب الجاهلية، وهذا منهج بعيد عن روح العلم لان الاختلاف في الروايات لا يكون حجة صحيحة للرفض .

(٥٠) ابن قتيبة : المصدر السابق ص ١٥٨

(٥١) المصدر نفسه: ص ١٦٢

(٥٢) ابن سيده : المصدر السابق ، السفر التاسع

(٥٣) المصدر نفسه: ص ١٠٢

(٥٤) المصدر نفسه: ص ١٠٣

(٥٥) انتقلت هذه المعرفة من دون شك الى اليونان والرومان . وانتقلت الى العربية بفضل ترجمة ابو بكر أحمد بن وحشية (ت / ٩٠٤ م) لكتاب الفلاحة النبطية .

(٥٦) انظر كتاب « الزراعة والاصلاح الزراعي في صدر الاسلام » . لعواد الاعظمي ، فهو يحتوي على معلومات قيمة وادلة على اهتمام العرب بالزراعة والنبات .

(٥٧) ابن النديم : المصدر السابق .

(٥٨) المصدر نفسه : ص ٥٨ .

(٥٩) طبع هذا الكتاب اوجست هافنر والاب لويس شيخو في بيروت سنة ١٩٠٨ .

(٦٠) ابو حنيفة الدينوري : كتاب النبات ص ٤٤ القسم الثاني من القاموس النباتي ، حروف س – ي (المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة)

(٦١) المصدر نفسه : ص ٥١

(٦٢) ضياء الدين ابن البيطار : الجامع لمفردات الادوية والاغذية الجزء الثاني ص٤١ (مكتبة المثنى – بغـداد) .

(٦٣) نذكر على سبيل المثال كتاب « المخصص » لابن سيده ، وكتاب « جمهرة اللغة » لابن دريد ، وكتاب « الصحاح في اللغة » للجوهري ، وكتاب « العباب الزاخر واللباب الفاخر » للصغاني، وكتاب « لسان العرب لابن منظور ، وكتاب « القاموس المحيط » للفيروزابادي ، وكتاب « تاج العروس » للزبيدي .

(٦٤) الفهرست لابن النديم : الفن الاول من المقالة الثانية ، الفن الثاني من المقالة الثانية

(٦٥) ابن سيده : المخصص السفر السادس ص ١٣٥ – ١٩٣ .

(٦٦) المصدر نفسه : السفر السابع ص ١ – ١٧٥

(٦٧) المصدر نفسه : السفر السابع ص ١٧٦ – ١٩٧ ، السفر الثامن ص ١ – ٢٠

(٦٨) المصدر نفسه : السفر الثامن ص ١ – ٥٨

(٦٩) المصدر نفسه : السفر الثامن ص ٥٨ – ٨٥

(٧٠) المصدر نفسه : السفر الثامن ص ٩١ – ١٢٣

(٧١) المصدر نفسه : السفر الثامن ص ١٢٤ – ١٨٦ .

(٧٢) الجاحظ : كتاب الحيوان (سبعة اجزاء) تحقيق عبدالسلام هارون (مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر) .

المدونات العربية لما قبل الإسلام

الدكتور جواد علي

عضو المجمع

أقصد بالمدوّنات العربية لما قبل الإسلام النصوصَ المدوّنة بحروف وبلهجات عربية في أيّ موضع وجدت فيه، وبأية لهجة كانت، فأدخل فيها النبطية والصفوية واللحيانية والديدانية والثمودية وهي من اللهجات العربية الشمالية، والسبئية والمعينية والقتبانية والحضرمية، والأوسانية، وهي من اللهجات العربية الجنوبية، كما أدخل فيها « الهرمية »، وهي لهجة عربية جنوبية امتازت عن بقية اللهجات العربيــة الجنوبية ببعض السمات، والمهْرية، والشّحرية، والسواحلية. ولهجات أخرى يُتكلم بها في هذا اليوم، ولها صلة باللهجات العربية الجنوبية القديمة.

وأدخل في المدوّنات العربية الشمالية الكتابات التي عثر عليها خارج اليمن مثل الأحساء، و « قرية الفأو »، وهي مدوّنة بالقلم العربي الجنوبي، أي بالمسند؛ ولكن بلهجة تختلف عن اللهجات العربية الجنوبية بعض الاختلاف كما تختلف عن عربية القرآن الكريم بعض الإختلاف كذلك.

وقد ازداد عدد هذه الكتابات العربية في السنين المتأخرة زيادة كبيرة، إذ عثر على كتابات جديدة في مواضع عديدة من جزيرة العرب لم يكن للعلمــاء علم بها سابق، فيبلغ عدد النصوص الصفوية وحدها مثلاً في هذا اليوم نحواً مــن عشرة آلاف نص [1]. وتزيد النصوص التي عثر عليها في العربية الجنوبية على

(1) Studies in the History of Arabia, Pre —
Islamic Arabia, Abstracts, the second international symposium on studies in the History of Arabia, 1979, P., 62, on the structure of the safaitic Inscriptions, R.M. voigt, Symposium : وسيكون رمزه

هذا العدد بكثير ، وهي في الغالب في أمور شخصية ، مثل تملك مُلْك أو قبر ، أو بناء بيت ، أو تقرب إلى آلهة ، أو نزول في مكان . وفي النصوص العربية الجنوبية نصوص في حروب وغزوات ، ونصوص في أعمال عمرانية ، مثل بناء سدّ لحبس المياه ، للاستفادة منها في الإرواء ، ونصوص بقوانين تنظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، والحياة الدينية وباقي نواحي الحياة .

وليس بين هذه الكتابات كتابة واحدة نستطيع إدخالها فيما يقال له نصوص أدبية ، فنحن لا نملك في الوقت الحاضر – على الرغم من كثرة عدد الكتابات الواصلة الينا – نصاً من نصوص الشعر أو نصاً من نصوص النثر الفني مدوّناً بلهجة من اللهجات المذكورة ، ولا يعقل بالطبع تصور جهل أصحاب تلك العربيات بالشعر أو بالنثر الفني ؛ لأنّ قوماً لهم علم وحضارة وأساليب متطورة في التدوين قائمة على قواعد مقررة في الصرف والنحو ، ولهم حسّ أدبي واعٍ ، لا يمكن أن يكونوا قد جهلوا الشعر ، وفاتهم النثر الفني ، بل لا بُدّ أن يكون لهم شعر ونثر ، لكنهما لم يصلا الينا ، لأسباب ، منها : أن هذه الكتابات الواصلة إلينا هي مما عثر عليه على سطح الأرض في الغالب ، وأقلّها هو الذي استخرج عن طريق الحفر العلميّ العميق ، ومثل هذه الكتابات تكون في أمور شخصية في الغالب ، كأن تكون من قبيل شواخص القبور ، أو الأوثان التي تنصب على حدود الأملاك لتثبتها ، فتوضع على الحدود أو على جدران الملك . أما الكتابات الأدبية والعلمية والفكرية والدينية ، فتوضع عادة في خزائن المعابد أو القصور والبيوت ، فإذا تهدمت الأبنية والقرى والمدن أو أحرقت ، طمرت تحت الأتربة والرّماد ، بعد أن يتلف منها ما يتلف ، أما الباقي المدفون الذي قاوم وما زال يقاوم الطبيعة ، من كتابات وبقايا معابد وقصور ومنازل ، فهو مرجعنا وسندنا في تدوين التأريخ ، لأنه وثائق وشواهد أصلية تقدم الى المؤرخ ما يريده من تأريخ تلك الأيام كما كتبه أصحابه ، وكما يشاهده ويستنتجه من هذه اللقى المستخرجة من تحت الأتربة .

ويؤيد وجود الشعر عند العرب الجنوبيين ما يذكره العلماء من وجود الشعر والشعراء في حِمْيَر ، يقول ابن خلدون في معرض كلامه عن الشعر عند العرب

وعند غيرهم من الأمم : : « إعلم أن الشعر لا يختص باللسان العربي فقط ، بل هو موجود في كل لغــة ، سواء كانت عربية أو عجمية ، وقد كان في الفرس شعراء ، وفي يونان كذلك ، وذكر منهم أرسطو في كتــاب المنطق أوميروس الشاعر ، وأثنى عليه ، وكان في حمير أيضاً شعراء متقدمون »[1] . ونجد في خبر طرد الحبش من اليمن نصاً صريحاً واضحاً ، يفيد أن أهل اليمن كانوا ينظمون الشعر بالحميرية ، ففي خبرٍ أن « أبا مرة الفياض ذا يزن » لمّا قدم على « كسرى أنوشروان » يريد معاونته في طرد الحبش من بلاده ، « قال قصيدة بالحميريــة يمتدح فيها كسرى . فلمّا ترجمت له ، أعجب بها[2] » ، وهو خبر لا أستبعد احتمال مجيء يوم تؤيد النصوص فيه صحته .

ونسب أهل الأخبار الى « التبابعة » شعراً ، زعموا أنهم نظموه في أيّامهم فيما خطر ببالهم من خاطر ، وقد نظموه بهذه العربية التي نظم بها امرُؤ القيس وبقية شعراء عرب ما قبل الإسلام شعرهم ، وفي بعضه تنبؤٌ عن أمور ستقع ، وعن ملك سيزول ، أو ملك سيرتفع ويعقد ، وفيه تمجيد بقحطان وبذريته . وهو شعر غزير ، لا نجد أهل الأخبار ينسبون مثله إلى ملوك العرب الشماليين ، وبينهم ملوك اصطلحوا على جعلهم من القحطانيين ، مثل : ملوك المناذرة ، وملوك الغساسنة ، فهم مــع رفع أهل الأخبار نسبهم الى اليمن ، لا يبلغون المنزلة والمكانة التي صيّرها أهــل اليمن للتبابعة ، ذلك لأن أهل اليمن قبل الإسلام ، وكما يفهم من المسند ، لــم يكونوا يعدّون أهل الحيرة والغساسنة منهم ، وإنما كانوا يعدّونهم مثل القبائــل الأخرى الساكنة في شمالهم . وقد بقي هذا رأيهم الى الإسلام . فلمّا اشتدت منافسة القحطانية والعدنانية ، وضعت الأشعار على ألسنة التبابعة ، وهم لبّ الحكم في العربية الجنوبية ، وضعها شعراء يمانيون ونسبوها اليهم ، ولم يضيفوا الى ملوك الغساسنة والمناذرة شيئاً ، لقلة ارتباطهم باليمن ، ولأنهم من عرب الشمال « شامت » ، وإن عدّهم أهل الأخبار من قحطان[3] .

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٨٢) ، (طبعة مكتبة المثنى) .
(٢) الطبري (١٤٣/٢) ، (٩٥١/١) .
(٣) عن التبابعة راجع : جواد علي : أحاديث تبع ، مجلة الحكمة ، صنعاء عدد ٧٨ سنة ٢٩ يناير ١٩٧٩ ، ص ٧ وما بعدها .

وتجد شعر التبابعة في الكتب المنسوبة الى دَغْفَل بن حنظلة السَّدُوسيّ المعروف بالنسّابة (توفي في سنة ٦٠ ﻫ) ، وإلى عبيد بن شَرْيَة الجُرْهُميّ ، وإلى وهب ابن منبه ، وفي كتب أهل الأخبار وفي كتب أهل اليمن ، وعلى رأسهم « الهمداني » صاحب « صفة جزيرة العرب » ، وكتاب « الإكليل » و « نشوان بن سعيد الحميري » ، الذي نظم تأريخ التبابعة في قصيدة مشهورة شرحها عدة شرّاح .

كما تجد شعرهم في القصص الشعبي الذي تهواه العامة ، مثل قصص « سيرة سيف بن ذي يَزَن » ، و « قصة رأس الغُول ، أو فتوح اليمن » ، وغير ذلك من قصص معروف .

وحبذا لو درس باحثٌ هذا الشعر ، وتتبع مصدره ، والزمن الذي وضع فيه ، لنصل الى كنهه وحقيقة واضعيه ، فهو في أيامنا هذا بحث مهم ، لم تمسه الأيدي مسّاً علمياً بعد ، فعسى أن يقوم بذلك عالم يخدم العلم بعمله هذا خدمة تشكر .

وبين النصوص التي نشرت من عهد غير بعيد ، نص معقد صعب ، نقله ناقله عن الأصل نقلاً بالنقش ، لأنه لا يحسن قراءة النصوص ، بغير تقيد برؤوس السطور ونهايتها ، فجاءت السطور متداخلة . وقد ذهب الأستاذ « جاك ركمنز » الى أنه من الأناشيد الدينية « Hymn » ، ونشره الاستاذ م. ع بافقيه و « ك . روبان » « كرستيان روبان » « Chrietian Robin » جملاً مقطعة بحسب أواخر الكلمات ، التي قد تكون روياً لقصيدة أو نشيداً « Hymn » نشره في « مجلة ريدان » على هذه الصورة ، بعد أن تركا الفقرة الأولى التي هي المدخل ، لأنها مقدمة ومدخل ليس غير :

١ ــ وسم متن :
٢ ــ بكهل ذلب صلل
٣ ــ وس كوم هلك عضل
٤ ــ ولمحرمن دا كثل
٥ ــ ذا قوم لكسعل (لك سعل ؟)

٦ – بكهل كبهى ال

٧ – ذ ذ برك لجبا شر قلك و .

٨ – يدك ضرك تعرب . كهل

٩ – كبلو ثون كهل

١٠ – وكل اضررن حسل

١١ – همسك مران بلل

١٢ – كل ذعلى وسفل

١٣ – كهل بخت ذوهن ذرح

١٤ – هردا ذ ملوب رزح

١٥ – المقه ذ بسكر ارمح

١٦ – تحزك اخمس رضح

١٧ – بكهل كمم

١٨ – وملكك تريم

١٩ – خسك لبا لنعم

٢٠ – وهن أضرر تحتك هلل

٢١ – ايم ثون قدم

٢٢ – بكل . . . يقع ذبا وايك .

وافتتح النص بجملة : « ر نعم ه . . . بن حور هجرن مرب هقنيو المقــه ثهون بعل اوم ثور نهن وايلن ذهبم » ، وهي المقدمة التي أشرت الى أنها تكون المدخل الى النص ، ومعناها : « ر نعم ه . . . من ساكني المدينة مأرب ، أقنوا المقه ثهوان بعل « رب » أوام الثورين والأيل الذهبي » .

والنص صعب التركيب والكلمات ، ولم يفلح من درســه حتى الآن في التغلب على مشكله ، وتوضيح معناه ، وقد فسر « م . ع بافقيه » ، الفقرات ١٠–١٦ بما يلي :

١٠ – وكل الأعداء (أعداءنا) أذل أو أرعب

١١ ـ قوتك أيها المولى (مولانا) تنال
١٢ ـ كل الذي (من) علا وسفل
١٣ ـ ؟
١٤ ـ اعن مَنْ (؟) من العطش هزل
١٥ ـ المقه ذ بسكر (؟) ادفع
١٦ ـ تحتك جيوش تنكسر (تخضع) [١] .

هذا وقد راجعت كتاب : « تأريخ حضارة اليمن القديم » لمؤلفه السيد : « زيد عنان » ، ناشر النص المذكور ، فلم أجد فيه صورة « فوتغرافيـة » للنص [٢]، كما وجدت النص المنقول عنه في مجلة « ريدان » ، لا يستند كذلك الى صورة « فوتغرافية » . وقد بيّن الأستاذ : « محمد عبدالقادر بافقيه » أنه وجد أوهامـاً في النقل ، اعترف الأستاذ « زيد عنـان » في مراسلات له معه ، وذكر السيد « بافقيه » ، أنه نشر هذا النص وبعض نصوص أخرى بعد إعادة نظر فيها [٣] .

وقد رجعت الى النصوص ، فوجدت أن البت فيها لا يمكن الا بتصويرها وتصوير كلّ نص آخر تصويراً « فوتغرافياً » ، وإعادة نسخ النصوص ، على أن يتولى النسخَ خبراء لهم علم بأصول قراءة النصوص ونسخها ، ولهم وقوف على العربيات الجنوبية ، ولهذا لا أرى أن في الإمكان الآن البتَّ في هذا النصّ نفسه ، لما فيه من ألفاظ وجمل لا يمكن فهم كنهها ، ولِما فيه من مواضع أظن أنها قد نقشت خطأً ، فيجب الرجوع مرة أخرى الى النص لتصويره وإعادة استنساخه ، للبت فيـه ، وفي تعيين رويّه إن كان ذلك النص نظماً [٤] ، ومن المؤسف أن النقوش المطبوعة في كتاب « عنان » زاخرة بالأخطاء المطبعية ، مما يزيد في مشكل الوقوف عـلى

---

(١) من نقوش محرم بلقيس ، م ع بافقيـه وكريستيان روبان ، مجلة ريدان ، العـدد الأول ، ١٩٧٨م ، (ص ١٦ وما بعدها) ، عن المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف .
(٢) زيد بن علي عنان ، تأريخ حضارة اليمن القديم ، (ص ١٩٥) ، (نقش رقم ١١) .
(٣) ريدان (١/٢) .
(٤) « الروي ، كغني : أحرف القافية ، يقال : قصيدتان على روي واحد كما في الصحاح . قـال الأخفش : الروي الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ، ويلزم في كل بيت في موضع واحد » ، تاج العروس (١٥٩/١٠) .

النصوص ، وليس فيها تفسير مضبوط للألفاظ والجمل يستطيع بها القارئ تقويم المعوج المدوّن في النصوص ، على حينَ تقرأ مثل هذه النصوص في مطبوعات الغرب ، فلا تجد فيها هذه الأوهام ، مع أن مرتبي الحروف لا علم لهم البتة بقراءة هذه الأبجدية .

وقد أخبرني الدكتور يوسف محمد عبدالله ،وهو أستاذ اللهجات الجنوبية بجامعة صنعاء ، في أثناء زيارته لبغداد ، أنه عثر على نص قصيدة حميرية ، سينشرها مع بحث عنها ، ولكني لم أقف حتى هذه الساعة على بحثه الذي أرجو أن يكون قد أنجزه ونشره ، لنستفيد منه ولنقف منه على نوع الشعر العربي الجنوبي ، وأنا لا أدري أأراد بالنص الذي ذكر أنه سينشره هذا النص ، أم أراد نصاً آخر غيره ، سيتحفنا به قريباً ، وهذا ما أرجوه . . هذا ولا بد أن يكون شعر اليمن فيما قبل الإسلام باللهجات اليمنية القديمة المستعملة في المسند ، إذ لا يعقل أن يكتب أهل اليمن معاملاتهم الرسمية وأمورهم الأدبية بلسان ، وأن ينشدوا الشعر بلسان آخر . ثم إنّ ما ذكرته من إشارة علماء اللغة والأخبار الى وجود شعر حميري ، يؤيد هذا الرأي .

ولا أستطيع أن أتكهن بأنماط بحور الشعر عندهم . وبمذاهب الروي في كلامهم المنظوم ، ما دمت لا أملك موارد تساعدني على إبداء رأي بهذا الموضوع ، الا أنّ ما نقرأه في مؤلفات العلماء من ملاحظات على شعر ما قبل الإسلام ، يحملنا على تصور وجود بون بين شعر المسند والشعر المألوف وهذه الملاحظات هي التي حملت بعض المستشرقين على القول بوجود الصنعة في شعر العرب قبل الإسلام فقد كان في شعر ما قبل الإسلام أمور يستنكرها ناس هذا اليوم ، يقول الهمداني : « وكان للجاهلية الجهلاء مذهب في الشعر من الازحاف وغيره ما يستنكره الناس الناس اليوم [1] » .

ويساعدنا الشعر العامي القديم والحديث الذي ينظمه شعراء أهل البوادي ، والقبائل المنعزلة المحتفظة بلهجاتها القديمة مساعدة كبيرة في الكشف عن شعر

---

(١) الإكليل (٢/٤٩) .

ما قبل الاسلام : شعر المسند والشعر المألوف ، فهذا الشعر الذي نسميه العامي أو النبطي ، ولا سيما شعر القبائل المنعزلة ، التي تتكلم بلهجاتها القديمة ، هو من بقايا شعر ما قبل الإسلام واستمرار طبيعي له . فإذا درسناه دراسة علمية ، فإن دراستنا هذه له ، ستساعدنا كثيراً في الكشف عن هوية شعر ما قبل الإسلام .

ومادة الكتابة هي الأحجار ، تحفر عليها الحروف بأقلام حادة من المعدن أو بأدوات معدنية ذوات رؤوس حادة ، على مادة الكتابة ، وهي : الأحجار ، أو الخشب والمعدن ، أو الفخار ، أو بطريق الطبع على المعدن المنصهر . أما كتابات على ورق أو جلد أو رَقّ ، فلا أعلم بظهور شيء منها . حتى الآن .

وقد تحدث الدكتور محمود الغول عن عَصَوَيْن وجد عليهما كتابة ، قد تكون رسالتين وهذا النوع من اللقى يظهر لأول مرة [1] ، فهو يحملنا على الاعتقاد بإمكان العثور في المستقبل على كتابات بالخط المسند على جلود ، أو أخشاب مرقّقة ، أو على ورق يشبه ورق البرديّ أو من البرديّ « Papyrus » ، أو على العظام ، أو الرّقّ ، وما شابه ذلك من مواد مكتوب عليها بالحبر . فإذا عثر على هذه الكتابات ، فستكون مقدمة لمادة قد تجيء بكنوز ثمينة في العلوم وفي الأدب والفكر ، لا علم لنا بها حتى اليوم ، وقد تأتي بمؤلفات وكتب ، إذ أن من الصعب على العالم أو رجل الدين حفر ما عنده من معرفة بالطريقة التي نعرفها على الحجر ، ولكن من السهل عليه تدوين ما عنده في رسائل وكتب مكتوبة على الجلد أو ورق البرديّ أو الواح الخشب المرقق وبالحبر ، إذ لا تستغرق الكتابة بالحبر وقتاً طويلاً ، ولا تحتاج الى مخزن ضخم تخزن فيه تلك الأحجار المكتوبة .

وبين الآثار التي عثرت عليها بعثة الآثار لكلية الآداب بجامعة الرياض ، « كتابة بالحرف المسند المكتوب على العظم ، تبدو فيه محاولة ربط الحروف بعضها ببعض ، وهي إكمال للصورة السابقة التي وجدت في احدى دكاكين السوق الداخلي ، إلاّ أن الكتابة الداخلية تفتقر الى محاولة ربط الحروف »[2] ، وتشير هذه المحاولة

(1) Symposium, P., 60.

(٢) دراسات تأريخ الجزيرة العربية : الجزيرة العربية قبل الإسلام (ص ٤٧) ، الندوة العالمية الثانية لدراسات تأريخ الجزيرة العربية ، (مطابع جامعة الرياض ١٩٧٩ م) .

ى رغبة أصحابها في تليين الحروف ، لتسهيل الكتابة بها بسرعة ، وتطويعهـا اليد ، اختزالاً للوقت ، لما في طريقة الكتابة القديمة من ضرورة المحافظة على سم الحرف بصورته الهندسية ، الذي يستغرق وقتاً في حفر الحروف ، فأراد دعاة صل الحروف التخلص من هذه المعضلة بربطها بعضها ببعض على نمط الخط عربي والخط النبطي والخط الإرمي .

وقد ترينا هذه الكتابات المدوّنة بالحبر ، حدوث تطور في المسند ، من حيث صل حروفه بعضها ببعض ، أو إدخال اختزال عليها لتطويعها بجعلها أسرع أسهل في التدوين من الحروف المستعملة في الحفر على الحجر ، فالكتابة لحبر وبالقلم اللين ، تؤدي إلى وقوع تطوير وتحوير على الخط ، وتسهيل في تدوين ، وقد وقع ذلك في الأقلام الأخرى وتسهيل الكتابة بها ، لتلائم تطور فكر والزمن .

وبين علماء اللهجات الجنوبية في هذا اليوم خلاف وجدل في قضية تحديد مر أقدم كتابات المسند ، كان القدماء منهم يرجعون أقدم الكتابات عمراً الى ألف نة أو نحو ذلك قبل الميلاد . أما علماء اليوم ، فقد قللوا هذا الزمن وقلّصوه ، ذهب « بيستون » الى أن أقدمها عمراً ، هي الكتابات السبئية ، ويعود عهدها ي نظره الى المئة الخامسة قبل الميلاد ، تليها بعد قليل أقدم النصوص المعينية فالقتبانية يرى أن كتابات المئات الثلاث الأولى للميلاد تمثل قمة ازدهار الكتابات السبئية قد امتدت بها الأيام إلى قبيل الإسلام . وأهم هذه الكتابات من حيث المادة لطول ، هي كتابة « أبرهة » المدوّنة على جدار « سدّ مأرب » الشهير .

ويرى « بيستن » أن الكتابات المعينية قد توقفت منذ بداية المئة الأولى قبل الميلاد ، حيث لا نجد نصّاً معينياً بعد هذا التأريخ ، لا في أرض معين ولا في غيرها (١) ، قد يدل هذا على انقراض حكم معين .

أما الكتابات اللحيانية التي تتفق مع الأثيوبية المبكرة والعبرية المبكرة والآرامية لمبكرة من حيث « وحدة النطق الصوتي والملامح الصرفية » ، فقد ذهب بعض

(1) Symposium, P., 43.

الباحثين الى أنها تعود الى نحو منتصف الألف الأول قبل الميلاد ، وذهب بعض آخر الى أنها من عهد متأخر عن هذا العهد بضع مئات من السنين (١) .

وهناك « مخربشات » مكتوبة بحروف غير مهندسة ، عثر على نماذج منها في مواضع متعددة من جزيرة العرب ، تدل دراستها الأولية على أنها من مراحل الخط البدائي الأبجدي ، وأن حروفها لم تتقيد بشكل واحد ، عرفت عند بعض الباحثين بمرحلة ما قبل العربية « Prota Arabic » ، أي أنها مرحلة بدائية سابقة للخط العربي المألوف والأغلب أنها خط آني ، كتبه أعراب بما تيسر عندهم آنئذ من سكين أو حجر حادّ الرأس ، أو أية أداة أخرى تترك أثراً في الحجر ، وقد قصدوا من ذلك تسجيل ذكرياتهم وهم في طريق السفر . وأكثرها لذلك أسماء كتّابها ، وأسماء المواضع التي حلّوا بها ، وأسماء قبائهم ، فلها من هذه الناحية أهمية كبيرة بالنسبة الى مؤرخ هذا اليوم الذي يريد البحث عن أسماء الأعلام القديمة ، للرجال وللقبائل وللمواضع .

وهذه النصوص بها حاجة الى حفظ ورعاية ودراسة ، قبل أن تلعب بها الأيام ، لأنها تمثل مراحل مهمة في تأريخ تطور الأبجديات (٢) وأشكال الخطوط ، وتطور اللهجات العربية قبل الإسلام .

ولاشتراك « النبطية » مع عربية القرآن في استعمال أداة تعريف واحدة هي « ال » ، وفي أصول الألفاظ وفي قواعد نحوية ، كانت لدراسة النصوص النبطية أهمية كبيرة في تكوين نظرة علمية حديثة عن تأريخ تطور العربية القرآنية قبل الإسلام . وتكوّن النبطية المتأثرة بعض التأثر بالإرمية ، مع العربية القرآنية فصيلة لغوية واحدة ، هي فصيلة « ال » ، أي الفصيلة التي تستعمل الألف واللام أداة للتعريف ، وقد وَسَمْتُ هذه الفصيلة بهذه السمة تمييزاً لها عن فصيلة اللحيانية والصفوية والثمودية التي تستعمل « ه » « ها » أداة للتعريف تضعها في أول المعرفات كما هو الحال في العبرية ، وعن فصيلة عربيات المسند التي تستعمل « ن » « آن » أداة للتعريف ، تضعها في آخر الاسم المعرف ، في حين تستعمل حرف الميم ،

(1) Symposium, P., 43. f.
(2) Osman R. Rostem, Rock Inscriptions in the Hijany, P., 11.

أداة للتنوين والتنكير ، ولهذا قسمتُ المجاميع اللغوية العربية على هذا الأساس ثلاثَ مجموعات .

وجلّ ما عثر عليه من كتابات في جزيرة العرب مدّون بالمسند ، أي بقلم العرب الجنوبيين ، أو بأقلام مشتقة منه ، وبين هذه الكتابات بعض نصوص مثل النص (Ja 2353) ، ونصوص عثر عليها في الأحساء ، وفي قرية الفـأو ، وفي موضع « أم ليلى » بالقرب من صَعْدة ، تبين أنها مدوّنة بلهجات عربية تختلف عن اللهجات العربية الجنوبية ، كما تختلف بعض الاختلاف عن عربية القرآن الكريم ، وفي ورود هذه النصوص بالقلم المسند في مواضع متباعدة عن اليمن دلالة على أن أهل جزيرة العرب كانوا يكتبون بالمسند ، وإن كانت لهجاتهم مباينة للهجات أهل اليمن . وأن القلم المسند كان قلم جزيرة العرب الأصيل ، وأنه لو كان امرؤ القيس الكندي المتوفى سنة « ٣٢٨ م » ، قد توفي في جزيرة العرب لكان شاهد قبره بالقلم المسند ، بدلا من القلم النبطي الذي كتب به حجر النمارة وهو القلم الذي كان معمولاً به في تلك المنطقة التي توفي بها يوم ذاك [1] .

وإذا قرأنا حجر قبر معاوية بن ربيعة الذي عثر عليه بقرية « الفـأو » ، وهذا نصه : « قبر معويت بن ربعت ذال . . . قحطنين ملك قحطن ومذحج بني عله عبده هفعم بن برن ذال الا » ، ومعناه : « قبر معاوية بن ربيعة من آل . ملك قحطان ومذحج . « بنى عليه » بناه عبـده : هو فعم بن بران من آل الا » [2] نرى بكل وضوح أن لهجته قريبة من عربية القرآن الكريم ، وأن في خطّه المسند بعضَ المحاولات في جعله أسهل كتابة باليد وأيسر بالكتابة به على الكاتب ، وهو من هذه النصوص التي تكون مرحلة من مراحل الكتابة بالمسند مع بعض الاستقلال عن الأصل في سبيل تطويع الكتابة وجعلها أقبل من المسند في خدمة الكتابة والكتّاب .

وفي وجود هذا الحجر في هذا الموضع : « الفـأو » ، أهمية ، إذْ يدل على أن

---

(1) Symposium, P., 59, Alphabets,
Scripts and languages in Pre Islamic Arabian Epigraphical Evidence, by J. Rychwaus.

(٢) مجلة العرب (جـ ١١ و ١٢) ، (أيار – حزيران) ، (سنة ١٩٧٧ م) . (ص ٨٧١) .

الملك « معاوية بن ربيعة » كان قد تملك هذا الموضع ، وأنه كان من قبيلة قحطان، وكان قد حكم قبيلته وقبيلة مَذْحِج معها .

وأمثال هذه النصوص ذات قيمة كبيرة للباحث إذ تساعده في دراسة تطور الخط العربي قبل الإسلام ، وفي دراسة تطور اللهجات في الجزيرة قبل الإسلام فهذه النصوص هي وثائق أصيلة خالية من هفوات الأعراب الذين أمّدوا علماء اللغة بمادتهم عن اللهجات ، وبعيدة عن بعض التلاعب الذي حدث في الشواهد لتأييد رأي من آراء علماء النحو واللغة ، وهي ترينا في الوقت نفسه ، وبعد دراسة تواريخها وتثبيت عمرها ، صلات هذه اللهجات بعضها ببعض ، والتطور الذي حدث في ألْسنة العرب قبل الإسلام ، وصلة تلك اللهجات بلهجة القرآن الكريم.

وقد نشر « باولو م كوستا » « Paolo M. Costa » نصاً مكتوباً بالإغريقية وباللاتينية ، عثر عليه في « براقش » الواقعة في شمال شرق صنعاء في « الجوف» ورد فيه اسم رجل كان فارساً يدعى «ببليوس كورنيليوس» « Publius Cornelius» ويظهر أن هذا الفارس كان من فرسان حملة « اوليوس كالوس » « Aelius Jallus » التي غزت اليمن ، و « براقش » هي « يثل » في النصوص المعينية ، وهي في الغالب « Athloula » . « Athronla » المذكورة في الموارد الإغريقية .[1] وإذا صح أن هذا النص هو من كتابة أحد رجال الحملة . كان له شأن كبير بالنسبة إلى باحث التأريخ والآثار ، ويكون أول أثر نراه عن تلك الحملة .

ولا استبعد احتمال العثور في المستقبل على نصوص بالاغريقية أو باللاتينية ، أو بلغات أجنبية أخرى ، وفي العربية الجنوبية أو في مواضع أخرى ، قد تكشف عن نواح لا نعرفها من تأريخ العرب قبل الإسلام ، مثل النواحي الاقتصادية والسياسية وغيرها . وقد عثر في جزيرة « فَيْلَكا » على نصوص يونانية دوّنها أفراد من حملة « الإسكندر » الأكبر ، إبّانَ مقامهم في هذه الجزيرة واستيطانهم بها وتعربهم فيما بعد ، واندماجهم في العرب اندماجاً تاماً .

وعثر العالم السوفييتي : « سيرجى شيرنسكي » في أثناء زيارته المحافظة السادسة

---

(1) Symposium, P., 64.

من محافظات جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الست على « حجر نقشت عليه رموز لغة مكتوبة قبل الإسلام ، اكتشفت في وسط الطريق من ظبوت الى وادي حيشل .

تمثل الرموز المبينة على الحجر ما يسمى بالتهجئة الميلية للغة من لغات جنوب الجزيرة العربية القديمة جداً ، وتشهد بذلك أنه في الأزمنة القديمة وقعت هـــذه المنطقة ضمن دائرة نفوذ أقدم الحضارات التي قامت في جنوب الجزيرة العربية .

وقال : « سوف تتعرض الرموز المنقوشة على الحجر لدراسة لاحقـــة ، ولكن يستطيع المرء أن يفترض حتى الآن أنه كتبت بعض الاسماء ، وأن الحجر نفسه كان عبارة عن علم حدود يتم به تحديد أملاك الرجال المختلفين أو الأسر المختلفة »[1].

وقد تؤدي نتيجة فحص هذا الحجر إلى العثور على لهجة أخرى من لهجات العرب الجنوبيين ، أو على أبجدية جديدة ، قد تحل لنا مشكلة ظهور الأبجدية العربية الجنوبية التي نسميها بالمسند ، أو توجد لنا صلة بينها وبين هذا القلم الذي نعرفـــه .

إن ظهور هذه الكتابات ، الغريبة على الباحثين الآن وفي المستقبل ، هو حدث مهم جداً في نظر دارسي الألسنة العربية قبل الإسلام ، وستأتي حتماً بنتائج علمية خطيرة تساعد على سدّ الفجوات التي نراها اليوم في دراسة العلماء لتأريخ تطور العربية ، وفي تصحيح أوهام علماء العربية القدامى التي وقعوا فيها بسبب اقتصارهم في أخذ اللغة عن قبائل معينة ، وليس من القبائل البعيدة ، أو من الخطوط المدوّنة قبل الإسلام ؛ لأنهم رأوا أنها بعيدة عن عربية القرآن الكريم ، فهي لا تفيدهم من هذه الناحية شيئاً ، ثم إنها في نظرهم ليست بعربية فصيحة ، وهم في نظـــرهم لا يبحثون إلاّ عن الفصيح ، ثم إنهم لم يكونوا يتقنون قراءة الخطوط العربيـــة المدوّنة قبل الإسلام .

---

(١) أضواء على الآثار اليمنية ، تقرير للعالم السوفيتي سيرجي شيرنسكي عن الآثار في اليمن الديمقراطية ، إخراج المركز اليمني للأبحاث الثقافية ، (ص ٧١) ، الثقافة الجديدة ، السنة الثالثة ، (عدد ١١) ، (١٩٧٤) ، عدن ، وزارة الثقافة والسياحة (ص ٤٩) .

وتتألف أبجدية المسند من تسعة وعشرين حرفاً ، تكون في شكلها وصورتها مجموعة مستقلة ، اختلف الباحثون في تعيين زمن ظهورها وفي الاصل الذي نبعت منه ، وذهبوا في ذلك مذاهب ، ولعدم وجود حجج وبيّنات قوية واضحة يمكن أن يُطْمَأنّ إليها في إثبات صلة هذه المجموعة الجنوبية بالأبجديات الشمالية المعروفة ، أرى أن من التسرع في الوقت الحاضر إبداء رأي علمي في الأصل الأبجدي الذي أوجد هذه المجموعة ، بمجرد الاستناد الى تشابه بعض الحروف.

ونلاحظ وجود تشابه كبير ظاهر حتى لمن لا علم له بتطور الخطوط ، بين الأبجدية الثمودية والصفوية واللحيانية ، وبين المسند ، وهذه الأبجديات هي أبجديات شمالية بالنسبة إلى اليمن ، وهي من منطقة اختلطت بها عدة أبجديات ، مثل الأبجدية الآرامية والأبجدية النبطية ، والأبجدية العبرانية ، والأبجديات السّيْنائية ، نسبة الى شبه جزيرة سَيْناء ، ولو كان لدينا نص من نصوص هذه الأبجديات يعود عهده الى زمن متقدم على زمن نصوص المسند ، جاز لنا القول بأن المسند مأخوذ منها ، ولكنّ الواقع هو أن نصوص هذه الأبجديات متأخرة عن المسند ، ومعظمها من عهد ما بعد الميلاد ، فلا يمكن تصور انبثاق المسند منها وقد رأينا أن أقل تقدير لمبدأ عمر نصوص المسند يجعلها في المئة الخامسة قبل الميلاد ، إذن فالمسند يجب أن يكون الشجرة التي تفرعت منها تلك الأبجديات ، وليس العكس .

ثم إنّ أشكال حروف تلك الأبجديات وميلها الى التحرر عن الأشكال الهندسية المنظمة لحروف المسند ، التي قيدت الكتابة بها بعض التقييد ، بأن جعلتها ثقيلة بعضَ الثِقل ، خالية من المرونة ، تجعلنا نحكم أيضاً بأن تلك الأبجديات قد تفرعت مثل الأبجدية الأكسومية من الخط المسند . ومن يدقق النظر اليوم في قلم الحبش ويقارنه بقلم المسند ، يحكم بدون تحفظ بأنّ بينه وبين المسند شبهاً كبيراً . ولما كانت نصوص المسند أقدم عمراً من نصوص الأحباش ، قال العلماء أصحاب العلم بتطور الخطوط إن خط الإحباش مأخوذ من قلم العرب الجنوبيين ، وإن قلمهم اليوم من ذلك القلم العربي الجنوبي [1] .

(١) مجلة كلية الآداب ، بجامعة القاهرة ، المجلد العاشر ، الجزء الثاني ، ديسمبر ١٩٤٨ (ص٤) .

ولم يعثر بمكة ولا بالمدينة على كتابات بالمسند حتى اليوم ، والمعروف بين علماء الأخبار والتأريخ ان أهل مكة والمدينة كانوا يكتبون « بالعربية في الجاهلية ، وكانت الكتابة في العرب قليلاً » [1] وأن الذي كان « يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي » ، يسمى « الكامل » عندهم في الجاهلية وأول الإسلام » ، وذكروا أسماء عدد من الكَمَلَة [2] . وقد يؤخذ هذا القول على محمل الجدة بالنسبة الى قلم أهل مكة والمدينة . أما بالنسبة الى الخط عموماً فهو خطأ ، ما في ذلك شك ، فأينما تذهب اليوم من جزيره العرب في المواضع القديمة تجد « مخربشات» وكتابات ، كتبها أهل البوادي وغيرهم ، في حين لا نجد في أبناء بوادينا في الوقت الحاضر من يحسن القراءة والكتابة الا القليل . وقد انتبه الى ذلك حتى البدو ، فقد ذكر الدكتور « أنو لثمان » أنه لمّا كان في بادية الشام ينسخ الكتابات المدوّنة على الأحجار ، سأله أحد البدو عن معنى ما يكتب ، فقال له : « أسماء أجدادكم» فقال له : « هو ما يصير العرب ما يكتبوا وما يقرأوا ، أجدادنا أحسن منّا » [3] .

لم يصل الينا أي أثر لقلم مكة ويثرب ، وهوالقلمالذي نعتوه بـ « القلم العربي» لم يصل الينا ، لا محفوراً على الصخور ، ولا مكتوباً بالحبر على الأحجار أو الرقّ أو العسيب ، أو الجلد ، أو الخشب ، أو أية مادة أخرى من المواد التي قيل إنها كانت مستعملة عندهم يوم ذاك في التدوين ، بل حتى الكتابات التي دوّنت في الاسلام ، وبينها المصاحف التي دوّنها الصحابة بأيديهم ، والكتب التي أمر الرسول بتدوينها ، لم يبق منها شيءٌ أمّا ما يزعم من وجود شيءٌ قليل من مدوّنات يد الصحابة فأمر لا يمكن التسليم بصحته في الوقت الحاضر في الأقل . وأما دعوى وجود نسخة مُصْحَف عثمان ونسخ من مصاحف بعض الصحابة ، وعدد من كتب الرسول بخط الصحابة ونحو ذلك ، فقضية تحتاج الى فحوص مختبرية وتجارب علمية ،ولا يمكن الأخذ برأي ما لم يستند في مثل هذه الأحوال الى فحص مختبري ، وأما الظن ، فلا يفيد الإنسان علماً .

---

(١) ابن سعد (٥٣١/٣ ، ٦٠٤ ، ٦١٣) .

(٢) ابن سعد (٥٤٢/٣) .

(٣) مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد العاشر ، الجزء الثاني، ديسمبر ١٩٤٨ ،(ص٤) .

ومن المسند ، جاء علمنا بحكومات اليمن القديمة ، وبأسماء حكّامها من «مكربين» وملوك، وليس لأهل الأخبار علم بأحوال حكام اليمن الذين حكموا قبل المئةالثالثة بعد الميلاد،ومن هذه المئة الثالثة للميلاد فما بعد الى ظهور الإسلام،وعت ذاكرتهم بعض الأمور التأريخية عن حكام اليمن الذين حكموا في هذا العهد ممن سمّوهم « التبابعة » وملوك حمير ولكنهم رفعوا أيامهم الى ما فوق أيام «سليمان»، ونسبوا إليهم فتوحاً لا نجد لها ذكراً في نصوص المسند ، ولا انسجاماً مع حوادث التأريخ المألوف . ولورود أسماء هؤلاء الحكّام في نصوص المسند ، وبينها نصوص مؤرخة ، لا شك في صحتها وفي ضبطها،تمكنا من إصلاح الأساطير التي حيكت حول التبابعة ، وإرجاعها الى مكانها الذي يجب أن تكون فيه من التأريخ (١) .

ويرجع أصل لفظة : « تأريخ » العربية الى « المسند » ، وقد فسّر علماء اللغة اللفظة بقولهم : « التأريخ : تعريف الوقت ، والتوريخ مثله ، أرخ الكتابَ ليوم كذا : وقّته . والواو فيه لغة . وزعم يعقوب أن الواو بدل من الهمزة ، وقيل : إن التأريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض ، وإن المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب ، وتأريخ المسلمين أرخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كتب في خلافة عمر ، رضي الله عنه ، فصار تأريخاً الى اليوم » ، وزعم بعضهم أنّ من « الأرخ » ولد البقرة ، أخذت كلمة التأريخ ، « كأنه شيء حدث كما يحدث الولد ، وقيل : التأريخ مأخوذ منه لأنه حديث » (٢) . ورأى بعض آخر أن اللفظة معربة ، قال حمزة الأصبهاني : « وأما لفظ التأريخ ، فمحدث في لغة العرب ؛ لأنه معرب من « ماه روز » ، وبذلك جاءت الرواية ، فروى فرات بن سليمان عن ميمون بن مهران أنه رفع الى عمر بن الخطاب صكّ محله في شعبان ، فقال : « أي شعبان أهذا هو الذي نحن فيه ، أم الذي هو آت » ؟ ثم جمع وجوه الصحابة وقال : « إنّ الأموال قد كثرت ، وما قسمّنا منها غير موقت ، فكيف التوصل الى ما نضبط به ذلك ؟ » فقالوا : يجب أن يتعرف ذلك من رسوم

(١) أحاديث تبع، مجلة الحكمة يناير – مارس ١٩٧٩ ، العدد ٧٨ ، السنة التاسعة (ص ٧ وما بعدها) .

(٢) اللسان (٣/٤) ، (أرخ) .

الفرس ، فبعد ذلك استحضر الهرمزان ، وسأله عن ذلك ، فقال : إنّ لنا حساباً نسمّيه : « ماه روز » ، ومعناه حساب الشهور والأيام . فعربوا الكلمة ، فقالوا : مؤرخ ، ثم جعلوا مصدره التأريخ واستعملوه » [1] .

ولأهل الأخبار والتأريخ روايات في التأريخ ، رووها خاصة في حديثهم عن أول وضع التأريخ في الإسلام ، أي عن ابتداء وضع التأريخ الهجري ، وتحدثوا عن التوريخ بالخليقة بحسَب رواية التوراة ، وعن التأريخ بعهد الإسكندر ذي القرنين ، وعن التأريخ عند قريش بعام الفيل ، وعن التأريخ بالأيام عند القبائل وبالرجال [2] ، كما أشاروا الى وجود التأريخ عند حمير ، وأنهم كانوا يؤرخون ، ولكنهم لم يعرفوا شيئاً يذكر عن التأريخ الحميري .

وقدمت لنا النصوص المؤرخة مادة مهمة في الوقوف على أسلوب التوريخ عند العرب قبل الإسلام وفي أسماء الشهور عندهم ، وقد تبين من المسند أن العرب الجنوبيين اتخذوا لهم ، منذ سنة « ١١٥ » أو ما بين السنة (١١٥) و « ١٠٧ » قبل الميلاد ، تقويماً ثابتاً ، أخذوا يؤرخون به إلى قبيل الإسلام ، وليس في المسند ذكر للسبب الذي حمل أهل العربية الجنوبية على التوريخ بهذا التأريخ . وقد ذهب المستعربون مذاهب في تعليل اتخاذ هذه الخطوة ، فمنهم من قال إنهم أرخوا بسنة اندماج سبأ وذي ريدان ، وحمْل ملوك سبأ للقب جديد هو لقب «ملك سبأ وذو ريدان » ، ومنهم من رأى غير ذلك . ومهما يكن الأمر فإن اتخاذ هذا التقويم بهذا الوقت ، وقبل الميلاد بالسنين المذكورة يدل على انتباه القوم لأهمية التأريخ ، ووجود فكرة التوريخ لديهم ، وهي من دلالة التقدم والحضارة ولا شك .

وتبين من نصوص المسند أن أهل العربية الجنوبية كانوا يؤرخون برجال مشهورين من رجالهم ينتسبون الى أسر معروفة ، مثل : « حيوم بن ابيكرب بن كبر خلل ثكمتن » ، و « كبر خلل » ، أي « كبير خليل » ، أسرة سبئية معروفة أخرجت

---

(١) حمزة (ص ٨) ، المختصر في أخبار البشر (١٢٣/١) ، تاريخ ابن الوردي (١٤٥/١) ، الجهشياري ، كتاب الوزراء والكتاب (١٣) ، البداية والنهاية (٧٠/٧ وما بعدها)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة (٣٣٦/٣) ، الكامل (٩/١ وما بعدها)، صبح الأعشى (٢٣٤/٦).

(٢) الطبري (١٩٣/١) ، (٢٠٣/١) .

رجالاً عرفوا بالكبارة ، أي بـ « كبير خليل » ، « كبر خلل »[1] .

وأرخ بأيام « نشاكرب بن معد كرب بن حذمت » ، أي : « نشأكرب بن معد يكرب » من « آل حذمة » . جاء في نص : « بورخن ذهبس وعثتر ذخرف نشاكرب بن معد كرب بن حذمت ثنين » ، أي « في شهر ذي هوبس وعثتر من السنة الثانية من سني نشأكرب بن معد يكرب من حذمة »[2] .

وأسرة حذمت من الأسر السبئية المعروفة ، وقد أرخ بهم السبئيون في جملة نصوص ، منها : النصوص « Ljlser 404,10 » و« Ljlaser 516 » و« Rep 3909,4 » و« Cih 83,6 » و « Cih 80,5 »[3] .

وقد أرخ النص : « Cih 380,5 » بأيام « ودودال بن ابكرب » من « آل حذمة» ، وجاء التوريخ على هذه الصورة : « بورخ ذابهي ذخرف ودال بن ابكرب بن حذمت بكمتن » ، أي « بشهر ذي أبهى من سني ودد ايل بن ابكرب من آل حذمة ثكمتن » .

وقد وردت لفظة « ثكمتن » في عدد من الكتابات المؤرخة بهذا التأريخ ، مثل نص « حيوم » المتقدم ، ونصوص أخرى مؤرخة ، ومن الجائز أن يكون المراد بها اسم قبيلة ، أو أسرة أو جماعة .

وأرخ بسني « وددال بن ابكرب بن كبر خلل سدثن » ، أي « في السنة السادسة من سني وددايل بن ابي كرب من كبراء خليل »[3] ، كما أرخ بسني « نشاكرب بن سمكرب بن فضحم »[4] ، و « فضحم » من « ثكمتن »[5] ، ومن « حزفرم » وأرخ نص بشهر « ذاثرت » ، من سني « هوف ال ذو كــل »[6] .

---

(١) مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة (المجلد ١٦) ، (دسمبر ١٩٥٤) ، (ج ٢ ص ٣٨) ، وسيكون الرمز : كلية .

(٢) كلية (دسمبر ١٩٥٤) ، (جـ ٢ ص ٤١) .

(٣) كلية (مايو ١٩٥٨) ، (جـ ١ ص ٥٦) .

(٤) كلية (مايو ١٩٤٧) ، (جـ ١ ص ١٦) .

(٥) كلية (دسمبر ١٩٥٤) ، (جـ ٢ ص ٤٠) .

(6) Studi., I, S., 61.

وبفضل المسند حصلنا على أسماء عدد ممن نعتوا بـ « كبر » « كبير » ويلاحظ أن ممن حمل هذا اللقب ، من كان « كبيراً » على مدينة ، مثل « كبر هجرن يثل» أي « كبير مدينة يثل » [١] ، وهي من مدن دولة « مَعين » ، ويظهر أنها كانت تتمتع بحكم ذاتي ، أو أنها كانت مستقلة ثم ضمت الى « معين » ، ومنحت حق الحكم الذاتي ، بدليل ما نراه في النصوص من ذكرها مع « معن » « معين » ، ومن وجود « كبر » « كبير » عليها [٢] .

وكان من حَمَلَة لقب « كبر » مَنْ كان كبيراً على أرض أو قبيلة، مثل «كبر اقين » ، أي « كبير أقيان » [٣] ، أو عمل من الأعمال .

وأفادنا المسند بتثبيت أسماء الشهور العربية الجنوبية ، وهي شهور ليس لعلماء الأخبار علم بها ، ويظهر من تمحيص أسمائها أنها كانت شهوراً شمسية ، أي شهور تقويم شمسي ، بدلالة ما لبعضها من ارتباط بالجو ، مثل شهر « ذ قيظن» ، أي شهر ذي القيظ ، والقيظ الحر الشديد ، وهو صميم الصيف ، وهو حاقّ الصيف . وفي الصحاح حرارة الصيف ، وهو من طلوع الثريا الى طلوع سُهَيْل»[٤] والظاهر ان هذه الشهور الشمسية كانت تستعمل في الزراعة ، لِما للمواسم الطبيعية من تأثير في الزراعة ، ولذلك كان يعمل بها المزارعون ، والحكومة في الجبـــاية ، إذْ تستوفي حصتها من المزارع في هذه الشهور .

وقد عني « بيستن » من المستعربين بموضع تقويم العرب الجنوبيين ، فجمـــع الشهور ورتبها على الشهور الأوربية الغربية ، وساعده على هذا الترتيب ورود أسماء الشهور القديمة في قصيدة للشاعر اليماني « البحر النعامي » ، وهو حميري من سكنة صنعاء ، من « آل ذي نعمة » ، ومن معاصري الهَمْداني ، جمعها في قصيدة ، فأمكن بفضل ذلك من تثبيت شهور التقويم الحميري ومن مقابلتها بالتقويم الميلادي ، فجاءت الشهور موافقة لهذه الدراسة على هذا النحو :

---

(١) كلية (دسمبر ١٩٥٦) ، (جـ ٢ ص ٣) .

(٢) كلية (مايو ١٩٥٤) ، (جـ ١ ص ٥) ، (دسمبر ١٩٥٦) ، (جـ ٢ ص ١٠) .

(3) CIH 399, 1.

(٤) تاج العروس (٢٥٩/٥) ، (قيظ) .

١ – ذ صر بن ويقابل شهر تشرين الأول ، (أكتوبر) ، وصربن ، الصراب ، وهو موسم الزرع ذكر علماء اللغة أن « الصِّراب كَكِتاب من الزرع ما يزرع بعد ما يرفع في الخريف »[١] ، وترد لفظة « صربن » ، أي الصراب بمعنى تمر الخريف ، كما فسرها المستعربون[٢] .

وهو في مقابل شهر « October » ، أي تشرين الأول[٣] .

٢ – ذمهلتن ، ذو المهلة ، ويقابل تشرين الثاني ، (نوفمبر) وقد جاء ذكره في نص : Ja 545 » أخطأ بعضهم فقرأه « ذمحجتن » من اشتباههم في الحرفين الحاء والجيم الذي يشابه حرف اللام .

٣ – ذالن ، ذوالن ، ذو الان ، ذو الآل ، ويقابل كانون الأول (ديسمبر)

٤ – ذ دثا ، ذو الدثاء ، ويقابل شهر « جنوري» ، أي كانون الثاني .

٥ – ذحلتن ، ذو الحلة ، ويقابل « شباط » ، February « ، لتقـــارب حرف« 1 » اللام وحرف« الجيم » «٦» في المسند، قرأ بعض المستعربين هذا الشهر بـ « ذحجتن » . وقارنوه بـ « ذي الحجة » المعروف . وقد جاء اسمه في قصيدة البحر النعامي مؤيداً لرأي من كتبه بـ « ذحلتن » ، أي ذي الحلة .

٦ – ذمعن ، ذومعن، ذومعان ، ذومعون، ويقابل شهر « اذار » ، « March »

٧ – ذثبتن ، ذو الثابتة ، ذو الثبات ، ويقابل نيسان « April » .

٨ – ذمبكرن ، ذو المبكر ، ذو البكور ، ويقابل شهر « مايس » ، « May » . ولم يكن اسم هذا الشهر معروفاً ، ولكنه عرف في النص C 448 » الـــذي نشره « G. Garbini » « كاربيني » .

٩ – ذقيظن ، ذو القياظ ، ذو القيظ ، ويقابل « حزيران » ، « June » .

---

(١) تاج العروس (٣٣٤/١) ، (صرب) .

(2) Sabaean Inscription from Mahram Bilqis, P.,447.

(٣) كلية مايو ١٩٥٨) ، (٦١/١) .

Arabian studies, I, by R.B. Serjeant and R.L. Bidwell, 1949, A.F.L. Beeston , NEW light on the Himyaritic Calender, P., I.

١٠ ــ ذ مذران ، ذو مذران ، ذو المذر ، ويقابل « تموز » ، « July » [١] .

١١ ــ ذخرف ، ذو خرف ، ذو الخراف ، ويقابل « آب » « August » [٢] .

١٢ ــ ذعلن ، ذو علان ، ويقابل « ايلول » Septamber [٣] .

ولم أعثر على أسماء هذه الشهور في كتب اللغة والأخبار .

وهناك أسماء شهور أخرى يظهر أنها شهور قمرية أو شهور أخرى للسنة الشمسية الزراعية ، كانت معروفة في أوقات أخرى . وبلهجات اليمن المتعددة ، مثل : « ذابهى »[٤] ، و « ذاالالت »[٥] ، ويظهر من تسميته بـ « ذ الالت » ان صحت ، أنه شهر الآلهة ، أي شهر كرس باسمها ، قد تكون له قدسية خاصة عندهم ، لمكانته هذه .

ثم شهــر « ذ دنم »[٦] ، و « ذ هبس » ،[٧] و « ذهبس و عثتر »[٨] ، و « ذ مليت » ،[٩] و « ذ عثتر » ، كما في هذه الجملة : « بكن حلظ بورخ ذ عثتر ذخرف سمه كرب بن ابكرب بن حذمت » ، ومعناها : « حينما مرض بشهر ذي عثتر من سنة سمهكرب بن ابكرب من حذمت » ، أي من « آل حذمة »[١٠]

وشهر « ذ فقحى » كما في هذه الجملة : « بيوم اربعم ذ فقحى ورخ ذمليت ذمنذ خرفن » ، ومعناها : « بيوم الرابع من ذ فقحى وشهر ذ مليت من الخريف » ، أو « بيوم الرابع من ذي فقحى وفي شهر ذمليت الذي هو من الخريف »[١١].

---

(١) كلية (مايو ١٩٥٨) ، (٦١/١) .

(٢) كلية (مايو ١٩٥٨) ، (٦١/١) .

(3) Beeston, NEW light on the Himyaritic Calender P., I. ff.

(4) Ja 651, 17.

(5) Ja 642, 6.

(6) Ja 633, 16 .

(7) Ja 877,8.

(8) Ja 611, 7 — 8.

(9) Ja 613, 10, 653, 10, 14.

(10) Ja 567, 6—7.

(11) Ja 653, 9—10.

وكان العرب قبل الإسلام يستعملون على ما يظهر تقويمين : تقويماً شمسياً ثابتاً يسيرون عليه في الزراعة بالدرجة الأولى ، وتقويماً قمرياً ، يستند الى رؤية الأهلّة ، ويتألف من اثني عشر شهراً كذلك ، يؤرخون بأهلته ، والتوريخ بهذه الطريقة أوضح وأسهل على سواد الناس من التوريخ بالتقويم الشمسي ، لاعتمادهم فيه على رؤية الهلال .

ومن نصوص المسند استمد علماء اللهجات الجنوبية علمهم بحضارة العربية الجنوبية قبل الإسلام ، ولولاها لما كان لهم علم بالحكومات التي حكمتها قبل الميلاد وقبل الإسلام ، وبأسماء ملوكها وما قاموا به من أعمال ، وبأحوالهم الدينية وبأسماء آلهتهم ، وبتشريعهم في القوانين الجزائية ، والتجارية التي تنظم التجارة ، وفي جملة هذه القوانين : قانون قتبان في تنظيم التجارة ، وأصول الإتجار بمدينة « تمنع » عاصمة « قتبان » و « شمر » ، وهو قانون كتب على مسلّة من حجر « الغرانيت » ، رأيته في أثناء زيارتي لخرائب مدينة « تمنع » في السنة الماضيــة . وقد بدأت الحروف تتلف وتتآكل بسبب أن الذين حفروا في هذه المنطقة وعثرو على المسلّة تركوها في موضعها ، تحت الشمس والرياح والامطار وأيدي الناس . ولم ينقلوها الى موضع يحميها من العبث أو يعيدوا عليها الأتربة حتى تصونهـــ من التلف الى حين . وقد نبّهت أصحاب الأمر في اليمن الى هذا الخطر ، والى قيمة هذا الأثر المهم ، وأرجو أن يكونوا قد اتخذوا ما يلزم في ذلك مشكورين .

ومن المسند جاء نبأ دولة معين ، ودولة سبأ ، وحكومة قتبان ، وحكومة حضرموت وحكومة أوسان ، و « هرم » ، وهو علم ، ما زال في مراحله الأولى ؛ لأن هذ النصوص التي ورد فيها ذكر « المكربين » والملوك ، وأتباعهم ، لم تدوّن زمــا حكم أكثرهم تدويناً مقروناً بتواريخ معروفة ، وبتقاويم مفهومة لدينا ، لذا نج القسم القديم من علماء العربيات الجنوبية يجعلون حكم معين وسبأ مثلاً في نح الألف قبل الميلاد أو قبل ذلك والمتأخرون منهم ، ينزلون هذا الرقم ويجعلونه فـ نحو المئة السادسة قبل الميلاد . وكل ذلك ظنّ ، ولا يمكن الوصول إلى نتائـــ منطقية . ما لم يخترق علماء الآثار القشرة الظاهرة لمواضع الآثار في جزيرة العرب

ىلوا الى الأعماق، لإستخراج ما فيها من أسرار تأريخ العرب قبل الإسلام.
يظهر من دراسة نصوص المسند أنها قد مرّت بأدوار ومراحل ، فإن النصوص
ىمـــة منها ولا سيما أقدمها ، تبتعـــد عن عربيتنا في الخصائص الصرفيـــة
ـوية أكثر من بعـــد النصوص المتأخرة عنها ، ولا سيمـــا النصوص المتأخرة
يبـــة من الإسلام ، ثم هي عموماً تبتعد عن عربيتنا أكثر من بعـــد اللهجات
ىوية واللحيانية والديدانية والثمودية والأحسائية عنها ،ولهذا يجد القارىء للكتابات
ىمة من المسند صعوبات في فهم معانيها ، ويجد فيها ألفاظاً وتراكيب بعيدة
عربيتنا ، لا يجد لها وجوداً في النصوص المتأخرة . وفي هذا الاختلاف دلالة
مرور اللهجات العربية الجنوبية بأدوار تطوّر جعلتها تتقرب من عربية القرآن
يم كلّما اقتربنا من الإسلام . ويفيدنا هذا التطور فائدة كبيرة في تشخيص
ر اللهجة العربية التي نسمّيها « الفصحى » استناداً الى هذه النصوص الأصيلة
تعود الى ما قبل الإسلام بدلاً من الرجوع الى الروايات التي رواها علماء اللغة
حبار عن تطور هذه اللهجة أخذاً من الأعراب ، لا من الوثائق المدوّنة .
يعود هذا التقارب الذي نراه في الكتابات القريبة من الميلاد فما بعد الى قرب
ر الإسلام فيما بين عربية المسند وعربية القرآن الكريم ، الى تدخل اعراب
ال ، أي الأعراب النازلين شمال العربية الجنوبية في أمور العربية الجنوبية ،
زين فرص الضعف الذي كان يطرأ بين الحين والحين على حكومة تلك البلاد ،
لهم بها واختلاطهم بأهلها ، وازدياد نفوذهم فيها ، حتى اضطروا الملوك الى
ال اسمهم في ألقابهم الرسمية ، فصـــار لقبهم : « ملك سبأ وذو ريدان
سرموت ويمنت واعربهمو طودم وتهمتم » ، وفي ذكرهم في لقب الملوك دلالة
ما صار لهم من مكانة ومنزلة في العربية الجنوبية ، منزلة أدت إلى امتصاص
ات المسند مادة من لهجات الأعراب ، كما يتبين ذلك من النصوص المتأخرة،
بينها نص أبرهة المدوّن على جدار « سدّ مأرب » ، مثل ظهور حرف « ض»
، وهو حرف جرّ عربي جنوبي بدلاً من « بن » الذي هو في مقام « من »
جات الجنوبية [1] .

غويدي ، المختصر في علم اللغة العربية الجنوبيه القديمة (ص ١٦) ، القاهرة (سنة ١٩٣٠) .

ومما يلاحظ في اللهجات الجنوبية أن حرف الجر فيها لا يجر ما بعده ، فكلمة « لأخيه » المجرورة في عربيتنا ، هي « لاخهو » في المسند[١] ، وكلمة «ولبنيهم» ، هي « ول بنيهمو »[٢] في اللهجات العربية الجنوبية ، ومثل : « بارضهو » ، بمعنى « بأرضه »[٣] ، و « بالمقهو » في موضع « بالمقه »[٤] ، و « بهو » في مكان به[٥] ، و « بوسطهو » في معنى « بوسطه »[٦] ، و « لخمرهمو » ، بمعنى لما منّ بـه عليهم ، في معنى : « ولبنيه » « وفي ملكهو » بمعنى « وفي ملكه »[٧] و «لوفيهمو» في معنى : « ولشفائهم »[٨] ، و « بأمرهمو » ، بمعنى « بامارته » ، بسلطته ، بسيادته ،[٩] و « بشبهمو سهمن » ، بمعنى « وبقبيلته سهمان » ، و « بادمهمو » ومعناها : « وبعبيدهم »[١٠] ، و « بن أرضهمو » ، ومعناها : « من أرضهم »[١١] ، و « لنخلهو » ، بمعنى « لنخيله » ،[١٢] و « بنخلهو » ، بمعنى بنخيله ،[١٣] و « بارضهمو » ، بمعنى بأرضهم[١٤] ، و « لعبدهمو » ، في موضع « لعبده »[١٥] وهكـــذا .

ولا زال أعراب من جزيرة العرب ومن قراها وسادتها ، يرفعون المجرور فـــي كلامهم ، فيقولون : « بهو » في مكان « به » ، مثلاً كما يفعلون ذلك في « الشعر

(١) غويدي ، المختصر (ص ٢٤ وما بعدها) .
(٢) عنان (٣٢٥) .
(٣) عنان (٣٩٧) .
(٤) عنان (٢١١ ، ٢٣٠) .
(٥) أرياني (٧٨ ، فقرة ١٢) .
(٦) أرياني (٧٥ فقرة ١) .
(٧) عنان (٣٢٤ ، سطر ١) .
(٨) عنان (٣٢٥ ، سطر ٢ — ٣) .
(٩) نشر (ص ١٢١) .
(١٠) نشر (ص ٩١) ، (نقش ٧٠) .
(١١) مجلة كلية الآداب ، بجامعة القاهرة ، (مايو ١٩٤٧) ، العدد الأول ، المجلد التاسع (ص٢٠)
(١٢) دراسات يمنية ، مجلة (العدد ٢) ، (السنة ١٩٧٩) ، (ص ٨٤) .
(13) CIH399.
(14) CIH395.
(15) CIH394.

النبطيّ » المستعمل في الجزيرة ، مما يدل على أن ذلك من بقايا اللهجات العربية القديمة ، وتستحق هذه الظاهرة توجيه العناية نحوها لدراسة خصائص اللهجات العربية الباقية في كل جزيرة العرب وبادية الشام ، لحل مشكلات لغوية ونحوية وصرفية لم يتنبه لها أوائل علماء العربية فبقيت بلا حلّ حتى الآن .

ونجد مثل ذلك في حالة « المضاف اليه » أيضاً ، كما في « بمقم مراهمو «بشمس» أي « بمقام أميرهم رب شمس »[1].

ونجد في جملة : « ورثدو هقنيتهمو » ، أي « وقدموا نذورهم » ، أو «وأهـدوا عطاياهم »، لفظة « هقنيتهمو » في حالة الرفع ، على حين أنها في حالة المفعول به ، فيجب أن تكون في حالة النصب ، ونجد دخول « لم » النافية على الفعل الماضي . وهذا مخالف لعربيتنا ، لأن « لم » لا تدخل فيها على الفعل الماضي ، وهنـاك إختلافات أخرى بين اللهجـة الجنوبية وعربية القـرآن الكريم ، في مثل أداة التعريف ، وأداة التكسير ، وفي الجموع ، وفي تكوين الفعل . وهي أمور لـم تدرس بعد دراسة مقارنة ، رغم أهميتهـا ، ولعل أحداً من العلماء الباحثيـن في هذا الموضوع يدرس نحو اللهجات الجنوبية وصرفها دراسة مقارنة مع نحـو عربية القرآن الكريم وصرفها .

إنّ هذه الملاحظات وغيرها تدعونا الى إعادة النظر في الآراء السائدة اليوم حول ظهور اللحن وأسبابه ، وإرجاع ذلك إلى الإختلاط بالأعاجم فقط ، في حين أن النصوص تظهر أن كثيراً مما يسمى لحناً هو في الحقيقة لهجات عربية محلية .

وبفضل هذه الكتابات وقفنا على أمور لم يكن للأخباريين علم مّا بها ، فقد أمـدتنا مثلا بمادة غزيرة عن آلهة عربية قديمة ، لم يبلغ خبرها « ابنَ الكلبي » ولا غيره من أصحاب الأخبار المتقدمين أو المتأخرين ، وقدمت الى العلماء نصوص توسلات وتضرعات الى الآلهة ، لتمنّ على أصحابها باليمن والبركة ، وبالصحة والعافية ، ولتشفيهم من أمراض أصيبوا بها ، ومن جروح أصابتهم في الحروب أو لتنعم عليهم بمواليد ذكور أصحاء ، وللمواليد الذكور أهمية كبيرة عندهم ،

(١) نشر (ص ٩١ وما بعدها) ، (نقش قم ٧٠) ، (سطر ٢) .

ولذلك كانوا يتضرعون الى آلهتهم بأن تمنحهم أولاداً ذكوراً أصحاء ، ولاعتقادهم بأن كلّ شيء في هذه الدنيا هو بأيدي الآلهة ، مثل الصحة والمرض ، والولادات ، وانتشار الأوبئة ، وسلامة الزرع ، والنجاة في الحروب ، تقربوا لذلك الى آلهتهم بالتضرع والتوسل وبالنذور ، وببناء المعابد ، وبتقديم حقوق الآلهة الى المعابد ، لترضى عنهم ، ولتمنّ عليهم بما يريدون .

وبمناسبة الحديث عن الأوبئة نجد أن النصوص تشير اليها والى انتشار الموت فجأة في كل مكان . فهذا نص يحدثنا عن «خوم وعوس وموتت كون بارضن»[1] ، وهذا نص آخر يتحدث عن « عوس وموتن كون بكل ارضن »[2] وهذا نص ثالث يحدثنا عن « ضللم وعوسم باشعبن وهجرن »[3] و « الخوم » الوباء ، في معنى « وخم » أي وبيء ،[4] ويجب أن يكون « العوس » من هذه الأوبئة التي تظهر فجأة فتأكل في الناس أكلاً . وكذلك « ضللم » .

ويفهم من النصوص المذكورة ومن غيرها أن أوبئة كانت تهب فتهاجم القبائل والمدن « باشعبن وهجرن » ، وتنتشر في كل الأرضين ، « موتن كون بكل أرضن » .

وقد أمدت الحروب والغزوات التي شنّها الأقيال والأذواء بعضهم على بعض ، « الموت » « موتت» بوقود دسم ، فأخذ يفتك بالناس فتكاً ، وذلك أن هذه الحروب والغزوات التي تكاد تكون متواصلة ، كانت تترك الجثث على سطح الأرض ، فتتعفن وتخلق الجراثيم القاتلة الفتّاكة أوبئة تلاحق الناس ، أضف على ذلك أنها كانت تقضي على مخزون الطعام ، فيتعرض الناس للجوع ، وللموت منه ، ومن هنا ميزت النصوص بين « ضللم » و « عوسم » و « خومم » ، و « موتت » و «موتن» ، وكلّها شرّ وآفة ابتلي بهما أهل العربية الجنوبية ، فكان أحدهم يحمد الآلهة لأنها منت عليه بالبقاء سالماً معافى من هذه الأوبئة .

وقد كانوا يخافون العدوى من الأمراض المعدية ، مثل مرض « الجذام » .

---

(١) مجلة كلية الآداب ، بجامعة القاهرة ، (دسمبر ١٩٥٤) ، (جـ ٢ ص ٣٧) .
(2) CIH537.
(3) CIH 541.
(٤) لسان العرب (٦٣١/١٢) ، (وخم) .

« تجذمم » . فاجتنبوا المرضى بهذه الأمراض ، وحتموا عليهم باعتزال الناس ، وبعدم الظهور في المجتمع ، ففي قانون أن أي مجذوم يقبض عليه في مجتمع عام في منطقة « فيش » « فيشان » وهو يعلم أنه مصاب بالجذام ، فيحاكم على ذلك ، ويعدّ خارجاً على القانون ، ويحكم عليه بالموت ، وكل شخص رجلا كان أم امرأة ، يقبض عليه في « فيشان » ، أو « بكيل » أو « شبام » ، أو « اهجر » ، وهـو في جوار معبد « الو » ، أو وجد مجرداً من ملابسه ، وهو مصاب بالجذام ، يحكم عليه بالموت كذلك ، مع مصادرة أمواله ، وتسجيلها باسم الملك .

ونص القانون على منع دخول المرأة المعبد ، وهي نجسة ، فاذا فعلت ذلك عوقبت لخروجها على القانون (١) .

وكل ما ذكرت يتناول أمور الإنسان في هذه الدنيا أمّا أموره في الآخرة فلا نعلم من أمرها شيئاً ، لأن النصوص الواردة الينا حتى الآن لم تتحدث بشيء عن ذلك . غير أن عثور المنقبين على مخلفات مثل الحلي والأسلحة وأواني للأكل أو لشرب الماء وأمثال ذلك ، يشير الى أن أصحاب هذه المخلفات لم يدفنوها مع الميت إلاّ لاعتقادهم بأن ميتهم سيبعث حيّاً وأنه سينتفع بها في حياته الجديدة . على كلٍّ هذا ظن ، قد يفنّده معترض بقوله : إذا كان هؤلاء قد اعتقدوا بالحياة الثانية بعد الموت ، فكان الأحرى بهم تخليد هذا الاعتقاد بالتوسل الى آلهتهم ، وهم في الدنيا ، بأن ترحمهم بعد موتهم ، كما يفعل أهل الأديان ، وبأن تجنبهم كل سوء ومكروه ، وتجعلهم في سعادة ونعيم ! وهذا ما لم يرد له أي ذكر في كتابات العرب قبل الإسلام . وأما دفن الأشياء المذكورة مع الميت ، فقد يكون على سبيل الدلالة على تعلقهم بالميت ، وتعبيراً عن حبّهم له ، وهذا هو ظن آخر ، والظن لا يفيد علماً . وليس يفيدنا علماً إلاّ الزمن ، فلعلّه يقدّم لنا نصوصاً مكتوبة ، فيها علم جازم عن عالم ما بعد الموت .

ولاعلم لابن الكلبي — صاحب كتاب الأصنام المطبوع — بآلهة العرب قبل الإسلام المدوّنة في كتابات ما قبل الإسلام ، وما أورده في كتابه مستوحىً من القرآن

(1) Le Muséon, Tome, 89, 1976, P., 419.

الكريم ومن تعقب المفسرين لأصنام العرب الذين أدركوا أيام الإسلام . وقليل منها مذكور في كتابات ما قبل الإسلام . ولا علم لغير ابن الكلبي ممن اشتغل بتأريخ العربية الجنوبية قبل الإسلام ، أو بتأريخ جزيرة العرب كلها بهذه الحقبة ، وفي ضمنهم علماء اليمن مثل الهَمْداني ومن سبقه أو من جاء بعده ، بأسماء الآلهة التي ورد اسمها في النصوص ، بدليل أننا لا نجدهم يشيرون اليها في أخبارهم عن الأصنام، ولا يعرفون من أمرها شيئاً، بل نجد الهَمْداني يجعل إله «هَمْدان « تالب ريمم » « ثالب ريام » . رجلين من همدان ، في حين يعد « تالب ريمم» في كتابات الهَمْدانيين ، إلــه هَمْدان الرئيس ، مع أن الهَمْداني على رأس علماء اليمن المتتبّعين لتأريخهم القديم ، والقارئين لحروف المسند ، والمدعين فهمهم لنصوص المسند والمفسرين لها .

ويفهم من وصف علماء الأخبار لأصنام العرب قبل الإسلام أن تلك الأصنام كانت مجسمة محسوسة ، تمكن رؤيتها ومسّها باليد . فَهُبَلُ مثلاً على هيأة رجل عظيم الجسم ، واللات : لات الطائف على صورة إنسان ، أو حجر . أمّا آلهة الكتابات التي تعود الى ما قبل الإسلام ، فلا يفهم منها هذا الفهم ، وكـل ما ورد عن بعضها مثل « ود » إله « معين » ، أن الثور رمز له ، وأن رأس الثور ذي القرنين المنقوش والمحفور على الأحجار يشير الى الآله القمر ، وأن القرص ذا الإشعاع رمز للشمس ، ولكن لم يُعثر ، بحسب علمي حتى الآن ، على تمثال منحوت لإله من آلهة العرب الجنوبيين على شاكلة هُبَلَ ، الذي عرفنا شكله ووصفه من أخبار أهل الأخبار .

ومهما يكن من شيء فان هذه ملاحظة شخصية ، أبديتها استناداً الى واقع هذا اليوم ، ومدى معرفتنا بأمور ما قبل الإسلام محدود ومجاله ضيق ، وقد تزودنا حفريات المستقبل بتماثيل منحوتة مجسمة لآلهة العرب الجنوبيين وغير الجنوبيين.

وقد يكون سبب ذلك أن العرب الجنوبيين كانوا يدينون بثلاثة آلهة : الشمس والقمر وعثتر ، وقد رمز إلى كلٍ منها بصفتها . فالشمس قرص مدور مشع فرمز إليه بقرص ، والقمر يتغير فيتحول من هلال إلى قرص، فرمز اليه برأس ثور لـــه

قرنان ، والقرن يحاكي الهلال ، وعثتر رمز اليه بكوكب ، وهو دون الشمس والقمر في الظهور وفي إثارة انتباه الإنسان .

وقد بنوا لآلهتهم بيوتاً للعبادة ، ونجد في المدينة الواحدة جملة معابد ، ، بعضها معابد ضخمة كبيرة ، بقيت آثار بعضها قائمة حتى اليوم ، مثل محرم بلقيس ، وهو معبد « اوم » « اوّام » المكرس لألمقه . وتوجد منه أعمدة ضخمة ، تشير الى ضخامة ذلك المعبد .

وفي أيام ما بعد الميلاد ، ولا سيما الأيّام القريبة من الإسلام ، لا نسمع ببناء معابد لهذه الأجرام الثلاثة ؛ لأن الناس قد أخذوا في الابتعاد عنها والتقرب الى « الرحمن » والى « ذي سموى » ، إله السماء ، ثم إن تصارع اليهودية والنصرانية في الهيمنة على أفئدة العرب الجنوبيين ، قد دفع الناس عن التفكير في آلهتهم القديمة ، وصرفهم الى عبادة جديدة قد تنقذهم مما صاروا إليه من سوء حال وتقاتل وحروب .

وفي جملة ما وقفنا عليه من عقائد أهل اليمن ، تعبدهم أو تعبد قوم منهم لإ له نعت بالرحمن رب السموات والأرض مما يشير الى ظهور عقيدة التوحيد عندهم وهو توحيد مشكوك في أمر جذوره [1] .

« قال الزجاج : الرحمن اسم من أسماء الله عزّ وجل ، مذكور في الكتب الأوّل ، ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله تعالى . قال أبو الحسن : أراه يعني أصحاب الكتب الأول ، ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة ، ورحيم فعيل ، بمعنى فاعل كما قالوا : سميع بمعنى سامع ، ولا يجوز أن يقال رحمان إلاّ لله عزّ وجل ، وحكى الأزهري عن أبي العباس في قوله تعالى : (الرّحمن الرحيم) جمع بينهما ؛ لأن الرحمن عبراني والرحيم عربيّ . وأنشد لجرير :

لن تدركوا المجد أو تشروا عباءكُمُ   بالخَزّ أو تجعلوا الينبوت ضمرانا
أو تتركون الى القسمين هجرتكم   ومسحكم صلبهم رحمـان قربانا

وقال الجوهري : هما اسمان مشتقان من الرحمة ، ونظيرهما في اللغة نديم وندمان»[2] .

(1) Symposium, P., 82.

(٢) تاج العروس (٣٠٧/٨) ، (رحم) ، المفردات في غريب القرآن ، للراغب الاصبهاني (ص ١٩١) .

و دعوى أن « الرحمن عبراني والرحيم عربي » ، دعوى غير صحيحة ، لورود اللفظتين في المسند ولغة المسند هي عربية ولا شك ، ودعواهم هذه شبيهة بدعواهم الأخرى القائلة إن لفظة : « التأريخ » لفظة أعجمية ، وأنها من « ماه » و « روز » أي الشهر واليوم ، مع أنها لفظة عربية ذكرت في النصوص بالمعنى الذي نريده منها في لغتنا ، فهذا في الواقع تسرّع في الحكم يقع من بعض العلماء في بعض الأحيان.

والإله « الرحيم » من آلهة النبط ، والنبط من العرب الشماليين ، وهو يرد في الكتابات الصفوية كذلك ، ونجد أن آلهة النبط والصفويين واللحيانيين والثموديين تكون فصيلة لا نجد لها مكانا في العربية الجنوبية ، مما يدل على أن عقيدة العرب الجنوبيين في آلهتهم لا ترجع الى عقائد أهل الشمال ، وإنما الى مصدر آخر ، أرجو أن نوفق الى معرفته في المستقبل ، وآلهة النبط ومن ذكرتهم معروفة عند أهل الحجاز والعربية الوسطى ، ولهذا وعت ذاكرة أهل الأخبار أكثرها ، فذكروها في أخبارهم .

و « سن » « سين » إله حضرموت ، يشير من بين آلهة العرب الجنوبيين الى أنه من أصل عراقي ، وقد يكون « عثتر » كذلك وبين حضرموت والعراق إتصال قديم ، حتى أن سادتها ، وهم اشرافها في الوقت الحاضر ، ينسبون أنفسهم الى البصرة ، ويروى أنهم هاجروا من البصرة الى حضرموت .

وترسم نصوص المسند والنصوص اللحيانية والثمودية والصفوية والاحسائية ، صورة عن العرب قبل الإسلام تختلف عن الصورة التي رسمها أهل الأخبار عنهم فعرب ما قبل الإسلام أو بعضهم في الأقل ، كان لهم فقه ودين ، وكانت لهم سنن وشريعة في دخولهم المعابد ، فلايجوز لنجس مثلاً دخول المعبد ، ما لم يغتسل لإزالة النجاسة عنه ، ومن يخالف ذلك يكون قد أثم وخالف أمر دينه . ففي نص من النصوص أن أمرأة دخلت معبد « أوم » ، « أوّام » ، وهو معبد « المقه » إله سبأ الأكبر ، بثوب نجس ، ثم ندمت على صنيعها هذا ، وأنّبها ضميرها على ارتكابها هذا الخطأ ، فقدمت كفّارة لإلهها ، راجيةً منه غفران ذنبها ذلك [1] .

(1) Carpus, I, II, P., 1.87, 39.11—NI.

وعدّ الدم من المنجسّات ، وفي أحد النصوص أن كاهناً ذبح ضحية ، الى الإ آله ، فأصاب دم الضحية ثوبه ، فكان عليه تنظيفه وعدم دخول المعبد بـــه ، لنجاسة الدم .

وجاء في نص آخر ، وسم برقم « C 506 » أن امرأة اسمها « جلزاد » ، قدمت كفارة ، عن ابنتها المسماة : « ابعلي » ، لأنها استقت ماءً من بئر « عدن » وكانت ابنتها نجسة ، ولم تذكر نوع النجاسة ، ولعلّها كانت نجاسة الحيض ، التي تعدّ من المنجسات .

ومما يلاحظ أن لفظة « كفّارة » « الكفّارة » التي ترد في الاسلام في معنى التكفير عن الذنب ، وما يغطي الإثم ، ومنه كفّارة اليمين ، وكفّارة القتل والظِهار [1] تؤيد ما ورد في تلك النصوص من إزالة الإثم والرجوع الى الأصل ، بالتكفير عن الذنب ، وبعمل ما يزيل الإثم عن فاعله .

ولدينا نص يتحدث عن جفاف أصاب « مأرب » وعن انحباس مطر الخريف عنها مدة ثلاثة مواسم ، أي ثلاث سنين ، حتى جفت الأرض ومات الزرع ، ويبست الـ « اعمد » ، أي اشجار العنب ، وغاضت مياه الآبار ، فاجتمع ملأ مأرب : « سبا كهلن » ، « سبأ كهلان » ، وقرروا التوجه الى معبد « المقــه » للتوسل إليه بانزال المطر عليهم ، خرجوا اليه رجالاً ونساءاً ، وتجمعوا في معبده « اوم » ، « معبد أوّام » ، وأخذوا يتضرعون الى رب البيت بأن يستجيب لدعائهم ، وقام الكاهن ، بعمل رقيته « رقتهمو » ، وقرأ الأدعية ، والناس يناجون المقــه أن يستجيب لهم ، فلمّا اكمل الكاهن مراسيم الاستمطار أوحى المقه اليه بوحيه لـــه ، أنه قد استجاب لدعائه ، وأنه سينزل الغيث عليهم ، وما خرجوا من المعبد للعودة الى بيوتهم ، حتى تساقط المطر عليهم ، وأخذت السيول تجري بماء المطر ، فروت أرضهم واختزنوا الماء في أحواضهم وفي مواضــع تجميع الماء ، وفرحوا بذلك فرحاً عظيماً ، وسجلوا حمدهم لألمقه بتقديم ما نذروه له [2] .

---

(١) المفردات (ص ٤٣٥) .

(2) Ja 735, Saba., PP., 212, Le Muséon, Tome, 91, 1978, P., 207.

والنص مهم جداً ، يشرح لنا أصول « الاستمطار » أو « الاستسقاء » عند أهل اليمن ، وكانوا يعدّون انحباس المطر عنهم ، ولا سيما اذا كان ذلك لمدة طويلة ، عقوبة من الآلهة تنزلها عليهم ، بسبب تلكؤهم بتأدية شعائر دينهم ، وتهاونهم في التعبد لها ، فلمّا انحبس المطر عنهم هذه المدة ، عمدوا على استرضائها بتجمع ملأ « مأرب » كلهم ، « سبأ كهلان » ، رجال ونساء في معبد « المقه » إله سبأ ، وعلى رأسهم كاهن الاله ، فأرضاه بصلاته له ، وأنزل على قلبه أنه سيغيثهم ، وقد أغاثهم كما يقول النص حين مخرجهم من المعبد .

ولفظة « رقتهمو » الواردة في السطر التاسع من النص ، بمعنى « رقيتهم » و « الرقية » معروفة في بقية جزيرة العرب كذلك ، ومن أهل الأخبار من يجعلها في مرادف « العوذة » ، « يقال : رقى الراقي رقية ورُقيّاً ، اذا عوّذ ونفث في عوذته » ، وكانوا يرقون بها من الآفات ، كالحمّى والصرع وغير ذلك ، ويظهر أن بعضهم كان يرقى عند اليهود والنصارى ، فيرقون لهم بغير اللسان العربي ، ولهذا ورد النهي عن الرقية اذا كانت بغير اللسان العربي [١] .

وكان الكاهن يقوم بالرقية فينفث على خيوط ويعقدها ، ويعوّذ عليها ، ثم يفتحها بالتعويذ كذلك ، ويخاطب الآلهة ، لتسمع كلامه وتستجيب له .

وقد أظهرت هذه الكتابات أن ما يذهب اليه علماء النسب وأهل الأخبار من تشجير الأنساب وإيصالها الى عدد من الآباء والأجداد ، هو أمر غير معروف عند العرب الجنوبيين ، وأن كل ما ورد في نصوص المسند وفي النصوص الأخرى من نسب ، هو ذكر اسم الشخص ، ولقبه ، واسم أبيه ، واسم عائلته ، ثم اسم قبيلته ، أي القبيلة التي تنتمي اليها الأسرة [٢] ، ولم يرد ما بعد ذلك من نسب ، كأن يقال مثلاً « برقم يجد بن غفرم » ، ومعناه : « بارق يجد بن غفر » ، أو « غفار » [٣] . فبارق هو الاسم ، و « يجد » لقبه ، و « غفرم » اسم العشيرة التي هو منها ، وليس من الضروري تلقب كل شخص ، إنما اتخاذ اللقب يكون في العادة من ذوي المكانة والبال والمنزلة في المجتمع .

---

(١) لسان العرب (٣٣٢/١٤) ، (رقــا) .

(2) Raydôn, Vol., I, 1978, P.213.

(٣) ريدان (ص ٤٤) .

وتأتي لفظة « بن » بين الاسمين ، بمعنى « ابن » ، وتأتي أيضاً بمعنى « من » إذا ذكرت قبل اسم عشيرة أو قبيلة أو مدينة ، فتفيد بذلك الانتماء ، وذلك كما في هذه الجملة : « هو فعثت . . وبنهو يدم بنو بذل اغيمن » ، ومعناها : « هو فعثت . . . وابنه يدم بنو بذل الغيمانيين »[1] ، أو بعبارة أخرى : «هوفعثت.. وابنه يدم من بيت أو أسرة بذل الذين هم من غيمان » ، وكما في جملة : « ينعم ذرح وبنيهواب كرب وبكرم بني ذغيمن »[2] ، ومعناها : « ينعم أذرح وابنيه ابكرب وبكر بني ذوغيمان » . ولم نعثر على نص في النسب يشبه الأنساب التي يذكرها علماء النسب من ذكر آباء وأجداد وأجداد أجداد الى الجد الأكبر الذي هو رئيس القبيلة .

ويكون الانتساب إلى القبيلة ، أو العشيرة ، أو الأسرة إمّا بوضع حرف «بن» قبل اسم القبيلة أو العشيرة أو الأسرة ، أو المدينة ، لتؤدي معنى : « من » ، كما رأينا في « بن غفرم » ، ومعناها : « من غفار » ، أو على هذا النحو : « احضرم » ، بمعنى « حضرمي » ، « حضارمة » ، و « اسبان » ، و « اسباى » ، بمعنى سبئيون وسبئي ، أو بإلحاق « ين » بآخر الاسم المراد نسبته ، مثل : « قحطنين » ، ومعناه : « القحطاني » .

وقد عامل علماء الأخبار والأنساب القبائل العربية الجنوبية ، معاملتهم للقبائل الشمالية في تشجير أنسابها وتفريعها ، بأن جعلوا لها أنساباً من آباء وأجداد تمتد حتى تصل إلى سبأ أو « كهلان » ، أو إلى « قحطان » الجدّ الأعلى للعرب الجنوبيين في عرف النسّابين ، وهي أنساب لا نجد لها مكاناً في نصوص المسند ، فقبيلة « حاشد » وقبيلة « بَكيل » وقبيلة « هَمْدان » ، هي في المسند قبائل منفردة ، لكل منها شخصيتها وكيانها ، خالية من هذا النسب الذي يذكره لها أهل الأنساب. ذلك لأنّ مفهوم القبيلة يختلف عند العرب الجنوبيين عن مفهومه عند علماء النسب فالقبيلة عند العرب الجنوبيين ، ويعبر عنها بلفظة « شعب » ، هي وحدة لا تقوم

---

(١) ويدان (ص ٤٨) .

(٢) المصدر نفسه .

على النسب ، أي على رابطة الدم ، وإنما هي وحدة ربطت أفرادَها روابط اجتماعية ودينية ، واقتصادية ومصلحة مشتركة ، ومن هنا يجب علينا فهم النظام القَبَلي في اليمن على هذا الأساس ، لا على أساس المفهوم الذي يتصوره علماء النسب .

فلقد قام النسب في العربية الجنوبية على ارتباط الإنسان بأرضه ، وعلى ارتباطه بالجماعة التي يعيش بينها ، وعلى الحرفة التي يتعاطاها ، وعلى المعبود الذي يتعبد مع أقرانه من المؤمنين له ، والأرض أو التربة التي ارتبط بها العربي الجنوبي ، هي النسب الذي ينتسب ذلك العربي إليه بالدرجة الأولى ، وكذلك الرابطة الاقتصادية والدينية والسياسية ، فسَبَأ في المسند ، غير سبأ أهل الأخبار ، سبأ المسند قبيلة لا نعرف لها أمّاً ولا أباً ، وهَمْدان في المسند غير هَمْدان أهل الأخبار والأنساب ، همدان المسند قبيلة ، أي « شعب » لم يرد لها أب ولا أم ولا أجداد ولا أولاد ، وحاشد المسند قبيلة مثل قبيلة هَمْدان ، وكذلك قبيلة « بكيل » ، وتذكران مع هَمْدان ، كما تذكران مع القبائل الأخرى ، ذكراً لا صلة له بنسب ودم ، و « قحطن » « قحطان » في المسند قبيلة مثل سائر القبائل ، لا يذكر المسند لها أباً وأجداداً وأولاداً .

وقد أدرك « ابن خلدون » بثاقب رأيه مفهوم النسب عند العرب قبل الإسلام وفي الإسلام ، وتحدث عنه بقوله : « في أن الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين في القَفْر من العرب ومَنْ في معناهم ، وذلك لِما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن ، حملتهم عليها الضرورة التي عيّنت لهم تلك القسمة وهي لمّا كان معاشهم من القيام على الإبل ونتاجها ورعايتها ، والإبل تدعوهم الى التوحش في القفر لرعيها من شجره ونتاجها في رماله كما تقدم ، والقفر مكان الشظف والسّغَب فصار لهم إلفاً وعادة ، وربيت فيه أجيالهم حتى تمكنت خلقاً وجبلّة ، فلا ينزع اليهم أحدٌ من الأمم أن يساهمهم في حالهم ، ولا يأنس بهم أحد من الأجيال ، بل لو وجد واحد منهم السبيل الى الفرار من حاله ، وأمكنه ذلك ، لما تركه فيؤمن عليهم لأجل ذلك من اختلاط أنسابهم وفسادها ، ولا تزال بينهم محفوظة صريحة ، واعتبر ذلك في مضر من قريش وكِنانة وثَقيف وبني

أسد وهُذَيْل ومن جاورهم من خُزاعة لمّا كانوا أهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع ، وبعدوا من أرياف الشام والعراق ومعادن الأدم والحبوب كيف كانت أنسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيها شَوْب .

وأما العرب الذين كانوا بالتلول وفي معادن الخصب للمراعي والعيش من حِمْيَر وكَهْلاَن ، مثل لَخْم وجُذام وغَسّان وطَيّئ وقُضاعة واياد ، فاختلطت أنسابهم ، وتداخلت شعوبهم ، ففي كل واحد من بيوتهم من الخلاف عند الناس ما نعرف وإنما جاءهم ذلك من قبل العجم ومخالطتهم ، وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم ، وإنما هذا للعرب فقط . قال عمر ، رضي الله تعالى عنه : « تعلّموا النسب ، ولا تكونوا كنبط السّواد ، اذا سئل أحدهم عن أصله ، قال : من قرية كذا » ، هذا أي ما لحق هؤلاء العرب أهل الأرياف من الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعي الخصيبة ، فكثر الاختلاط ، وتداخلت الأنساب .

وقد كان وقع في صدر الإسلام الانتماء إلى المواطن ، فيقال : جُنْدُ قِنّسْرين جُنْد دِمَشْقَ ، جُنْد العواصم ، وانتقل ذلك إلى الأندلس ، ولم يكن لاطراح العرب أمر النسب ، وإنما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح ، حتى عرفوا بها . وصارت لهم علامة زائدة على النسب ، يتميزون بها عند أمرائهم ، ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم ، وفسدت الأنساب بالجملة ، وفقدت ثمرتها من العصبية ، فاطرحت ، ثم تلاشت القبائل ودثرت ، فدُثرت العصبية بدثورها ، وبقي ذلك في البَدْوِ كما كان »[1] .

وعلل « ابن خلدون » اختلاط النسب وكيفية وقوعه بقوله : « اعلم أنه من البيّن أن بعضاً من أهل الأنساب يسقط الى أهل نسبٍ آخر بقرابة اليهم أو حلفٍ أو ولاء أو لفرارٍ من قومه بجناية أصابها ، فيدعي بنسب هؤلاء ، ويعدّ منهم في ثمراته من النُّعَرة والقَوَد وحمل الدّيات وسائر الأحوال . وإذا وُجدت ثمرات النسب ، فكأنه وجد لأنه لا معنى لكونه من هؤلاء ومن هؤلاء إلاّ جريان أحكامهم وأحوالهم

---

(١) المقدمة (ص ١٢٩ وما بعدها) ، (طبعة مكتبة المثنى) .

عليه ، وكأنه التحم بهم ، ثم إنه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمـــان ، ويذهب أهل العلم به ، فيخفى على الأكثر . وما زالت الأنساب تسقط من شعب الى شعب ، ويلتحم قوم بآخرين في الجاهلية والإسلام والعرب والعجم . وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم ، يتبين لك شيء من ذلك ، ومنه شأن بَجِيلة في عرْفَجة بن هرثمة لَما ولاّه ، عمر عليهم ، فسألوه الإعفاء منه ، وقالوا : هو فينا لَزِيق أي دخيل ولصيق ، وطلبوا أن يولي عليهم جريراً ، فسأله عمر عن ذلك فقال عرفجة : صدقوا ، يا أمير المؤمنين ، أنا رجل من الأزْد ، أصبتُ دماً في قومي ، ولحقت بهم . وانظر منه كيف اختلط عرفجة ببَجِيلة ، ولبس جلدتهم ، ودُعي بنسبهم ، حتى ترشح للرئاسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجه ، ولو غفلوا عن ذلك وامتــد الزمن لتنوسي بالجملة ، وعدّ منهم بكلّ وجه ومذهب »[1] .

وذكر « ابن خلــدون » أن « العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسبة أو ما في معناه ، وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلاّ في الأقل ومن صلتها النعرة على ذوي القُربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم ، أو تصيبهم هلكة ، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه ، ويودّ لو يحول بينــه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا ، فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريباً جداً بحيث يحصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها ، واذا بعد النسب بعض الشيء فربّما تنوسي بعضُها وبقي منها شهرة فتحمل على النصرة لذوي نسبه بالامر المشهور منه فراراً من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظُلم من هو منسوب اليه بوجه ، ومن هذا الباب الولاء والحلف إذ نعــرة كل أحد على أهل ولائه ، وحلفه للألفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها ، أو نسيبها بوجه من وجوه النسب ، وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء ، مثل لحمة النسب ، أو قريباً منها ، ومن هذا تفهم معنى قوله ، صلى الله عليه وسلم : تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، بمعنى أن النسب إنّما فائدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام

(١) المقدمة (١٣٠ وما بعدها) .

حتى تقع المناصرة والنعرة ، وما فوق ذلك مستغنى عنه ، اذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له ، ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام ، فإذا كان ظاهراً واضحاً ، حمل النفوس على طبيعتها من النعرة كما قلناه ، وإذا كان إنما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت فائدته ، وصار الشغل به مجاناً ، ومن أعمال اللهو المنهي ، ومن هذا الاعتبار معنى قولهم : النسبُ علمٌ لا ينفع وجهالة لا تضر ،بمعنى أن النسب إذا خرج عن الوضوح ، وصار من قبيل العلوم ، ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس ، وانتفت النعرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حينئذ »[١] .

ورأي ابن خلدون في النسب ينسجم تمام الانسجام مع ما نقرأه في المسند وفي الكتابات الاخرى عن نسب الأفراد والقبائل ، فالنسب فيها هو نسب قريب ، لا يتعدى النسبة الى الأب ، أو الى الموضع أو الى القبيلة ، أما النسب البعيد فلا وجود له في النصوص ، جاء في أحد النصوص : « شعبن سبا كهلن عد هجرن مرب واسرر هو كهلن »[٢] ، ومعناه : « قبيلة سبأ وكهلان الذين بمدينة مأرب . وأوديتهم كهلان » ، وليس في هذا النص كما ترى نسب سبأ ، أو نسب كهلان ، كما يحدثنا به علماء النسب والأخبار ، وإنما فيه ان سبأ وكهلان ، كانوا قطّان « مأرب » ، وأن أودية مأرب اسمها « كهلان » ، وهذا هو منتهى ما نراه في النصوص من أنساب القبائل .

وجاء النسب من الانتماء الى المواضع في الغالب ، حتى صار من الصعب على الإنسان التمييز بين اسم الموضع وبين القبيلة للتداخل الذي حدث بمرور الزمن بين مفهوم القبيلة واسم الأرض التي سكنتها القبيلة ، فصار من الصعب الحكم على الاسم أهو اسم المكان أخذه المقيمون به ، فجعلوه اسم علم لهم ، أم هو اسم القبيلة ، اطلق على المكان ممن سكنه فنسب اليهم . وتكون النسبة الى الموضع أو الى القبيلة بإلحاق « ين » بآخر الأسماء ، كأن يكتب « همدين » ، بمعنى « هَمْداني » ، و « نجرين » بمعنى نجراني ، و «سباين » ، بمعنى سَبَئِي .

---

(١) مقدمة (١٢٨ وما بعدها) .

(2) Ja 735,1, Saba., P., 212 .

ويلاحظ انقسام القبائل العربية الجنوبية الى أقسام ، أثلاث وأرباع ، ومعنى هذا توزعها وانقسامها في مواضع سكناها ورد في نص : « اقول شعبن سمعى ثلثن ذهجرم » ، ومعناه : « أقيال قبيلة سمعي ثلث ذي هجر »[١] ، وورد « اقول شعبن سمعي ثلثن ذحملن » ، أي « أقيال قبيلة سمعي ثلث ذحملان »[٢] ، و « شعبنهن بكلم ربعن ذريدت وسهمن » ، أي « والشعبان : بكيل ربع ريدة وسهمان » ، أو « والقبيلتان : بكيل ربع ريدة وسهمان »[٣] . ومثل هذا التنظيم القَبَلي ، لا نجد له مثيلاً في النظام القَبَلي الشمالي .

وقد أمدتنا نصوص المسند التي اكتشفت حديثاً ، بمعارف جديدة مهمة عن أمور كان بعض العلماء المحدثين يعدّونها من الأساطير والقصص الشعبي ، مثل « قحطان » الجدّ الأعلى للعرب الجنوبيين في زعم أهل النسب والأخبار . فقد ذهب بعض المستشرقين الى أن التسمية من « يقطان » المذكور في التوراة ، وأن أهل الأخبار أخذوا قحطانهم منها ، ثم جاء اسم قحطان في المسند واذا به اسم قبيلة عربية جنوبية ، ففي نص أن « ربعت ذال ثورم » ، أي « ربيعة من آل ثور » ، كان يحكم « كدت » أي كندة و « قحطن » أي « قحطان » وفي نص آخر عثر عليه بقرية « الفَـأو » اسم ملك قحطاني هو « معاوية بن ربيعة » « معويث بن ربعث » ، كان ملكاً على قحطان ومذحج « قحطنين ملك قحطن ومذحج »[٤] .

وفي نص آخر وسم بـ « Ja 635 » حكاية عن حرب قام بها « ابكرب احرس بن علم » على مدينة « قريتم ذتكهلم » أي « قرية ذات كاهل » وفي هـزومه على « ربعت ذال ثورم » ، أي « ربيعة من آل ثور » ، ملك « كدث » كندة

(١) مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة (المجلد السادس عشر ، الجزء الثاني) ، (ديسمبر ١٩٥٤) (ص ٣٠) ، (نقوش عربية جنوبية) .

(2) Sabaiscke Inschriften, Mordtmann und Eugen Mittwoch, S., 132, MM 106, 107.

(٣) مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، (المجلد العشرون ، الجزء الأول ، (مايو ١٩٥٨) ، (ص ٥٥ ، سطر ٤) .

(٤) مجلة العرب (ج ١١ و ١٢) ، (أيار — حزيران) ، (سنة ١٩٧٧ م) ، (ص ٨٧١) .

و « قحطن » قحطان ، ثم على قرية ذت كهلم » ، انتصر فيها ذلك القائد على « ربيعة » وعلى مدينة « ذات كهل » ، وكان ذلك القائد من قوّاد الملك : «شعرم أوتر ملك سبأ وذي ريدان بن علهان نفهان ملك سبأ وذي ريدان » [1] ، وقد كان حكم الملك « شعرم اوتر » ، « شعر أوتر » ، في حدود « ٦٥» الى « ٥٥» قبل الميلاد [2] .

وفي نص من نصوص المسند وسم بـ « Rep 4304 » هذه الكلمات : « عبد شمس سبا بن يشجب يعرب بن قحطان » ، وهو لوح من معدن البرنز . وهذا النص هو كما ترى عمود أهل النسب والأخبار في سردهم نسب السبئيين ، فسَبَأ هو عبد شمس عند أهل الأخبار ، وهو ابن « يشجب » ، ويشجب هو ابن يعرب بن قحطان [3]، و لم يتجاوز النص هذا النسب، فيذكر والد قحطان، كما يفعل علماء النسب والأخبار .

وهو نص مصنوع ، صنعه مَنْ له علم بحروف المسند من المتأخرين ، رأى صنع نسب أهل الأخبار في صورة نص من نصوص المسند على لسان أهل اليمن قبل الإسلام ، لإثبات هذا النسب الذي لا يلتئم مع الاسلوب المعهود في النسب عند أهل المسند .

وبين « زَبيد » و « صنعاء » أرض تسكنها قبيلة تعرف بقحطان وتقع شمال خَوْلان [4] .

وثبتت نصوص المسند أيضاً وجود « نزار » اسماً لقبيلة فقد ورد في نص سقط اسم صاحبه ، أنه عاد بسلامة من « شامت » ، أي من الشمال ، وكان سيده « الشرح يحضب ، ملك سبأ وذي ريدان » قد أرسله الى « املك اشعبن غسن

(1) Ja 635, 25 — 28, Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), PP., 136, 138, 304,

تجد هذا النص في كتاب : تأريخ حضارة اليمن القديم ، ولكن بصورة غير مضبوطة، (ص ٢١٤ وما بعدها) .

(٢) المصدر المذكور (ص ٢٩٠ وما بعدها) .

(٣) المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام (٣٦٣/١) ، الإكليل (٢٥/١) .

(4) Ency. of Islam, II, PP., 669, Philly, Arabian Highlands, 1952, P., 109, Saba., P., 138.

ولاسد ونزرم ومذحجم » أي إلى « ملوك القبائل : غسّان وأسد ونِزار ومَذْحِج وقــد أنجز صاحب النص رسالته التي نيطت به فعــاد سالماً معافىً من سفرته هذه ، وقدّم نذره الى إلٓهه « المقه »، لانه حفظه وأعاده الى بيته بالسلامــة والعافية [1] .

وليس في النص تأريخ تدوينه،ولهذا لا نعلم وقته على وجه محدّد، وليس فيه أيضاً ذكر والــد « الشرح يحضب » . ولمـا كان لقب هــذا الملك هو « ملك سبأ وذي ريدان » وجب أن يكون من عهد ملوك سبأ وذي ريدان ، الذي يبدأ بضم « ذي ريدان » الى سبأ في نحو السنة « ١١٥ » أو « ١٠٩ » قبل الميلاد ، وينتهي في أيام الملك « شمر يهرعش » الذي استولى على حضرموت ، في أيــام حكمه الذي كان عند السنة « ٣٠٠ م » ، فاتخذ له لقباً جديداً ، هو لقب « ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت » .

وقد رجّح « م.ع بافقيه » و « ك . روبان » أن يكون « الشرح يحضب » هذا، هو « الشرح يحضب » الثاني ، شقيق « يازل بين » وابنا الملك « فرعم ينهب » ، « فرع ينهب » ، « فارع ينهب » ، الذي كانت له صلات مع الشمال مثــل « كندة » ، وذلك في نحو سنة « ٢٠٠ م » [2] .

ويذكرنا هذا النص بحجر قبر الملك « امرىء القيس » بموضع « النمارة » الذي يرجع تأريخه الى سنة « ٣٢٨ م » ، فقد جاء في هذا النص أن « امْرَأَ القيس » ملك « الاسدين ونزرو وملوكهم، وهرب مدحجو » ، أي « ملك الأسدين ونِزار وملوكهم وهزم مذحج » . وهذا الترتيب في الأسماء ، هو نفس الترتيب الوارد في النص المتقدم ، باستثناء « غسان ». ولما كان حجر قبر « امرىء القيس » مؤرخاً ، نستطيع أن نقول إن هذه القبائل : الأسدين ونِزاراً ومذحجاً ، كانت متجاورة ، وربما كانت متحالفة في هذا الزمن ، أي في المئة الرابعة للميلاد . وإذا أضفنا

---

(١) زيد بن علي عنان ، تأريخ حضارة اليمن القديم ، (نقش رقم ٧٥) ، مجلة ريدان ، (الجزء الأول) ، (السنة الأولى) ، (١٩٧٨) ، (ص ٥١) .

(٢) مجلة ريدان (العدد الأول) ، (السنة الأولى) ، (ص ٤٣) .

اليها قبيلة « غسان » ، المذكورة في النص المتقدم ، نحصل على صورة لأربع قبائل ، هي : غسان والأسد ونزار ومذحج ، كانت مقيمة في الشمال بالنسبة الى اليمن ، أي قبائل شمالية ، وأنها ربما كانت متحالفة فيما بينها ، أو متجاورة ، وأن أهل اليمن كانوا يرون أن القبائل التي كانت تقيم في شمال أرضهم هي قبائل شمالية ، فميّزوها عنهم بهذه النسبة وهذا التنويه بالقبائل المذكورة وبمواضعها ، هو أقدم من التنويه الوارد في حجر قبر امرىء القيس .

وقول النص إن « غسان » و « لأسد »[1] التي هي لغة في « الأزد » في بعض الآراء و « مذحجاً » و « نزاراً » شعوب شمالية ، له أهمية كبيرة عندنا ؛ لأنه يشير إلى أن أهل اليمن لم يعرفوا اذْ ذاك قحطانية وعدنانية ، أو يمنية ونزارية ، وأن كل ما عرفوه أن هذه القبائل و « كدت » كندة من بينها هي قبائل شمالية ، « بن شامت » . بالنسبة الى الجنوب الذي هو اليمن . فهي ليست بيمانية . وان تقسيم العرب الى قحطانية وعدنانية ، لا يظهر في النقوش المكتشفة مما يدل على أنه لم يكن له الدور الذي صار له بعد الاسلام.

ويظهر من المساند أن كندة « كدت » كانت من القبائل الشمالية في الأصل ، ثم زحفت مثل مذحج نحو الجنوب . وكانت في حلف مع « قحطان » التي كان يحكمها ملوك منهم ، وقد نعتت « كدت » بالأعرابية ، والأعراب هم القبائل التي زحفت من الشمال ، أي من البوادي نحو الجنوب أي اليمن ، والظاهر أن هجرتها من الشمال الى اليمن « الجنوب » ، واستقرارها هناك ، قبل ظهور الإسلام بأمد ، وانتهازها فرصة الفوضى التي كانت قد وقعت باليمن . وحصولها على مركز كبير في حضرموت قبيل الإسلام ، كل ذلك جعل أهل النسب يعدّونها من القبائل القحطانية ، أي اليمنية ، وعُدّت كذلك في الديوان يوم وضع عمر ابن الخطاب الديوان ، لأنه أخذ بالوضع القائم عند القبائل في حين أنها من القبائل الأعرابية الشمالية الزاحفة من الشمال في نصوص المسند .

وقد اظهرت مدوّنات ما قبل الاسلام ، أن القبائل كانت تتنقل بحسب ظروفها

(١) « لاسد » ، هكذا في النصوص .

السياسية والاقتصادية ، فقبائل جنوبية أي يمانية تزحف نحو الشمال وقبائل شمالية أعرابية في الغالب تزحف من الشمال نحو الجنوب ، وهكذا .

كما أمدتنا بمادة جديدة عن غزو الحبش لليمن وعن حادث الأخدود وتعذيب « ذي نواس » لنصارى نجران ، وتحديد اسمه بالضبط ، وشرحت ما جاء غامضاً ومرتباً في الرواية النصرانية وفي الأخبار الإسلامية عن تلك الحوادث ، وعن العوامل الاقتصادية والسياسية والدينية التي أثرت تأثيرها الخفي في تدخل الحُبْش في شؤون اليمن ، ثم في تدخل الفرس في اليمن ، لإزاحة الأحباش عنها ، وإعادة العرش الى أصحابه الشرعيين .

وبفضل هذه الكتابات وقفنا على أصول بعض الأخبار التي ترويها كتب الأخبار والتأريخ عما حدث في جزيرة العرب قبيل الإسلام . ففي النص الموسوم بـ « Clh 541 » حديث عن غزو قامت به قوات يمانية في عهد « شمر يهرعش بن ياسر يهنعم » ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت على أرض « قط » و« صف » و « كوك » بمملكة فارس ، وأرض تنوخ » ، وقد عادت بغنائم وسلامة [1] .

وقد فرّق هذا النص بين مملكة فارس وأرض تنوخ التي يراد بها أرض ملوك الحيرة التنوخيين .

ولشمر يهرعش شهرة كبيرة عند أهل الأخبار ، ولا سيما عند أهل اليمن ، وهو « شمر يرعش » عندهم ، وقد ذكره « نشوان بن سعيد الحميري » المتوفى سنة « ٥٧٣ هـ » في قصيدته الحائية التي نظمها في ملوك حمير وأقيال اليمن » ، بقوله :

أم أين شَمّرُ يُرعش الملك الذي ... ملك الورى بالعُنف والإسجاح
قد كان يُرعِشُ من رآه يهيبه ... ودنا اليه بطرفه اللمّاح
وبه سمرقند المشارِق سُمّيت ... لله من غازٍ ومن فتّاح
وأتى بمالك فارسٍ كيقاوسٍ ... في القيد يعثُرُ مثخناً بجِراح
فأقامَ في بئرٍ بمأرَبَ بُرهةً ... في السّجن يجأرُ معلناً بصِياح
فاستوهبَتْ سُعْدى أباها ذنبه ... فعفا وسيّره بحسن سراح

---

(١) تأريخ اليمن الثقافي (٨٧/٣ وما بعدها) .

وهو ممن عاش قبل الميلاد بمئات السنين عند أهل الأخبار . ووالد « تبع الأقرن » ذو القرنين المذكور في القرآن [1] ، أما حياته في النصوص التي دوّنها هو بنفسه ، ودوّنها آخرون ، فقد كانت في المئة الرابعة بعد الميلاد ، وكان معاصراً للملك « امرئ القيس بن عمرو » المتوفى سنة « ٣٢٨ م » [2] .

وفي نص « أبرهة » حديث عن صِلات اليمن في عهد أبرهة بالروم وبالفرس وبالحبش وبالمنذر ملك الحيرة وبالحارث بن جبلة وبأبي كرب الغسانيين [3] . وهي صلات وقفنا عليها من خلال هذا النص .

وأشعر وأنا أنهي بحثي عن المدوّنات العربية قبل الإسلام بضرورة الإشارة الى أن علمنا بهذا التأريخ لن يتوسع ويتقدم مكانه بين تواريخ الأمم الأخرى، ما لم تقم البلاد العربية المختصة بتشديد رقابتها على العابثين بالآثار، المدمرين لها في سبيل البحث عن لقى يبيعونها لتجار الآثار ، أو لاستخراج أحجارها في بناء بيوت جديدة ، أو المدمرين للتماثيل ، وقد سنت هذه الدول قوانين لحماية الآثار ، ولكنها لم تطبقها تطبيقاً عملياً ، وظل التدمير الثقافي مستمراً حتى اليوم .

كما أنه لا يمكن أن يتوسع ويتقدم إلاّ بالعمل على شق الحجب التي تحول اليوم بين الآثار المطمورة في باطن الأرض وبيننا وذلك بإعداد جماعات متخصصة في مختلف فروع علم الآثار ، للكشف عن الآثار كشفاً علمياً بشق الأرض والنزول في خلال طبقاتها لاستنطاق ما فيها من آثار ، تحفظ في متاحف في الأرض التي تكون فيها المواقع الآثارية ، أو بنقلها الى المتاحف الرئيسة ، المنشأة لهذه الحماية .

ونلاحظ ويا للأسف أن البلاد العربية على مناداتها ودعوتها الى إعادة كتابة التأريخ العربي لم تهتم بإدخال المدونات العربية فيما قبل الإسلام ، ودراستها

---

(١) ملوك حمير وأقيال اليمن ، قصيدة نشوان بن سعيد الحميري، تحقيق اسماعيل بن أحمد الجرافي ، وعلي بن اسماعيل المؤيد ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٨ م .

(٢) المفصل (٥٤٨/٢) .

(٣) تأريخ اليمن الثقافي (٩٨/٣ وما بعدها) ، عنان (٣٦٦ وما بعدها) و CIH 541 .

بتوسع في مناهج أقسام التأريخ والآثار وكليّات اللغة العربية في الجامعات ، لإخراج علماء متخصصين بمختلف فروع علوم الآثار العربية ، كما أنها مقصرة في ارسال شباب لهم ولع بدراسة الآثار وتأريخ العرب القديم الى الخارج للتخصص في تأريخ العرب قبل الإسلام لتولي مسؤولية اعادة تدوين التأريخ العربي القديم .

أرجو أن أرى البلاد العربية وقد قامت باعادة هذا التدوين ، ولا بأس بالاستعانة بالبعثات الآثارية العلمية المكتملة لشروط البحث العلمي للكشف عن الآثار ، على أن تحفظ في بلاد العرب ، وألاّ تنقل الى الخارج وأن تكون هذه البعثات تحت مراقبة شديدة لئلا تختلس بعض الآثار بطرق ملتوية .

* * *

التقنية الآلية

عند العرب

للدكتور : دونالد هل
الاستاذ في جامعة لنـــدن

ترجمة وتعليق

سليم طه التكريتي

مقدمة المترجم

لم تدع الحضارة العربية الاسلامية علماً من العلوم التي عرفت في العصر الذي ازدهرت فيه ، الا اخذت منه بنصيب اوفر ، وادخلت عليه المزيد من التحسينات والاضافات .

وحتى في مجال استنباط المكائن والآلات التي تتحرك بصفة ارادية ، كان للعرب المسلمين الباع الاول في صنع هذه الآلات واختراع انواع جديدة منهـــا لم يسبقهم اليها احد قبلا .

والشيء المدهش هو ان الحضارة العربية الاسلامية كانت حتى في هذا الميدان من المصادر المهمة للحضارة الغربية الراهنة . وذلك بشهادة المنصفين من العلماء الغربيين الذين توفروا على دراسة الحضارة العربية الاسلامية دراسة موضوعية مسهبة ، وردوا الكثير من نواحي حضارة الغرب في الوقت الحاضر الى أصولها العربية الاسلامية.

من خيرة الكتب واكثرها جدة ، التي صدرت عن الحضارة العربية ، كتاب

اصدرته اللجنة التي اشرفت على تنظيم مهرجان العالم الاسلامي بلندن سنة ١٩٧٧ ونشرته مؤسسة مطبعة « فيدون » باكسفورد .

وعنوان الكتاب هو « عبقرية الحضارة العربية مصدر النهضة الاوربية

The Genius of Arab Civilization Source of Renaissance

والكتاب يقع في حوالي مئتين واربعين صفحة من القطع الكبير جدا ، ومطبوع طباعة انيقة فاخرة، وعلى ورق صقيل، ومحلى بالعديد من الصور والرسوم والخرائط الملونة وهو يتألف من مقدمة واحد عشر فصلا تناولت مختلف نواحي الحضارة العربية الاسلامية ، وشارك في كتابة بعض هذه الفصول عدد من كبار العلماء العرب المتخصصين ، والاساتذة الأجلاء في قسم كبير من الجامعات الغربية.

ولقد عكفنا منذ امد على ترجمة هذا الكتاب القيم . والتعليق عليه ، واعداده للنشر ، ونحن نوشك ان ننتهي من ترجمته قريباً . وقد اخترنا منه هذا الفصل الذي يتحدث عن التقنية الآلية، كتبه استاذ ومهندس متخصص ، حائز على شهادة الدكتوراه في التأريخ العربي، ومن مترجماته الاخيرة الى اللغة الانكليزية « كتاب في معرفة الحيل الهندسية » الذي وضعه المهندس العربي الشهير « ابن الجزري » . كما أُلحِقَ بهذا الفصل بحث مركز عن حياة «ابن الجزري » وفنونه في ميدان الميكانيك ، وهو العلم الذي اشتهر لدى العرب باسم « علم الحيل والتراكيب » .

تمهيد :

من بين جميع الميادين التي أبدت مساهمات مهمة في تقدم الحضارة . ميادين التقنية الآلية، التي لم تحظ إلا بالدراسات القليلة . وكنتيجة لذلك كان المؤرخون الذين يدرسون الحركة التقنية في اوربا وفي الشرق الاقصى، يواجهون عائقاً خطيراً هو عدم القدرة على ايجاد مقارنات مع المادة الدراسية التي تخص الشرق الاوسط.

واكثر من ذلك خطورة هو وجود إعتقاد مدمر له جذور في الغرب وفي الاقطار العربية ، مؤداه أن التقنية هي انجاز غربي خالص، وان نتاجاتها، حسنة كانت ام سيئة ، انما هي مستوردات اجنبية عبر بقية العالم .

ولقد كانت لهذه الفكرة الخاطئة تأثيرات اجتماعية وسياسية لم يحسب حسابها في الوسائل التي تنظر بها الشعوب احدها نحو الآخر . فلم تكن الثقافة امتيازاً خالصا لشعوب مفرد ، او لمجموعة من الشعوب . فقد كانت تزدهر في اي مكان، وفي ظل اية ظروف تكون ملائمة لتعاظمها .

ولقد كانت التقنية بصبغة خاصة ، وبسبب عدم تقيدها بالايديولوجيات نسبياً ، تظهر دوماً عدم قدرتها على الانتشار . ولم يكن هذا الانتشار عملية مستقيمة يقوم بها شعب ما ، ويتركها شعب آخر ، وتنتقل تحسيناتها وتطوراتها الى اخلافـــه . فهي بصورة اكثر دقة ، احدى عمليات الإتصال المتبادل ، والتغلغل الناضج بين الشعوب ، بغض النظر عن الانفصال الجغرافي والسياسي .

لقد انتقلت المعرفة في ميدان التقنية الآلية عن طريق التدوين احيانا . والوثائق الباقية - وان كانت كلها قليلة جدا - تعد مصدراً مهماً من المعلومات بالنسبة الى المؤرخين . ومع ذلك ، ولأسباب مختلفة فان المهندسين والصناع في العصور القديمة لم يدونوا النتائج التي توصلوا اليها على الورق. ولذلك فان منجزاتهم لابد انها انتقلت عن طريق كلمة تصدر من الفم ، او عن طريق دليل ثابت على الاشياء التي صنعوها .

مثال ذلك ان المهندس الايطالي الكبير « جوانللو توريانو » الذي عمل والّف في مدن « طليطلة » خلال القرن السادس عشر ، قد استطاع ان يفحص الاعمال التي تستنبط الحركة من الماء ، والتي صنعها اسلافه المسلمون ، وان يعتمد عـــلى الاسلوب القديم لهندسة المياه الاسبانية العربية . ولذلك فاننا نفترض وجود تأثيـــر عربي في انجازات ذلك المهندس ، ولو انه لا يوجد دليل مدون يؤكد هذا الامر .

لسنا نستطيع على الدوام ان نحدد الوسائل الدقيقة القابلة للانتشار . غير انه لما كان كثير من الافكار العربية قد وجدت طريقها فعلا الى مجموع المفردات اللغوية المستعملة في الهندسة الاوربية ، فاننا محقون في اعتقادنا بان معظم هذه الافكار لم يكن من المخترعات المكررة التي تعتبر من الحوادث النادرة في تأريخ التقنيـــة ، وانما كانت قد اخذت بصفة مباشرة او غير مباشرة من العرب .

قد يمكن اعتبار ازدهار الفنون الآلية في العالم الاسلامي خلال الفترة بين القرنين التاسع والثالث عشر ، جزءا من اسلوب التقنية الآلية التي تطورت في الشرقين الادنى والاوسط خلال حقبة كبيرة من القرون . فقد استطاع المصريون ، والاغريق والرومان ، والبيزنطيون ان يحققوا – بطرق متباينة – تقدماً مهماً في هذا الشأن .

ومع ان بعض الأفكار قد اقتُبست بصفة مؤكدة من ايران، والهند ، ومن الشرق الاقصى قبل ظهور الاسلام وما بعده ، فان التراث الرئيسي لدى العرب قد جاءهم من منطقة شرقي البحر الابيض المتوسط ، ومن العالم الهلليني بصفة خاصة .

هناك صنفان رئيسان بشكل جلي للتقنية الآلية العربية. فالصنف الاول هو المكائن المصممة للاستعمال اليومي ، من امثال الطواحين، والآت رفع المياه ، وادوات الحرب . اما الصنف الثاني فهو الآلات المصممة بقصد اثارة الدهشة والغبطة داخل الاوساط الظريفة التي كانت تلتزم بصنعها .

فبالنظر الى الصنف الثاني تتوفر لدينا مصنفات كاملة مكتوبة . اما بالنسبة الى الصنف الاول فليس لدينا مثل هذه المصنفات المدونة .

ومع ان مثل هذا التمييز في الصنف يجب ان يكون من اجل التوافق والملاءمة، الا انه مع ذلك تمييز عرفي لاغيره، ذلك لان مخترعي الآلات الحاذقة او « الحيل » من امثال « ابن الرزاز الجزري » ، كانوا يقومون ايضاً بتصميم المكائن النافعة وكانوا على علم باعمال النجارين ، وصانعي الطواحين ، الذين استقوا منهم الكثير من مفرداتهم اللغوية ، ومن فنونهم وادواتهم وآلياتهم .

كما انهم تعلموا قدرا كبيرا من الصناع المعاصرين لهم ، والذين كانوا يصنعون مواد للاغراض الزخرفية والبيتية من امثال الصاغة ، وصناع المعادن ، والجوهريين ، والخزافين ، والرسامين .

تنبع المعلومات عن منجزات المهندسين العرب من ثلاثة مصنفات بصفة رئيسة . ففي حدود سنة ٨٥٠ م وضع الابناء الثلاثة لشخص يدعى « موسى بن شاكر » الذين عرفوا باسم « بني موسى » ، مؤلفاً عن ادوات الحيل من امثال النافورات ،

والمصابيح المهندمة ، والآلات الموسيقية ، وما شاكلها [١] .

وفي سنة ١٢٠٣ م كتب « رضوان بن الساعاتي » [٢] مصنفاً مطولا تناول فيه كيفية اصلاحه لساعة تذكارية تدار بالماء ، كان قد صنعها ابوه واقامها عند بوابة « جيرون » في دمشق [٣] .

وفي سنة ١٢٠٦ م وضع « الجزري » كتاباً يصف فيه بعض الالات التي صنعها في مجرى حياته الحافلة بالعمل. وتشتمل هذه الآلات على ساعات مائية، وساعات تتحرك بفتائل القناديل، وآلات حيل، وآلات قياس ، ونافورات ، وآلات موسيقية ذاتية ، ومكائن لرفع المياه ، وباب واسعة تذكارية مغلفة بالنحاس والبرنز

لقد كان كتاب الجزري هذا متفوقاً على المصنفين السابقين ، وقد زودنا بمعظم ما لدينا من معلومات عن التقنية لدى العرب . فقد أدخل المؤلف في كتابه هذا سلسلة واسعة ومنوعة من الآلات التي تشمل كل الفنون،والآلات التي استعملها اسلافه ، وكذلك الكثير من الاضافات والتحسينات التي أدخلها عليها .

واكثر من هذا اهمية ان « الجزري » كان ، بشكل جلي ، استاذا ماهرا في الصناعة تماما ، وقد صنف ، بشكل مفصل ودقيق ، كيفية صنع كل آلة . اما المؤلفون الآخرون فقد وصفوا العمل الذي تقوم به آلاتهم بصفة جيدة حقاً ، لكنهم لم يعطوا سوى معلومات مبهمة ومصورة عن كيفية صنع تلك الالات ، وهذا ما يدع المرء يشك في ان هؤلاء كانوا يضعون التصاميم بانفسهم ، ثم يتركون امر تنفيذها الى الصناع .

---

(١) عرف كتاب اولاد موسى بن شاكر المنجم باسم « كتاب حيل بني موسى » ، وقد اشتمل على وصف لكيفية تركيب زهاء مئة جهاز فني ، تاكد الدارسون لها من وجود حوالي عشرين جهازا ذا قيمة علمية (المترجم) .

(٢) ابن الساعاتي : رضوان بن محمد الخراساني ولد في دمشق . وكان ابوه عالما بالفلك و بصنع الساعات الموضوعة على مدخل الجامع الاموي لامر الملك نور الدين زنكي . وكان رضوان طبيبا واسع العلم بالادب والفلسفة وصناعة الساعات . استوزره الملك الفائز الايوبي واخوه من بعده وقد توفي رضوان بدمشق سنة ١٢٣٠ م . مخطوطة عن الساعات محفوظة في مكتبة غوتا .

(٣) كتبها صاحب البحث باسم « جيروم » خطأ. وقد نقل المستشرق سلفستر دي ساسي الوصف الذي ذكره « ابن جبير » في رحلته لهذه الساعة، ونقله عنه الرحالة بنيامين التطيلي في القرن الثاني عشر الميلادي (م) .

ومع ذلك فان صناعة الآلات النافعة، عدا الآلات الحربية، كانت تتبع اسلوبا لا ينفصل عن الاسلوب الذي تخلّف من العهود اليونانية والرومانية .

على ان الاهتمام في التطبيق العملي المتزايد للآلات الميكانيكية ، وآلات رفـع الماء ، انما ظهر في عصر الخلافة العباسية العظمى خلال القرن التاسع . وقد اشتد هذا الاهتمام بعد ان تمت ترجمة جملة من المصنفات اليونانية في هذا الموضوع الى اللغة العربية ، وعلى الاخص اطروحة « فيلو البيزنطي » [٤] المعنونة « الغازيات » Pneumatic (مـن المحتمل انه يعـود الى القرن الثاني قبل الميلاد) ، وآليـات « اهرون الاسكندري » [٥] (القرن الاول بعد الميلاد) .

ومما له اهمية لا تقل عن ذلك ايضاً ، الاطروحة التي اعتبرها « الجزري » مصدرا له ، والتي تتناول كيفية بناء الساعات المائية ، والتي تعزى الى « ارخميدس » وهذه الاطروحة وان كانت قد اشتملت على افكار عالم جليل ، الا ان اصولها لم تفك ، وربما وضع « فيلو » القسم الاول منها ، ثم اضاف المخترعون العرب اليها الاقسام الاخرى .

الآلات المتحركة ذاتياً

كانت لدى الانسان على الدوام رغبة قوية ملحة في استنباط تفسيرات آليـة للعالم الذي يحيط به . وقد ادت هذه الرغبة الملحة خلال التأريخ الى صنع الاشياء والادوات التي تضاهي الظواهر الحياتية والكونية . وفضلا عن ذلك فقد كان لشيوخ المهندسين العرب الاجلاء ، اذواق عالمية تخضع لتأثيرات مختلفة . وتعتبر الصور المشابهة للحياة وسائل مقبولة للتعبير الفني . ولذلك فان من المدهش حقاً ان نجد المهندسين العرب يوجهون قابلياتهم الذهنية نحو استنباط الحركة الذاتية .

(٤) فيلو ويعرف باسم فيلون ايضا من اوائل اليونانيين الذين بحثوا في القوى المائية وتركيب الآلات الرافعة للمياه وللاثقال وقد اعتبرت اطروحاته « الغازيات » اسبق البحوث عن مفعول القوى الهوائية والغازية (م) .

(٥) اهرون ، او ايرن الاسكندري عالم يوناني في الرياضيات والفيزياء من علماء الاسكندرية في مصر خلال القرن الثاني الميلادي.وقد اشتهر الىجانب الرياضيات بالفيزياء وصنع بعض الآلات ذكر له « ابن النديم » صاحب « الفهرست » ، كتاب « شيل الاثقال » وكتاب « الحيل الروحانية». وترجم قسطا بن لوقا كتاب الاثقال وهذه الترجمة مخفوظة الآن في مكتبات ليدن ، والقاهرةواسطنبول (م) .

تعد الادوات المتحركة بصفة ذاتية هي الاجداد المباشرة للساعات المائية المتقنة التي عرفتها اوربا ، والتي استنبطت منها الساعات الفلكية التي توضع في الكنائس بعد ان كملت هذه الساعات بصنع الدوار فيها . وهذه الادوات يمكن ان تقارن ايضاً بالاستنباطات المعقدة الاخرى للثقافة الغربية ، من امثال البنوك الآلية ، ومكائن البيع ، والآلات الحاسبة .

اما من الناحية الثقافية فان هذه الادوات تعود الى بعض الصفات العجيبة في في الآداب الغربية ، من امثال « دمية بنيتشو » ، او « اولمبيا » اي الانسان الراقص الآلي ، وذلك في مقاطع وردت في احدى « حكايات هوفمان » (٦)

ولقد تجسد اسلوب الغبطة الجمالية في النافورات التي صنعها « بنو موسى » ، وانتقلت هذه النافورات عن طريق « الجزري » الى بعض الأشخاص ، من امثال « توماسو دي سيرا » الذي انشأ حدائق مائية في « فيلا دي ايست » وفي مدينة « بانيا » ايضاً .

وكان استعمال الاشكال البشرية اوالحيوانية في صنع الآلات التي تتحرك ذاتياً ، يحظى بلذة غامرة . ففي مصر القديمة ، وفي الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام كان التصوير المجسم مصحوباً ، بعبادة الاوثان . ولذلك كان المسلمون محقين في حظر صنع صور للاشياء الحية .

غير انه لا توجد في الآلات التي تتحرك بصفة ذاتية ، والتي اخترعها المهندسون العرب ، اية اشارة اطلاقاً الى فن الصور البشرية ، كما لا يوجد ادنى ميل لديهم الى اظهار حكام الارض في اشكال ممجدة .

ولقد كانت الاشكال البشرية التي تعد من الاصناف الحقيرة ، كالخدم ، والحجاب ، والموسيقيين ، هي التي يتم تصويرها على الدوام ، وهي تؤدي اعمالها الاعتيادية بصفة حضّار في المجالس . اما الاشكال الحيوانية فانها تبرز الى اقصى

(٦) هو « ارنست تيودور فلهلم هوفمان (١٧٧٦ – ١٨٤٣) قصاص وروائي الماني معروف . ولد في مدينة كونفسبرغ ودرس القانون في جامعتها ، ثم عكف على كتابة الروايات والاقاصيص . وقد اشتهر بحكاياته الاسطورية التي يتناول فيها الحديث عن بعض المخترعات . وربما كانت مصادر بعض تلك الحكايات الاسطورية عربية ايضا (م) .

حد ممكن وهي تمارس أدوارها الطبيعية . مثال ذلك الحمر التي تدير الطواحين ، والطواويس التي تنفش ريش ذيولها ، والقردة التي تقوم باعمال الحيل ، والافاعي التي تحاول ازدراد الطيور .

ومع ان هذه المواضيع والتصاوير كانت تختار لغرض ملاءمة اذواق الحاضرين ، فان « الجزري » كان يدرك تماماً ان بعضاً منها غير ملائم للاغراض الاخرى . فهو يعطي تعليمات مثلا تؤكد بان الصور يجب ان تحذف من الساعات التي يتم نصبها في المساجد .

ولقد اعرب بعض الذين ارخوا التقنية عن عـــدم قناعتهم بذلك ، لان معظم ذكاء المهندسين العرب كان موجهاً نحو تصميم مثل هذه الادوات الشافهة بكل وضوح ، كالآلات التي تتحرك ذاتيا ، بدلا من صنع الآلات النافعة . غير ان مثل هذا الرأي خاطىء تماماً ، ليس لانه يهمل وجود اسلوب عملي لم يدون كتابة حسب ، بل لانه ايضاً يخفق في تقدير مدى المساهمة التي كان يقدمها صانعو الحيل في تقدم تقنية الآلة .

ذلك لأن صنع الآلات المتحركة ذاتياً ، لدى الاغريق ، وفي الاسلام ، واخيراً في اوربا ، كان احد العوامل التي قادت الناس الى تطوير التفسير العقلاني الآلي ، للظواهر الطبيعية ، وهو موقف كانت له ثماره ، وعلى نطاق واسع جدا ، في تطوير العلم الحديث .

وفضلا عن ذلك فان معظم التقنية الحديثة قد تطور من الأدوات المتحركة ذاتيا ، وعلى الأخص في ميدان المكائن والآلات العلمية الدقيقة . ولهذا السبب فان للمكائن التي كانت تحرك الادوات المتحركة ذاتيا ، اهمية عظيمة بل عظمى .

ولقد وصف « بنو موسى » انواعاً واسعة من أدوات الحيل. كما خصص «الجزري» ايضاً جملة فصول لهذه الآلات . مثال ذلك الجرار التي يمكن ان تسحب منهـــا مختلف السوائل عن طريق توجيه سداداتها الى مواقع مختلفة ، وجرار يمكن ان يصب منها الماء الحار ، والماء البارد ، والماء الفاتر ، من فوهة واحدة . وجرار تسكب بصفة ذاتية كمية محدودة من الماء .

فهذه الادوات قد تم الحصول عليها عن طريق الاستعمال الحاذق للممصات، والطوافات، والصمامات، وبالتطبيق التجريبي للمبادئ التي تخص القوى المائية والهوائية. ويصف الكتابان معا النافورات التي يتغير شكلها في فترات منتظمة، والآلات الموسيقية التي تطلق اصواتا بصفة ذاتية، والتي يكون تركيبها مماثلا لتركيب النافورات.

ومع ذلك فقد كانت الساعات التذكارية الهائلة التي صنعها « الجزري » هي التي استخدمت معظم الانظمة الفعالة للحركة الذاتية. فالدوائر التي تصور البروج، والشمس، والقمر، تدور كلها بسرعة ثابتة. فالطيور تلقي من مناقيرها كريات على صنوج لتعلن بالصوت مرور ساعة من الزمن وهناك ابواب تنفتح من ذاتها لتكشف عن وجود تماثيل صغيرة. وفي فترات منتظمة يبدأ الموسيقيون كالطبالين، والبوقيين، وناقري الدفوف، وما شاكلهم، بالضرب على آلاتهم.

والمعتاد ان يتم تحريك الآلات المتحركة ذاتيا عن طريق طوافة تغطس الى معدل ثابت في احد احواض الماء، فتربط حلقة في رأس الطوافة تلتف حول عجلة بكرة تكون هي المحرك الرئيس للساعة. وعن طريق بكرات اخرى يتم تحرك دائرة البروج (المينـــا)، وسحب ادوات صغيرة لها عجلات من خلف وجه الساعة، الى موضع يثبت فيه قضيب عمودي يحرك الآليات الدقيقة.

ويتم تحريك الموسيقيين عن طريق سحب الماء من احد الاحواض. فالماء يتقطر في وعاء، ومن ثم يتم اطلاقه في اللحظة المطلوبة بصفة مفاجئة، حيث يجري داخل انطقة العجلة المائية التي يجهز محورها بقضبان تضرب قطع الابعاد المثبتة على اذرع الادوات الدقاقة. ومن حوض موضوع تحت عجلة الغرفة، يتدفق الماء في وعاء هوائي فيه صافرة تطلق اصوات الزامرين. فحين يرتفع الماء الى قمـــة الوعاء الهوائي يبدأ تفريغه، بوساطة صنبور، الى احد الاحواض.

وتعتمد العملية الناجمة لتدوير الساعات المائية على تحقيق معدل ثابت من حركة الماء. واحدى الطرق لانجاز ذلك، هي ان تثبت قاعدة صمام عمودي مخروطي الشكل في نهاية الغطاء او السداد الخارجي لحوض الماء. وتكون تحت قاعدة هذا

الصمام غرفة طوافة يثبت في قمتها قرص صمام مخروطي . يتم ربط الانبوب الخارجي بالنهاية السفلى من غرفة الطوافة . فحين يفتح الغطاء او السداد ، يجري الماء الى داخل غرفة الطوافة فينغلق الصمام في اللحظة ذاتها ، ولا يعاد فتحه في الوقت نفسه الا بعد ان ينساب الماء من غرفة الطوافة ، وآنذاك تبدأ العجلة تدور بصفة مستمرة حتى ينضب الماء الموجود في الحوض . وفي هذه الحالة وحدها لا يبقى للماء فوق الفوهة سوى تموج خفيف جدا .

ولقد عاد نظام الانشوطات المغلقة التي تحركها السيطرة على جهاز التلقيم ، الى الظهور مرة اخرى في اوربا ، وذلك اثناء الثورة الصناعية . ولقد ذكرت الصمامات المخروطية لاول مرة في الغرب من قبل الفنان « ليوناردو دافنشي »[٧] ثم اخذت تستعمل بصفة عامة في اوربا خلال القرن السادس عشر .

ولا بد ان هناك مقدار كبيرا من البحث قد جرى قبل ان يتم تركيز اراء « ليوناردو دافنشي » . ويبدوان من المصيب مثلا ان نعترف بان « دافنشي » قد حصل على بعض الترجمات التي نقلت من اللغة العربية في طليطلة اثناء القرن الثاني عشر . ولعل من الامثلة البارزة على ثمرات المصادر الاسبانية العربية ، هو ادخال المواد الاسلامية في « الكوميديا الآلهية » التي وضعها « دانتي » ، وان التقنيين كانوا بصفة اعتيادية مستعدين على الاقل لتقبل الأفكار الجديدة مثلهم في ذلك مثل الشعراء

تتمثل الطريقة الاعتيادية لتحقيق كمية محددة من الماء في فترات منتظمة ، في صنع الدلو المنكفىء ، وهو عبارة عن وعاء يوازن على قاعدة محاور نصفية بوساطة المساند ، فالماء ينسكب بمعدل ثابت من فوهة متدرجة الى الدلو المنكفئ . فحين يمتلىء الدلو بالماء يميل فتنسكب محتوياته ، ومن ثم يعود الى وضعه الافقي

وفي بعض النماذج يستعمل الماء لتحريك الادوات المتحركة ذاتيا بصفة مباشرة. وفي حالات اخرى يتم ربط اذرع رافعة بالدلو المنكفىء فتقوم محتوياته بتحريك

(٧) ليوناردو دافنشى فنان ايطالي شهير وعالم طبيعي معروف عاش في الفترة ١٤٥٤ – ١٥١٩ م ونبغ في التصوير نبوغا فائقا واشتهر بلوحته الموفاليزا او الجوكندة المحفوظة في متحف اللوفر بباريس. وقد وضع فوافنش كتابين مهمين هما « تعليم التصوير » و « الفن والجمال » وكان دافنش قد تلقى دروسه في فلورنسا عن العلوم الرياضية ثم كرس معظم فنه للرسم (م) .

لآلات التي تسجل الوقت . وقد ظهرت الدلاء المنكفئة هذه في اوربا اثناء القرن لسادس عشر كأدوات ضرورية لمقاسات الامطار ، وادوات القياس الأخرى التي ا تزال مستعملة حتى الآن .

الهندسة

يمكن استعمال مفهوم « التقنية » و « العلم التطبيقي » بصفة مترادفة لتقرير ان لتطورات العلمية لا بد وان تسبق التقدم في ميداني الهندسة والصناعة . غير ان هذا لمفهوم يعتبر شيئاً عصرياً بصفة نسبية .

في الماضي كانت تستخدم كثير من الظواهر قبل ان يتم فهم قواعدها العلمية بهما صحيحا . وما هو حديث ايضا ، الافتراض القائل بان الهندسة لا بد وان تكون مصحوبة بتحليل رياضي دقيق . فهذان الافتراضان وان كانا صائبين لا انهما يمحوان التمازج المتبادل بين النظرية والتطبيق ، وهو العامل الضروري تحقيق الاعمال الهندسية الصحيحة الشاملة ولا نريد هنا ان نشير الى عوامل لمحيط الاجتماعية والجمالية ، التي غدت الآن هي البداية في ممارسة دورها لصحيح لتطوير المشاريع الهندسية .

لم يكن المهندسون العرب القدامى ، على اكثر احتمال ، قد اولوا المزيد من التفكير لمثل هذه الاعتبارات المجردة. كما انهم لم يدركوا المفهوم الصحيح للتخصص ايضاً .

لقد كانوا في حاجة الى ان تصبح تحت سيطرتهم جميع المهارات العلمية والفنية المعاصرة المتوفرة ، وذلك لكي يحصلوا على افضل النتائج الممكنة من الموارد المحدودة المودعة تحت تصرفهم .

هنالك قليل من الشك في ان المكائن التي وصفوها كانت مصنوعة فعلا ، وان التصاميم كانت تنفذ على نطاق واسع في معظم الحالات ، وان اوصاف طرق الصنع التي اعطاها « الجزري » كانت معقولة جداً .

وما خلا ذلك فاننا نعلم من « ابن جبير » [٨] ان الساعة التي وصفها « رضوان »

---

(٨) ابن جبير (١١٤٥ – ١٢١٧ م) ابو الحسن محمد بن احمد الكناني ولد في بلنسية بالاندلس قام بثلاث رحلات من الاندلس الى الشرق فجاب معظم الممالك الاسلامية ، ودون مشاهداته عنها في=

كانت ما تزال تعمـــل حتى سنة ١١٨٤ م ، وان بقايا اثنين من الساعات المائيـــة التذكارية الهائلة ، ما تزال تشاهد حتى الآن في مدينة « فاس » بالمغرب .

والشيء الواضح تماماً هو ان المهندسين العرب كانوا يمارسون عملهم بجد ، ويعربون عن تفكير ملموس ليس لتحقيق النتائج المطلوبة حسب ، بل ولغرض التأكد من ان المكائن الجاهزة يمكن تشغيلها وصيانتها بيسر .

وليس ثمة ادنى ريب في وجود باعث جمالي للاختراع وتهيئة الحلول الأنيقـــة للمشكلات الهندسية . وواضح ان المهندسين العرب قد جرّبوا مثل هذا الباعـــث ، بقوة ، وانهم لم يصلوا الى المستويات الرفيعة من دونـــه .

كانت التقنية العربية تستند بصفة اساسية ، على قواعد ضغط الماء وضغط الهواء ولم تكن طبعاً معظم العلاقات الرياضية التي تحدد الظواهر الفيزيائية ، قـــد تم تشخيصها بعد . وكان على المهندسين ان يمارسوا قدرا كبيرا من التجربة العملية .

في مستطاعنا ان نستخدم مثلا مفردا لغرض تصور ذلك .

كان «الجزري» يعرف ان تدفق السائل من فوهة ماء يختلف مع رأس الماء الذي فوقه ، لكنه لم يكن يدرك بان العلاقة الصحيحة هي ان الحرف Q يساوي K H فالحرف Q يدل على معدل التدفق ، والحرف K هو الثابت ، والحرف H هو رأس الماء .

وكان « الجزري » يعرف مقدار التفريغ المطلوب حسب الساعة ، كما كان يعرف من التجربة السابقة ، الحد الاقصى لقطر الفوهة ولذلك كان يصنع الفوهة اول الامر جداً ضيقة ، ومن ثم يشرع بتوسيعها وذلك باستعمال سلك نحاســـي . وهو مسحوق مخدش ، الى ان استطاع الظفر بالمعدل المطلوب للتفريغ .

وبالطبع فلم تكن كل اعمال المهندسين العرب ذات تأثير فعال . لقد كان لديهم تفهم واضح للحساب ، وللهندسة المسطحة ، والقياس . وكانوا يستعملون هـــذه العلوم الى اقصى حد في صنع آلاتهم وتجميعها . ولكن لما كانت قواعد الآليات

= كتاب قيم سماه « تذكرة الاخبار في اتفاقات الاسفار » وقد توفي في الاسكندرية بمصر في رحلته الثالثة وذلك في يوم الاربعاء ٢٧ شعبان ٦١٤ هـ وقد ترجمت رحلته الى معظم اللغات الحية ومنها الانكليزية والفرنسية والايطالية (م) .

معقدة ودقيقة بصفة خاصة، كان يتم التجميع والالصاق النهائيان، بالتجربة الشاقة.

يبدو كثير من الطرق التي استعملت للحصول على المستويات الضرورية للدقة والكمال، حديثة بالنسبة الينا وبشكل مدهش، الى ان اكتشفنا فيما بعد ان هذه الطرق قد انتقلت من العرب الى التقنية الاوربية المتطورة.

هناك عدد من الامثلة البارزة على ذلك. فاقراص الصمامات واغطيتها كانت تثبت في قواعدها باستعمال مسحوق ،خدش حتى يتم الحصول على الاتقان المطلوب.

فالانواع المختلفة للمشدات والمستعملة في التطبيق الحديث لمعامل التصليح (من امثال مشد الدفع، ومشد الانزلاق، ومشد الجري) كانت معروفة ومميزاً حدها عن الآخر.

وعجلات البكرات الكبرى التي كانت تصنع في بعض الأحيان من الخشب المصفح لتقليل التلف، كانت تركب على الات الخرط، ويتم تحريكها، وتضاف قطع صغيرة من الرصاص الى محيطاتها حتى تصبح في توازن قياسي كامل.

وكانت تبذل عناية كبيرة للتأكد من ان اوعية الماء المصنوعة من صفائح نحاسية، هي من قسم نادر، وذلك بطرقها حول الوسائد الخشبية المدورة. اما الاقسام الداخلية من تلك الاوعية فكانت تغلف بالصفيح تغليفا جيدا يمنع التأكل.

ولكي يتم صنع بعض الآلات بدقة اكثر، كانت تصنع لها نماذج من الورق، للتأكد من أن هذه الآلات سوف تثبت بصفة صحيحة داخل المكائن. وقد وصف « الجزري » طريقة فنية لصب المعادن، وذلك باستعمال نوع من رمل اخضر اللون في صناديق القوالب المغلقة، وهي طريقة لم تكن قد عرفت في اوربا حتى القرن الخامس عشر.

المكائن

هناك طرازان من الطواحين كانا معروفين منذ العصور القديمة. الاول هو عجلة الماء العمودية التي تحرك حجر الطاحونة بوساطة زوج من العجلات المسننة. اما الطراز الثاني فهو ذات عجلة مائية افقية مريشة، ذات محرك مباشر لحجر الطاحونة.

ولقد احتسب ان الطراز الثاني من الطواحين يمكن ان يبلغ منتوج عشرة احصن من القوة ،وبكفاءة تقدر بخمس وسبعين في المائة. ونستطيع من حسابات الجغرافيين والبلدانيين ان نقدر بان كلا الطرازين من الطواحين كأن مستعملا على نطاق واسع في الديار الاسلامية لطحن الحبوب ، وللاغراض الصناعية الاخرى .

وكان امرا طبيعيا ان تلعب مكائن رفع المياه دورا مهما في اقتصاديات بلدان الشرق الاوسط ، وبصفة رئيسة في الري وفي تجهيز السكان بالماء ايضا . وابسط هذه المكائن هو الشادوف او الكاسح ، وهو من اصل قديم ما يزال يستعمل حتى الآن .

يتألف الشادوف ، بصفة اساسية ، من عمود طويل يوازن على مرتكز في احدى نهايتيه دلو ، وثقل مواز في النهاية الاخرى من المرتكز . اما النوع الثاني ، وهو اكثر تعقيداً ، فانه يعرف باسم « الساقية » ، وهو عبارة عن سلسلة من دلاء كانت معروفة في العصور القديمة ، لكنها – على اكثر احتمال – لم تكن تستعمل على على نطاق اوسع الا في حدود القرن الخامس [٩] حين ادت اضافة ادوات اسنان التروس والروافع الى تحسين قابليتها . وكانت هذه المكائن تدار بوساطة حيوان يسير في طريق دائري . فهناك عمود يربط الحيوان بالعجلة الأفقية المسننة التي تشتبك بعجلة افقية مسننة اخرى ، حيث يقوم محور العجلة المسننة الثانية بتحريك العجلة التي تحمل سلسلة الدلو ، . فبعد ان تغوص الدلاء في البئر ، يفرغ كل دلو محتوياته من الماء في قناة للري ، او في حوض حين يصل الدلو الى قمة العجلة

وما تزال الساقية مثل الشادوف مستعملة حتى اليوم . مع انها آلة معقدة تماما تحتوي على اكثر من مائتي قطعة منفصلة ، الا ان في الامكان صيانتها بشكل صحيح على ايدي الصناع المحليين ، وذلك لان المضخة غالية الثمن ، ولا يمكن اصلاحها بيسر دوما .

وفي المناطق التي يصبح فيها تجهيز الماء مسألة حياة اوموت من الناحية الادبية ،

(٩) يقصد بها « النواعير » جمع « ناعورة » وقد انتشرت هذه في العراق في اواخر الحرب العالمية الاولى، وقبل انتشار المضخات المائية بعدة سنوات . وكانت البغال تستخدم لتدوير الناعورة . اماالنواعير القائمة حتى اليوم في اعالي نهر الفرات فانها تدار بقوة الماء ذاته (م) .

تكون للشادوف وللساقية منافع تفوق – من الناحية النظرية – منافع المضخات ذوات الكفاءة المتزايدة .

كانت المكائن الخمس ذات النطاق الكامل التي وصفها « الجزري » قد صممت كلها لغرض رفع الماء . وتشمل اربع من هذه المكائن على مظاهر ذات اهمية عظمى في تأريخ التقنية الآلية . ذلك لان اولى هذه المكائن كانت تستخدم القوة الحيوانية في رفع شادوف قناة الماء ، وهي عبارة عن قناة خشبية ذات مجرفة كبيرة في احدى النهايتين ، ومرتكز في النهاية الاخرى . فالمجرفة تغطس في البئر ، وحين يرتفع الشادوف فوق المرتكز يجري الماء في القناة ، ثم يصب في سواقي الري

وتنتقل القوة من حمار يشد الى محور عمودي يتحرك مثلما يتحرك الحمار حوله في دائرة . ويقوم المحور ، عن طريق زوج من العجلات المسننة ، بتحريك محور افقي ركبت فوقه عجلة توجد في الربع من محيطها اسنان . وهذه العجلة متعاشقة في ترس مسنن ركب على المحور الافقي الذي ثبت الشادوف فيه . فحين يدور الحمار يرتفع الشادوف ويهبط في الوقت الذي تتعاشق فيه العجلة المسننة المنفلقة مع الترس المسنن ، وتنفصل عنه .

ولقد ظهرت هذه الاسنان المقسمة ، والتي تجد لها استعمالات كثيرة في الهندسة الحديثة ، لاول مرة في الغرب ، وذلك في الساعة الفلكية التي اكملها « جيوفاني دي دوندي » سنة ١٣٦٤ م

اما ماكنة « الجزري » الثانية ، فانها كانت تحسينا لماكنته الاولى . فلها اربعة شواديف ، وعجلات مسننة مقسمة ، وتروس مسننة من شأنها ان تضاعف المنتوج . وهناك تحسين آخر كان – طبقاً لما ذكره « الجزري » – يهيء العمل بشكل ايسر وذلك عن طريق خفض قوى التوازن .

اما الماكنة الثالثة التي صنعها « الجزري » فهي تستخدم شادوف قناة الماء ايضا ، ويديرها حمار يسير في طريق دائري . ولكن في هذه الحالة تتحرك نهاية الذراع داخل مجموعة من الاسنان التي تدخل في شق طويل تحت قناة الشادوف . فحين تستدير الذراع يأخذ الشادوف بالارتفاع والهبوط .

ومع ان الاذرع كانت مستعملة قروناً طويلة في الطواحين اليدوية ، وفي وسائل اخرى من امثال الرافعات والآلات الرحوية ، الا انها كانت في كل الحالات تدار باليد . وقد وفرت ماكنة « الجزري » هذه اول مثال في التأريخ على الذراع التي تستعمل في الماكنة .

والماكنة الرابعة ضئيلة الاهمية ، وهي تتألف بكل بساطة من سلسلة من الدلاء التي تديرها عجلة مجرفة خفية . وكان يقصد من صنع للهذه الماكنة بكل وضوح ان تنصب وتستعمل على مقربة من احدى برك الزخرفة والزينة .

على ان ماكنة الجزري الخامسة تعد ذات اهمية كبرى ، ذلك لانها كانت الاساس المهم لتطوير المكائن التجارية ، ومكائن الضخ . (توجد نسخة من الصورة التي رسمها الجزري لهذه المضخة وهي تحمل ارقاما رومانية . وقد صممت هذه المضخة باسطوانتين لرفع المياه الى ارتفاع حوالي ثلاثة وثلاثين قدما اي عشرة امتار).

وضعت عجلة البكرة الكبيرة (K) في جدول ماء جار ، وهي تحمل على محورها الافقي الموسع ، العجلة المسننة (M) التي تتعاشق مع العجلة المسننةالاخرى (W) المركبة على صندوق كبير . ويوجد عند الحافة الخارجية لهذه العجلة الثانية ، وتد مثبت بشكل اعتيادي في سطح العجلة ، ويدخل هذا الوتد في العمود المشقوق. (Q) وتدور النهاية السفلى منه في قعر الصندوق .

فحين تدور العجلة يتحرك الوتد الى اعلى والى اسفل داخل الشق ، ويتذبذب العمود من جانب الى آحر . وقد تم تثبيت عمودي الربط (F) و (I) بوساطة حلقة ، ومسامير مفروزة في جوانب العمود المشقوق . وفي نهاية كل من هذين العمودين ثبت مكبس مصنوع من قرصين نحاسيين دائريين حصر حبل بينهما .

وتدخل المكابس الى الاسطوانتين A و T اللتين ثبتتا بشكل افقي عبر جوانب الصندوق ، وجهز كل مكبس بانبوب ماص P و B يهبط الى الماء . وتم انقاص قطر كل من انبوبي القذف F و Z بعد ابتعادهما عن المكابس بمسافة قصيرة وتم ربطهما سوية لتكوين مخرج واحد لقذف الماء . كذلك زودت فتحات المص والقذف بصمامات مطقطقة ذات طريق واحد (D، S، J، Y)

فحين يبدأ العمود المشقوق بالتذبذب ، يشرع احد المكابس بعملية القذف ، بينما يشرع المكبس الآخر بعملية المص وهكذا فان هذه المضخة التي تعمل حسب قاعدة عمل مزدوجة ، تعد اول مثال شهير لتحويل العملية المتناوبة الى عملية متبادلة كما انها تعتبر شهيرة لاحتوائها على انابيب مصاصةحقيقية ولو انها لم تكن انابيب قصيرة .

ففي المضخات اليونانية والرومانية التي عرفت لنا من الكتب والاكتشافات الأثرية ، تستقر الاسطوانات المفردة بشكل عمودي في الماء ، ويكون مدخل المص عبارة عن ثقب في القعر مغطى بصمام من الصفيح .

كانت آلات الحصار التي استعملها العرب في اوائل فتوحاتهم ، مماثلة — على اكثر احتمال — لتلك الآلات التي طوّرها الاغريق والرومان ، وهي عبارة عن مجانيق كانت تعتمد على مرونة الاخشاب ، او الحبال المفتولة لتحقيق انطلاقها الشديد المدمر. فهذه الآلات تقذف بشكل يسير مقذوفات خفيفة ، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها لأن مرونة الحبال المصنوعة من عروق الاشجار تتغير تبعا لتغـــير درجة الحرارة ، والرطوبة ، والعمر .

ومع ذلك ففي نهاية القرن السابع تم ادخال آلة اكثر قوة الى بلدان الشرق الاوسط من « الصين » عبر اسيا الوسطى . وكانت هذه الآلة تتألف من عمود يدور في نقطة تقسم طوله بنسبة اثنين الى واحد ، او اكثر او اقل تبعا لحجم الآلة . وتربط رافعة لحمل المقذوفات في النهاية الطويلة من الذراع . ويتم قذف المقذوفات من قبل طائفة من الرجال يسحبونها فوق حبال مثبتة في النهاية القصيرة من العمود او الذراع .

وبعد وقت طويل ، وربما في اواسط القرن الثاني عشر ، تم اختراع آلـــة اكثر قوة ودقة في مكان ما من منطقة شرقي البحر الابيض المتوسط . ففي هذه الالة التي تعرف بالمنجنيق حل الثقل المتوازن محل طائفة الرجال الذين يسحبون المقذوفات فوق الجبال .

لسنا متأكدين حتى الآن ان كانت هذه المجانيق من اصل مسيحي ام اسلامي[١٠] لكننا نعرف ان العرب سرعـــان ما اصبحوا خبراء في صنـــع هذه المجانيق وفي استعمالها . ولقد تم استعمال مجاميع المجانيق في حصار ميناء « عكا » في سنة ١٢٩١ م[١١] . كما علم ايضا ان اثنين من المهندسين المسلمين صنعا مجانيق للقائد المغولي « قبلاي » في سنة ١٢٧٢ م[١٢] .

الادوات

ليست لدينا اية اوصاف دقيقة عن الادوات التي كان المهندسون العرب يستعملونها. لكننا نستطيع ان نستنتج من اعمالهم ، ان مدى الآلات التي كانت متوفرة لديهم واسع جدا . فقد اشتملت المواد التي كانوا يستعملونها على الاخشاب ، وصفائـــح النحاس ، والحديد (المعتاد ان الحديد كان يستعمل لصنع المشدات الصغيرة والمساجر والمحاور) بالاضافة الى كميات قليلة من الذهب . والفضة ، والزجاج ، والقصدير ، والرصاص .

وكانوا يصنعون الاخشاب بكفاءة عالية . فهم يحزونها ويثقبون فيها ثقوبا دائرية ، ويجعلونها مسطحة وناعمة بشكل تام ، ويقطعونها الى قطع منحنية . وعلى هذا فاننا نفترض بانه كانت لدى الصناع مطارق ، وازاميل ، ومخارم ، ومثاقب ، وانواع عديدة من المناشير ، وطراز واحد على الاقل من المساحج التي تفي بالغرض . ولا بد ان كانت المرتكزات الصلبة التي يجري العمل فوقها ، وبعض الوسائل التي يثبت العمل بها ، تعتبر من التجهيزات القياسية .

(١٠) كانت المجانيق معروفة لدى سكان سوريا وفلسطين والعراق قبل ظهور الاسلام بعدة قرون.وخير شاهد على ذلك المنجنيق الذي عثرت عليه مديرية الاثار العامة قبل سنوات في مدينة « الحضر » وهو بكامل عدته (م) .

(١١) حاصر الصليبيون ميناء عكا سنة ١١٩٠م وسدوا عليها المنافذ من كل صوب،ومع ذلك فقدصمدت زهاء عامين ثم دخلها الصليبيون في تموز سنة ١١٩١ . واعاد التاريخ نفسه مـرة اخرى وفي سنة ١٢٩١ حاصر المسلمون الصليبيين داخل عكا ، ثم هاجموها بالمجانيق وكباش الحصار ، واستولوا عليها وبذلك تم طرد الصليبيين نهائيا من البلاد العربية. ومن ثم فقد عاد احفاد الصليبين من الانكليز فاستولوا على فلسطين والقدس سنة ١٩١٧ لتغدو بعد ذلك لقمة سائغة في افواه الصهاينة(م).

(١٢) هو قبلاي خان (١٢٦٩ - ١٢٩٤ م) انبراطور المغول الذي سيطر على بلاد الصين ، واتخذ مدينة بكين باكنغ عاصمة له ، وقد اشتهر بعطفه على المسلمين والافادة من علومهم وفنونهم (م) .

كانت صفائح المعدن تطرق في اشكال متداخلة ، حيث تستعمل في ذا
انواع من المطارق لصنع المعدن . وكانت الاجزاء يربط بعضها ببعض بواسا
الالحام بالقصدير . وكانت الاجزاء الداخلية من اوعية المـــاء يجري تصفيحهـ
بالصفيح ، مما يدل على ان حديد الالحام ، من اشكال وأحجام مختلفة ، ك
متوفراً حقاً .

لدينا معلومات قليلة اخرى تخص الادوات. ذلك ان «الجزري» يشير الى
خرط الخشب عدة مرات . وهناك احتمال بانه هو نفسه كان يستعمل هذه الآ
في عمليات الخرم الدقيقة ، وكذلك في تدوير الادوات الدائرية . وقد استعـ
المهندسون العرب المبارد لصنع اسنان العجلات المسننة . ولازالة المعدن الزائـ
عن قوالب الصب والسبك ، كما انهم كانوا ينظفون سطوح المعادن باداة قاشـ
قبل ان يصبغوها .

وكانوا يصنعون نماذج ازهار متقنة من البرنز والنحاس بوساطة الازاميل . كمـ
كانوا في بعض الاحيـــان يستعملون حفـــر الصور والنقوش على المعادن بشكـ
واضح ، وهو ذلك الفن الذي ازدهر في العالم العربـي .

ولما لم تكن البندقات ، والمسامير المسننة ، واللوالب الخشبية مستعملة بصفـ
عامة ، حتى حدوث الثورة الصناعية ، فلم يكن لدى العرب قبلا ادوات للفـ
وللبرم . اما بالنسبة الى المقاس والتركيب فانهم قد استعملوا القواعد ، والحافـــا
المستقيمة ، ومقاسات الزوايا ، والمربعات ، والبوصلات والمقسمات .

ولم تكن المقسمات تستعمل لتأشير الدوائر حسب ، وانما لفصل الأقراص
الصفائح المعدنية . وكانت الانواع الافقية منها تفحص حسب مستوى الماء ،
حين تفحص العمودية منها بخط ممتلئ .

هنالك دليل واضح على ان الالمام بالعلوم والطب والرياضيات ، والفلسفة العربية
كانت كلها قد وصلت الى اوربا في شكل كتابات مدونة . غير انه لا يوجـ
سوى دليل ضئيل على ان آراء المهندسين العرب قد انتقلت بالوسيلة ذاتها . ومـ
ذلك فان مما يوثق فيه كثيرا جدا ، هو ان منهاجا للبحث قد اتخذ اولا لاكتشا

مخطوطات عربية غير معروفة قبلا حول الموضوعات الهندسية، وثانيا عما اذا كانت توجد اية ترجمات قد اجريت خلال العصور الوسطى للوثائق الهندسية العربية باللغات الاوربية .

وحتى اذا ما اثبت ان مثل هذا الاستقصاء غير مثمر ، فان هذا لا يعني – باية حال – ان التقنية العربية لم تكن قد انتشرت خارج العالم العربي . فلا مجال للتساؤل حول هذا الامر ما دامت الهندسة الاوربية – كما رأينا – قد ادخلت الكثير من المفاهيم والفنون الصناعية العربية . فلقد كانت الآراء التقنية تنتقل بصفة متواصلة من حضارة الى اخرى ، عن طريق تقارير الرحالين ، وعن طريق نظار الوكلاء التجاريين ، وبالاتصالات المباشرة بين ارباب الحرف . وحتى في العصور الحديثة ، كانت مثل هذه الوسائل المتبادلة اكثر استمرارا ، واعظم نفعاً من الاتصالات المكتوبة .

ربما كان المؤرخون يميلون الى التركيز على الحروب التي وقعت بين الاسلام والغرب ، وانهم كانوا يهملون – بصفة نسبية – العلاقات التجارية والثقافية ، بل وحتى العلاقات السياسية الوثيقة التي قامت في اماكن مختلفة خلال الفترة الممتدة من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر وما بعده .

والواقع ان مثل هذه العلاقات كانت عامة ، ولا نستطيع ان ندرج منها سوى امثلة شهيرة قليلة من امثال تبادل السفارات بين بلاطات العباسيين والحكام الكارولنجيين (١٣) ، واختلاط العرب ، والرومان والهوهنستوفن (١٤) في صقلية ، والترتيبات التجارية بين المدن الايطالية وبلدان المشرق (١٥) ، وكذلك الامتزاج الذي حل بين سكان شبه جزيرة « ايبريا » طول تلك الفترة بكاملها .

---

(١٣) الكارولنجيون Carolingians هي السلالة الثانية التي حكمت بلاد فرنسا في الفترة مـا بين سنتي ٧٥٠ و ٩٨٧ م . وكان نجمهم قد بدا بالتألق في اوربا منذ سنة ٦٥٠ م (م) .

(١٤) الهوهنستوفن Hohenstoufens اسرة حكمت المانيا في الفترة ١١٣٨ – ١٢٠٨م ومن ثم بين سنتي ١٢١٢ – ١٢٥٤ م .مؤسس الاسرة هو الكونت فردريك . وقد نجح احد ملوك الاسرة ، هنري الرابع ، في توسيع مملكته وضم اليها صقلية ايضا بعد زواجه من احدى الاميرات فيها (م) .

(١٥) يقصد ببلاد المشرق Levant هنا سوريا ولبنان وفلسطين احيانا (م) .

ولقد غدا ممكنا عن طريق البحث الحاذق ، وضع الوسائل التي تستطيع بها الاراء الهندسية ان تنتقل في هذه المناطق التي كان الاسلام والمسيحية فيها علـى اتصال وثيق وقد اصابت بعض الجهود السابقة شيئا من النجاح بالنظر الى المبادئ المتعلقة . فقد اظهرت هذه الجهود مثلا ان الطاق والعقود المدببة – وهي من الادوات الضرورية للتطورات التي طرأت على العمارة الغوطية – كانت قــد انتقلت في اوائل القــرن الحادي عشر من مصر في عهد الفاطميين الى « امالفي » [١٦] وهي مدينة لها علاقات واسعة مع مصر في ذلك الوقت وليس من اليسير ان نتعقب خط استعارات الفنون الهندسية ، والادوات الجميلة . ولكن من المتوقع ان تحقق الاستقصاءات المباشرة بشكل مؤكد كثيرا من النتائج المهمة .

بديع الزمان اسماعيل الرزاز الجزري

في الطبعة الممتازة التي اصدرتها جامعة اكسفورد لكتاب « تراث الاسلام »[١٧] الذي شارك في تحريره كل من « توماس ارنولد » و « الفرد غيوم » ، وهو مصنف يقع في حوالى اربعمائة صفحة ، مضى على اصداره اقل من نصف قرن [١٨] ، ثم اختصار كل التراث القديم للتقنية الاسلامية ، والالات والهندسة ، في اثنـــي عشر سطرا . ولم يذكر في الكتاب سوى اسم مؤلف واحد هو « بديع الزمان بـــن اسماعيل ابن الرزاز الجزري ، الذي اصبح مصنفه المعنون «كتاب في معرفة الحيل الهندسية » متوفرا بصفة نهائية باللغة الانكليزية وذلك بفضل الكفاءة الممتازة التي ابداها « دونالد هل » [١٩] من جامعة لندن . وكنتيجة لذلك فان كل مؤلفات

---

(١٦) امالفي Amalfi من مدن ايطاليا الشهيرة. تقع على بعد اثنى عشر ميلا عن « سالرنو » برزت اهميتها في اواسط القرن السادس الميلادي فاصبحت من اهم مراكز التبادل التجاري مع البندقية وجنوا . وقد خضعت في بداية القرن الثاني عشر لنفوذ ملك صقلية (م) .

(١٧) ترجم كتاب تراث الاسلام هذا الى العربية مرتين . قام بالترجمة الاولى كل من حسين مؤنس ، وعبداللطيف محمود حمزة ، واحمد عيسى وطبعت في القاهرة في جزأين سنة ١٩٣٦ . اما الترجمة الثانية فقد قام بها جرجيس فتح الله وطبعت في الموصل بجزأين سنة ١٩٥٤ واعيد طبعها في بيروت سنة ١٩٧٠ (م) .

(١٨) صدرت الطبعة الانكليزية الاولى للكتاب في اكسفورد سنة ١٩٣٣ والثانية في سنة ١٩٤٣ (م)

(١٩) هو صاحب هذا البحث الذي ترجمناه (م) .

التراث اللاحقة ينبغي ان تخصص مجالا اوسع للمنجزات العربية والاسلامية في هذا الميدان .

لا يعرف في الغالب ادنى شيء عن حياة « الجزري » ، ما خلا وقائع قليلة موجزة وردت في مقدمة كتابه ، وكل ما يمكن استخلاصه من هذه المقدمة ، ومن مصيرها اللاحق في اسلوب المخطوطات . ويشير اسمه الى انه قد جاء من الجزيرة ، وهي ارض بين الفرات الاعلى ودجلة ، اي فيما يعرف اليوم باسم شرقي تركيا ، وشمالي شرقي سوريا ، وشمال العراق (٢٠) ولقد كان اسياده من السلالة الارتقية التركمانية ، التي تركزت في « ديار بكر » في القسم الجنوبي الشرقي من تركيا (٢١) .

ولقد دخل الجزري في خدمة هذه السلالة الحاكمة التي كان يتزعمها نور الدين محمود الذي حكم في الفترة من سنة ١١٧٤ م الى سنة ١١٨٥ م . كما خدم خلفه وهو ابنه « قطب الدين » الذي حكم من سنة ١١٨٥ م الى سنة ١٢٠٠م ودخل ايضا في خدمة اخيه « ناصر الدين » الذي حكم من سنة ١٢٠٠ م الى سنة ١٢٢٢م وكان الجزري قد بدأ خدمته لهذه الاسرة في سنة ١١٨٠ م ، واكمل عمله الاساسي عن الادوات الميكانيكية بعد خمس وعشرين سنة من ذلك الوقت .

ليس من الواضح تماماً معرفة المقدرة الاساسية التي خدم الجزري بها الاسرة الارتقية . غير ان ذكره للكيفية التي اقدم بها على وضع مؤلفه ، تشير الى انه ربما كان واحدا من مهندسي البلاط ، وان عمله كان يقتصر على انتاج الات عجيبة وجميلة ونافعة لاستئناس الحاكم وحاشيته بها .

يقول الجزري في مقدمة كتابه ما يلي : « كنت في حضرة ناصر الدين في يوم من الايام ، وقد جلبت له بعض ما امرني بصنعه ، وراح ينظر الي وينظر الى ما صنعته ويمعن التفكير فيه دون اية ملاحظة مني . ولقد حزر ما كنت افكر فيه ،

(٢٠) اخطأ الكاتب في ذلك فنسبة الجزري ليس الى الجزيرة وانما الى « جزيرة ابن عمر » (م) .

(٢١) السلالة الارتقية (١١٠١–١٣١٢م) اسسها « ارتق ابن اكسب من زعماء جيش السلاجقة وكانت قاعدتها مدينة دياربكر وحكم منها ثمانية امراء آخرهم ركن الدين مودود وقد انقرضت هذه السلالة على ايدي الايوبيين (م)

وكشف بشكل مصيب ما كنت قد اخفيته ، ثم قال « لقد صنعت ادوات منقطعة النظير ، وعن طريق القوة جلبتها كاعمال ، ولهذا فان عليك ان لا تضيع ما وطنت نفسك عليه ، وما صنعته بكل وضوح . واود ان تضع لي كتابا يجمع كل ما ابتدعته على انفصال ، وان تجمع نخبة من المواد والصور المفردة » .

ومهما كانت وظيفة الجزري فان كتابه في الواقع قد انتج الخطط لصنع الساعات المائية ، ولصنع الآلات العجيبة ، حيث نشاهد الفتيات الآليات يقمن بوضع الاقداح في يد الحاكم ، وكذلك صنع المزاييمير التي تزمر ذاتيا ، ومكائن الري النافعة ، ومواد الزينة الخالصة ، من امثال الابواب التذكارية المزخرفة التي تعد من اقدم الاوصاف لعملية صب الرمل اخضر اللون ، والذي لم يكتب اول وصف اوربي له الا في سنة ١٥٤٠ م .

وبصفة عامة فان الفنون الصناعية التي ورد صنعها في كتاب الجزري ، كانت قد اغرت التقنيين الذين سبقوه من اليونانيين والاسيويين. غير ان كتابه يتقن النماذج السابقة ، ويحقق بعض السوابق المهمة في هذا المضمار . .

من بين المضاهر المميزة لعمل الجزري والتي كانت مغايرة بشكل بارز لما عمله فيما بعد « ليوناردو دافنشي » والتي تتطلب الادوات التي صنعها مقارنة بصفة حتمية ، ان الجزري لم يعط امثلة للالات التي كانت تستعمل في الحرب . فهو لم يصور في كتابه المجانيق ، ولا الكباش الناسفة للاسوار ، ولا الصواريخ ، ولا الغواصات . لكنه بدلا من ذلك راح يخترع الآلات التي من شأنها ان تسر الاغنياء او التي تنفع المجتمع .

وقد يتصور المرء ان كتاب الجزري كان مهما له نفسه ولاسياده . ومع ذلك فان المخطوطة الاصلية للكتاب كان يجري استنساخها غالبا ، الى درجة جعلتنا نتصور مدى اهتمام الاسلام الواسع في هذا الشأن . فلقد عرف حتى الآن وجود خمس عشرة نسخة من مخطوطة كتاب الجزري هذا ، اربع عشرة منها عربية . واقدم هذه النسخ مؤرخة في سنة ١٢٠٦ م وآخرها ، وهي ترجمة فارسية للكتاب ، مؤرخة في سنة ١٨٧٤ م وقد استنسخ بعض هذه النسخ في سوريا وفي مصر ، وان واحدة

من هذه النسخ على الاقل ، من اصل مغولي . ومـــع ذلك فلا يوجـــد دليـــل على ان « كتاب في معرفة الحيل الهندسية » قد اصبح جزء من التطور الثقافـــي العالمي المتواصل .

وعلى اساس الدراسة المتوفرة لنا ، نجد انفسنا مجبرين على الاعتقاد بان كتاب الجزري ، بمختلف الصور والاقطار التي تصوره ببراعة ، لم ينقل مثل هـــذه السوابق المهمة ، كالصمامات المخروطية ، الى الثورة الثقافية الاوربية التي عرفت باسم النهضة . وحتى اذا كان مثل هذا الانتقال لم يحدث فعلا ، فلا بد للمرء من ان يعجب من عدم حدوثه في ذلك الوقت الذي كان فيه كتاب الجزري قد ظهر بصفة نسبية في اوائل العصر الإسلامي الوسيط ، وفي وقت كان فيه انتقال الحضارة من الشرق الى الغرب ، قد بلغ ذروته .

لا يوجد حل قسري لهذا السر الذي يشير بنفسه الى نفسه . غير ان الاهتمام المتجدد بالتقنية العربية الاسلامية ، قد يتوصل الى حل هذا السر في وقت ما ، والى ان يتحقق ذلك فلن تبقى لدينا سوى الحقيقة القائلة ، اذا كان الجزري ، مثل يوناردو دافنشي ، قد كرس جزءا من عبقريته لصنع آلات الحرب ، فـــان اسمه سوف يجد له الذكر الحسن في بلاد الغرب في هذه الايام

د . ب . ونـــدر

★ ★ ★

تعزيز بيتي الحريري

تحقيق

هلال ناجي

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

أمّا الحريري فهو القاسم بن علي بن محمد ، أبو محمد الحريري البصري (٤٤٦ – ٥١٦ هـ) الاديب الشهير صاحب المقامات الشهيرة باسمه . ومصنفاته كثيرة منها : « درة الغواص في أوهام الخواص » و « ملحة الإعراب » و « الرسالة السينية والرسالة الشينية » و « الفرق بين الضاد والظاء » و « صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور » و « توشيح البيان » . وله شعر في ديوان . وديوان رسائل .

وقد ولد في المشان من قرى البصرة وتوفي في البصرة . عُرف بدمامة خلقته وغزارة علمه . ونسبته الى عمل الحرير أو بيعه . واصله من ربيعة الفرس [١].

وأما ناظم التعزيز وشارحه فهو ابو الفضائل رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي بن اسماعيل العدوي العمري الصغاني اللاهوري . وسنفصل ترجمته فيما بعد .

والبيتان ذكرهما الحريري في المقامة السادسة والاربعين ، وقدّم لهما بقوله : « ثم أهاب بفتى فتّان ، يسفرعن أزهار بستان ، فقال له : انشد البيتين المُطَرَّفين ، المشتبهَيْ الطرفين ، اللذين اسكتا كلَّ نافث ، وأمِنا أن يُعَزَّزا بثالث ، فقال له : اسمع لا وُقِرَ سمعك ، ولا هُزِم جمعك ، وانشد من غير تلبُّث ولاتريث :

سِمْ سِمَةً تحسنُ آثارهـــا   واشكر لمن اعطى ولو سِمْسِمَهْ
والمكرُ مهما اسطعت لا تأتــهِ   لتقتنـــي الســؤددَ والمكرمه

فقال له : أجدت يا زغلول ، يا أبا الغلول » [٢].

ويبدو ان هذين البيتين أثارا غير الصاغاني ايضا . فقد عارضهما ابوعبدالله محمد بن الحسن بن المنقبة الفقيه بالرحبة بقوله :

ملامة الوكعاء بين الــورى   أحسن من حرٍّ أتى ملأمـــه
فَـمَـهْ إذا استجديت عن قول«لا»   فالحرّ لا يمـــلأ منها فمـــه [٣]

وذكر الصفدي [٤] انه رأى عدة مقاطيع قد نظمها الشعراء في هذا النمط لمّا ادّعى الحريري هذه الدعوى ،ومن احسن ما علق بذهنه قول أحدهم :

والمس لمهوى الضيف جزل القرى   واصفح عن المســلم والمسلمه
والمهر مهما اسطعت لا تعلــه   فانـــه مهمـــا عـــلا مهرمـــه

وقال السيوطي بعد ان اورد بيتي الحريري ما نصه : « وقد ذكر (أي الحريري) انهما أمنا من أن يُعزز ، واكثر الناس بتعزيزهما بما ذكرناه في الطبقات الكبرى »[٥] وكتاب التعزيز هذا ذكره الصفـــدي في الغيث المسجم وقال : وللصاغاني مجلدة في معارضة البيتين رواها الشيخ شرف الدين الدمياطي عنه[٦] ، وذكر ايضـــاً في الوافي ٢٨/١١ وذكره ايضاً ابن قطلوبغا المتوفى سنة ٨٧٩ ﻫ ضمن تصانيف الصاغاني [٧]. وورد ذكر كتاب « التعزيز » فيمـــ نقله السيوطي عن الدمياطي في أثناء ترجمة الصاغاني ونصه : « اسندنا حديثه في الطبقات الكبرى ، وذكرنا ما عزّز به بيتي الحريري ، وذكر في جمع الجوامع في باب كـــان » [٨].

المصادر القديمة ذكرت هذا الكتاب ضمن تصانيف الصاغاني . وسنتحدث عن مخطوطاته في فقرة لاحقة من هذه المقدمة .

المصنف [٩] :

ومصنف هـــذا الكتاب هـــو ابو الفضـــائل رضي الـــدين الحسن بن محـ

بن الحسن بن حيدر بن علي بن اسماعيل بن علي القرشي العدوي العمري من ولد عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — الصغّاني المحتد ، اللاهوري المولد ، البغدادي الوفاة ، المكيّ الملحد ، الفقيه المحدث اللغوي الحنفي [١٠] .

وقد اشار الصاغاني الى نسبه العريق هذا في قوله من قصيدة :

فقلتُ يا دهر سالمني مسالمةً
فانني عُمَرِيٌّ ثمّ صاغاني [١١]

وصوابُ أن يقال في نسبته صغّاني وصاغاني [١٢] . وهي نسبة الى صغانيان وتسميها العجم جغانيان ، وهي ولاية عظيمة فيما وراء نهر جيحون متصلة الاعمال بترمذ ، وقصبة الولاية تسمى باسمها [١٣] ويبدو ان اصوله منها فنُسب اليها . وقيل صاغان قرية بمرو [١٤] ، وقيل انها كورة في بلاد السغد احد جنان الدنيا الاربع [١٥] . ويرى (لستّرنج) ان مدينة الصغانيان ، هي مدينة (سر آسيا) الحديثة على ما يحتمل [١٦] . ويرى ابن جماعة [١٧] ان اسمها بالفارسية جاغيان فعُرِّبت فقيل : صاغان وصَغّان . وتقع في اعالي نهر الصغانيان .

ولقد وصف الجغرافيون العرب مدينة صغانيان هذه فذكر الاصطخري انها كانت في القرن الرابع الهجري اكبر من ترمذ ، الا ان ترمذ اكثر اهلاً ومالا . وان لها قلعة والمدينة تقوم على جانبي النهر [١٨] .

أما المقدسي فقال : الصغانيان مثل الرملة في فلسطين وجامعها وسط السوق وهي موطن للصيد وفيها اجناس الطيور . ومن اعمالها ستة عشر الف قرية وانها شديدة العمارة كثيرة الخيرات . واشار المقدسي الى جمال المدينة بقوله « وفي كل دارٍ من دورهم ماءٌ جار قد احدقت به الاشجار » وقال : وفيها من المراعي ما يغيب فيها الفارس . ووصف اهلها بانهم : يحبون الغريب والصالحين [١٩] .

في لاهور — وتسمى لوهور ولهاور ايضا — وهي قاعدة اقليم البنجاب في باكستان ولد الصغاني يوم الخميس العاشر من صفر سنة سبع وسبعين وخمسمائة [٢٠] ونشأ بغزنة [٢١] . وذكر اللكنوي انه اخذ عن والده [٢٢] . ومن غير شك انه اخذ عن شيوخ عصره فقد ذكر مترجموه انه سمع بالهند من القاضي سعدالدين

ابن خلف بن محمد الكردري ثم الحسن آباذي [٢٣] . فقـــد كانت غزنة آنذاك حاضرة اسلامية عظيمة في القسم الشرقي من ديار الاسلام . حتى اذا استوى إماماً في اللغة والادب والحديث والتفسير والفقه ، واستدّت شاعريته رحل عنها قبل عام ٦٠٠ هـ .

وقد انفرد ياقوت بذكر قدومه العراق قبل سنه ٦١٠ هـ فهو يقول : « قدم العراق وحجّ ثم دخل اليمن ونفق بها سوقه وكان وروده الى عدن سنة ٦١٠ هـ» [٢٤] ومروره بالعراق كان مرورا عابرا ولم يدخل بغـــداد واستقر بمكة المكرمـــة سنين [٢٥] عـــدة .

وذهب « مدد على نجم القادري » [٢٦] الى القول بانه « ارتحـــل من غزنة الى بغـــداد في طلب العلـــم سنة ٥٩٥ هـ وسنه حينئـــذ تسع عشرة سنة وتابعه الدكتور ابراهيم السامرائي [٢٧] . ولم أجـــد لهـــذا الرأي سنـــداً في المراجـــع القديمة ، ولم يذكرا مرجعهما ، وهو وهم يناقض ما ذكره الصاغاني نفسه في العباب مادة (قرط) من ان اول قدومه بغداد سنة ٦١٥ هـ . ثم دخل اليمن وانتهى الى عدن ، وفيها راجت سوقه ، واتخذ من مسجد ابن البصري موقفا له — وهو مسجد أسّسه الوزير ياسر بن بلال المحمدي ، كان الصاغاني يقوم به ويصلح ما تشعث منه [٢٨] .

وصحب الصغاني سليمان ابن الفقيه بطّال وأقام معه في عدن مدة ، ثم طلعا معاً الى بلدهم ، فأخذ عنه الامام بطّال بن احمد وغيره . وقدم تعز بعد عام ٦٣٠ فأخذ عنه بها الشيخ منصور بن حسن والفقيه احمد بن علي السرددي وغيرهم . وقد تكرر دخوله اليمن مراراً [٢٩] .

في عدن قصده جمع من الفضلاء والعلماء واخذوا عنه . وكتب بيده عدة نسخ من صحيح البخاري واوقفها [٣٠] . وقرأ الناسُ عليه «معالم السنن» للخطابي ، وكـــان معجبا بهذا الكتاب وبكلام مصنفه ويقول : ان الخطابي جمع لهذا الكتاب جراميزه [٣١] . وقـــال لاصحابه : احفظوا غريب ابي عبيد القاسم بن سلام فمن حفظه ملك الف دينار ، فاني حفظته فملكتها ، وأشرتُ على بعض

اصحابي بحفظه فحفظـــه وملكها [٣٢] .

ثم توجه من اليمن الى مكـــة المكرمة وكان بها سنة ٦١٣ هـ على ما ذكر ياقوت[٣٣] . وفي مكـــة ـ شرفها الله تعالى ـ طابت له الاقامة وجاور بالحرمين سنين عديدة وسمّى نفسه الملتجئ الى حرم الله [٣٤] . وقال مفضّـــلا الاقامـــة فيها على الاقامة في سائر الامكنـــة[٣٥] .

يوم بمكة خيرٌ من مضيٍّ سنه   بغيرها تنقضي باللهو أو بِسِنَه
فلا القلوب الى الاهـــواء مائلة   ولا النفوس بكسب الاثم مرتهنه

ثم دخل بغداد عام ٦١٥ هـ ، [٣٦] وكانت قد سبقته شهرته وعلمه وفضلـــه ، فالحقه القاضي محمود بن أحمد الزنجاني بالمعدلين ، فلم يحضر مجلس قاض ولا شهد [٣٧] . حين قدم الصغاني الى بغداد عام ٦١٥ هـ كان قـــد اصبح « شيخ وقته ومقدم اهل زمانه في علم اللغة وفن الادب مع معرفة بعلم الحديث والتفسير والفقه على مذهب ابي حنيفة [٣٨] » فكان هذا داعياً لانفاذه رسولاً من الخليفـــة الناصر الى صاحب الهنـــد عام ٦١٧ هـ [٣٩] . فغاب طويلا ثم عاد الى بغـــداد سنة ٦٢٤ هـ في خلافة المستنصر بالله [٤٠] . فانفذه الخليفـــة العباسي المستنصر بالله رسولاً الى صاحب الهند في شعبان من سنة ٦٢٤ هـ فغاب مدة طويلة ثم عاد الى بغداد سنة ٦٣٧ هـ [٤١] . بعـــد استقراره ببغداد عُيِّن شيخاً برباط المرزبانية ، وهو في الجانب الغربي من بغداد على نهر عيسى ، وكان قد أدركته الشيخوخة فظل يشغلها الى عام ٦٤٣هـ . ثم تصادف ان نظر في شرط الواقف لرباط المرزبانية فوجد فيه : ان يكون الشيخ شافعيا ، فعزل نفسه . فعُيِّن مُدَرِّساً في المدرســـة التتشية [٤٢] ، وتسمى ايضا مدرسة خمارتكين التتشي (وهي من مدارس الحنفيـــة ببغداد آنذاك ، وقد بناها الامير خمارتكين بن عبدالله التتشي المتوفى سنة ٥٠٨ هـ) فحضر الصغاني بالمدرسة ، وذكر عدة دروس تفسيراً وحديثاً وفقهاً ثم انشد :

فهاكمُ يـــا سادتي   مني دروساً عَشَرَهْ
فانكم معادن الـــــ   فضل الكرام البرره
ولست حـــبراً عالمـــاً   لكنها محـــرره [٤٣]

[فلتعـــذروا اخـــاكمُ فمثلكم من عذره] (٤٤)

والى جانب تدريسه في المدرسة « التتشية » ، كان يتردد على دار الوزير
ي طالب محمد بن أحمد المعروف بابن العلقمي ، يدرس ولده عز الدين .وللوزير
، العلقمي ألّف كتابه «يفعول»(٤٥) ومعجمه «العباب الزاخر واللباب الفاخر»(٤٦)
سل فيــه الى فصل الباء من باب الميم ، وكتب بخطــه كلمـــة « بكم »
م يتمه (٤٧) ، فقد شاء القدر الا ّ يتمّه، إذ توقف القلب الكبير قبل إتمامـــه ،
ى صـــدق القائل : (٤٨)

انّ الصغانيّ الـــذي حاز العلـــوم والحكمْ
كان قُصارى أمـــره أن انتهى الى « بكمْ »

★ ★ ★

كانت وفـــاة الصغاني في بغداد ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان (٤٩) سنة
سين وست مائة . ودفن بداره في الحـــريم الطاهري (٥٠) . وتولى تجهيزه
ه اصحاب الوزير ابن العلقمي لجلالة قدره ومكانته عند الوزير(٥١) وابنـــه .
وكان أوصى ان يدفن بمكة بجوار الفُضيل بن عياض (٥٢) .

ذكر الحافظ الدمياطي : ان الصغاني اراه خرقة زرقاء ذكر ان فيها خمسين
راً جعلها لمن يحمله ويدفنه بمكة . فنفذ اولاده وصيته ، ونقل جثمانه الى مكة
رمة ، ودفن فيها(٥٣) — رحمه الله — .

ومن غريب ما ذكره الحافظ شرف الدين الدمياطي . انه عمل للصغاني مولد
انه يموت في وقت له أوان ، وانه كان يترقب ذلك الوقت ، فحضر وهو
ى ليس به علة ، فعمل لاصحابه وتلاميذه طعاماً شكران ذلك ، وانه حضر
الطعام وفارقه وعدّا الشط ، ثم أُخبر بموته فجأة عقب مفارقته ليلة الجمعة
ع عشر من شعبان سنة خمسين وستماية ، فعاد وحضر دفنه بالحريم الطاهري(٥٤).
ولعل ذلك من كراماته .

حين توفى الصغاني رثاه بعض عارفي فضله ، فممن رثاه تلميذه عزالدين ابن
ير المعروف بابن العلقمي ، بأبيات اولها (٥٥) .

تخاطبنا الدنيا خطاب مناصحٍ ... واسماعنا عما تقول صوادفُ
تخوفنا والامن حشو قلوبنـــا ... كأنّ سوانا من عَنَتْهُ المخاوف
وترشدنا احداثها فنـــرى الهدى ... عياناً ، ولكنّا غـــروراً نخالفُ
ونرجو من الايام عدلاً لجهلنـــا ... ويقضي بجورٍ صَرْفُها المترادفُ
هوتْ بالصغاني الذي لجّ قدره ... علوّاً ، من الاقدار دهماءُ قاذفُ
لِيَبْكِ عليه العلم -إن عاش بعده- ... وتندب - إنْ تبقَ - النُّهى والمعارفُ

ويقول فيها :

بكاك كتابٌ لـــم تتمّ فصوله ... ودون أمانيٍّ الرجال صوارفُ
كذا « مجمع البحرين » فُرِّق شملُهُ ... وغاص اكتئاباً موجـــه المتقاذفْ
لئن أصبح التصحيف بعدك فاشياً ... لقد ألفت بسط الوجوه الصحائفْ
فحالُ بني الآداب بعدَك حائلٌ ... وبالُ بني الآداب بعدك كاسف
قضى فقضت أمّ الفضائل نحبها ... وما حكمها فيما قضت متجانف
ومات حميداً حين لم يبق مشرقٌ ... ولا مغربٌ إلاّ له فيه واصف

ورثاه احمد بن محمد الشهرزوري بقوله (٥٦) :

اقول والشمل في ذيل النوى عثرا ... يوم الوداع ودمع العين قد كَثُرا
« أبا الفضائل » قد زودتني أســفاً ... أضعاف مازدت قدري في الورى أثرا
قد كنت تودع سمعي الدرّ منتظماً ... فخذه من جفن عيني الآن منتشرا

شيوخه وتلاميذه :

مامن شك انّ والد الصغاني كان رجلاً فاضلاً ، وقد اخذ عنه ولده على ما ذكر اللكنوي (٥٧) . والصغاني يذكر في بيت له بعض خـــلال هذا الاب الكريم فيقول :

وقد كان ينهاني أبي - حُفَّ بالرضا
وبالعفو - أن أولى يداً من يَدَيْ دني (٥٨)

وفي المصادر انه سمع في الهند من القاضي سعد الدين خلف بن محمدالحسنا بادي والنظام محمد بن الحسن المرغيناني (٥٩) . وانه سمـــع ببغداد من سعيد بن

محمد بن الرزاز[٦٠] . وسمع بمكة من الحافظ ابي الفتوح نصر بن أبي الفرج ابن علي بن محمد الحصري البغدادي[٦١]. وانه اتصل في اليمن بالامام المشهور بالبطال الركبيّ واسمه محمد بن احمد بن محمد بن سليمان بن بطال ، فأخذ كل منهما عن الآخر [٦٢] .

أما تلاميذه فكثار ، ذلك انه كان جوّابا للبلدان فكثر الاخذ عنه[٦٣] فقد أجاز لأبي الفضل سليمان بن حمزة وهو شيخ محمد بن رافع السلامي [٦٤] . وممن أخذ عنه ببغداد الامام الحافظ شرف الدين الدمياطي [٦٥] .

وممن أخذ عنه في اليمن ابو الربيع سليمان بن الفقيه بطال ، وكان فقيهاً ديّنا أريباً عارفا غلب عليه علم الحديث والادب وغالبُ اخذه عن ابيه وعن الامام الصغّاني مقدم الذكر . وكان حسنَ الخط جميلَ الصورة جداً . يُروى ان الصغّاني لما دخل عدن كتب اليه يستحثّه على الوصول اليه ، وقد كانت بينهما ألفة ايامَ وقوفه عند الفقيه بطّال بسبب القراءة ، فكان يُعجبه ما يرى فيه من النجابة والشهامة . فقال له : صلني معجّلاً ولا يصحبْك غير زاد الطريق فعندي عشرة احمال من الورِق والورَق . فلمّا وقف على كتابه بادر ونزل ، فلما دخل عدن وأقام عند الفقيه الصغاني ، كان الناس يصلون المسجد يتعجبون من حسنه زُمراً زمراً ليس غرضهم إلا التعجب من حسنه وجماله . وكان النساء يصلن ليلاً يظهرن انّ غرضهن زيارة الامام الصغاني . فلما كثُر ذلك منهم واشتهر ، أمرَ والي عدن يومئذ بحبسه خشية الفتنة . فلما صار في الحبس كان يكتب حروف أبجد مقطّعةً ويأمر بكل ورقة تباع فيشتري اولاد التجار كلّ رقعة بخمسة دنانير يتحرزون عليها ، فكان يستعين بذلك على أمره . فلما عزم الصغاني على الخروج من عدن أخرجه الوالي فخرجا معاً . وتوفي بعد الثلاثين وستّمائة [٦٦] .

وممن اخذ عنه الشيخ منصور بن حسن بن منصور بن ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن علي بن محمد الفُرْسي ، وكان المذكور أحد اعيان الكتاب في الدولة المظفرية وصدر الدولة المؤيدية ، ولم يكن منهم له نظير في معرفة كتب الادب ولا في كثرة المحفوظات نظما ونثرا . يقال ان محفوظه من الشعر يزيد على عشرة

آلاف بيت . وكان غالب اوقاته ناظراً إمّا بعدن وإمّا بجبلة ، وكان مشهوراً بالأمانة وعدم ظلم الراعية. اخذ عن الامام الصاغاني مقامات الحريري وغيرها(٦٧).

وممن اخذ عن الصاغاني الفقيه احمد بن علي السرددي (٦٨) وقد اخذ عنه في تعز . ومحمد بن أبي بكر بن محمد التيمي الفارسي (٦٩) المتوفى سنة ٦٧٦هـ وقد اخذ عن الصغاني اللغة في عدن ، وكان مجوّداً في عديد من العلوم وترك مصنفات عدة في الموسيقى والالحان والبيطرة والسموم وسواها .

وابو الحسن علي بن احمد بن الحسن الحرازي (٧٠) . وقد ولد بزبيد وبها تفقه ، ثم صار الى عدن واخذ عن الصاغاني وغيره ، وكان فقيها عارفا صالحاً فاضلاً . وتوفي بعدن سنة ٦٥٨ هـ .

وممن اخذ عن الصاغاني القاضي ابراهيم بن محمد القريظي (٧١) وكان قد اخذ عن الصاغاني في عدن الخطب النباتية .

وممن اخذ عنه ببغداد عز الدين ابن الوزير الشهير بابن العلقمي (٧٢) وابن الفوطي (٧٣) وابن البديع التكريتي (ت ٦٥٦ هـ) ومحمود بن عمر الهروي وابن الصباغ ومحمود بن اسعدالبلخي (٧٣ ب) .

مكانته العلمية وأخلاقه

كان الصاغاني ذا خلق رفيع ، وقد احتل مكانة علمية عالية في عصره . حتى وصفه مصنف كتاب « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة »(٧٤) بانه « شيخ وقته ومقدم أهل زمانه في علم اللغة وفن الادب مع معرفة بعلم الحديث والتفسير والفقه على مذهب ابي حنيفة » . ووصفه السيوطي بانه « حامل لواء اللغة في زمنه » (٧٥) .

وقال عنه الذهبي : « وكان اليه المنتهى في اللغة » (٧٦) .

وقال عنه ابن الفوطي : » كان من افراد العلماء واولياء الله الصالحين ، سار ذكره مسير الشمس في الآفاق ، ودوّخ ما وراء النهر وخراسان واليمن والهند والحجاز والعراق ... » (٧٧)

ووصفه الحافظ الدمياطي بانه : « كان شيخاً صالحا صدوقا صموتا عن فضول
لام ، إماماً في اللغة والفقه والحديث». [78]

وقال عنه السلامي : « كان عالماً باللغة له فيها تصانيف مبسوطة ومختصرة ...
ان صالحا صدوقا إماماً فاضلا وله معرفة تامة بالعربية والادب وله أشعار
سنة » [79] .

ووصفه ابن قطلوبغا بانه « الإمام في كل فن » [80] .

وقال ابو مخرمة عنه انه « كان إماماً كبيراً عالماً عاملا بارعا فاضلا متفننا كاملا
رفاً بالنحو واللغة والتفسير والحديث والفقه على مذهب الإمام ابي حنيفة »[81].

ووصفه الاشرف الغساني بانه : « العلامة ذو الفنون .... شيخ وقته ومقدم
ل زمانه في علم اللغة وفن الادب مع معرفة الحديث واسماء الرجال والتفسير
فقه على مذهب ابي حنيفة والزهد والعبادة » [82] .

وقال عنه اليافعي : « كان اليه المنتهى في معرفة اللغة . له مصنفات كبار
ذلك . وله تبصرة في الفقه والحديث مع الدين والامانة » [83] .

ووصفه الفيروز آبادي بانه « كان إماماً في اللغة والحديث والفقه » [84]
ل عنه ابن تغري بردي : « وكان اليه المنتهى في علم العربية واللغة » [85] .

ووصفه ابن العماد الحنبلي بانه : « كان اليه المنتهى في معرفة اللغة . له
صنفات كبار في ذلك . وله بصر في الفقه مع الدين والامانة » [86] .

ذاك بعض ما قاله عنه مترجموه مما يشف عن مكانته العلمية الرفيعة ، حتى
حّ قول القائل فيه :

ومات حميداً حين لم يبق مشرق
ولا مغربٌ إلا له فيه واصفُ [87]

عره :

لم تحفظ المصادر المطبوعة من شعر الصاغاني غير اليسير من الابيات ،
م ان له اشعاراً كثيرة على ما ذكر ابن الفوطي ، باستثناء تاريخ ثغر

عدن الذي انفرد بقصيدة نونية طويلة له . غير اننا وقفنا في مخطوطة « التعليقة لابن جماعة على مختارات شعرية له ، بعضها لا وجود له في ايّ مصدر .

ورغم ان شعر الصاغاني شعر علماء يُعنى بالغرض الذي نظم من اج من لغة او نحو أو غير ذلك . فانّ بعض نفثاته تنبض بالصدق والاصالة . وتن نظرنا ظاهرة المحسّنات البديعيـة في شعره ، وهي ظاهرة مألوفة لانها من مميزا الشعر في عصره .

ويُلقي شعر الصاغاني اضواء على جوانب مجهولة في حياته . فقصيدته الن في شكوى الدهر رغم ما فيها من صنعة لفظية تكشف لنا ان الرجل فارق بغـ الى الهند كرها لا طوعاً . وانه ترك ببغداد ولدين له كان يحنّ اليهما كثي وتكشف ايضا عن محن وشدائد عانى منها الصاغاني بعد نعمة وعيش رغيد

وتكشف قطعة الاخرى عن روح زاهد عابد قانت قانع متوجّه الى الله سرّه وفي علنه منصرف عن الدنيا وغرورها .

وثمة قطع نظم بها بعض العلوم البحتة شعراً فهي من المنظومات العلمية يلي ما وقفنا عليه من شعره مخرجا تخريجا علميا .

[١]

... قال : وانشدنا الشيخ رضي الدين الصغّاني لنفسه :

جرت نفسي مع الاهواء دهراً ولا تجري الى الطاعات جريه
فلما جئت « عبادان » أرسَـتْ وليس وراء عبـادان قريه

التخريج : تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب — كتاب اللام والمي ص ٣٢٧ .

[٢]

كمال الدين محمد بن احمد بن الحسن الواسطي المحدث ، كان من المح الثقات . رأيت بخطه اجازة شيخنا رضى الدين الصغاني ما كتبه نظما في سنة سبع عشرة وستمائة :

أجزتُ لهم رواية كلّ فـنٍّ سماعاً كان ذا أو مستجازا

وما نوولته ايضاً اذا ما	تحرّوا في روايته احترازا
وما قد قلته نظماً ونثراً	فقد اضحى الجميع لهم مُجازا

التخريج: تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب – كتاب اللام والميم – ص ٢٤٥.

[٣]

وانشدنا الحافظ شرف الدين الدمياطي اذنا قال انشدنا الشيخ رضي الدين ابو الفضائل الحسن بن محمد الصغاني لنفسه في شكوى الدهر :

أنْساني الدهرُ أعْطاني واوطاني	وحطّني ووهادَ الخَسْفِ أوْطاني
وكنتُ افنيتُ عمري في رفاهية	فعضّني ولذيذَ العيشِ انساني
وكان قَدّمني قدراً وأكرمني	فالآن أخرّني غَدْراً وأنْساني
وكم غنيتُ بمغنى العزّ ذا شرَفٍ	أجُرُّ في المجد أذ يالي وأرداني
لا استكينُ لسلطان ولا ملكٍ	فَغِظْتُهُ فرَداني ثم أرداني
أحَلّ أهلي خراباً بائراً مَعِراً	كأنني لم أُقِمْ يوماً بعُمران
وصَكّ بالجدب أبياتي وصاغيتي	من بعدما مَرّلي في الخصب عُمْرانِ
وردّني خائباً صِفْرَ اليدين لَقىً	من بعد ما كان بالترحيب حيّاني
وكان احياءُ هذا الصقع لي تَبَعاً	فهل يدينُ من الاحياء حَيّانِ
ومسّني بأليم الضُرّ مُعْتَسِفاً	لما طوى ليَ اعواني وأعياني
وكنتُ أعْيي زماني عِزّة وسناً	فالآن جَوْرُ زمان السوء أعياني
وكان لو خضعت نفسي لتُرضِيَهُ	القى القياد فأعلاني وأسماني
فالآن لمّا رأى فقري ومسكنتي	أعلّني وغليلَ السّوْءِ اسماني
وحين كنت حديث السِنّ ذاأُشُرٍ	سَنّى عَطاي واغناني واسناني
ثم ازدراني اخيراً والتحى غُصُني	من بعد ما نَغَضَتْ للشهب أسناني
وكان دوحة عيشي غَضّةً زمنا	نضيرةً ذات اغصانٍ وافنانِ
حتى اذا ما حنا الدهر المُليمُ قنا	قَدّي ومدّ أديم العمر افناني
وكنتُ مهما ارتجلتُ الشعر مقتضباً	يُزْري على ابن ابي سلمى وحسان
فالآن اني لأعْيا الناس قاطبةً	مذ ضامني ومَجيعَ الضَيْمِ حَسّاني

(٥٥ آ) وكان قَصْرِيَ مَـــنْ وافاه قـــال لـــه :

يا باني القصر نعـــم القصر والبـــاني

فهدّه الدهرُ هدّاً لا نظام له ضَرْبَ المُعَوِّلِ غُصنَ الطلح والبان
وكنت أمسي وأبوابي مُفتّحةٌ وكنتُ أصبِحُ ذا صَفْحٍ وغُفران
فمُذ نبا المَرْبعُ المأهولُ آنسني في رأس شاهقه خَلْقاء غُفْرانِ
ولي ببغداد دارِ العزّ دام بهـا ظلٌّ الامام الرِضَى المستَنْصر ابنان
وها أنا الآن كرهـاً لا طواعيةً بالهند والهند ذو عَدْنٍ وإبْنان
وكنتُ أَسْيَرَ في الآفاق من مَثَلٍ فَعَرْقَب [الدهر] أفْراسِي وأرْساني
وكان لي وُصَدٌ عند الملوك معـاً حيناً فَقَضَّبَ أمْراسي وأرساني
وكان مَسْرَحَ عيسي ذو طُوى فغدا مَراحُهن ًحمي أرياف مَكْرانِ
ومذ دهاني مكْرٌ منه في صِغَري وبعد شيبي فحظّي منه مَكْرانِ
وصار بيني وبين الانس في سفري من بعد إلْبابِه بالباب رَدْمان
فلا أرى من بكيلٍ أو بني جُشَمٍ حولي غريباً ولا من آل رَدْمانِ
وكان لي برّجا أرْجانَ أرْجيَةٌ فخُيِّبَتْ ونباتي روضَ أرْجانِ
فصرتُ مهما أردتُ السيرَ معتزماً سيرَ المُجدّ الى أرْجان أرْجاني
إن كان غيرىَ في خَفْضٍ وفي دَعَةٍ يَخْلُو بِدُفٍّ ومِزْمارٍ وعيدانِ
فلي من الدهر في يومي وليلتـه مع التَهَدُّد في غيظ وَعيدان
وكنتُ من قبلُ لو هَمّت بدائرةٍ صروفُ دهري على حُرٍّ انا الثاني
فصار سهمي في شيبي وفي كِبَرِي وفي ارْتعاشي بعـد الاوّل الثاني
وكان لو صَفِرَتْ كفّاي من نَشَبٍ واحتجتُ افقرني دهري وأعراني
فالآن إذْ شَكِرَتْ أخْلافُ مَيْسرتي وأرْتَشْتُ افقرني دهري وأعراني
أمَرَّ عَيْشي بما قاسيتُ في سفري من بعد ماكان حَلاّهُ وحَلاّني

(٥٥ ب) مُعَصِّلاً جِسْمِيَ الموهونَ مُنْتَقِياً

مـن بعد مـا كان حَلاّهُ وحَلاّني

وعاد قوتيَ كَفّا من نَوَى حَشَفٍ وكان من صَدْرِ دُرّاجٍ وحُلاّنِ

يا قُرَّتي عَيْنَيَ النَّدْبين إنْ تَجِدا   يداً الى فكٍّ مأسورٍ فحُلاّني
فلستُ اُبْصِرُ في نُبهْي وفي سِنَتي   حِمى سَرُوحَ ولا ابراجَ حَرّانِ
لكن يَدُقُّ قَنَاهُ في مُداعَسَتي
دهري دِعاسَ شَديدِ الطَّعْنِ حَرّانِ
من بعد ما رَبَّني طَوْلا واكرمني   قولا واجزلَ لي نَوْلاً وَفَتّاني
حتى اذا صِرتُ اخشى الذئبَ من كِبري
ألاذَني بصفيق الوجه فتّان
وناحَنى مِنَحاً غَصَّ البحارُ بها   مَيْحَ الجواد بلا عَدٍّ وحُسْبان
حتى اذا وخَطَ الشيبُ القذالَ رمى   جوانحي بنشاشيبٍ وحُسْبانِ
وكنتُ لو عِظْتُه لانت جوانبهُ   وحفّني خِيفَةً مني وأرْضاني
فصِرْتُ أورَضُ بالآصال مُخْتَزَناً   وبالغُدُوِّ فكِفْلي منه أرضانِ
وكنتُ من قبلُ من اودعتُه ذهباً   كأنما حاطه للحفظ بُرْجانِ
فالآن كلَّ من استودعتُه أهَباً   ألَصَّ من سارقِ العُربان بُرْجان
وكنتُ احسِبُ دهري غافلاً وَسِناً   غُمْراً فَفَلّ شباتي فَلَّ نَبْهان
لما رأى انتاط عني نَصْرُ زافِرتي   من آل حاتمٍ الطائي نبهان
فقلت يا دهرُ سالمني مُسالَمةً   فانني عُمَرِيٌّ ثم صاغاني
فانصاع ينقاد إذعاناً وسالمني   ومدَّ ضَبْعي وناغاني وصَاغاني
فصار شَكْوِيَ شُكْراً والجوى فَرَحاً
والعَتْبُ عُتْبى ونادانى وناجاني
وذاك للصفح مني عن جنايته   عليَّ فالصفح يُجْدي إنْ وَنَى جانِ

تمّت القصيدة في شكوى الدهر ومن خط الحافظ شرف الدين نقلتها ورأيت بخطه انه سمعها من لفظ ناظمها الصغّاني في أواخر محرم سنة خمسين وستمائة بالحريم الطاهري غربي بغداد والحمد لله . (٥٦ آ)

التخريج : القصيدة في مخطوطة التعليقة لإبن جماعة الورقتان ٥٥–٥٦ وهي أيضاً « في ثغر عدن » ٢ / ٥٥ – ٥٨ وقد لحقها فيه تصحيف وتحريف .

[٤]

وانشدنا الحافظ شرف الدين الدمياطي قال : انشدنا العلامة رضي الدين الصغاني لنفسه بقراءتي عليه :

١ ـ يا راحم الطفلِ الرضيع المُزعَج
يا فاتح الباب المنيع المُرْتَجِ (١)

٢ ـ إن كان غيري مُبْلساً مستيئساً
فأنا الفقير المستكين المرتجى (٢)

٣ ـ أو كان غيري آمناً في سِرْبِهِ
فأنا المليح المستجير المرتج (٣)

٤ ـ انتاطتْ الراحة عنّي وانتأتْ
يا منْ يُقَرِّبُ كلَّ ناءٍ مُرْتجى (٤)

٥ ـ أنتَ الذي منه شِفا الاسقام لا
قَصَبُ الذريرة أو دواء المرتج (٥)

١ ـ المرتج : أي المغلق ٢ ـ المرتجى : طالب الرجاء ٣ ـ ارتجى : خاف
٤ ـ مُرْ : فعل أمرٍ أي مُرْها تجيء ٥ ـ نوع من الدواء .

تخريج الأبيات : الأبيات في مخطوطة الورقة ٥٦ . وهي أيضاً في بغية الوعاة ٥٢١/٥٢٠/١ ورواية الرابع في البغية : انتاطت الراحات . ورواية الخامس : فيه شفاء السقم لا .

[٥]

وانشدنا الدمياطي اذناً قال : انشدنا الصغّاني لنفسه بقراءتي عليه في الحادي والعشرين من رجب سنة خمسين [وستمائة] يوم الجمعة بجامع الحريم :

إذا ما أتى رمضان فَبَتِّـك حبالَ التواني بموسى رميضَه
وأعرِضْ عن اللغو في صومه وقَصِّر طوالَ الاماني العريضه
وأومِضْ الى الخير فيه وشِمْ مُجدّاً لبرق المعالي وميضه
وشُدَّ على غُرْضَةِ الاعتماد فقد أيْأسَ العمر روضاً غريضه

وصاحبْ أريضاً حصيفاً رضىً ... ودَمِّثْ لجنبك أرضاً أَريضَه
وأَيقِنْ بانـك في فُرْصَةِ الـ ... ممات ، فبادر فوات الفريضه
وأقْرِض لفقرك قبـل الرحيـل ... فقد انشد الموتُ فيك قريضه
ولكن جهلـتُ أعاريضَـهُ ... واحببتَ حُبّاً شـديداً عُروضَه
ومـا إن تَحُضُّ على طاعةٍ ... وتنزل من كل خيرٍ حضيضه
وانقض ظهرك عبُّ المعاصـي ... وقد اسمع الصُمَّ منه نقيضَه
واعجبك النخلُ عند الإِناض ... وعِفْتَ من النّحْضِ كبراً أنيضَه

التخريج : الابيات في مخطوطة التعليقة الورقة ٥٦ .

[٦]

وانشدنا الدمياطي اجازة ، قال انشدنا الصغاني لنفسه بقراءتي عليه في التاريخ المذكور في المقترنات الثلاث :

الاولى :

مالٌ وجَذْرٌ يعدلان عـــددا ... له طريقٌ فاحـفظن مجتهدا
نَصِّفْ فربِّــع عـددَ الجذور ... واضمم اليـه جملـة المذكور
ثم خُذِ الجذرَ من الجمع وحطْ ... نصف الجذور فاحفظنّهُ وخُطْ

الثانيـة :

وإن يكن يعدلُ مالٌ وعَدَد ... جذراً فنصِّف ثم رَبِّع ما وَرَدْ
ثمّ اطرحَنْ ذا العَدَدَ المُعَيّنا ... وخُذْ لباقي المال جذراً بَيِّنا
وانقُصْه من نصف الجذور أو زِدِ ... عليه يخرج ما سُئِلْتَ فاجْهَدِ

الثالثـة :

وإن يكن يعدل جَذْرٌ وعَدَدْ ... مالاً فنصِّفْ ثم رَبِّع للرَّشَدْ
وزد على ذا العدد المربّعـــا ... فجذره ونصف أجذارٍ معـا
جوابُ هــذا السائل المتَحِنِ ... صديقَه ، ونظمُهُ « للحَسَنِ »

التخريج : الابيات في مخطوطة التعليقة الورقتان ٥٦ ــ ٥٧ .

[٧]

وانشدنا الدمياطي اذنا قال : انشدنا الصغّاني لنفسه من أبيات ختم بها « مناسك الحج » :

١ – شوقي الى الكعبة الغـــراء قـــد زادا
فاستحمل القُلّصَ الوخّادةَ الـــزادا

٢ – أراقك الحنظـــل العامـــي منتجعـــاً
وغيرك انتجـــع السعـــدان والـــرادا

٣ – اتعبت سرحك حتى آضَ عن كثب
نياقها رُزّحـــاً والصعب منقـــادا

٤ – فاقطع علائق ما ترجوه من سَـــبَبٍ
واستـــودع الله امـــوالاً و أولادا

التخريج : البيتان الاول والرابع فقط في مخطوطة التعليقة الورقة ٥٧ . والابيات الاربعة في تاج التراجم ٢٤ وارشاد الاريب ٢١٨/٣ والوافي ٢٨/١١ .

[٨]

انشد الصغاني لنفسه ببغداد :

تسربلتُ سربالَ القناعـة والرضـى صبيّاً فكانا في الكهولة ديدني
وقد كان ينهاني أبي ـ حُفَّ بالرضى وبالعفو ـ أنْ أُولى يدآمن يَدَيْ دني

التخريج : البيتان في مخطوطة التعليقة الورقة ٢٥ ، وهما برواية مماثلة لرواية التعليقة في منتخب المختار ص ٤٩ وفي الجواهر المضية ٢٠٢/١ . والبيتان في تاريخ ثغر عدن ٥٤/٢ وروايتهما :

تعلمت اسباب القناعة يافعـــا وكهلاً فكانا في حياتي ديدني
وقد كان اوصاني ابي حُفَّ بالرضى بأن لااوافي مطمعاً من يدي دني

[٩]

وانشد الصاغاني ايضا لنفسه :

يا صاحبيَّ أعينا مغرماً نزعـــا الى البكاء وإن لاتفعلا فَدَعـــا

ومن تكن ذاته الالحاح مختضعـا   وَلّجّ مستفتحاً مستمنحاً فَدَعا
يُجَبْ الى كُلٍّ ما يرجو ويأمله   وإن تكن تَرَعا شكواه أو فدعا

التخريج : الابيا ت في مخطوطة التعليقة الورقة ٢٥ .

[١٠]

وانشد الصغاني ايضا لنفسه :

حتّام تغفل عمراً ضاع أكثره   لغواً ولهواً وإطراباً وتأنيبـا
وتجمع المالَ من حلّ ومن شُبَه   كدّاً وكدحاً وإدلاجاً وتأويبـا
تظلّ تعسف عن نهج التقى عُرُضاً   مستبدلاً من نسور الشيب غربيبا
كأن شيبك مُغْرٍ بالمنى خُدَعاً   وزاد غيرك اصلاحاً وتهذيبـا
فتُبْ الى الله في سرٍّ وفي علَنٍ   شبراً فشبراً وانبوبا فانبوبـا

التخريج : الابيات في مخطوطة التعليقة الورقة ٢٥ .

[١١]

وانشد الصغاني لنفسه :

اذا استعبدتك المطامـع حرصا   فلا تحترق أن ترى تحت رقْ
فانّ اللُّهـا تسترقّ المهـا   فتسمع طوعـاً بما يسترق

التخريج : البيتان في مخطوطة التعليقة الورقة ٢٥

[١٢]

وانشد الصغاني لنفسه ببغداد :

يومٌ بمكة خيرٌ من مضيّ سنه   بغيرها تنقضي باللهو أو بِسِنَهْ
فلا القلوبُ الى الاهـواء مائلـةٌ   ولا النفوس بكسب الاثـم مرتهنه
ولا الفقير مع الاملاق ذو جـزع   ولا الغنيُّ بحامي الناس ما احتجنه
ولا يمرّ على من لا طباخَ لـه   أقلّ من لحظة لا يقتنـي حسنه

التخريج : الابيات في مخطوطة التعليقة الورقة ٢٥ .

★ ★ ★

آثـاره :

كان الصغّاني متعدد الجوانب ، فهو إمام في اللغة وإمام في الحديث والفقه ، وشاعر ايضا ، وقد صنّف الكثير ، ووصلنا عدد غير قليل من تصانيفه ، طبع بعضها وما يزال كثير منها مخطوطا .

فمن آثاره المطبوعة :

١ ــ « الاضداد » : في اللغة ، وقد نشره المستشرق اوغست هوفنر في بيروت سنة ١٩١٢ ذيلاً لمصنف ضمّ ثلاثة كتب في الاضداد لابن السكيت والاصمعي والسجستاني .

٢ ــ « الانفعال » ، في اللغــة ، حققه احمد خان ونشره في اسلام آباد في باكستان عام ١٩٧٧ .

٣ ــ « يفعول » في اللغة ، وقد نشره حسن حسني عبدالوهاب في تونس ســنة ١٩٣٥ ، واعاد نشره الدكتور ابراهيم السامرائي في العدد الخامس من مجلة كلية الآداب بجامعة البصرة عام ١٩٧١ ، والحق به مستدركات قيمة ، وقد اعتمد في نشرته النسخة التونسية وحدهــا ، وكان يستحسن لو رجع الى مخطوطــة داماد زاده في الاستانة المرقمة ١٧٨٩ (B) ومخطوطــة السليمانية (شهيد علي باشا) المرقمة ٢٩١٧ .

٤ ــ « كتاب في أسامي الذئب وكناه » طبع في مصر سنة ١٣٢٠ هـ بمطبعة احمد كامل . وطبع في الاستانة سنة ١٣٣٠ هـ مع مقامات الحنفي وابن ناقيــا وغيرهما . ونشره المستشرق ريشر في الاستانة سنة ١٩١٤ . كما طبع في بتروغراد بروسيا .

٥ ــ « فَعال » في اللغة ، وقد نشر في دمشق سنة ١٩٦٤ بتحقيق الدكتور عزة حسن تحت عنوان « ما بنته العرب على فعال » مصدراً بمقدمة قيمة .

٦ ــ « دَرّ السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة» نشره في بغداد سنة١٩٦٩ الدكتور سامي مكي العاني في العدد الخامس من مجلة كلية الشريعة. وقال بروكلمان

ان هذا الكتاب هو الاساس الذي اعتمد عليه الجيّاني في كتـــابه « التواريخ » (باريس اول ١٦١٩) .

٧ ــ « الدر الملتقط في تبيين الغلط » وسماه ابو مخرمة « الدر الملتقط في شين الغلط . وقد حققه ونشره في بغداد الدكتور سامي مكي العاني سنة ١٩٧٢ في العدد الاول من مجلة كلية الامام الاعظم . والكتاب في جوهره بيان للاحاديث الموضوعة في كتاب « الشهاب » للقضاعي وكتاب « النجم » للاقليشي . وللحافظ العراقي رسالة مخطوطة في الرد على كتاب الصاغاني هذا، منها نسخة في التيمورية .

٨ ــ « التكملة والذيل والصلة » وهو من المعجمات القيمة . شرع بنشره مجمع اللغة العربية في القاهرة . وقد صدرت منه اربعة اجزاء . الجزء الاول بتحقيق عبد العليم الطحاوي سنة ١٩٧٠ ، والثاني بتحقيق ابراهيم الابياري سنة ١٩٧١ ، والثالث بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ١٩٧٣ ، والرابع بتحقيق عبدالعليم الطحاوي سنة ١٩٧٤ .

٩ ــ « الاحاديث الموضوعة » : سماه ابو مخرمة « نفي اللغط في الأحاديث الموضوعة » . طبع في الهند بالمطبعة البارونية . وطبع بالقاهرة سنة ١٣٠٥ هـ خلف اللؤلؤ المرصوص للقاوقجي .

١٠ـ « مشارق الانوار النبوية من صحاح الاخبار المصطفوية » : في الحديث ، الفه للمستنصر العباسي . وطبع غير مرة . وسماه صاحب الفوات ١ـ٣٦٠ « مشارق الانوار في الجمع بين الصحيحين » . والكتاب في جوهره مجموعة احاديث مـــن البخاري ومسلم ، مع ما صحّ من احاديث كتابي « الشهاب » و« النجم » وقـــد رتب الاحاديث على حسب العوامل النحوية المائة .

وقد طبع مع ترجمة الى لغة الاردو بعنوان « تحفة الاخيار » في لكنو ســـنة ١٣١٩ هـ . ومـــع ترجمة هنـدوستانية وملاحظات لمولوى خـُرّم علي في كونبور ١٢٨٢ هـ ، ولكنو ١٢٨٦ هـ . ١٣٠١ هـ ، وبومباي ١٢٩٢ هـ .

وللكتاب شروح عدة ذكرها بروكلمان وبين مواضع مخطوطاتها . وقد طبع واحد من هذه الشروح وعنوانه « مبارق الازهار في شرح مشارق الانوار » فـــي

الاستانة في السنوات ١٣١١ ، ١٣١٥ ، ١٣٢٨ هـ ، وهو من تصنيف عبداللطيف ابن عبدالعزيز الكرماني بن ملكشاه بن فرشته .

وذكر بروكلمان عدة مصنفات طبع بعضها ، هي في واقعها اعادة لترتيب « مشارق الانوار » كما ذكر عدة مختصرات لمشارق الانوار طبع بعضها .

١١- « مختصر شرح القلادة السمطية في توشيح الدريديه » : وهو تخميس لمقصورة ابن دريد مع شرحه . وقد نشرته وزميلي الدكتور سامي مكي العاني في بغداد سنة ١٩٧٨ بمطبعة العاني . وساعدت الجامعة المستنصرية على طبعة . ولم يذكره بروكلمان .

١٢- « تعزيز بيتي الحريري » : وهو كتابنا هذا ، وقد تحدثنا عنه ، وسنصف مخطوطاته فيما بعد .

أما مصنفات الصاغاني المخطوطة التي وصلتنا ولم تطبع بعد فهي :

١ - « العباب الزاخر واللباب الفاخر » وهو معجم ضخم لم يتم ، اتمّ تحقيقه منذ سنوات الدكتور الباكستاني بير محمد حسن ، ويطبعه المجمع العلمي العراقي (انظر العدد ١٠٥ من نشرة اخبار التراث العربي ص ٤) . ونشر جزءا منه محمد حسن آل ياسين ببغداد سنة ١٩٧٧.

٢ - مجمع البحرين : معجم جمع فيه بين صحاح الجوهري وبين كتابه « التكملة والذيل والصلة » ثم اردفهما بحاشية التكملة . ومنه نسخ خطية في باريس وجامعة بطرسبورج وكبريلي وتونس .

٣ - « نقعة الصديان فيما جاء على وزن فعلان » : منه مخطوطة في داماد زادة بالاستانة واخرى في دار الكتب المصرية وثالثة في السليمانية بالاستانة .

٤ - الشوارد : في اللغة ، ومنه مخطوطة في مكتبة داماد زاده بالاستانة برقم ٢٨١٩ واخرى في شهيد علي برقم ٢٩١٧ وثالثة في القاهرة باسم (ما تفرد به بعض ائمة اللغة) حديثة النسخ منها مصورة في مكتبة اوقاف بغداد. وقد تحرف في بعض المصادر الى « النوادر » .

٥ – «الغادة في أسماء العادة» في اللغة ، منه نسخة في داماد زادة برقم١٧٨٩(E) واخرى في التيمورية بدار الكتب المصرية . وقد حرف في تاج التراجم ومفتاح السعادة الى (أسماء السعادة) ومنه نسخة نفيسة في مكتبتي.

٦ – « اسماء الاسد » : ومنه نسخة في التيمورية بدار الكتب المصرية . ولم يذكره بروكلمان .

٧ – « خلق الانسان » : وهو في اللغة : ومنه نسخة في مكتبة داماد زاده برقم ١٧٨٩ (K) .

٨ – مختصر في العروض : منه نسخة في برلين برقم ٧١٢٧ واخرى في داماد زاده ابراهيم برقم ١٧٨٩ (G) .

٩ – « مصباح الدجى في حديث المصطفى » منه نسخة في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ، وهو في الحديث . ولم يذكره بروكلمان .

١٠– الشمس المنيرة : في الحديث ، ومنه نسخة في مشهد برقم ٤٧/٤ ، ١٠٩

١١– أسامي شيوخ البخاري : منه نسخة في قره جلبي زادة برقم ٦٨ (Weis Weiler رقم ٩١) .

١٢– اسماء الخمر : منه مخطوطة ضمن مجموع في شهيد علي باشا برقم ٢٩١٧ .

١٣– اسماء الحية : منه مخطوطة ضمن المجموع السابق .

١٤– اسماء الرياح : منه مخطوطة ضمن المجموع السابق .

١٥– « رسالة في الحديث الموضوع في فضائل القراءة سورة سورة المروية عن أبي أمامة » ومخطوطة في الاسكندرية ، فنون ٩٥ :١١ .

١٦– رسالة في الاحاديث الواردة في صدر التفاسير في فضائل القرآن وغيرها : ومخطوطته في قولة ١١٨/١ .

ومن كتبه المفقودة فيما نعلم :

١ – شرح ابيات المفصّل في النحو للزمخشري : وهو مفقود ، ذكره السلامي ص ٤٩ والسيوطي في بغية الوعاة ٥٢٠/١ وصاحب الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ٦٣ والصفدي في الوافي ٢٨/١١ وابو مخرمة في تاريخ ثغر عدن ٥٤/٢ وكشف

الظنون ١٧٧٦/٢ ومفتاح السعادة ١١٤/١ وهدية العارفين ٢٨١/١ وابن قطلوبغا في تاج التراجم ٢٤ .

٢ – « كتاب الافتعال » ذكره الصفدي في الوافي ٢٨/١١ واللكنوي في الفوائد البهية ٦٣ وفي كشف الظنون ١٣٩٤/٢ . واحسبه تحريف كتاب (الانفعال) .

٣ – كتاب « الافعال » : ذكره عبدالقادر بن ابي الوفاء القرشي في الجواهر المضية ٢٠٢/١ وفي هدية العارفين ٢٨١/١ . واحسبه تحريف كتاب (الانفعال).

٤ – كتاب « المفعول » : ذكر في الجواهر المضية ٢٠٢/١ وكشف الظنون ١٤٦١/٢ وهدية العارفين ٢٨١/١، واحسبه تحريف كتاب « يفعول ». ودليلي ان صاحب الجواهر المضية لم يذكر كتابي الصاغاني : الانفعال ويفعول وهما معروفان مشهوران وذكر مكانهما : « الافعال » و « المفعول » . امّا كشف الظنون وهدية العارفين فهي مصادر متأخرة كثيرة التحريف والتصحيف .

٥ – كتاب « التراكيب » بهذا الاسم ذكره السلامي في منتخب المختار ص٤٨ وابن قطلوبغا في تاج التراجم ٢٤ وطاش كبرى زاده ١١٣/١ والصفدي في الوافي ٢٨/١١ والسيوطي في البغية ٥٢٠/١ والقرشي في الجواهر المضية ٢٠٢/١ واللكنوي في الفوائد البهية ٦٣/١ . وسماه ابو مخرمة في تاريخ ثغر عدن ٥٤/٢ « تراكيب مجمع البحرين » وهو خطأ بيِّن ، صوابه « والتراكيب ومجمع البحرين » فهما كتابان لا كتاب واحد .

٦ – كتاب في التصريف : ذكره ياقوت في ارشاد الاريب ٢١٨/٣ والصفدي في الوافي بالوفيات ٢٨/١١ وابن قطلوبغا في تاج التراجم ٢٤ وطاش كبرى في المفتاح ١١٤/١ .

٧ – كتاب « مناسك الحج » ذكره ياقوت في ارشاد الاريب ٢١٨/٣ ، وقد اوردنا الابيات التي ختمه بها فيما تقدم من شعره . كما ذكره الصفدي في الوافي ٢٨/١١ . وذكر في تاج التراجم ٢٤ ومفتاح السعادة ١١٤/١ .

٨ – تكملة العزيزي : في الادب . ذكره ياقوت في ارشاد الاريب٢١٨/٣ والصفدي في الوافي ٢٨/١١ وابن قطلوبغا ٢٤ . وسماه السلامي ص ٤٩ « ذيل العزيزي » .

٩ ـ « شرح البخاري » في مجلد : ورد ذكره في الوافي ٢٨/١١ والجواهر المضية ٢٠٢/١ وبغية الوعاة ٥٢٠/١ والفوائد البهية ٦٣ ومفتاح السعادة ١١٤/١ وثغر عدن ٢ـ٥٤ وهدية العارفين ٢٨١/١ ومنتخب المختار ٤٩ وتاج التراجم ٢٤ .

١٠ـ الفرائض : ذُكر في الوافي ٢٨/١١ والجواهر المضية ٢٠٢/١ وتاريخ ثغر عدن ٥٤/٢ وهدية العارفين ٢٨١/١ ومنتخب المختار ٤٩ وتاج التراجم ٢٤ .

١١ـ « كتاب في علم الحديث » : ذُكر في الوافي ٢٨/١١ وتاج التراجم٢٤ .

١٢ـ « الضعفاء » في رواة الحديث : ذُكر في الوافي ٢٨/١١ والجواهر المضية ٢٠٢/١ وتاريخ عدن ٥٤/٢ وهدية العارفين ٢٨١/١ ومنتخب المختار٤٩ وتاج التراجم ٢٤ .

١٣ـ « كشف الحجاب عن أحاديث الشهاب » (في الحديث) : والشهاب هو كتاب « شهاب الاخبار في الحكم والامثال والآداب » يضم « الفاً ومائتي » كلمة من حكم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اختارها القاضي ابو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي الشافعي المتوفى سنة ٤٥٤ هـ . وهذه الكلمات محذوفة الاسانيد بوّبها على حسب تقارب الالفاظ . وقد اصلحه الصغاني ووضع علامة للصحيح والضعيف والمرسل . ورتبه على الابواب كمشارق الانوار وسمّاه « كشف الحجاب عن أحاديث الشهاب » ذكر في كشف الظنون ١٠٦٧ وهدية العارفين ٢٨١/١ .

١٤ـ ضوء الشهاب للقضاعي . ذكر في هدية العارفين ٢٨/١ ولعله الكتاب السابق .

١٥ـ الاحكام في فقه الحنفية : ذكر في هدية العارفين ٢٨١/١ .

١٦ـ كتاب « الوفيات » وهو مختصر ذكر في الجواهر المضية ٢٠٢/١ وتاريخ ثغر عدن ٥٤/٢ .

١٧ـ كتاب « الاصفاد » هكذا ورد في هدية العارفين ٢٨١/١ وكشف الظنون ـ العمود ١٣٩٢ . وسماه صاحب الجواهر المضية « الاصفار » .

١٨ـ كتاب « السالكين » : ذُكر في كشف الظنون ١٤٢٤/٢ وهدية العارفين ٢٨١/١ .

١٩ـ نظم عدد آي القرآن : ذكر في منتخب المختار ٤٩ وهدية العارفين ٢٨١/١ .

٢٠ـ مجمع البحرين في الحديث : ذكر في هدية العارفين ٢٨١/١ وذكر بعده مجمع البحرين في اللغة . فلعله من سهو مصنف هدية العارفين ، إذ لم أجد احداً من القدامى ذكر له كتاباً في الحديث بهذا الاسم .

٢١ـ التجريد وجمل الصاغاني : ذكره الدكتور ابراهيم السامرائي في مقدمة (يفعول) ولم يذكر مرجعه . وعنه نقل الدكتور سامي مكي العاني في مقدمة الدر الملتقط . كذلك صنع (مدد علي نجم القادري) في مقالته عن الصاغاني المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ المجلد ٣٩ ـ الجزء الاول ص ٥٤ ، فهو بدوره لم يذكر مرجعه . وسماه احمد خان « كتاب التجويد وجمل الصاغاني » في مقدمة الانفعال .

٢٢ـ كتاب « فعول » ذكره ابن قطلوبغا في تاج التراجم ص ٢٤ ولعله محرف عن « يفعول » .

٢٣ـ في مفتاح السعادة ومصباح السيادة ١١٣/١ ذكر كتابين آخرين له باسم « كتاب الاثر » و « كتاب اسماء الدين » ولم اجدهما في المصادر القديمة

٢٤ـ كتاب درجات العلم والعلماء (انظر مقدمة الانفعال صحيفة (ث)

٢٥ـ تفويف النسج في شرح النهج . وهو شرح لنهج البلاغة (انظر العباب مادة (وذح) .

مخطوطات الكتاب :

لقد اعتمدنا في نشرتنا هذه على مخطوطتين :

الاولى ، وهي نسخة تامة صحيحة مضبوطة بالشكل تاريخ نسخها سنة ١٠٨٧ هـ وناسخها محمد صالح الاصفهاني وهي ضمن مجموع خطي محفوظ في مكتبة برلين للدولة تحت رقم ٧٧٥٦ والكتاب المذكور هو الرسالة الرابعة في المجموع ويشغل الصحائف ١٥٢ ـ ١٦١ منه .

والثانية ، وهي بخط عبدالعزيز بن محمد بن جماعة الكناني (٦٩٤ـ٧٦٧هـ)

ضمن مخطوطة كتابه «التعليقة» المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٣٣٤٦ وهي مخطوطة من التعزيز لم يذكرها بروكلمان .

ومخطوطة باريس هذه مختصرة من كتاب التعزيز ، وقد نصّ المُختَصرُ على انه اختصر الشرح ، أما المتن فاثبته كما هو . واتضح لنا من مقابلة المختصر الباريسي بالاصل البرليني ان هذا الكلام صحيح باستثناء بيت واحد سقط من المتن . وقد قابلنا بين المختصر والاصل واثبتنا الاختلافات القليلة . أما النصوص والشروح الواردة في الاصل والمحذوفة من المختصر فقد حصرناها بين أقواس عادية أو منجمة فحيثما ورد هذان القوسان فالمعنى ان ما بينهما وارد في الاصل محذوف في المختصر .

وكاتب المختصر ابن جماعة الكناني [٨٨] الحموي اصلاً ، الدمشقي مولداً ، قاضي القضاة بمصر . الحافظ . من اعلام عصره وله مصنفات عديدة منها : « هداية السالك الى المذاهب الاربعة في المناسك » و « المناسك الصغرى » و « تخريج احاديث الرافعي » و « مختصر في السيرة النبوية » و « التساعيات » في الحديث . و « نزهة الالباب فيما لا يوجد في كتاب » . والمختصر منقول عن اصل بقراءة الامام الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي [٨٩] (٦١٣ – ٧٠٥ هـ) على المصنف الامام الصاغاني نفسه وكُتبَ في حياته ومن هنا تبدو اهمية هذا المختصر واعتمادنا اياه في المقابلة ، إذ هو منقول عن نسخة قُرئت على المصنف وكتبت في حياته .

وفي آخر النسخة التي نُقل عنها المختصر أُثبت ما نصّه : سمعت هذا التعزيز بشرحه على شيخنا رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني بقراءة الحافظ شرف الدين عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوني الدمياطي ، وكتب سعد بن احمد بن احمد بن عبدالله الجذامي الاندلسي يوم الجمعة ثالث عشر رجب من سنة خمسين وستمائة .

فهذا السماع في غاية الاهمية إذ تمّ في حياة المصنف .

وقد نص عبدالعزيز بن جماعة على انه اختصر شرح الصاغاني في موضعين

ففي ختام المختصر اثبت العبارة التالية : « تم تعزيز بيتي أبي القاسم الحريري بشرحه للصغاني مختصراً شرحه . والنقل من نسخة بخط الحافظ شرف الدين الدمياطي » . وفي آخر السماع المتقدم اثبت ما نصه : نقله عبدالعزيز من الاصل مختصراً .

وبعد الفراغ من تحقيق النص على مخطوطتي برلين وباريس وكتابة مقدمته وتقديمه للنشر اطلعني صديقي الدكتور المفضال حاتم الضامن على العدد الاخير من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الصادر في تشرين الاول من عام ١٩٧٩ (الجزء الرابع – المجلد الرابع والخمسون) مشيراً الى نشرة الاستاذ احمد خان لهذا النص (ص ٩٠٦ – ٩٢٥) معتمداً مخطوطة واحدة هي المخطوطة التركية المحفوظة في خزانة مراد ملاّ بالمكتبة السليمانية في استانبول ضمن مجموع برقم ١٨٧٩ .

وقد وجدت من وصفه للمخطوطة التركية انها مجهولة تاريخ النسخ متأخرة ذلك ان ناسخها الذي سمى نفسه شيخ الاسلام احمد بن عبدالحق لم يتوصل المحقق الى سنة وفاته أو القرن الذي عاش فيه . ولكننا نقطع بان النسخة كتبت في العصور العثمانية المتأخرة حيث استعمل تعبير (شيخ الاسلام) لناسخها . وهي من جهة اخرى لا تضيف جديداً لمخطوطة برلين التي اعتمدناها . وفيها من زاوية اخرى سقط نبهنا عليه .

فهي من حيث القيمة العلمية لا يمكن ان تقف الى جانب مخطوطتي برلين وباريس . والاخيرة ترقى الى عصر المؤلف .

لكننا رغم كل هذا عرضنا نشرة هذه المخطوطةعلى ما صنعناه واثبتنا الاختلافات البارزة وهي جد قليلة في الهوامش ، استكمالا لهذا العمل العلمي بالرجوع الى كافة النسخ ورمزنا الى نشرة الاستاذ احمد خان بالحرف (ت) وهو مأخوذ من كلمة (تركيّة) ، كما رمزنا لنسخة برلين بالحرف (ب) ولنسخة باريس بالحرف (س) .

وبعد : فهذا كتاب جديد من كتب الصاغاني ألّفه ايام الخليفة المستنصر بالله العباسي الذي دامت خلافته من ١٤ رجب ٦٢٣ الى العاشر من جمادى الآخرة

سنة ٦٤٠ هـ ، واشار الى ذلك صراحة في مقدمته . وهو نص يكشف القدرات اللغوية الخارقة لناظمه وشارحه الذي انتهى اليه علم اللغة في عصره .

ويسعدني وأنا انشره بعد ضياع ناهز الثمانية قرون ، أن اترحم على مصنفه الذي كان سادنا من سدنة اللغة العربية وعلما شامخا من اعلامها وطوداً مركنا من اطوادها .

وأن اتوجه بعد هذا بالشكر الى صديقي الدكتور عدنان جواد الطعمة الذي تكرم فصوّر لي مخطوطة برلين من التعزيز ، فأسدى اليّ يداً لا تنسى . ولست في حاجة الى تأكيد نسبة هذا الكتاب الى الصاغاني فقد صرّح باسمه مصنِّفاً في مقدمته . كما أشار في اثنائه الى كتابه المعروف « القلادة السمطية في توشيح الدريدية » .

★ ★ ★

ورحم الله الحسين بن ابراهيم النطنزي القائل وكأنه يعبر عما في خاطري :

جزى الله خيراً من تأمل صنعتي — وقابل ما فيها من السهو بالعفوِ
وأصلح ما اخطأتُ فيه بفضله — وفطنته واستغفر الله من سهوي

الاعظمية ص . ب ٤٠٦٨ — هلال ناجي

[النص]

تعزيز بيتي الحريري

انشاء الشيخ الامام العلامة فريد العصر وحيد الدهر حجة العرب لسان الادب رضي الدين ابي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغّاني

(بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، حمداً يتضاءلُ عنه حمد الحامدين . والصلوات على سيّد الانبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين واصحابه اجمعين .

هـذا) تعزيز (١) بيتي ابي محمد القاسم بن علي الحريري (٢) رحمه الله ، اللّذَيْن زَعَم انهما اسكتا كُلَّ نافثٍ ، وأَمِنا أن يُعَزَّزا بثالثٍ ، وهما :

سِمْ سِمَةً تَحْسُنُ آثارُها واشكر لِمَنْ اعطى ولو سِمْسِمَهْ
والمَكْرُ مَهْما اسْطَعْتَ لا تَأْتِه لتقتني السُّؤدَدَ والمكرُمَهْ

(عزَّزَهما – في شريف ايام خلافة سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام ، ابي جعفر المنصور المستنصر بالله [٣] امير المؤمنين . لازالتْ عروس الفضل بملابس الازديان ، ونفائس الازدياد بجلال جلالته متوشّحة متنطّقة ، وألْسُنُ الحمد باشاعة عُرْفِ منائحه ، واذاعة عَرْفِ مدائحه ، مُتَفَصِّحَةً مُطْلَقةً ، ما تعاقب الصباحُ والمساءُ ، وتناوبَ الظلامُ والضياءُ – الملتجئ الى حَرَم الله تعالى الحسنُ بن محمد بن الحسن الصغاني ، آواهُ الله الى صُقع (١٥٣ آ) عافية يُؤْوي اليه اشبالَهُ ، ورَقّاهُ الى درجةٍ من التُّقى تَجْذِبُ اليها أضرابَهُ وأشكالَهُ . وَهُوَ) :

وَالأَمَهُ [٤] المزري بأَهْلِ الحجى
تعافُهُ حُرَّتُنا والأَمَهْ

الأَمَهُ بالتحريك : النِسيانُ ، وقد أَمِهَ بالكسر ، (ومنه قراءة عبدالله بن عباسٍ [٥] وعبدالله بن عمر [٦] رضي الله عنهم وسالمٍ [٧] ابنِهِ وابي رجاء العُطارِديّ [٨] ومُجاهِدٍ [٩] وعِكْرِمَةَ [١٠] وقَتادةَ [١١] والضّحاك [١٢] والجحدري [١٣] .

(وادَّكَرَ بعد أمَهٍ *) [١٤] . قال الشاعر [١٥] :

أَمِهْتُ وكُنتُ لا انسى حديثاً
كذاك الدهرُ يُودي بالعقولِ

والإزراءُ بالشيْ : التقصيرُ ، يقال : أَزْرى به ، قال ذو الإصْبَع العَدْوانّي واسمُهُ حُرْثانُ [١٦] :

أَزْرَى بنا أَنّنا شالَتْ نعامَتُنا [١٧]
فخالني دُوْنَهُ بَلْ خِلْتُهُ دوني [١٨]

يقالُ : زَرَى عليه وتَزَرَّى عليه * وأَزْرَى بهِ وازْدَراهُ واسْتَزْراهْ واسْتَزْرى بهِ . والحجى : العقلُ) .

والأَمَـــةَ الحســناءَ لا تَهْوَ َها

واستشعِراً نِسْيانَهــا والأَمَـــهْ

(الشِعارُ : ما وَلِيَ الجَسَدَ من الثيابِ ، وأُشْعِرَ الرجلُ هَمّاً : اي لَزِق بمكان الشِعار من الثيابِ بالجسد، واستشعرَ فلانٌ خَوْفاً : اي اَضْمَرَهُ ، وشاعَرَهُ (١٥٣ ب) ناوَمَهُ في شعارٍ واحدٍ) .

ومَهْمَــه الاهــواءِ لا تَسْلُكاً

واكفُفْ عن الايغالِ فيهـا ومَـــهْ

(المَهْمَهُ : المفازَةُ البعيدة والجمع المهامِهُ ، وكَفَّ لازمٌ ومُتَعَدٍّ يُقال كَفَفْتُهُ فكَفَّ) . والايغالُ : السَّيْرُ السريعُ والامعانُ فيه .

(قال الاعشى [19] :

تَقَطَعُ الأَمْعَزَ المُكَوْكِبَ وَخْداً

بِنَواجٍ سريعــةِ الإيغــالِ [20])

وَمَهْ : كَلِمَةٌ بُنِيَتْ على السكونِ ، وهو اسمٌ سُمِّيَ بهِ الفعلُ ومعناهُ اكْفُفْ لانّهُ زَجرٌ ، فانْ وصَلْتَ نَوَّنْتَ فقلتَ مَهٍ مَهْ ، (يقــال مَهْمَهْتُ بهِ : اي زَجَرْتُهُ .

وَمَهْ إذا لامَكَ من يَنْضوى

الى اتِّراكِ الصَّوْمِ يَوْمَ الوَمَـــهْ [21]

الانضواءُ : الانضمامُ ، يقال: ضَوَى اليه: اى أوى ، وأضويناهُ اليه فانضوى، والإتِّراكُ: التَرْكُ . وقال ابن الاعرابي: وَمِهَ النهارُ بالكسر وَمَهاً بالتحريك: إذا اشتدَّ حَرُّهُ ، والوَمْهَةُ : الإِذْوابَةُ من كُلِّ شيءٍ) .

فَمَهْرُ طيبِ الذكرِ ألاَّ يُرى

اخو النُّهى يَفْغَرُ فيه فَمَـــهْ

(النُّهى : جَمْعُ نُهْيَةٍ وهي العقلُ) . وفَغَرَ لازمٌ ومُتَعَدٍّ ، يقالُ : فَغَرَ فوهُ (١٥٤ آ) اي انفتَح ، وفَغَرفاهُ : ايْ فتَحَهُ .

والحَبْرَ مهجوراً أَضفْهُ (٢٢) وَزْمْ

لِطُعْمِهِ العَبْــرَبَ (٣٢) والحَبْرَمَهْ

الحَبْرُ : العالِمُ (وكذلك الحِبْرُ بالكسر . وقال الاصمعي * .: لا ادري اَهُوَ الحَبْرُ أو الحِبْرُ . ونَصَّ الفَرّاءُ على الكسر ، وابو عبيدة على الفتح . وحَبْرُ الأُمّة : عبدُالله بن عباس رضي الله عنهما . والعَبْرَبُ مِثالُ رَبْرَبٍ ، والعُتْرُبُ بالتاء المنقوطة باثنتين مثالُ قُطْرُبٍ ، والعُنْزُبُ بالنون والزاي مثالُ عُنْصُلٍ ، والعَرَبْرَبُ براءين مثالُ صَمَحْمَحٍ : السُمّاقُ ، وليس بَعْضُها تصحيفَ بعضٍ (٢٤)) . والحَبْرَمَةُ : اتخاذُ الطبيخ بحبِّ الرُمّانِ ، وهي لفظة مُركّبَةٌ كالحمدلة (والحَوْلَقَةِ والسَبْحَلَةِ والحَسْبَلَةِ والطَلْبَقَةِ والدَمْعَزَةِ والبَسْمَلَةِ والهيْلَلَةِ والحَيْعَلَةِ) .

والهَيْنَ مهما رُمْتَ واللّيْن فـــي

أَمْرٍ فَحزْ واستكتِمِ الهَيْنَمَــــهْ

الهَيْنُ واللّيْنُ : مُخَفّفا هَيِّنٍ ولَيِّنٍ .(وفي حديثالنبي—صلى الله عليه وسلم—(المؤمنون هَيْنُونَ لَيْنُونَ كالجمل الأَنِفِ – ويروى الآنِفِ بالمدّ – إنْ قِيدَ انقادَ وإنْ اُنيخَ على صخرةٍ استناخ) (٢٥) . قال ابن الاعرابي ** : العربُ تمدح بالهَيْنِ واللّيْنِ بالتخفيف وتَذُم بالهَيِّنِ واللّيِّنِ (١٥٤ ب) بالتثقيلِ) . والهيْنَمَةُ : الكلامُ الخَفيُّ . قـــال الكميتُ (٢٦) :

ولا أشْهَدُ الهُجْرَ والقائليـــــه

اذا هُمْ بهَيْنَمَةٍ هَتْمَلُوا (٢٧)

وَهيَ مُشْتَقّةٌ من الهَيْنُومِ وهو الصوتُ الخَفِيُّ . (قال ذو الرُمّـــة (٢٨)

هَنّا وهَنّا ومن هَنّا لهُنَّ بِها   ذاتَ الشمائلِ والأَيْمانِ هَيْنُومُ (٢٩))

والمَهرَ مَهرَ العِرْسِ لا تَحْصُهُ

فتَحْرَمَ التعميــرَ (٣٠) والمَهرَمَهْ

الحَصْو : المنع (* قـــال :

ألا تخافُ اللهَ إذ حَصَوْتَنَـي

حَقّي بلا ذَنْبٍ وإذْ عَنّيْتَنـي [٣١]

والمَهْرَمَةُ : الهَرَمُ (ه ومنها قوله صلى الله عليه وسلم (تَعَشّوْا ولو بكَفٍّ من حَشَفٍ فانَّ تَرْكَ العَشاءِ مَهرَمَةٌ [٣٢]) هكذا ذكره القُضاعيُّ [٣٣] . وهو حديثٌ موضوعٌ ه) .

والصَّلْقَ مهـدومَ الجَبَـى فأتْرُكا

وجانبِ الإفْحاشَ والصَّلْقَمَـهْ

الصَّلْقُ : الصوتُ الشديدُ (ه قال لبيـدٌ [٣٤] :

فَصَلَقْنا في مُرادٍ صَلْقَـةً

وَصُـداءٍ ، ألْحَقَتْهُم بالثَّلَلْ [٣٥]

والسَلْقُ لُغَةٌ فيه . قال الله تعالى « سلقوكم بالسِنَةِ حِداد [٣٦] » وفي حـديث النبي صلى الله عليـه وسلم (ليسَ مِنّا من حَلَقَ ولا صَلَقَ ولاخَرَق ه) [٣٧]

والجَبَى : نَثيلةُ البئر ، وهي التُرابُ الذي حولها ، تراه من بعيدٍ . والصَّلْقَمَةُ : تصادُمُ الانيابِ ، والميمُ زائدةٌ (١٥٥ آ)

والحَلْقَ مَهْلَكَةٌ فَخَلْ إنّـهُ

يُمسِكُ ه التَسْحيطَ والحَلْقَمَهْ

(ه المهلكَةُ : الهلاكُ وموضع الهلاك ايضا . وخالَ : حَسِبَ ، خَيْلاً وخِيلَةً ومَخِيلَةً وخَيْلُولَة ، وتقول في مُسْتَقْبَلِهِ : إخـالُ بكسر الهمزة وهو الافْصَحُ . وبنو أسَدٍ تقولُ : أَخال بالفتح وهو القياسُ ه) . والتَسْحيطُ : التَذبيحُ ، والسَحْطُ : الذَبْحُ والحَلْقَمه : قَطْعُ الحلقومِ .

والعَلْقَ مَهْدِرِ مُهْجَتي خِلْتُهُ

يُذِيقُني المِقْرَةَ والعَلْقَمَـهْ

العَلْقُ : الاكْلُ . وعَلَقَتِ الابِلُ العِضاةَ ه تَعْلُقُ بالضَمِّ عَلْقاً ، إذا تَسَنَّمَتْها وتنـاولتها بأفواهها ، وهي إبِلٌ عَوالِقُ (ه . قال الكميت يصف ناقَتَهُ : [٣٨]

١ ـ والبَسْ لتلك ثيابَ كُلِّ دُجِنَّةٍ
سُوداً واَحْيِ • الى الشَّميط الاَبْلَقِ

٢ ـ بالعَيْشَجورِ • كأنني وقُتُودُها
بالسُهْبِ فوقَ سراةِ أزْعَرَ نِقْنِقِ

٣ ـ أو فوقَ طاويةِ الحشا رَمْلِيّةٍ
إنْ تَدْنُ من فَنَنِ الأَلاءَةِ تَعْلَقِ

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلّم (إنّ ارواح الشهداءِ في أجوافِ طيرٍخُضْرٍ تَعْلُقُ من شَجَرِ الجنّةِ) [٣٩] والمُهْجَةُ : الدمُ ، ويقال هي دم القلب خاصةً ، (ويقال خرجتْ مُهْجَتُهُ ايْ روحُهُ •) ، والمِقْرُ والمَقْرُ : الصَّبْرُ (قال [٤٠] : (١٥٥ ب)

أرْقَشَ ظمــآنَ إذا عَضَّ لَفَظْ
أمَرَّ من صَبْرٍ ومَقْرٍ وَحِظَظْ •)

والعلقم : شَجَرٌ مُرٌّ . ويقال للحَنْظَلِ ولكل شيءٍ مُرٍّ عَلْقَمٌ .

والمُجْ لِمَهْوَى دَعْــدَ ما اَصْحَبَتْ
اَطايِــبَ المُجزِّ والمُجْلمَــهْ

اللّمْجُ : الأكلُ بأطراف الفم . (قال لبيد :

يَلْمُجُ البارِضَ لَمجاً في النّدى
من مرابيعِ رياضٍ وَرِجَلْ •) [٤١]

وأصْحَبَ : انقادَ (• قال امرؤ القيس [٤٢] :

ولستُ بذي رَثْيَةٍ إمّــرٍ
إذا قيدَ مُسْتَكْرهاً أصْحَبا •) [٤٣]

ويقال: أطْعِمْنا من أطايب الجَزُورِجمع اَطْيَبَ ولا تَقُلْ (•من•) مطائب الجزور . وأجَزَّتِ الغنم : أي حانَ لها اَنْ تُجَزَّ ، واجَزَّ القومُ إذا اَجَزَّتْ غنمُهم . وجَلَمْتُ الجزور إذا اخذتُ ما على عظامها من اللحم .

(*وفي المثل (اطيَبُ اللحم عُوَّذُهُ) [٤٤] أي ما عاذ بالعظم*) ، واَجْلَمتِ الجزورُ أي حان لها اَنْ تُجْلَمَ .

والْمُسْ لِمَهْدَدَ رائقاتِ المُلا

واَكْرِمِ المُسْلِمَ والمُسْلِمَهْ

مَهْدَدُ من اسماء النساءِ لا ينصرفُ للعَلَميَّةِ والتأنيث وهو فَعْلَل وليس بمفعل(* وقال سيبويه: « الميمُ من نفس الكلمة ولو كانت (١٥٦ آ) زائدة لأدغمَ الحرفُ مثل مَفَرٍّ ومَرَدٍّ [٤٥] » . فثبت اَنَّ الدال مُلْحقَةٌ والمُلْحَقُ لا يُدْغَمُ . وراقني الشيءُ يروقني : أي أعجبني*) والمُلا أصْلُهُ مُلاءٌ بالمَدِّ جمع مُلاءَةٍ وهي الرَيْطَةُ .

والحَيْرَ مَهَّدْ فسَراحينُنا

تعدو على العِجَّوْلِ والحَيْرَمَهْ

الحَيْرُ شبْهُ الحظيرةِ او الحمى(*ومنه الحَيْرُ بكربلاء*) . والسَراحينُ جَمْعُ سِرْحانٍ وهُوَ الذئبُ . (* قال سيبويه [٤٦] : النون زائدةٌ وهو فِعْلانٍ [٤٧]. وقال الكسائي [٤٨] : « الأُنثى سِرْحانةٌ [٤٩] » . وهُذيلٌ تسمّي الأَسد سِرْحاناً [٥٠] . وفي المثل (سقط العَشاءُ بهِ على سِرحانٍ)[٥١] وأصلُه ان رجلاً استنبح مُسْتَطْعِماً فاحَسَّ به الذئبُ فافترسَهُ ، وقيل سِرحان في هذا المثل اسمُ رجل وكان يحمي وادياً فادَّعى رجلٌ انه يَرْعى في ذلك الوادي ابِلَهُ ولا يخافه . فهَجَمَ به سرحان فقتلَهُ وانشأ يقول :

اَبْلغْ « نَصيحة » انَّ راعي اَهْلِهِ

سَقَطَ العَشاءُ به على سِرحانِ

سَقَطَ العَشاءُ به على مُتَقَمِّرٍ

طَلْقِ اليدين معاودٍ لِطِعانٍ *)

والعِجَّوْلُ : العِجْلُ (والجمع العجاجيلُ) ، والحيرمةُ : البقرةُ ، ويقال ولدُ البقرة الوحشية والجمع حَيْرَمٌ ، (*قال عمرو بن معدي كَرِبٍ [٥٢] (١٥٦ب)

لِمَنْ طَلَلٌ بالعَمْقِ أصبحَ دارِسا
تَبَدَّلَ أرْآماً وعِيناً كوانسا

تَبَدَّلَ أُدْمانَ الظِباءِ وحَيْرَماً
فاصبحتْ في أطلالها اليومَ حابِسا[٥٣] *)

والجَرْدَ مَهْما نِلْتَهُ فاقْتَنِعْ
وحاذِرِ الضِنَّةَ والجَرْدَمَهْ

الجَرْدُ : الثوبُ الخَلَقُ (* ويقال بُرْدَةٌ جَرْدَةٌ ، قال ابو ذؤيب [٥٤] :

وأشْعَثَ بَوْشِيٍّ شَفَيْنا أُحاحَهُ
غداتَئِذ ذي جَرْدَةٍ مُتماحِلِ [٥٥] *)

والضِنَّةُ : البُخْلُ . (* يقال : ضَنِنْتُ بالشيْ أَضُنُّ به ضناً وَضِنَّةً وضَنانةً إذا بَخِلْتَ بهِ ، وهو ضنين ، وقال الفرّاء [٥٦] : ضَنَنْتُ بالفتح أَضِنُّ بهِ بالكسر لُغَةٌ [٥٧] . وقال قَعْنَبُ بن ضَمْرَةَ وهو ابنُ أُمِّ صاحِبٍ [٥٨] :

مَهْلاً أعاذِلَ قد جَرَّبْتِ من خُلُقي
أنّي أجودُ لأقوامٍ وإن ضَنِنُوا[٥٩] *)

والجردَبَةُ والجردَمَةُ : أنْ يَضَعَ شِمالَهُ على شيءٍ يكون على الخِوان كيلا يتناولَهُ غيرُهُ ، (* أنشد الفَرّاءُ :

إذا ما كُنْتَ في قومٍ شَهاوى
فلا تَجْعَلْ شِمالَكَ جَرْدَبانا [٦٠]

وهو فارِسيٌّ مُعَرَّبٌ واصله « كِرْدَه بان » أَيْ حافظ الرغيف [٦١] . وقال ابو مِسْحَلٍ عبدالوهاب بن حَرِيش في نوادره بعدما انشد البيتَ: جردباناوجَرْدَبِيلا هكذا يُنْشَدُ هذا البيت [٦٢] *) . (١٥٧ آ)

والمَخْرَ مَهْوَى الموجِ فاحذرْ فما
فيه سوى الإتلافِ والمَخْرَمَهْ

مَخَرَتِ السفينةُ تَمْخَرُ وتمخُرُ مَخْراً ومُخُوراً : إذا جرَتْ تَشُقُّ الماءَ مع صَوْتٍ ، (* ومنه قولُه تعالى« وتَرى الفُلْكَ مواخِرَ فيهِ [٦٣] » يعني

جواريَ*) . والمَهْوَى: المَصْعَدُ ، يقال هوى، إذا علا، وهوى إذا سَفَلَ ، وهو من الاضداد (٦٤) . وقال ابن الاعرابي : الهَويُّ بالفتح : السريعُ الى اَسْفَل ، والهُويُّ بالضَمِّ : السريعُ الى فوق . وحكى ابن نَجْدَةَ عن أبي (٦٥) زيد مثلَهُ (* وانشد : « والدَّلْوُ في إصعادِها عَجْلَى الهُوِي (٦٦) » *) . والمخرمَةُ : المَقْطَعَةُ .

والمَلْحَ مَهتُوتَ الرَّجا لا تَدَعْ

فَيُورِثَ الهيجاءَ والمَلْحَمَهْ

المَلْحُ : الإرْضاعُ . يقال : مَلَحْنا لفُلان مَلْحاً أي أرْضَعْناهُ ، والمَلْحُ: الرَّضاعُ . (* وكانت لأبي الطَمَحانِ القَيْنيِّ (٦٧) إبلٌ يسْقي قوماً من ألبانها ثم انّهم أغاروا عليها فاستاقوها ، فقال (٦٨) :

١ – أمالوا ذُراها واستحلّوا حَرامَها

على كُلِّ حَيٍّ منهُمُ حَبْسُ اَشْهُرِ

٢ – وإني لارجو مِلْحَها في بُطونكم

وما بَسَطَتْ من جِلْدِ اَشْعَثَ مُقْتِرِ*)

والمهتُوتُ : المهدومُ المكَسّرُ المُفتّتُ . والرَّجا : الناحيةُ وتثنيتُهُ : رَجَوانِ ، والجمع أرجاءٌ . قال الله تعالى : « والمَلَكُ على أَرْجائها » (٦٩) أيّ جوانبِها . (١٥٧ ب) والهَيْجى والهيجاءُ : الحربُ . والملحمةُ : الوقعة العظيمة(* في الفتنة *)

والمَقْسَ مَهْنَأَةً يخالُ الفتى

ويَنْقُضُ الاَيْمانَ والمَقْسَمَهْ

(* المَقْسُ والنَّقْسُ واللقسُ : ان يعيبَ الرجلُ الانسانَ ويسخرمنه .والمَقْسَمَةُ : مَوْضِعُ القسامَةِ ، وهي اسمٌ من الاقسام وُضِعَ موضع المصدَرِ ولذلك فُتِحَتْ ميمُها ، ولو كانت بمعنى الاقسام لَضُمّتْ*) .

والعَيْلَ مَهْدَرَةً أرى فاحْتَفِرْ

لِصِرْمِكَ الأحساءَ والعَيْلَمَهْ

العَيْلُ والعَيْلَةُ* : الفقرُ ، أراد ان الفقير لا يُراعى جانبُهُ ولا تُبتغى مراضيهِ

(* ومن فاخر الشعر قولُ الشاعر :

أفْلَحَ مَنْ كانَ لـه دِرْهَـم
فَصانَ منهُ الدرهَـمْ العِرْضـا
يَمْلُكُ الخِـلُّ اذا جِئْتَـهُ
نَطْلُبُ منـه القَرْضَ والفَرْضا
يَنْكُتُ في الارض اعتلالاً بـه
يُظْهِرُ منهُ النَظَرُ البُغْـضا
فكابِدِ الدَّهْرَ لكسـبِ الغِنى
فحاجَـةُ المُعْدِمِ لا تُقْضَى

وفي « القلادَةِ السِمْطِيّةِ في توشيح الدُّريدية » (٧٠) :

والناسُ من طباعهم انْ يُدْفَعُوا
من صَفِرَتْ وطابُهُ ، ويرفَعوا
من شَكِرتْ عيابُهُ ويَخْضَعُوا
عبيدُ ذي المال وإنْ لم يطمعوا

من غَمْرِهِ في جُرْعَةٍ تَشْفي الصَّدى *) (١٥٨ آ)

والصِرْم : ابيات من الناس مُجتمعةٌ ، والجمع أصْرامٌ وأصارِمُ . والأحساءُ جمع حِسْيٍ وهو ماء (٧١) تَنْشَفُهُ الارضُ من الرمل ، فاذا صار الى صلابةٍ أمسكَتْهُ فتَحْفِرُ عنه الرَمْلَ فتستخرجُهُ وهو الاحتساء ، وجمعُ ** الحِسْيِ الاحساءُ وهي الكِرارُ . والعَيْلَمْ : الركِيّةُ الكثيرةُ الماء . (* قال ابو نؤاسٍ (٧٢) يرثي خَلَفاً الاحمر (٧٣) :

أودى جماعُ العِلْمِ مُـذْ أودى خَلَفْ
من لا يُعَدُّ العلـمُ إلاّ مـا عَـرَفْ
قَلَيْذَمٌ مـن العيـاليـم الخُسُفْ (٧٤) *)

وٱلقُمْ قُمِهزِئَةَ الحجـى واضعـاً
بينَ يديكَ الطَسْـتَ والقُمْقُمَهْ

يقال : لَقَمْتُ الطريقَ بالفتح ، اَلْقُمُهُ بالضمِّ : اذا سَدَدْتُ فَمَهُ .
وقُمَهْزِتَةُ (٧٥) الحجى : قاصِرُ العقل ، قصيرُ الباع في الفضل ، واصلُ القُمَهْزِتَة (٧٥) القصيرُ. ويقال للرجل إذا يئِسَ من خيره ، أو الصَّبيِّ اذا يئِسَ من رُشْدِه ، أو المريض اذا يئِسَ من بُرْئه : « إغْسِل يديكَ من فُلانٍ وأنفُضْ يديكَ عنه ». (* والطَّسْتُ : الطَّسُّ بلغة طيءٍ، ابدلوا من احدى السينين تاءً للاستثقال . فاذا جمعتَ أو صَغَّرْتَ رَدَدْتَ السينَ لانّك (١٥٨ ب) فَصَلْتَ بينهما بألِفٍ أو ياءٍ فقلتَ : طِساسٌ وطَسَيسٌ *)
والمرادُ* بالقُمقمه : الإبريقُ من نحاسٍ أو صفرٍ ، وقال الاصمعي : هي لغة روميّة ، وامّا ظَرْفُ الماوَرْدِ الذي يسمّونَهُ القمقمة فاصطلاحٌ، (* وفي المثل (على هذا دارَ القمقُمُ)(٧٦) والقمقم والقمقمان الجَمْعُ الكثيرُ . يُضرب لمن يسألُ عن الشيء فيُخبرْ بمقدار علمه وخبرته *) .

واَلْمَحْ كَمَهْمُومٍ بَراهُ الهوى
وحاذِرِ الحُكّامَ والمَحْكَمَهْ

(*براهُ : أنْحَلَهُ بَرْيَ القوس والسهم *)

والحَنْ تَمَهّدْ لكَ روضُ المُنى
واستَزْرِ بالدُّبّاءِ والحَنْتَمَه

الحَنْ : أيْ كُنْ فَطِناً . يقال: لَحِنَ إذا فَطِنَ .(*ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم (لعلَّ أحدكم ألْحَنُ بحُجّتِهِ (٧٧)) ولاحَنْتُ النّاسَ فاطَنْتُهُمْ قال مالك بن اسماء بن خارجة الفزاري (٧٨) :

وحديثٌ ألَذُّهُ هو ممّا
يَنْعَتُ الناعتون يوزنُ وَزْنا
مَنْطِقٌ رائعٌ وتَلْحَنُ أحيا
ناً وخيرُ الحديثِ ما كان لَحْنا (٧٩)

يُريدُ انّها تتكلم وهي تريد غيرَهُ ، وتُعَرِّضُ في حديثها فتزيلُهُ عن جهته من فطنتها وذكائها ، كما قال الله تعالى (١٥٩ آ) « ولَتَعْرِفنّهُمْ في لَحْنِ

القَوْلِ »(٨٠) أي في فحواهُ ومعناهُ . وتَمَهّدْ : اي تتمهّدْ *) وقد نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الدُّباء (٨١) والحَنْتَمِ والنَقيرِ والمُزَفّتِ أي عن الانتباذ في هذه الاوعية خيفةَ انْ تَضْرَى (٨٢) فتُسْكِرَ (* والحَنْتَمُ : جِرارٌ خُضْرٌ يُنْتَبَذُ فيها . وفي زماننا يُسَمّونَها البَرانيَّ ، الواحدة بَرْنيّةٌ والنّقيرُ : ان يُنْقَرَ أصْلُ النخلة فيُجْعَلُ كهيئة القَصْعَةِ . والمُزَفّتُ : المَطْليُّ بالزِفْتِ وهو القيرُ *) (٨٣) .

والمَخْضَ مَهْوىً لا أرى مُثْمِراً

فقَضْمَكَ المُعْتادَ لا المَخْضَمَهْ

المَخْضُ : مَخْضُ اللّبنِ ، يقالُ : مَخَضَهُ يَمْخَضُهُ ويَمْخِضُهُ ويَمْخُضُهُ (٨٤) بالحركاتِ الثلاث . وامْخَضَ حانَ (* لهُ *) انْ يُمْخَضَ والمَهْوُ : اللّبَنُ الرقيقُ الكثيرُ الماء (* يقال منه *) : مَهُوَ اللبنُ بالضمّ يَمْهو مَهاوَةً وامْهَيْتُهُ انا . وناقةٌ (٨٥) مِمْهاءُ : رقيقةُ اللبن . ويقال : لا فائدةَ في مَخْضِ الماءِ (٨٦) . والقَضْمُ : الأكلُ باطرافِ الاسنانِ . والخَضْمُ : الأكل بجميع الاسنانِ . (* وقدِمَ أعرابيٌّ على ابن عَمٍّ له بمكة – حرسها الله تعالى – فقال له : انَّ هذه بلادُ مَقْضَمٍ * وليست ببلاد مَخْضَمٍ (٨٧) *) . وقولُهُم : (يُبْلَغُ الخَضْمُ بالقَضْمِ (٨٨)) ايْ انَّ الشّبعةَ قد تُبْلَغُ بالأكْلِ (١٥٩ ب) بأطرافِ الفَمِ ، ومعناهُ : انَ الغايةَ [البعيدة] (٨٩) قد تُدرَكُ بالرِّفقِ ، قال الشاعر :

تبَلّغْ بأخلاقِ الثيابِ جَديدَها

وبالقَضْمِ حتّى يُدْرَكَ الخَضْمُ بالقَضْمِ (٩٠)

[ومعنى البيت : كُنْ على عادتك في القناعة واجتنب الشّرَهَ]

والسّرْطَ مَهْزَلَةَ المساعي خالَهُ

مَنْ جانَبَ البِطْنَةَ والسّرْطَمَهْ

سَرْطُ : مصدرُ سَرِطْتُ الشيءَ أسْرَطُهُ سَرْطاً أي بَلعتُهُ ، واسْتَرَطْتُهُ : تَلَعتُهُ . (* وفي المثل : (الاَخْذُ سُرَيْطٌ والقَضاءُ ضُرَيْطٌ) (٩١) ويُروى

سُرَيْطي وُضرَيطي ، اَي يَسْتَرِطُ ما يأخذه، من الدَّيْنِ ، فاذا تقاضاهُ صاحبهُ أَضْرَطَ به . ومثلهُ قولهم : (الا َكْلُ سَلَجانٌ والقضاءُ لَيّانٌ [٩٢] *)
ومعنى قوله «والسَّرْط َمهزَلَةَ المساعي»: أي البِطْنَةُ َتعْقِرُ الفِطْنَةَ [٩٣] .
والبِطْنَةُ : الكِظَّةُ وهي أن يمتلىءَ من َ الطعام امتلاءً شديداً ،(* يقال : ليس للبِطْنَةِ خيرٌ من َخمْصَة َتتبعها [٩٤] *) :والسَّرْطَمَةُ الابتلاعُ ، والميم زائدةٌ . وقال * الليثُ [٩٥] : السَّرْطَمُ : الواسِعُ الحَلْقِ السريعُ الابتلاع .

قُولا لِمَهْيُومِ الفُـؤاد اتّزِعْ

فانْ أبى النُصْحَ فقولا لِمَهْ(١٦٠آ)

مَهْيُومُ الفؤاد: مُسْتَهامهُ شوقاً [٩٦] الى محبوبه (*وعَطَشاً الى لقائه ، وبعيرٌ مَهْيُومٌ به هُيامٌ *) . والوَزْعُ : الكَفُّ عن الشيءِ . يقالُ وَزَعْتُهُ فاتَّزَعَ . وَلِمَ اذا وُقِفَ عليه وُقِفَ بالهاءِ .

فَمَهِّداً عُذْراً وقولا لَهُ

إنْ لم تكن تَقْبَلُ نُصْحاً فَمَهْ [٩٧]

(*تمهيدُ العُذْرِ : بَسْطُهُ وقَبولُهُ . وقوله: فَمَهْ ، معناهُ : فماذا تَصْنَعُ . والهاءُ للوقف ، كما قال .

قد وَرَدَتْ من امكنَهْ
من ها هُنا ومن هُنَه
انْ لم اُرَوِّها فَمَهْ *)

واديكَ مَهْزُورٌ فَخَفْ سَيْلَهُ

فانّما واديكَ وادي كَمَهْ

مهزورٌ : وادي بني قُرَيْظَةَ بالحجاز [٩٨] ، والكَمَهْ [٩٩] : مصدر الأكمه * ، وقوله وادي كَمَهْ ، هو كما يقال للمفاوز التي لا يُهتدى فيها : المعامي [١٠٠]

يا تَرْجَ مَهْلَكَةٍ وَعيصَ الهوى

عجزتَ عن حَلِّكِ يا ترجَمَهْ

تَرْجُ : مأسَدَةٌ بالغور [١٠١] ، (* قال ابو ذؤيب :

كانَّ مُحَرَّباً من أُسْدِ تَرْجٍ
يُنازِلُهُمْ لِنابَيْهِ قَبِيبُ (١٠٢)*) (١٦٠ب)

والعِيْصُ : الشَّجَرُ المُلْتَفُّ(* والجمع أعْياص والمَنْبَتُ مَعِيص *)
والترجَمَةُ : التفسيرُ ، يقال : قد تَرْجَمَ كلامَهُ اذا فَسَّرَهُ بلسان آخرَ ،
ومنه التَرْجَمانُ (١٠٣) مِثْلُ زَعْفَرانٍ ، وتُرْجُمانٌ مثلُ عُنْفُوانٍ ،
وتَرْجُمانٌ بفتح التاء وضمّ الجيم ، والجمع التراجِمُ * (* قال (١٠٤) :

١ – ومَنْهَلٍ وَرَدْتُهُ التقاطا
٢ – وَرَدْتُ لم اَلْقَ بِهِ فُرّاطا
٣ – إلاّ الحَمامَ الوُرْقَ والغَطاطا
٤ – فَهُنَّ يُلْغِطْنَ بِهِ إلْغاطا
٥ – كالتُّرجُمان * لَقِيَ الأنْباطا *)

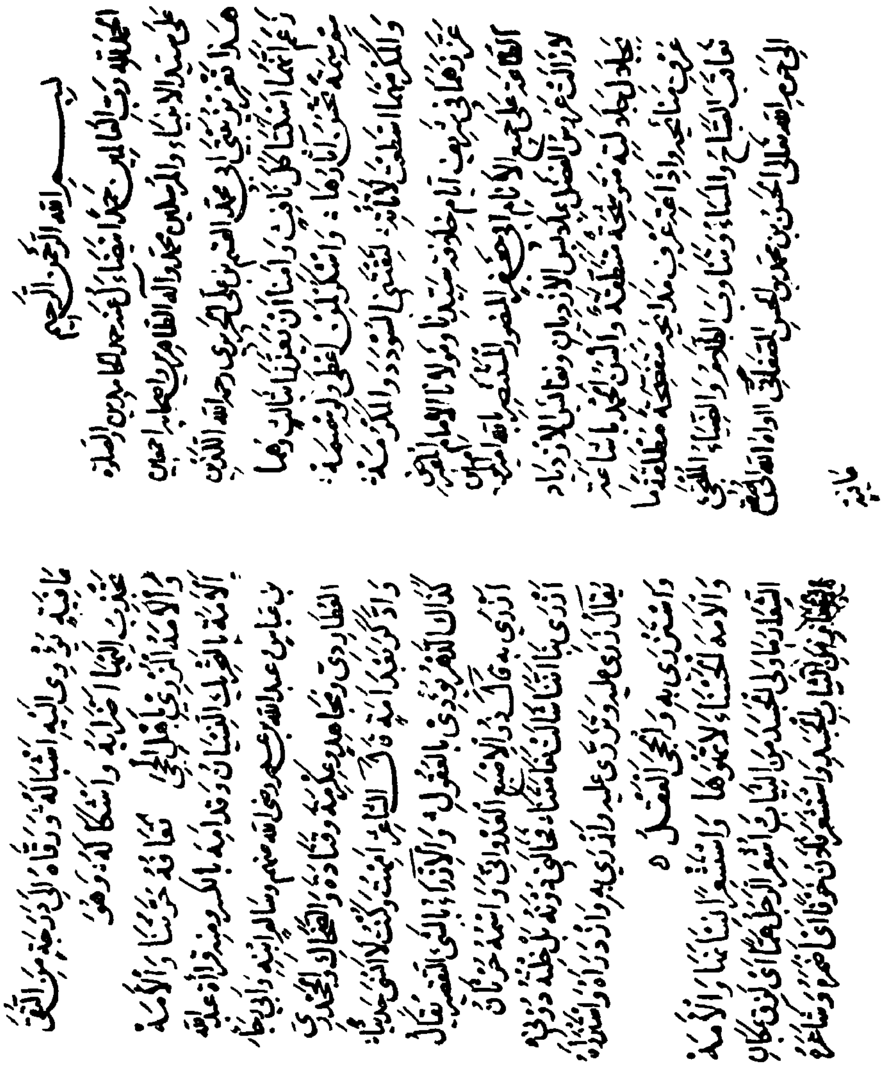
تَمَهّدَ التّعْزِيزُ ذا رَوْنَقٍ
ولم يَعُقْنِي تَهَمٌ أو تَمَهْ

رونق السيف : ماؤه وحُسْنُهُ ومنه رونق الضُّحى وغيرها (١٠٥) . وعاقَةُ واعتاقَهُ
وعَوَّقَهُ أي حَبَسَهُ . والتَّهَمُ : شدّةُ الحرّ ، ومنه اشتقاق تهامَةَ . والتَمَهُ :
قلبُ التَهَمِ (١٠٦) ، قال « شَمِرٌ » (١٠٧) يقال : تَهِمَ الحَرُّ وتَمِهَ مثل
جَذَبَ وجَبَذَ (١٦١ آ)

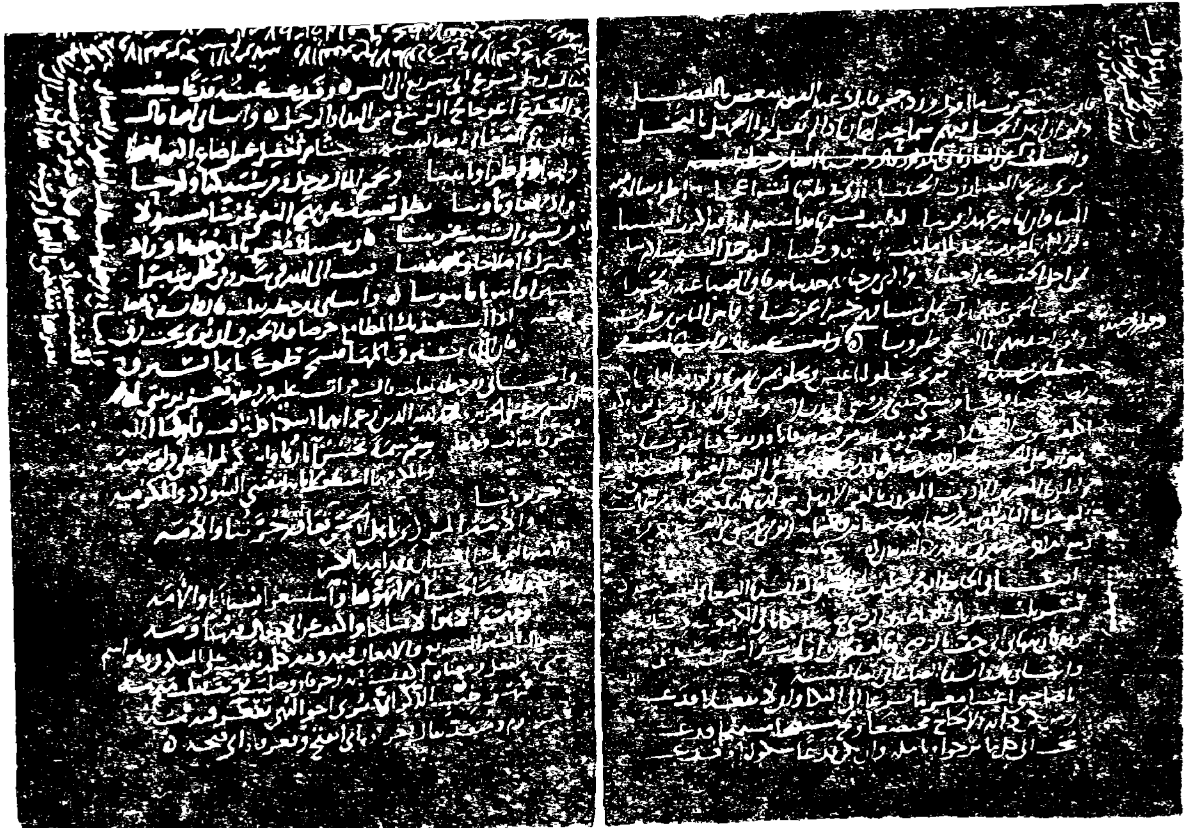
قد تَمَّ مَهْرُوفاً أنيقاً رضىً
وإنّما الرحمنُ قد تَمّمَهْ

المهروفُ : المُبالَغُ في مدحِهِ المُطْنَبُ فيه ، ومنه المثلُ (لا تَهْرِفْ قبل انْ
تعرفْ (١٠٨)) (* والأنيق : الحَسَنُ المُعْجِبُ ، وقد أنِقَ بالكسر يأنَقُ
أنَقاً . والرضى : المرضيُّ ، وهذا مما يوصفُ بالمصدرِ يقال : رجلٌ رضىً وعَدْلٌ *)

نجز بحمد الله تعالى وعونه ومنّه في خامس عشرين شهر محرم الحرام سنة
سبع وثمانين بعد الالف من الهجرة النبوية المصطفوية على يد احوج
( ) (١٠٩) الى رحمة الله الملك الغني محمد صالح الاصفهاني عفى عنه .



الورقة الاولى من مخطوطة برلين رقم ٧٧٥٦



الورقة الاولى من مخطوطة التعزيز الموجودة ضمن المخطوط الباريسي رقم ٣٤٦ عربيات

هوامش المقدمة

(١) انظر ترجمة الحريري في المصادر التالية : وفيات الاعيان ٦٣/٤ والنجوم الزاهرة ٢٢٥/٥ وطبقات السبكي ٢٩٥/٤ وخزانة البغدادي ١١٧/٣ ومعاهد التنصيص ٢٧٢/٣ ومرآة الزمان ١٠٩/٨ ونزهة الجليس ٢/٢ ونزهة الالباء ٣٧٩ وارشاد الاريب ١٦٧/٦ - ١٨٤ وشذرات الذهب ٥٠/٤ - ٥٣ وبغية الوعاة ٢٥٧/٢ ومطالع البدور ٩/١ والمنتظم ٢٤١/٩ وانباه الرواة ٢٣/٣ وبروكلمان ١٤٤/٥ وتاريخ آداب اللغة لزيدان ٣٨/٣ .

(٢) شرح مقامات الحريري - طبعة الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ١٩٦/٤ - ١٩٨ وانظر البيتين ايضا في بغية الوعاة ٢٥٩/٢ .

(٣) انظر الخبر والبيتين في ارشاد الاريب ١٧٣/٦-١٧٤ وهما في الغيث المسجم ١٨٩/١ دون عزو.

(٤) الغيث المسجم في شرح لامية العجم ١٨٩/١ .

(٥) البغية ٢٥٩/٢ .

(٦) الغيث المسجم ١٨٩/١ وقال الصفدي في الوافي ٢٨/١١ (ورأيت بخطه تعزيز بيتي الحريري من نظمه ورأيت في بعض ابياته كسراً وزحافا ولكن خطه جيد محرر الضبط) .

(٧) تاج التراجم في طبقات الحنفيه لابي العدل زين الدين قاسم بن قطلوبغا ص ٢٤ .

(٨) بغية الوعاة للسيوطي ٥٢١/١.

(٩) انظر ترجمة الصغاني في المراجع التالية : تعليقة ابن جماعة - مخطوطة باريس رقم الورقة ٥٧د الجواهر المضية في طبقات الحنفية : محيي الدين ابو محمد عبدالقادر بن أبي الوفاء القرشي ٢٠١/١ - ٢٠٢ .

الحوادث الجامعة والتجارب النافعه في المائة السابعة : ابن الفوطي ص ٢٦٢ - ٢٦٤

الفوائد البهية في تراجم الحنفية : محمد عبدالحي اللكنوي ص ٦٣ - ٦٤

مخطوطة الوافي بالوفيات : الصفدي : ١١ / ٢٧ - ٢٨ (مصورة الجامعة المركزية ببغداد)

مختصر دول الاسلام : الذهبي ١٢٠/٢ .

معجم الادباء : ياقوت ٢١٧/٣ - ٢١٨ .

النجوم الزاهرة : ابن تغري بردي ٢٦/٧ .

بغية الوعاة : السيوطي ٥١٩/١ .

شذرات الذهب : ابن العماد الحنبلي ٢٥٠/٥ تاريخ ثغر عدن : ابو مخرمة ٥٣ - ٥٨

البلغة في تاريخ ائمة اللغة : الفيروز آبادي ص ٦٣ مرآة الجنان ١٢١/٤

تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب : ابن الفوطي (كتاب اللام والميم) تحقيق الحافظ محمد عبد القدوس القاسمي - ١٩٤٠ م . الاعلام ٢٣٢/٢

معجم المؤلفين ٢٧٩/٣ - بروكلمان ٣٦٠/١ وذيله ٦١٣/١ .

المزهر للسيوطي : ٩٥/١ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٣٦ ، ٣٩٧ ، ١٣١/٢ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٥١ ، ٤٢١ ، ٤٦٨ .

آداب اللغة العربية ٤٩/٣ .

العسجد المسبوك ٤٩٠ - ٥٨٩ - ٥٢٩ .

تاج التراجم في طبقات الحنفية : قاسم بن قطلوبغا : ص ٢٤
منتخب المختار : محمد بن رافع السلامي ص ٤٨ – ٤٩ .
مفتاح السعادة : طاش كبرى زاده ١/١١٢ – ١١٤

(١٠) التعليقة الورقة ٥٧
(١١) تاريخ ثغر عدن ٢/٥٨ ومخطوطة التعليقة الورقة ٥٦
(١٢) تاريخ ثغر عدن ٢/٥٣ ومعجم البلدان ٣/٣٩٣
(١٣) معجم البلدان ٣/٣٩٣
(١٤) الفوائد البهية ص ٦٤
(١٥) منتخب المختار ص ٤٩ والتعليقة الورقة ٥٧
(١٦) بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٨٣
(١٧) التعليقة الورقة ٥٧
(١٨) بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٨٣
(١٩) المقدسي ص ٢٨٣ ومعجم البلدان ٣/٣٩٣
(٢٠) الجواهر المضية ٢٠١ ومنتحب المختار ٤٨ وتاج التراجم ٢٤ والنجوم الزاهرة ٧/٢٦ .
(٢١) الوافي١١/٢٨ والتعليفة الورقة٥٧ والجواهر المضية٢٠١ والفوائد البهية٦٣ والبغية١/١٩ ٥والعسجد المسبوك ٥٨٩ والشذرات ٥/٢٥٠ والنجوم الزاهرة ٧/٢٦ وتاريخ ثغر عدن ٢/٥٣ .
(٢٢) الفوائد البهية ص٦٣ وانظر العباب الزاخر مادة (بيض) ومادة (حصر) ففيه ما يكشف عن علم والده .
(٢٣) العباب مادة (كردر) .
(٢٤) ارشاد الاريب ٣/٢١٧ .
(٢٥) انظر العباب مادة (بضع) حيث اشار الصاغاني الى اخذه الحديث بمكة المكرمة سنة ستمائة للهجرة عن برهان الدين ابي الفتوح نصر بن أبي الفرج بن محمد بن علي الحصري البغدادي .
(٢٦) انظر مقالته في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٣٩ ج ١ – كانون الثاني ١٩٦٤ – ص ٤٩ .
(٢٧) مقدمة (يفعول) بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ص ٢ .
(٢٨) تاريخ ثغر عدن ٢/٥٤
(٢٩) تاريخ ثغر عدن ٢/٥٤
(٣٠) تاريخ ثغر عدن ٢/٥٤
(٣١) ارشاد الاريب ٣/٢١٨
(٣٢) ارشاد الاريب ٣/٢١٨
(٣٣) ارشاد الاريب ٣/٢١٨
(٣٤) كتاب اللام والميم من تلخيص مجمع الآداب ص ٧٥٦ – ٧٥٧

(٣٥) من أبيات في مخطوطة التعليقة .
(٣٦) قاله الذهبي ونقله عنه الصفدي في الوافي ٢٧/١١ والسيوطي في البغية ٥١٩/١ وهو كذلك في تاريخ ثغر عدن ٥٣/٢ والفوائد البهية ٦٣ والحوادث الجامعة ٢٦٣ والجواهر المضية ٢٠١. في حين انفرد ياقوت بخلاف هذا الرأي .
(٣٧) الحوادث الجامعة ٢٦٣ . ويرى محقق الانفعال خلاف هذا الرأي (انظر مقدمته (ي)) .
(٣٨) الحوادث الجامعة ٢٦٢ – ٢٦٣
(٣٩) مخطوطة الوافي ٢٨/١١ نقلا عن الذهبي .
(٤٠) الوافي بالوفيات ٢٨/١١ .
(٤١) العسجد المسبوك ٤٩٠ والجواهر المضية ٢٠٢/١ والوافي ٢٨/١١ وتاريخ الاسلام للذهبي ترجمة الصاغاني .
(٤٢) الحوادث الجامعة ٢٦٣ و ٢٨٧ والعسجد المسبوك ٥٢٩ – ٥٣٠
(٤٣) العسجد المسبوك ٥٢٩ – ٥٣٠
(٤٤) انفرد بالبيت الرابع (مدد عل نجم القادري) في مقالته سالفة الذكر ولم يذكر مصدره .
(٤٥) انظر ص ١٥ من نشرة الدكتور ابراهيم السامرائي لكتاب « يفعول » .
(٤٦) الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقى ص ٢٩٥
(٤٧) الحوادث الجامعة ٢٦٣ ومنتخب المختار ٤٨ ومفتاح السعادة ١١٣/١ و الفوائد البهية ٦٣ والتعليقة الورقة ٥٧ .
(٤٨) مفتاح السعادة ١١٣/١ والفوائد البهية ٦٣ وثغر عدن ٥٣/٢
(٤٩) قال السلامي في المنتخب ص٤٨ انه توفي في رمضان. وفي العسجد المسبوك انه توفي في السادس والعشرين من شعبان بعد ان اسبغ الوضوء على الصبح واعتمدنا فيما اثبتناه على تعليقة ابن جماعة والجواهر المضية .
(٥٠) الجواهر المضية ٢٠١/١ – ٢٠٢ والوافي ٢٨/١١ .
(٥١) الحوادث الجامعة ٢٦٣ .
(٥٢) الفضيل بن عياض التميمي الطالقاني: الزاهد المشهور ، مولده بابيورد وقيل بسمرقند ونشأ با بيورد ، وقدم الكوفة وسمع الحديث بها ، ثم انتقل الى مكـة – شرفها الله تعالى – فجاور الى ان مات سنة ١٨٧ هـ . انظر ترجمته في المصادر التالية : وفيات الاعيان ٤٧/٤ طبقات السلمي ٦–١٤ تذكرة الحفاظ ٢٤٥ ميزان الاعتدال ٣٦١/٣ عبر الذهبي ٢٩٨/١ صفة الصفوة ٢٣٧/٢ حلية الاولياء ٨٤/٨ والجواهر المضية ٤٠٩/١ وتهذيب التهذيب ٢٩٤/٨ والنجوم الزاهرة ١٢١/٢ ، ١٤٣ . والشذرات ٣١٦/١.
(٥٣) التعليقة الورقة ٥٧ والجواهر المضية ٢٠٣/١ ومخطوطة الوافي ٢٨/١١ والحوادث الجامعة ٢٦٣ والفوائد البهية ص ٦٣ .
(٥٤) بغية الوعاة ٥٢٠/١ والتعليقة الورقة ٥٧ والوافي ٢٨/١١ والفوائد البهية ٦٣ .
(٥٥) الحوادث الجامعة ٢٦٤ .

(٥٦) تاريخ ثغر عدن ٢/٥٥ .
(٥٧) الفوائد البهية ص ٦٣ .
(٥٨) مخطوطة التعليقة الورقة ٢٥ ومنتخب المختار ٤٩ والجواهر المضية ٢٠٢/١ وتاريخ ثغرعدن٥٤/٢
(٥٩) مخطوطة الوافي ٢٨/١١ . وفي البغية ٥١٩/١ ومفتاح السعادة ١١٣/١ انه سمع من النظام المرغيناني
(٦٠) شذرات الذهب ٢٥٠/٥ وتاريخ الاسلام للذهبي (ترجمة الصاغاني) .
(٦١) تاريخ ثغر عدن ٥٣/٢ وشذرات الذهب ٢٥٠/٥ والتعليقة الورقة ٥٧
(٦٢) تاريخ ثغر عدن ٢٠٠/٢ - ٢٠١
(٦٣) تاريخ ثغر عدن ٥٤/٢
(٦٤) منتخب المختار ص ٤٩ .
(٦٥) البغية ٥٢٠/١ وتاج التراجم ٢٤ ومنتخب المختار ٤٩ والنجوم الزاهرة ٢٦/٧ .
(٦٦) تاريخ ثغر عدن ٩٦/٢ - ٩٧ .
(٦٧) تاريخ ثغر عدن ٢٣٦/٢
(٦٨) تاريخ ثغر عدن ٥٤/٢
(٦٩) تاريخ ثغر عدن ٢٠٩/٢
(٧٠) تاريخ ثغر عدن ١٣٤/٢ .
(٧١) تاريخ ثغر عدن ٩١/٢
(٧٢) الحوادث الجامعة ٢٦٣
(٧٣) تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب (كتاب اللام والميم) ص ٧٥٧
(٧٣ب) انظر مقدمة الانفعال (س ع) . وتاريخ علماء المستنصرية ١٧٤ و ٢١٤ .
(٧٤) الحوادث الجامعة ٢٦٢
(٧٥) بغية الوعاة ٥١٩/١
(٧٦) البغيه ٥٢٠/١ .
(٧٧) تلخيص مجمع الآداب - كتاب اللام والميم - ص ٧٥٦
(٧٨) مخطوطة الوافي ٢٨/١١
(٧٩) منتخب المختار ص ٤٩
(٨٠) تاج التراجم ص ٢٤
(٨١) تاريخ ثغر عدن ٥٣/٢
(٨٢) العسجد المسبوك ٥٨٩
(٨٣) مرآة الجنان ١٢١/٤
(٨٤) البلغـــة ٦٣
(٨٥) النجوم الزاهرة ٢٦/٧
(٨٦) شذرات الذهب ٢٥٠/٥

(٨٧) الحوادث الجامعة ٢٦٤

(٨٨) انظر ترجمة ابن جماعة في: الدرر الكامنة ٢/٤٨٩ وطبقات الحفاظ ٥٣١ والبدر الطالع ١/٣٥٩ والشذرات ٦/٢٠٨ . وكشف الظنون ١٩٤٠ والاعلام ٤/١٥١ .

(٨٩) انظر ترجمة الدمياطي في: فوات الوفيات ٢/٤٠٩ – ٤١١ والدرر الكامنة٣/٣٠ والسبكي ٦/١٣٢ والنجوم الزاهرة ٨/٢١٢ والبداية والنهاية ١٤/٤٠ وتذكرة الحفاظ ١٤٧٧ وذيل السلامي ١٢٠ وغاية النهاية ١/٣٧٢ وحسن المحاضرة ١/٣٥٧، ٤٢١ والشذرات ٦/١٢ والدارس ١/٢٢ وذيل الذهبي على العبر ص ٣٣ والاعلام ٤/٣١٨ .

هوامش النص

(ملحوظة : كل ما كان بين قوسين عاديين أو قوسين منجمين فهو موجود في الاصل البرليني، ساقط من المختصر الباريسي)

* ت : والصلاة

(١) قبلها في المختصر ما نصه : وانبأني ومن خطه نقلت قال : قرأت عليه من نظمه تعزيز ...

(٢) تقدمت ترجمته في المقدمة .

(٣) المستنصر بالله (٥٨٨ – ٦٤٠ هـ): الخليفة العباسي منصور بن محمد بن الناصر ابن المستضيء باني المدرسة المستنصرية . كان حازماً عادلا وافر العقل حسن السياسة قرب العلماء ورجال الدين تولى الخلافة سنة ٦٢٣ هـ وتوفي سنة ٦٤٠ هـ . انظر ترجمته في المصادر التالية : الكامل لابن الاثير ١٢/٤٥٨ ومختصر ابي الفداء ٣/١٣٧، ١٧١ وتاريخ الخميس ٢/٣٧٠ وتاريخ الخلفاء ٤٦٠ – ٤٦١ .

(٤) قبله في المختصر كلمة (وتعزيزها) .

(٥) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي : بحر التفسير وحبر الامة. حفظ المحكم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم . ولد قبل الهجرة بثلاث سنين . دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم : اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين . كان طويلا وسيما مليح الوجه . قال عطاء : ما رأيت البدر إلا ذكرت وجه ابن عباس . توفي بالطائف وقد كف بصره سنة ثمان وستين، وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال : اليوم مات رباني الامة رضي الله عنه. انظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء ١/ص ٤٢٥ – ٤٢٦ .

(٦) عبدالله بن عمر بن الخطاب ابو عبدالرحمن العدوي الصحابي الكبير . وردت الرواية عنه في حروف القرآن . توفي سنة ثلاث وسبعين . انظر ترجمته في غاية النهاية ١/٤٣٧ – ٤٣٨.

(٧) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ابو عمر ، أحد الفقهاء السبعة . وردت عنه الرواية في حروف القرآن ، مات سنة ست ومائة .
انظر ترجمته في غاية النهاية ١/٣٠١ .

(٨) ابو رجاء العطاردي : هو عمران بن تيم ويقال ابن ملحان ابو رجاء العطاردي البصري التابعي الكبير . ولد قبل الهجرة باحدى عشرة سنة ، وكان مخضرماً اسلم في حياة الرسول ولم يره . وكان يختم القرآن في كل عشر ليال . مات سنة خمس ومائة ، وله مائة وسبع وعشرون سنة .
انظر ترجمته في غاية النهاية ١/٦٠٤ .

(٩) مجاهد بن جبر المكي أحد الاعلام من التابعين والائمة المفسرين . قرأ على عبدالله بن السائب وعلى عبدالله بن عباس بضعا وعشرين ختمة ريقال ثلاثين عرضة ومن جملتها ثلاث سأله عن كل آيـــة فيم كانت . قال قتادة : اعلم من بقي بالتفسير مجاهد . مات سنة ثلاث ومائة وقد نيف على الثمانين رحمه الله . انظر ترجمته في غاية النهاية ٢/٤١ - ٤٢ .

(١٠) عكرمة مولى ابن عباس ابو عبدالله المفسر . ووردت الرواية عنه في حروف القرآن. روى عن مولاه وأبي هريرة وعبدالله بن عمر . روى عنه خلق . مات سنة خمس ومائة . انظر ترجمته في غاية النهاية ١/٥١٥ .

(١١) قتادة بن دعامة ابو الخطاب السدوسي البصري الاعمى المفسر احد الائمة في حروف القرآن . وكان يضرب بحفظه المثل. توفي سنه سبع عشرة ومائة .انظر ترجمته في غاية النهاية ٢/٢٥-٢٦.

(١٢) الضحاك بن مزاحم أبو القاسم الهلالي الخرساني، تابعي ، وردت عنه الرواية في حروف القرآن سمـــع سعيد بن جبير وأخـــذ عنه التفسير ، توفي سنة خمس ومائة . انظر ترجمته في غـــاية النهاية ١/٣٣٧ .

(١٣) عاصم بن أبي الصباح العجاج الجحدري البصري. مات سنة ثمان وعشرين ومائة. انظر ترجمته في غاية النهاية ١/٣٤٩ .

* ت : أمـــه .

(١٤) تمام الآية الكريمة : (وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة انا انبئكم بتأويله. فارسلون) رقم الآية ٤٥ ك سورة يوسف رقم ١٢ .

(١٥) البيت دون عزو في اللسان مادة [امه] .

(١٦) ذو الاصبع العدواني : حرثان بن محرث شاعر جاهلي توفي نحو ٢٢ قبل الهجرة. انظر ترجمته في المراجع التالية : القاب الشعراء ص ٢٠٧ والاغاني (الثقافة) ٣/٨٥ ولآلىء البكري ١/٢٨٩ وأمالي المرتضى ١/١٧٦ وشواهد العيني على هامش الخزانة ٤/٣٧٤ وانظر ترجمة قيمة له في مقدمة ديوانه صنعة عبدالوهاب العدواني ومحمد نايف الدليمي - الموصل - ١٩٧٣م - ١٣٩٣ هـ .

(١٧) شالت نعامتنا : أي تفرق امرنا .

(١٨) البيت في ديوانه ص ٨٩ وروايته مماثلة .

** ت : بـــه

* ت : أضره

(١٩) الاعشى : ميمون بن قيس (ت ٧ هـ) وهو الاعشى الكبير ، احد اصحاب المعلقات سمي صناجة العرب ، عمر طويلا وادرك الاسلام ولم يسلم. مولده ووفاته في منفوحة باليمامة. له ديوان مطبوع انظر ترجمته في : الاغاني ٩/١٠٤ الشعر والشعراء ٢٥٧ المرزباني ٣٢٥ الآمدي ١٠ خزانة البغدادي ١/٨٤ معاهد التنصيص ١/١٩٦ وجمهرة اشعار العرب٢٤٢ والبيان والتبيين ٣/١٠١ وابن سلام في طبقات فحول الشعراء ص ٦٥ .

(٢٠) البيت في ديوانه ص ٧ برواية مماثلة . والأمعز : الغليظ من الارض . والمكوكب : المتوقد مـــن الحر . وجمل واخد وخاد : واسع الخطو . نواج : قوائم .

(٢١) هذا البيت من متن القصيدة ساقط في المختصر .

(٢٢) أضفه : أجره .

(٢٣) في المختصر : العبرت .

• الاصمعي : عبدالملك بن قريب الباهلي (ت ٢١٦ هـ). انظر ترجمته في : المنتقى من اخبار الاصمعي للربعي . اخبار النحويين ٤٥. انباه الرواة ١٩٧/٢ . الجرح والتعديل لابن ابي حاتم الرازي ٢ / ٣٦٣ والتاريخ الصغير البخاري ٢٣٤ وجمهرة ابن حزم ٢٣٤ ووفيات الاعيان ٣ ، ١٧٠ - ١٧٦ والمعارف ٢٣٦ وكامل ابن الاثير ٢٢٠/٥ وتاريخ اصبهان لابي نعيم ١٣٠/٢ وتاريخ بغداد٤١٠/١٠ وتاريخ ابن عساكر ٤١٤/٢٤ وتهذيب التهذيب ٤١٥/٦ وطبقات القراء ٤٧٠/١ ومراتب النحويين٤٦ ونزهة الالباء١١٢ والنجوم الزاهرة ١٩٠/٢ وشذرات الذهب ٣٦/٢ والوافي بالوفيات ٣٥٤/٦ والفهرست ٥٥ والبغية ١١٢/٢ وطبقات الزبيدي ١٦٧ - ١٧٤ .

(٢٤) ما بين قوسين منجمين ساقط في المختصر وتقابله العبارة التالية : (العبرت : السماق) .

(٢٥) الحديث الشريف «المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف - ويروى الآنف بالمد - إن قيد انقاد وإن انيخ على صخرة استناخ ». رواه القضاعي في مسند الشهاب رقم ١٠٥ بتحقيق الشيخ حمدي عبدالمجيد السلفي . والعقيلي في الضعفاء ٢١٤ وقال: ليس له أصل عن ثقة ، عبدالله بن عبدالعزيز احاديثه مناكير غير محفوظة ليس ممن يقيم الحديث. منها ، ثم ذكر له حديثين هذا أحدهما ، وقال ابو حاتم وغيره : احاديثه منكرة . وقال ابن الجنيد :لايساوي شيئاً يحدث باحاديث كذب . وعند العقيلي الألف بدل الأنف . وليس عندهم الآنف بالمد. ورواه عبدالله بن المبارك في الزهد ٣٨٧ مرسلا وفي اسناده سعيد بن عبدالعزيز اختلط قبل موته .
ولكن له شاهد قوي بلفظ « فانما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد » عند ابن ماجة ٤٣ والحاكم ٩٦/١ واحمد ١٢٦/٤ وابن حبان ١٠٢ والمخاص فيسبعة مجالس ق ١/٥١ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/٢٦٥/١١ واللالكائي في شرح السنة (١/٢٢٨ -كواكب ٥٧٦) والضياء المقدسي في المختارة (٢/١٠٤/١٠) وابو نعيم في المستخرج على صحيح مسلم ١/٣/١ .

•• ابن الاعرابي : محمد بن زياد (ت ٢٣١ هـ) : انظر ترجمته في : وفيات الاعيان ٣٠٦/٤ وتاريخ بغداد٢٨٢/٥والوافي٧٩/٣ ونزهة الالباء١٥٠وطبقاتالنحويين واللغويين٢١٣والفهرست ٦٩ وانباه الرواة ١٢٨/٣ والبداية والنهاية ٣٠٧/١٠ وبغية الوعاة١٠٥/١ وكامل ابن الاثير ٢٧٥/٥ وتاريخ ابي الفدا ٣٦/٢ وتلخيص ابنمكتوم ٢٠٩ - ٢١٠ وتهذيب الاسماء واللغات ٢٦٥/٢ وشذرات الذهب ٧٠/٢ والعبر ٤٠٥/١ وعيون التواريخ (وفيات سنة ٢٣١هـ) ومراتب النحويين ١٤٩ ومرآة الجنان ١٠٦/٢ والمزهر ٤١١/٢ و ٤٦٤ والمعارف ٥٤٦ ومعجم الادباء ١٨٩/١٨ ونور القبس ٣٠٢ والنجوم الزاهرة ٢٦٤/٢ وهدية العارفين ١٢/٢ والاعلام ٣٦٥/٦ ومعجم المؤلفين ١١/١٠ .

(٢٦) الكميت بن زيد الاسدي : ابو المستهل (٦٠ - ١٢٦ هـ). شاعر العلويين . كان خطيبا فقيها فارسا شجاعا راميا . من اهل الكوفة . وكان عالماً بآداب العرب ولغاتها واخبارها وانسابها. جمع شعره من معاصرينا الدكتور داود سلوم . ولنا عليه مستدرك منشور . انظر ترجمته في: الاغاني ٢٣٨/١٦ و ١٠١/٢١ والشعر والشعراء ٥٨١ وخزانة الادب ٦٩/١ - ٨٧ وسمط اللآلى ١١ والموشح ٣٠٢ وشرح شواهد المغني ٣٧ والآمدي ٢٥٧ .

(٢٧) البيت في (شعر الكميت بن زيد الأسدي) ٣٣//٢. وهو في التهذيب وفي اللسان والتاج [هتمل وهنم] وهو في النيروز ٢٤ وفي فقه اللغة ١٩٣ وفي سمط اللآلى ٢٦٣.

(٢٨) ذو الرمة : غيلان بن عقبة (٧٧ – ١١٧ هـ) عدوي من مضر ، من فحول عصره . وامتـاز بجودة التشبيه ، واكثر شعره تشبيب وبكاء اطلال . عشق مية المنقرية واشتهر بذلك . له ديوان مطبوع . انظر ترجمته في: الوفيات ١١/٤ والاغاني ٣٠٤/١٧ والموشح ١٧٠ والشعر والشعراء ٥٢٤ وخزانة البغدادي ٥١/١ والشريشي ٥٣/٢ ومعاهد التنصيص ٢٦٠/٣ وجمهرة اشعار العرب ٩٣١ (وطبقات فحول الشعراء ٥٤٩) وشرح شواهد المغني ص ٦١٧ والعيني ٤١٢/١ وسمط اللآلى ٨١ وتزيين الاسواق ٨٨/١ .

(٢٩) البيت في ديوان ذي الرمة ص ٥٧٦ .

(٣٠) التعمير : طول العمر .

(٣١) البيت في اللسان مادة [حصي] لبشير الفريري .

(٣٢) حديث : « تعشوا ولو بكف من حشف فان ترك العشاء مهرمة » رواه الترمذي (١٩١٧) وقال : هذا حديث منكر لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وعنبسة يضعف في الحديث ، وعبدالملك بن علاق مجهول . قلت : ومحمد بن يعلى الكوفي ايضا ضعيف .

ورواه القضاعي في مسنـد الشهاب ٨٩/٢. واورده ابن الجوزي في الموضوعـات ٣٦/٣ مـن طريق الترمذي وقال: اما عنبسة فقال يحيى ليس بشيء ، وقال النسائي متروك ، وقال ابو حاتم كان يضع الحديث . وقال ابن حبان لا اصل لهذا الحديث . واورده الصغاني في الموضوعات (ص ١٢) واورده في الدر الملتقط (رقم ٤٧) في الاحاديث التي انتقد فيها القضاعي وحكم بوضعها.

ورواه في الحلية (٨ / ٢١٤ – ٢١٥) بلفظ : « لا تدعوا عشاء الليل ولو بكف من حيس فان بركته تهرب » . ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (٣٩٦/٣) بلفظ :

« لا تتركوا عشاء الليل ولو بكف من حشف فان تركه مهرمة » .

وابن عدى في الكامل (٢٣٢/٢) .

وقد اضطرب عنبسة في اسناد الحديث ، فعند الترمدي عن عبدالملك بن علاق .

وعند القضاعي : عن علاق بن ابي مسلم . وعند ابي نعيم والخطيب عن مسلم .

وعند ابن عدي عن موسى بن عقبة .

وعند ابن ابي حاتم في العلل (١١/٢) عن علاق بن مسلم .

ورواه ابن النجار في تاريخه من طريق ابي الهيثم القرشي ، قال الازدي : كذاب .

ورواه ابن ماجة (٣٣٥٥) بلفظ :

« لا تدعوا العشاء ولو بكف من تمر فان تركه مهرمة» من حديث جابر بن عبدالله، وفي اسناده ابراهيم ابن عبدالسلام وهو احد المتروكين وعبدالله بن ميمون وهو القداح كما قال الحافظ وهو ايضا متروك

(٣٣) القضاعي : محمد بن سلامه بن جعفر القضاعي الشافعي (ت ٤٥٤ هـ) محدث، مؤرخ ، تولى القضاء بمصر . من تصانيفه: الشهاب في الحكم والآداب ، وهو في الحديث وكتاب الانباء عن الانبياء . ومناقب الامام الشافعي . وخطط مصر . وتواريخ الخلفاء . توفي بمصر . انظر ترجمته في: وفيات الاعيان ٢١٢/٤ والسبكي ١٥٠/٤ والوافي ١١٦/٣ والشذرات ٢٩٣/٣ وحسن المحاضرة ١٦٩/١ والرسالة المستطرفة ٧٦ والعبر ٢٣٣/٣ واللباب ٢٦٩/٢ وابي الفداء ١٩٠/٢ ومرآة الجنان ٧٥/٣ .

(٣٤) لبيد بن ربيعة العامري (ت ٤١ هـ) شاعر فارس احد اصحاب المعلقات. ادرك الاسلام فاسلم وسكن الكوفة وعمر . وكان جواداً . وله ديوان مطبوع. انظر ترجمته في : خزانة البغدادي ٣٣٧/١

و ١٧١/٤ ومطالع البدور ٥٢/١ والسمط ١٣ والشعر والشعراء ٢٧٤ والآمدي ٢٦٤ وجمهرة اشعار العرب ٢٨٨ والنقائض ٢٠١ وطبقات فحول الشعراء ١٣٥ .

(٣٥) البيت في ديوان لبيد ص ١٩٣ . الثلل : الهلاك . والشاعر يشير في هذا البيت الى يوم فيف الريح ، وكانت قد تجمعت فيه بنو الحارث وبنو جعفى وقبائل سعد العشيرة ومراد وصداء ونهد .

(٣٦) تمــام الآية الكريمة « فــاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حـــداد » . الآية ١٩ م سورة الاحزاب رقم ٣٣ .

(٣٧) حديث « ليس منا من حلق ومن سلق ومن خرق » رواه مسلم ١٠٤ ورواه بهذا اللفظ ابو داود رقم ٣١١٤ من حديث ابي موسى الاشعري وروواه النسائي ٢٠/٤ بلفظ « ليس منا من حلق ولا خرق ولا سلق » وصلق لغة في سلق: وررواه البخاري رقم ١٢٩٣ معلقا بلفظ ان رسول الله برئ من الصالقة والحالقة والشاقة. ووصله مسلم ١٠٤ وفي لفظ له « انا بريءٌ ممن حلق وسلق وخرق »والنسائي بلفظ « انا بريءٌ ممن حلق وخرق وسلق » وكذلك ابن ماجة رقم ١٥٨٦. وررواه احمد في المسند ٣٩٦/٤ و ٣٩٧ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤١١ و ٤١٦ .

* في الاصل والمختصر : تراها ، وفي (ت) : تراه .

** ت : يمسك . * ت : العضاه

(٣٨) البيت الثالث فقط للكميت في مجموع شعره صنعة الدكتور داود سلوم ٢٥٥/١ نقلا عن الصحاح واللسان والتاج مادة [علق] . والاول والثاني لا وجود لهما في الديوان، وقد انفردت بهما مخطوطتنا

** ت : واحب . * ت : بالعيسجور .

(٣٩) الحديث الشريف: « ان أرواح الشهداء في اجواف طير خضر تعلق من شجر الجنة » رواه احمد ٣٨٦/٦ والترمذي ١٦٩١ وقال : حديث حسن صحيح . وهو ايضا في الفائق في غريب الحديث ١٨٤/٢ .

(٤٠) الرجز دون عزو في اللسان مادة (مقر) . وررواية الصدر مختلة في اللسان ونصها : أرقــش ظمآن إذا عصر لفظ .

(٤١) البيت في ديوان لبيد ص ١٨٩ . البارض : اول ما يبدو من البهمى . الرجل: أماكن ســهلة تنصب إليها المياه فتنبت العرفج الكثير . والمرابيع : الامطار التي تجيء في اول الربيع .

(٤٢) امرؤ القيس بن حجر الكندي : شيخ شعراء الجاهلية وأحد اصحاب المعلقات له ديوان مطبوع . انظر ترجمته في المصادر التالية: الاغاني ٧٦/٩ والشعر والشعراء ١٠٥/١ خزانة البغدادي ١٦٠/١ و ٦٠٩/٣ – ٦١٢ وشرح شواهد المغني ٢١ وجمهرة اشعار العرب ٤٢٧ والزوزني ٢ وصحيح الاخبار ٦/١ و ١٦ – ١١٠ وتهذيب ابن عساكر ١٠٤/٣ .

(٤٣) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص ١٢٩ . الرثية : وجع المفاصل من الضعف والكبر . والإمر : الضعيف . قوله : « إذا قيد مستكرها أصحبا »، أي إذا قاده عدوه الى أمر تابعــه وذهب معه .

(٤٤) المثل لا وجود له في كتب الامثال التالية: جمهرة الامثال للعسكري . مجمع الامثال للميداني المستقصى للزمخشري. فصل المقال للبكري . كتاب الامثال للسدوسي . كتاب الامثال لابـــي عكرمة الضبي. الدرة الفاخرة في الامثال السائرة لحمزة بن الحسن الاصفهاني . فهو مثل انفردت به مخطوطتنا .

(٤٥) نص عبارة سيبويه في الكتاب ٣٠٩/٤ (بتحقيق عبدالسلام محمد هارون): « وكذلك ميــم مأجج وميم مهدد ، لانهما لو كانتا زائدتين لأدغمت كرد ومفر . فانما هما بمنزلة قردد » .

(٤٦) سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر) (١٤٨ – ١٨٠ هـ) : إمام النحاة . صاحب الكتاب ولد في قرية من قرى شيراز وقدم البصرة ولزم الخليل بن احمد ورحل الى بغداد وناظر الكسائي وعاد للاهواز توفي بها. وسيبويه بالفارسية « رائحة التفاح ». انظر ترجمته في: وفيات الاعيان ٤٦٣/٣ والشريشي ١٧/٢ والبداية١٠ /١٧٦ والانباري٦٠ والسيرافي ٣٧ وتاريخ بغداد ١٩٥/١٢ وطبقات النحويين ٦٦ – ٧٢ والاعلام ٢٥٢/٥ ونور القبس ٩٥ وانباه الرواة ٣٤٦/٢ والعبر ٢٧٨/١ مراتب النحويين ص ٦٥ .

(٤٧) عبارة سيبويه في اللسان (سرح) ونصها: «قال سيبويه: النون زائدة، وهو فعلان والجمع سراحين».

(٤٨) الكسائي : علي بن حمزة الكوفي (ت ١٨٩ هـ): امام في اللغة والنحو والقراءة. من اهل الكوفة توفي بالري . هو مؤدب الرشيد وابنه الامين . له تصانيف عدة . انظر ترجمته في : غاية النهاية ٥٣٥/١ وابن خلكان ٢٩٥/٣ وتاريخ بغداد ٤٠٣/١١ ونزهة الالباء ٦٧ وطبقات النحويين ١٢٧ – ١٣٠ وانباه الرواة ٢٥٦/٢ ونور القبس ٢٨٣ . ومراتب النحويين ٧٤ – ٧٥.

(٤٩) عبارة الكسائي نصا في اللسان (سرح) .

(٥٠) ورد في اللسان (سرح) ما نصه : « والسرحان والسيد الأسد بلغة هذيل » .

(٥١) المثل في فصل المقال ٣٦٢ وجمهرة الامثال ٥١٤/١ واللسان (سرح) وجمهرة ابن دريد١٣٢/٢ والميداني ٣٢٨/١والمستقصى ١١٩/٢ . ويضرب مثلا لحاجة تؤدي صاحبها الى التلف . ونصيحة اسم امرأة الراعي القتيل.والمتقمر الذي يرعى إبله في القمر على ما ذكر البكري . وعند العسكري: المتقمر : الذي يأخذ الشيء غصباً وغلبة .

(٥٢) عمرو بن معدي كرب الزبيدي : فارس العرب ، صاحب الغارات المعروفة. شهد اليرموك والقادسية . توفي قرب الري عام ٢١هـ . جمع شعره من معاصر بنا وسبق الى طبعه الدكتور هاشم الطعان ببغداد . ثم طبعه مطاع الطرابيشي في دمشق. انظر ترجمته في : الاصابة (ت ٥٩٧٢) وابن سعد (٣٨٣/٥) والسمط ٦٣ والحور العين١١٠ والمرزباني١٥ معاهد التنصيص ٢٤٠/٢ والشعر والشعراء ٣٧٢ وخزانة البغدادي ٤٢٥/١ . والاغاني ١٩٢/١٥ .

(٥٣) البيتان لعمرو في ديوانه صنعة مطاع الطرابيشي ص ١١٠ – ١١١)

(٥٤) أبو ذؤيب الهذلي (ت نحو ٢٧ هـ). خويلد بن خالد شاعر فحل مخضرم سكن المدينة اسهم في الفتوح . في ايام عثمان خرج غازيا الى افريقية وعند العودة مات في مصر. مات له خمسة ابناء بالطاعون في عام واحد فرثاهم أوجع رثاء. طبع شعره مع اشعار الهذليين . انظر ترجمته في : الاغاني ٢٥٠/٦ الآمدي ١٧٣ والتبريزي ١٤٣/٢ والشعر والشعراء ٦٥٣ وشرح شواهد المغنى٢٩ وخزانة البغدادي ٢٠٣/١ ومعاهد التنصيص ١٦٥/٢ وكامل ابن الاثير ٣٥/٣.

(٥٥) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين للسكري ١٦١/١ و (بوشي) : كثير البوش والعيال . و« أحاحه » ما يجد في صدره من الغم والحر والغيظ . المتماحل : الطويل البعيد ما بين الطرفين ، قد بعد بعض خلقه من بعض .

(٥٦) الفراء : يحيى بن زياد الكوفي (ت ٢٠٧ هـ)، انظر ترجمته في : ارشاد الاريب ٢٧٦/٧ ووفيات الاعيان ١٧٦/٦. وفهرست ابن النديم ٦٦ وغاية النهاية ٣٧١/٢ ونزهة الالباء ٩٨ ومراتب النحويين ص٨٦ ومفتاح السعادة ١٤٤/١ وتهذيب التهذيب ٢١٦/١١ وتاريخ بغداد ١٤٩/١٤ ونور القبس٣٠١ وطبقات الزبيدي ١٣١ والعبر ٣٥٤/١ والشذرات ١٩/٢ والبغية ٣٣٣/٢ ومرآة الجنان ٣٨/٢ .

وللدكتور احمد مكي الانصاري كتاب « ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ».

(٥٧) الذي في اللسان (ضنن) : قال الفراء سمعت ضننت ولم أسمع أضن .

(٥٨) قعسب بن ضمرة بن أم صاحب من شعراء الدولة الاموية من بني غطفان كان ايام الوليد بن عبدالملك

(٥٩) في الحماسة (شرح التبريزي) ١٢/٤ والحماسة بشرح المرزوقي ص ١٤٥٠ وفي الاقتضاب ٢٩٢ ثلاثة ابيات من القصيدة ذاتها وليس منها هذا البيت .

وهو له في اللسان [ضنن] وفي السمط ٥٧٦ .

(٦٠) البيت في نوادر ابي مسحل الاعرابي ١٣٦ دون عزو . وهو في اللسان [جردب] والمقاييس ٥٠٦/١ والقلب والابدال ١٦ وامالي القالي ٥٤/٢ وأمالي المرتضى ٥٤/٢ والمعاني ٣٨٧ وفتسه اللغة ١٠٠ وجمهرة الامثال ٢ / ٣٩٣ و« لا تجعل شمالك جردبانا » مثل يضرب للحريص الذي يريد الشيء كله لنفسه . والبيت في جمهرة ابن دريد ٢٩٨/٣ ، ٤١٤.

(٦١) انظر المعرب للجواليقي ص ١٥٨ .

(٦٢) انظر نوادر ابي مسحل ص ١٣٦ – ١٣٧ .

(٦٣) تمام الآية الكريمة « وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله » الآية ١٤ك سورة النحل رقم١٦

(٦٤) جاء في اضداد الانباري ص ٣٧٩ ما نصه : وقال قطرب : يهوي من حروف الاضداد ، يكون بمعنى يصعد ، ويكون بمعنى ينزل .

(٦٥) ابو زيد (سعيد بن أوس الانصاري البصري) ت ٢١٥هـ : انظر ترجمته في المصادر التالية : وفيات الاعيان ٣٧٨/٢ واخبار النحويين البصريين ٤١ وتاريخ بغداد ٧٧/٩ ونزهة الالباء ١٢٥ وانباه الرواة ٣٠/٢ والبداية والنهاية١٠ / ٢٦٩ وبغية الوعاة ٥٨٢/١ وتاريخ ابن الاثير ٢٢٠/٥ وتاريخ ابي الفدا ٣٠/٢ وتقريب التهذيب ٢٩١/١ وتهذيب الاسماء واللغات ٢٣٥/٢ وتهذيب التهذيب ٣/٤ وجمهرة ابن حزم ٣٧٣ وخلاصة تهذيب الكمال١١٥ وشذرات الذهب ٣٤/٢ وطبقات الزبيدي ١٦٥وطبقات ابن قاضي شهبة الورقتان ١٤٩ – ١٥٠ وطبقات القراء ٣٠٥/١ والعبر ٣٦٧/١ وعيون التواريخ (وفيات ٢١٥هـ) . والفهرست ٥٤ – ٥٥ ومرآة الجنان ٥٨/٢ ومراتب النحويين ٤٢ والمزهر ٤٠٢/٢ ، ٤١٩ ، ٤٦١. والمعارف ٥٤٥ ومعجم الادباء ٢١٢/١١ ومعجم المطبوعات ٣١٢ ونور القبس١٠٤ وميزان الاعتدال ١٢٦/٢ والنجوم الزاهرة ٢١٠/٢ ومعجم المؤلفين ٢٢٠/٤ والاعلام ١٤٤/٣ .

(٦٦) ورد في اللسان مادة [هـــوا] ما نصه : « ابن الاعرابي : الهوي السريع الى فوق ، وقال ابو زيد مثله ، وانشد :

والدلـــو في إصعادهـــا عجـــل الهوي

وقال ابن بري : ذكر الرياشي عن أبي زيد ان الهوي بفتح الهاء إلى اسفل ، وبضمها الى فوق ، وانشد : عجل الهوي . وانشد :

هوي الدلـــو أسلمها الرشاء . فهذا الى اسفل »

(٦٧) أبو الطمحان القيني : حنظلة بن الشرقي. شاعر فارس مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام . وكان في الجاهلية تربا للزبير بن عبدالمطلب ونديما له. قيل كان خبيث الدين جيد الشعر . انظر ترجمته في الاغاني ١٣/٣ – ١٣ والشعر والشعراء ٣٨٨ – ٣٨٩ والمعمرون والوصايا ص ٧٢ والاشتقاق ٥٤٢ والمؤتلف ٢٢١ – ٢٢٢ واللآلى ٣٣٢ والاصابة ٣٨١/١ والخزانة ٤٢٦/٣ .

(٦٨) البيتان من قصيدة له ضاعت وبقيت منها سبعة ابيات. والبيت الثاني الذي عندنا من هذه السبعة

انظره في الشعر والشعراء ص ٣٨٩ والثاني فقط له في الكامل ٩٣/٢ وروايته (اشعث اغبرا) .
والثاني له في الفاخر ص ١١ وروايته : اشعث اغبر .
وهو له في سمط اللآلى ٤٠٥/١ وروايته : اشعث اغبر .
وهو له في خزانة الادب ٤٢٦/٣ وروايته : اشعث اغبرا .
وهو له في اللسان (ملح) وروايته : اشعث اغبرا ، قال ابن بري : صوابه (اغبر بالخفض) .
وهما من قصيدة اولها :

ألا حنت المرقال واشتاق ربهـا   تذكر أرماماً ، واذكر معشري

والاول مما انفردت به مخطوطتنا ولا وجود له في المصادر التي ترجمت للشاعر وحفظت شعره على ماأعلم.

(٦٩) الآية ١٧ ك سورة الحاقة رقم ٦٩

* ت : والعيل والعيلمة .   ** ت : جمـع .

(٧٠) الأبيات في القلادة السمطية ص ٨٨

(٧١) في الاصول الثلاثة : « ما تنشفه ». وبه يختل المعنى . جاء في اللسان مادة (حسـا) الحسي وجمعه أحساء : حفيرة قريبة القعر في ارض اسفلها حجارة وفوقها رمل ، فاذا أمطرت نشفه الرمل ، فاذا انتهى الى الحجارة أمسكته .

(٧٢) ابو نواس : الحسن بن هانئ الحكمي ولاء (١٤٦ – ١٩٨هـ) . انظر ترجمته في : وفيات الاعيان ٩٥/٢ – ١٠٤ الاغاني ٣/٢٠ واخبار ابي نؤاس لابن منظور ونزهة الالباء ٧٧ – ٨٠ واخبار ابي نؤاس لابي هفان المهزمي وطبقات ابن المعتز ١٩٣ وتاريخ بغداد ٤٣٦/٧ – ٤٤٩ وخزانة البغدادي ١٦٨/١ ومعاهد التنصيص ٣٠/١ – ٣٦ ونزهة الجليس ٤٥٦/١ وتهذيب ابن عساكر ٢٥٤/٤ والموشح ٤٠٧ – ٤٤٤ والشعر والشعراء ٧٩٦ – ٨٢٦ والفكاهة والائتناس في مجون ابي نواس ومرآة الجنان ٤٤٩/١ – ٤٥٧ ونهاية الارب ٣٨/٤ – ٩٩ وبروكلمان ٢٤/٢ ودائرة المعارف الاسلامية ٤١٣/١ .

(٧٣) خلف الاحمر (ت نحو ١٨٠ هـ) : خلف بن حيان راوية شاعر بصري واصله من فرغانة . كان متهما بوضع الشعر . له مصنفات وديوان . انظر ترجمته في : الارشاد ١٧٩/٤ وسمط اللآلى ٤١٢ وبغية الوعاة ٥٥٤/١ والشعر والشعراء ٧٨٩ ونزهة الالباء ٥٨ – ٥٩ ومراتب النحويين ٤٦– ٤٧ والفهرست ٥٥ – ٥٦ .

(٧٤) الابيات من ارجوزة نظمها ابو نواس في رثاء خلف الاحمر وهو حي . انظرها في ديوانه ص ٥٧٧ . والقليذم : البئر الغزيرة . والعياليم : جمع عيلم وهو البحر . والخسف جمع خسيفة وهي البئر حفرت في حجارة فنبعت بماء كثير لا ينقطع .

(٧٥) قمهزنة : هي في الاصل البرليني المخطوط قمهرنة بالراء في المواضع الثلاثة ، ولم اجدها فـي المعجمات وفي المخطوط التركي: قمهزنة في المواضع الثلاثة . ولم اجدها في المعجمات كذلك. ووجدت في اللسان مادة (قهمز) عن الليث : امرأة قهمزة قصيرة جداً . وفي التكملة والذيل والصلة ٢٩٦/٣ القهمز : القصير . وفي جمهرة ابن دريد ٣٤٢/٣ : القهمز : القصير المجتمع . وكلها بتقديم الهاء على الميم .

* : المراد .

(٧٦) المثل في جمهرة العسكري ٥٤/٢ ، قال ومعناه : أي الى هذا صار معنى الخبر . والمثل في فصل المقال ٢٩٧ والمستقصى ١٦٦/٢ والميداني ٢٨/٢ . واللسان [قمم] .

(٧٧) حديث « لعل احدكم الحن بحجته » هوقطعة من حديث ام سلمة رواه مالك ٢/١٠٦-١٠٧ واحمد ٦/٢٠٣ و ٢٩٠ و ٢٩١ - ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٢٠ والبخاري رقم ٢٤٥٨ و ٢٦٨٠ و ٦٩٦٧ و ٧١٦٩ و ٧١٨١ و ٧١٨٥ ومسلم رقم ١٧١٣ وابو داود رقم ٣٥٦٦ و ٣٥٦٧ و ٣٥٦٨ والترمذي ١٣٥٤ والنسائي ٨/٢٣٣ وابن ماجة ٢٣١٧ .

(٧٨) مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري (ت نحو ١٠٠ هـ) : شاعر غزل. من اشراف الكوفة تزوج الحجاج اخته « هنـد ». وتقلد خوارزم واصبهان للحجاج فوقعت منه خيانة حبس من اجلها وضيق عليه ، له شعر في الحماسة . انظر ترجمته في: المرزباني ٢٦٦ وسمط اللآلي ١٥ والاغاني ١٧/١٥٨ والشعر والشعراء ٧٨٢ ولسان الميزان ٥/٢ .

(٧٩) البيتان له في الاغاني ١٧/١٦٤ ورواية الثاني فيه :

... واحلى الحديث ما كان لحنا

وهما له في معجم المرزباني ص ٢٦٦ ورواية الاول : يشتهي السامعون . ورواية الثاني : منطق صائب .

(٨٠) الآية رقم ٣٠ م سورة محمد رقم ٤٧ . وتمامها :

« فلعرفتهم بسيما هم ولتعرفنهم في لحن القول » .

(٨١) الدباء : وعاء كانوا ينتبذون فيه وضري فكان النبيد فيه يغلي سريعا ويسكر ، فنهاهم الرسول عن الانتباذ فيه .

(٨٢) تضرى : ضري النبيذ يضرى إذا اشتد . وفي المختصر : يصرى بالصاد المهملة. معناها : يطول مكثه فيتغير ويفسد .

(٨٣) انظر الحديث الشريف في اللسان مادة (دبي) وفي آخره : ثم رخص صلى الله عليه وسلم ، في الانتباذ فيها بشرط أن يشربوا ما فيها وهو غير مسكر .

(٨٤) في المختصر : يقال مخضه و مخضه و مخضه ، بالحركات الثلاث .

(٨٥) في المختصر : ناق

(٨٦) ومنه قول القائل : كمخض الماء ليس له إتاء

* ت : مفصـم .

(٨٧) انظر العبارة في اللسان [قضم]

(٨٨) العبارة في اللسان [قضم] .

(٨٩) ما بين عضادتين ساقط من البرلينية ، فاثبتناه عن المختصر الباريسي والنسخة التركية .

(٩٠) البيت في اللسان مادة (قضم) دون عزو وروايته : حتى تدرك الخضم .

* ما بين عضادتين ساقط من (ت) .

(٩١) المثل في جمهرة العسكري ١/١٧٠ - ١٧١ وفي اللسان (سرط وضرط) وفصل المقال ٣٧٩ والميداني ١/٤١ والمستقصي ١/٢٩٧ وامثال السدوسي ٦٩ و ٨٠ واصلاح المنطق ٢٠٨ .

* ت : ما يأخذه لدين .

(٩٢) السلجان : سرعة الابتلاع والليان : المطل . والمثل في جمهرة العسكري ١/١٧١ و ١/٤٩٦ .

(٩٣) من امثال العرب « البطنة تذهب الفطنة » انظر اللسان مادة [بطن] .

* ت : تمتـلء .

(٩٤) القول في اللسان مادة (بطن) .

* ت : قـال .

(٩٥) الليث بن نصر بن سيار اللغوي النحوي: اضطربت المصادر في اسم ابيه فهو عند الأزهري الليث بن المظفر وعند غيره الليث بن رافع وعند الفيروز آبادي الليث بن نصر. وفي طبقات ابن المعتز أن الخليل صنف (العين) له فاكب على مطالعته فاشغله عن جارية حظية تحبه فاحرقت الكتاب فجزع الليث وكان أميرا. ولم يكن للكتاب نسخة أخرى وكان الخليل قد مات . فجمع الليث من قدر عليه من العلماء واملى النصف الاول من صدره ، وأمرهم ان يتموه ، فاتموه ، فلم يأت ما ألفوه طبق الأصل . أنظر ترجمته في: البغية ٢٧٠/٢ والبلغة ١٩٤ وطبقات ابن المعتز ٣٨ وانباه الرواة ٤٢/٣ ومعجم الأدباء ٤٣/١٧ والمزهر ٧٧/١ .

(٩٦) في المختصر : من شوق .

(٩٧) مه : اسم مبني على السكون بمعنى أسكت . وقد تأتي بمعنى ماذا للاستفهام، فابدل الألف هاء للوقف والسكت .

(٩٨) مهزور : وادي كانت تنزله قريظة . من وديان المدينة المنورة انظر بلدان ياقوت ٧٠١/٤

(٩٩) الكمه : العمى الذي يولد به الأنسان .

* ت : كـمه .

(١٠٠) في المختصر : معامي

(١٠١) ترج : جبل وقرية وواد . والوادي الى جنب تبالة على طريق اليمن ، وهو كثير الأسد . انظر معجم البلدان ٨٣٥/١ .

(١٠٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين للسكري ص ١١٠ والقبيب: صوت يقبقب

(١٠٣) الترجمان : المفسر .   * ت : تراجـم .

(١٠٤) الرجز دون عزو في اللسان مادة [رجـم] . وورواية الثاني فيه : لم ألق إذ وردته فراطا . ووهم أحمد خان اذ نسبها لنقادة الأسدي في نشرته .

* ت : كترجمان .

(١٠٥) في المختصر : وغيره .

(١٠٦) جاء في اللسان مادة [تمه] : وتمه وتهم بمعنى واحد ، وبه سميت تهامة .

(١٠٧) شمر بن حمدويه (ت ٢٥٥ هـ)، لغوي أديب أخذ عن علماء العراق وأصله من هراة له كتاب (الجيم) . غرق في النهروان . أنظر ترجمته في : بغية الوعاة ٤/٢ ونزهة الالباء ١٩٦ - ١٩٧ وانباه الرواة ٧٧/٢ ومعجم الأدباء ٢٧٤/١١ وكشف الظنون ١٢٠٥ ، ١٤١٠.

(١٠٨) يضرب للرجل يكثر القول في وصفه الشيء، والهرف : الاطناب. أنظر المثل في جمهرة العسكري ٣٧٨/٢ وفصل المقال ٣٤ والمستقصى ٢٦١/٢ والميداني ٢١٩/٢ .

وهو في الوسيط في الأمثال للواحدي ص١٩٩ . وروايته (لا تهرف بما لا تعرف) في جميع المصادر المتقدمة .

(١٠٩) كلمة لم أوفق لفهمها .

دراسة عن طراز جديد من العلاقة

بين المجموع الجذري والمجموع الخضري

موجود في نخيل التمر (*)

عباس احمد الصالح

قسم علوم الحياة – كلية العلوم – جامعة بغداد

الخلاصة

بيّنَت دراسة علاقة المجموع الجذري والمجموع الخضري في شتلات ستة أصناف منزرعة من نخيل التمر أن عدد جذور النبتة يساوي عدد أوراقها . كما بينت أن الجذر الابتدائي غير مختلف فيما يتعلق بالناحية المورفولوجية وأمد الحياة ونوعية الاتصال بالجزء الخضري عن بقية الجذور . ودلت الدراسات التشريحية والفسلجية الأولية على أن لكل جذر ورقته الخاصة أو لكل ورقة جذرها الخاص حيث يعمل مثل هذا النظام باستقلالية كبيرة حيث تبقى الورقة خضراء حية ما دام جذرها حيا فاذا قطع الجذر ماتت الورقة وإذا قطعت الورقة الخضراء مات جذرها الخاص .

وتكمن معرفة مثل هذه الحقائق في أهميتها على النطاق التطبيقي بالاضافة إلى أهميتها الأكاديمية حيث تساعد في تفهم خلفيات زراعة وتحسين هذه الشجرة وتهيئ الفرص لنمو خضري أفضل كما تساعد في كيفية الحصول على إنتاج أوفر .

(*) القي البحث في المؤتمر الزراعي للبحوث والانتاج النباتي ١-١٤ تشرين الثاني ١٩٧٩/بغداد.

A Study on a New type of Root-shoot system relation found in date palms

Abbas A. Al-Salih

Biol. Dept. Coll. Science . Baghdad University

The study of root-shoot system relation in the seedlings of six differen cultivars of date palms has revealed that the number of seedling roots equals the number of its leaves. It has shown also that the primary root of the seedling is not different from other roots in respect of morphology, longevity and the mode of connection with the shoot system. Prelimenary anatomicat and physiological studies have shown that every leaf has its own root on every root has its own leaf; this interconnection between the two parts makes them root has its own leaf; this interconnection between the two parts makes them interdependent on each other in their living status and existene.

The knowledge of these facts resides in its practical level in addition to its academic importance; because it may help to understand the background of curing and improving this tree.

المقدمة

لا يختلف اثنان في كون العراق منذ القدم هو أول منطقة في العالم في زراعة النخيل (ابن وحشية) ، ولا يعود السبب في اهتمام العراقيين بزراعة النخيل إلـــى إنتاجية النخلة وحدها وعلى النطاقين الغذائي والصناعي والعمراني فقط . . . بـــل تتعدى المسألة هذا النطاق على اعتبار أن النخيل تمثل العمود الفقري لبساتين العراق اذ هي تشكل الغطاء الفوقاني لأغلب بساتين المنطقتين الوسطى والجنوبية من هـــذا القطـــر .

ولم تنل هذه الشجرة المعطاء ما تستحقه من دراسة وتمحيص . لهذا فقد شهدت السنوات العشر الاخيرة والتي حملت في بطونها تباشير نهضة العراق العلمية والزراعية ، اندفاعا مخلصا للتعرف على طبيعة هذه الشجرة المباركة . وكان بحث العـــلاقة بين المجموع الخضري والمجموع الجذري من بين تلك البحوث نظرا لما لهذه العلاقة من أهمية على النطاقين النظري والتطبيقي .

الطرق والمواد :

عوملت بذور ستة أصناف منزرعة (ليلوي ، خصاب ، زهدي ، خستاوي ، ساير ، أشقر) كلا على انفراد بمحلول ١٠ عياري هايدروكسيد الصوديوم لمدة

دقيقتين (عبدالوهاب وجماعته ، ١٩٧٦) ثم غسلت بماء الحنفية الجاري لمدة ساعة نثرت بعدها على أوراق ترشيح رطبة في صحون بتري ووضعت هذه الصحون في حاضنة تحت درجة حرارة ٢٥ ـ ٢°م . عزلت عشرون بذرة نابتة من كل صنف بعد عشرة أيام من موعد زراعتها وشتلت في أوعية بولي أثلين بتربة معقمة زميجية ووضعت في البيت الزجاجي تحت درجة حرارة ٢٥ ـ ٢°م .

أخذت نماذج من النبات في خمس مراحل وهي مرحلة الورقة الاولى ومرحلة الورقة الثانية ومرحلة الورقة الثالثة ومرحلة الورقة الرابعة ومرحلة الورقة الخامسة . وكانت الجذور في كل مرحلة تخلص من التربة وتغسل بماء الحنفية ثم تؤخذ صورة فوتوغرافية للنبتة الكاملة .

وضع جذر واحد لكل مرحلة من المراحل سابقة الذكر في صبغة معينة لمدة ٢٤ ساعة ثم أخذت سلسلة من المقاطع اليدوية ابتداء من منطقة الجذر ثم منطقة الانتقال وانتهاء بعنق الورقة وذلك للتعرف على مسار الصبغة . ثم أخذت نبتة واحدة ذات أربعة جذور وثبتت بمثبت وغمرت جذورها في أربع صبغات مختلفة الالوان ، جذر معين في صبغة معينة . وتركت على هذه الحال مدة ٢٤ ساعة وبنفس الطريقة السابقة عين مسار الصبغات من الجذور إلى منطقة الانتقال ثم إلى أعناق الأوراق .

وبغية مراقبة الطبيعة النشوئية بين النظامين الجذري والخضري أخذت بادرات ذات ورقة واحدة وغمر جذر كل واحدة منها في محلول مغذ في أوعية زجاجية (أرلنماير) سعة ١ لتر ووضعت في البيت الزجاجي ضمن نفس الظروف واستمرت المراقبة لحين تكوين الورقة الرابعة ثم أخذت صور للنبتة الكاملة لتوضيح عدد الاوراق وعدد الجذور .

ولمعرفة العلاقة الحيوية بين عدد الجذور وعدد الاوراق وضعت جذور نباتات في مراحل مختلفة في محلول مغذ في قنان زجاجية مخروطية سعة لتر واحد وبحدود نبتة واحدة في كل قنينة ثم قسمت الى أربع مجاميع . قطع جذر واحد من كل نبتة من المجموعة الاولى وجذران من المجموعة الثانية وثلاثة جذور من المجموعة الثالثة واربعة جذور من المجموعة الرابعة . ثم طبقت نفس الطريقة لكن بتقطيع

ورقة واحدة أو ورقتين أو ثلاث أوراق أو أربع أوراق .

شرح النتائج :

يظهر الشكل (١) والجدول رقم (١) بكل وضوح أن الجذر الابتدائي في نخيل التمر يستمر في الوجود كما يستمر في النمو وهو يبقى وحده ما دام للنبتة ورقة واحدة . ويبدأ الجذر الثاني في التكون منذ بداية خروج الورقة الثانية ثم يتكون الجذر الثالث عند خروج الورقة الثالثة وهكذا . هذا وإن الجذر الابتدائي يستمر في الحياة كما يستمر في النمو على نفس منوال الجذور المتكونة من بعده . والجدير بالذكر ان هذه الحقيقة لم تنل اهتمام المشتغلين في مورفولوجيا النبات وعلى الخصوص من اشتغل منهم على نباتات ذوات الفلقة الواحدة أو على أجناس النخيل بالذات . نذكر منهم كورنر (Corner, 1966) الذي يشير في كتابه « التاريخ الطبيعي للنخيل » Natural History of Palms صفحة (١٠٤) إلى أن « جذر بادرة النخيل الذي ينشأ من جذير الجنين هو قصير الحياة حيث يحل محله جذور تنشأ من قاعدة ساق البادرة » . كما يشير توملنسن (Tomlinson, 1961) في الجزء الثاني من كتابه « تشريح ذوات الفلقة الواحدة » Anatomy of Honoeots والخاص بالنخيل في صفحة (٤٧) الى أن «الجذر الابتدائي لبادرة النخيل يحل محله وبصورة مبكرة جذور عرضية تنشأ من السلاميات السفلى للساق » . وقد اثبتت هذه الدراسة وبصورة واضحة خطل هذين الرأيين ومجانفتهما عن الواقع .

ويوضح الشكل (٢) وبصورة واضحة أيضاً استقلالية جذور نخلة التمر في مساراتها وفي توصيلها للمواد الأولية إلى الأوراق غير الساق ويكمل هذه الصورة ما ورد في الشكل (٣) الذي يبين بصورة واضحة ان قطع جذر واحد يؤدي الى هلاك ورقة واحدة معينة وان قطع جذرين يؤدي الى هلاك ورقتين وان قطع جميع الجذور يؤدي الى هلاك جميع الاوراق الموجودة (كذلك بيّنت النتائج أن قطع ورقة واحدة يؤدي إلى هلاك جذر واحد وأن قطع ورقتين يؤدي إلى هلاك جذرين وهكذا) . ولم يظهر إختلاف فيما يخص ما ذكر أعلاه بين صنف منزرع وصنف اخر من الاصناف المنزرعة الستة التي درست . (لاحظ الجدول رقم –١–) .

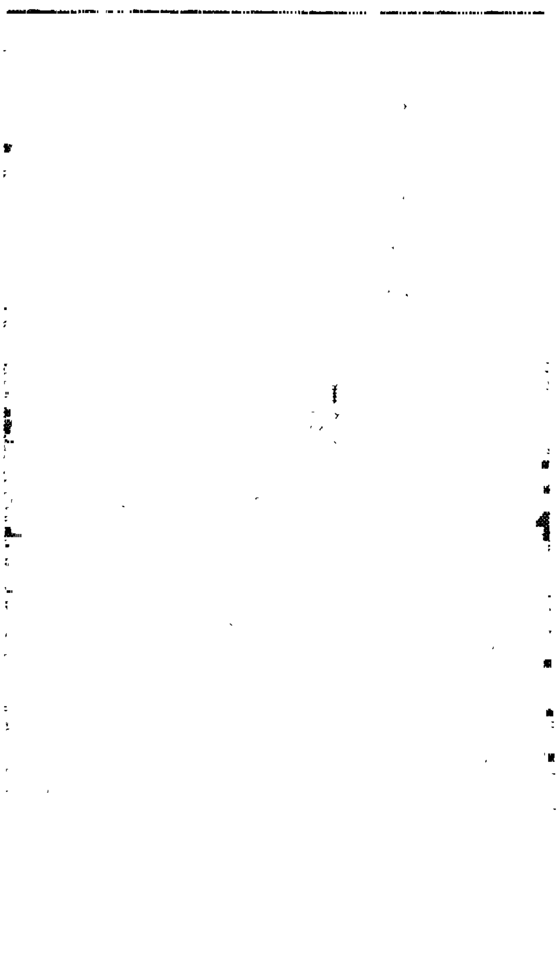
جدول رقم ـ ١ ـ لتوضيح العلاقة بين عدد الجذور
وعدد الأوراق في ستة أصناف منزرعة من نخيل التمر

مراحل النمو والتكشف

الصنف المنزرع	نوعيته	المرحلة الأولى		المرحلة الثانية		المرحلة الثالثة		المرحلة الرابعة		المرحلة الخامسة		نسبـــة		
		عدد الجذور	عدد الأوراق	عدد الجذور	عدد الأوراق	عدد الجذور	عدد الأوراق	عدد الجذور	عدد الأوراق	عدد الجذور	عدد الأوراق	عدد الجذور	:	عدد الأوراق
ساير	مبكر	١	١	٢	٢	٣	٣	٤	٤	٥	٥	١	:	١
أشقر	مبكر	١	١	٢	٢	٣	٣	٤	٤	٥	٥	١	:	١
زهدي	متوسط	١	١	٢	٢	٣	٣	٤	٤	٥	٥	١	:	١
خستاوي	متوسط	١	١	٢	٢	٣	٣	٤	٤	٥	٥	١	:	١
ليلوي	متأخر	١	١	٢	٢	٣	٣	٤	٤	٥	٥	١	:	١
خصاب	متأخر	١	١	٢	٢	٣	٣	٤	٤	٥	٥	١	:	١

شكل رقم ١ وهو يوضح ان الجذر الابتدائي في نخيل التمر يبقى حياً ما
دامت الورقة الأولى حية . كذلك تنطبق الظاهرة نفسها على الجذر الثاني والثالث

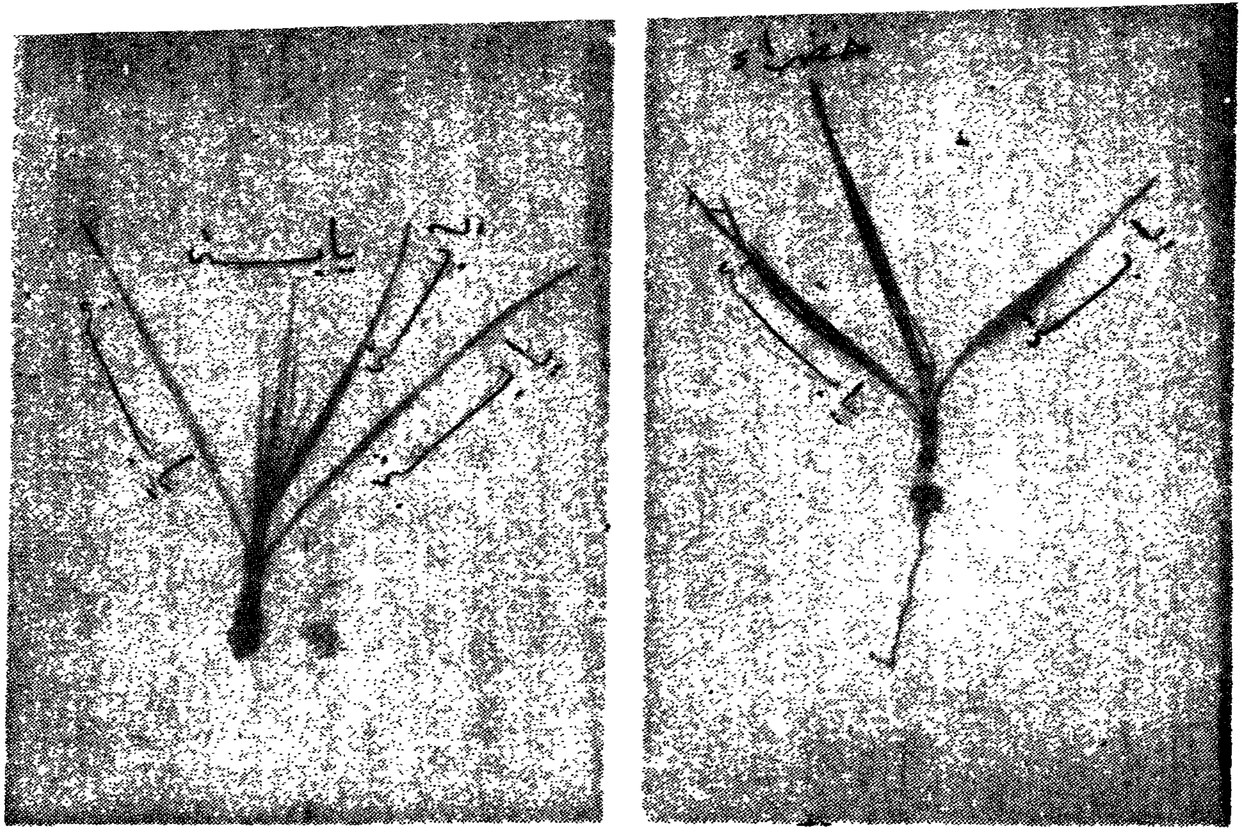
١ ــ الجذر الابتدائي	١َ ــ الورقة الأولى
٢ ــ الجذر الثاني	٢َ ــ الورقة الثانية
٣ ــ الجذر الثالث	٣َ ــ الورقة الثالثة
٤ ــ الجذر الرابع	٤َ ــ الورقة الرابعة
٥ ــ الجذر الخامس	٥َ ــ الورقة الخامسة



شكل رقم ٢ لتوضيح مسار الماء والأملاح والغذاء من الجذر الى ورقته الخاصة ومن الورقة الى جذرها الخاص .



شكل رقم ٣ لتوضيح علاقة حياة الورقة بجذرها الخاص والجذر بورقته الخاصة .



تابع شكل رقم ٣ لتوضيح علاقة حياة الورقة بجذرها الخاص والجذر بورقته الخاصة

الخلاصة والاستنتاج :

لقد بات واضحاً أن الجذر الابتدائي في نخيل التمر يستمر في النمو مـــدة طويلة حيث يقترن أمد حياته بأمد حياة الورقة الأولية وهذه الظاهرة تخالف مخالفة واضحة ما نلاحظه على الجذر الابتدائي لنباتات ذوات الفلقة الواحدة التي يموت جذرها الابتدائي في مرحلة مبكرة من حياة النبتة .

كما أصبح واضحاً أن النظام الجذري في نخيل التمر يختلف عن النظام الجذري في نباتات ذوات الفلقة الواحدة أي أنه يختلف عن النظام الجذري الليفي عـــلى الرغم من تشابه اقطار الجذور . وأهم نقطة اختلاف قد لوحظت فيما يخص هذه الناحية هي أن لكل ورقة من أوراق نخيل التمر جذرها الخاص ترتبط حياتهـــا بحياته كما ترتبط حياته بحياتها . ومن الممكن التخمين على هذا الأساس أن القضية تبقى مستمرة حتى بعد وصول نخلة التمر الى فترة النضوج على الرغم من أن هذه المسألة تحتاج إلى مزيد من الدراسة على النطاق الخلوي والتشريحي والنشوئي .

وللسبب ذاته نجد أن قطع السعف الأخضر من النخلة يضعفها لأنه يهلك جذورها الخاصة وأن الحراثة العميقة تضعف النخلة وتميت قسما من سعفها بسبب تقطيـــع الجذور المتصلة بتلك السعفات . وبالاضافة إلى هذا وذاك نستطيع أن نجزم على هذا الاساس أن عذوق النخيل مستقلة عن بعضها كاستقلال سعفة عن سعفة اخرى ولهذا فـــان معاملـــة عذوق النخلـــة بهرمونات مختلفـــة وبتراكيز مختلفة يبقي التأثير منحصراً ضمن العذق الواحد ولا ينتقل المؤثر الى العذوق المجاورة اذا احسن عزلها خلال فترة المعاملة .

المصادر العلمية :

– ابن وحشيه ابو بكر . الفلاحة النبطية عن كتاب تاريخ النبات ، عادل أبـــو النصر ١٩٦٢ .

- Abdul-Wahab, A.S(, Abbas A. Al-Salih, and Ibrahim S. Al-Saadawi. 1976. The Influece of some chemicalson the Germiation of Date Palm seeds. Bull. Coll. Sci. 17 : 47 – 59 .
- Tomlinson, P.B. 1961. Anatomy of the Monocotyledons. II. Palmae. Oxford University Press.
- Corner, E.J.H. 1966. The Natural History of Palms. Weidenfield and Nicolson

الاعتماد في نظائر الظاء والضاد

لجمال الدين محمد بن مالك المتوفى ٦٧٢ هـ

الدكتور
حاتم صالح الضامن
كلية الآداب ــ جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مسألة الفرق بين الضاد والظاء من المسائل التي شغلت القدماء بسبب صعوبة النطق بهما على من دخل الإسلام من الأمم المختلفة بل وعلى بعض القبائل العربية كذلك . قال الصاحب بن عباد وهو من اوائل المؤلفين في هذا الباب : (إذ كانا حرفين قد اعتاص معرفتهما على عامة الكتاب ، لتقارب أجناسهما في المسامع ، وأشكال أصل تأسيس كل واحد منهما ، والتباس حقيقة كتابتهما) (١) .

وقال ابن الجزري : (والضاد انفرد بالاستطالة ، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله ، فإنّ ألسنة الناس فيه مختلفة ، وقلّ من يحسنه ، فمنهم من يخرجه ظاء ، ومنهم من يمزجه بالذال ، ومنهم من يجعله لاماً مفخمة ، ومنهم من يشمه الزاي ...) (٢) .

والضاد حرف مجهور ، وهو أحد الحروف المستعلية ، وهو للعرب خاصة ولا يوجد في كلام العجم إلاّ في القليل (٣) .

(١) الفرق بين الضاد والظاء ٣ .
(٢) النشر في القراءات العشر ٢١٩/١ .
(٣) ينظر : الكتاب ٤٠٦/٢ ، سر صناعة الاعراب ٢٢٢/١ ، اللسان (ضود) .

أما الظاء فهو حرف مجهور وهو عربي خص به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم [٤] .

من هذا كله نقف على السر في اطلاق (لغة الضاد) على اللغة العربية . وهو أن هذه الضاد كانت مشكلة عويصة لمن يريد ان يتعلم العربية من الأعاجم[٥]

ولا بد أنْ نشير هنا الى أنَّ الضاد العربية الفصحى لم تعد تنطق في تمام نصاحتها عند أي من العرب في وقتنا هذا ، لذا فقد انبرى كثير من الباحثين العرب والمستشرقين لدراسة هذه الظاهرة من جميع جوانبها ، [٦] وقد اغناني ذلك عن التكرار .

* * *

تراث العرب في الضاد والظاء

لم يكن ابن مالك أول من ألّف في موضوع الضاد والظاء فقد ألّف فيه كثيرون قبله وبعده . وفيما يلي نحصي ما نعرفه من هذه المؤلفات مستدركين مؤلفات اخرى فاتت الأخ الدكتور رمضان عبد التواب في مقدمته لكتاب زينة الفضلاء وبهذا تكون هذه القائمة أول احصاء شامل لهذا النوع من المؤلفات ، ولكن فضل السبق سيبقى للاستاذ الدكتور رمضان عبدالتواب :

١ — أبو بكر القيرواني . أحمد بن ابراهيم بن أبي عاصم اللؤلؤي النحوي المتوفى سنة ٣١٨ هـ . له كتاب الضاد والظاء . ذكره أبو بكر الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين ٢٤٣ والقفطي في الإنباه : ٢٧/١ والسيوطي في البغية ٢٩٣/١ والبغدادي في هدية العارفين ٥٨٧/١ .

---

(٤) ينظر : سر صناعة الاعراب ٢٣٢/١ ، اللسان (حرف الظاء) .

(٥) ينظر : معنى القول المأثور : لغة الضاد ، للدكتور ابراهيم أنيس (الجزء العاشر من مجموعة البحوث والمحاضرات لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦٦ — ١٩٦٧) واعاد نشره في كتابه (الأصوات اللغوية) .

(٦) ينظر على سبيل المثال لا الحصر :
الأصوات اللغوية ٤٨ — ٦٢ ، دروس في علم أصوات العربية ٨٦ — ٨٧ .
كلام العرب ٢٥ ، التطور النحوي للغة العربية ١٠ .
علم اللغة العام (الأصوات) ١٠٤ ، العربية الفصحى ٣٧ .
حرف الضاد وكثرة مخارجه في اللغة العربية (مجلة كلية الآداب م٢١ ع١ ص ٦٢) .

٢ ـ أبو الفهد النحوي البصري تلميذ ابن الخياط المتوفى سنة ٣٢٠ هـ . له كتاب الضاد والظاء والذال والسين والصاد ، ذكره ابن خير في فهرسته ٣٦٣ .

٣ ـ أبو عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب ، توفي سنة ٣٤٥ هـ . له كتاب الفرق بين الضاد والظاء ، مخطوط في مكتبة لاللي تحت رقم ٣١٤١ .

٤ ـ الصاحب بن عباد ، توفي سنة ٣٨٥ هـ . له كتاب الفرق بين الضادوالظاء، حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين ونشره ببغداد عام ١٩٥٨ .

٥ ـ محمد بن جعفر القزاز (ت ٤١٢ هـ) . له كتاب الظاء ، ذكره ابن خير في فهرسته ٣٦٢ . وسماه ياقوت في معجم الادباء ١٩/١٨ : الضاد والظاء وتابعه السيوطي في البغية ٧١/١ .

٦ ـ أحمد بن مطرف بن اسحاق القاضي ، توفي سنة ٤١٣ هـ . له رسالة في الضاد والظاء ، ذكرها ياقوت في معجم الأدباء ٦٣/٥ .

٧ ـ أبو الفرج محمد بن عبيدالله بن سهيل النحوي (ت بعد سنة ٤٢٠ هـ) . له كتاب الضاد والظاء، نشره الدكتور عبدالحسين الفتلي في مجلة المورد م٨ع٢ ، بغداد ١٩٧٩ . ولم يشر اليه د. رمضان عبدالتواب .

٨ ـ أبو عمرو الداني (ت سنة ٤٤٤) . له رسالة في الظاءات القرآنية ، نشرها الدكتور محسن جمال الدين ببغداد ١٩٧٠ . ولم يشر اليها الدكتور رمضان عبد التواب .

٩ ـ أبو القاسم مُرَجّى بن كوثر المعري المقرىء النحوي (ت بعد سنة ٤٤٩ هـ) . له كتاب الضاد والظاء ، ذكره ياقوت في معجم الأدباء ١٤٦/١٩ والسيوطي في البغية ٢٨٣/٢ .

١٠ـ علي بن أبي الفرج بن أحمد القيسي الصقلي (ت حوالي منتصف القرن الخامس الهجري) . له كتاب الفرق بين الضاد والظاء ، منه مخطوط في خزانة المتحف العراقي ببغداد تحت رقم ١٠٦٣ . وقد انتهينا من تحقيقه وسينشر في مجلة المجمع العلمي العراقي إن شاء الله تعالى .

١١ـ الزنجاني ، سعد بن علي بن محمد (ت بعد سنة ٤٧٠ هـ) . له كتابمعرفة

ما يكتب بالضاد والظاء ، مخطوط في المكتبة التيمورية تحت رقم ٢٠٢ لغة . وقد عالج الزنجاني في هذا الكتاب ٢٩ كلمة بالضاد وما يقابلها بالظاء ، وأول هـــذه الكلمات (العض والعظ) وآخرها (القريض والقريظ) . وقد سار ابن مالك على هذا النهج إلا انه رتبه على حروف الهجاء .

١٢- الحريري ، القاسم بن علي (ت سنة ٥١٦ هـ) . له كتاب الفرق بـــين الضاد والظاء ، منه نسخة بالمكتبة التيمورية تحت رقم ٥٤٣ لغة .

وله قصيدة في الظاءات ضمنها المقامة السادسة والأربعين ، وهي المقامة الحلبية (ينظر : شرح المقامات للشريشي ٢٤/٥ - ٢٥١) .

١٣- ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ) . له كتاب الفرق بين الأحرف الخمسة (الظاء والضاد والذال والصاد والسين) . نشره الدكتور حمزة عبدالله النشرتي في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض ١٩٧٨ ....) .

١٤- ابن حميدة النحوي ، محمد بن علي بن أحمد (ت سنة ٥٥٠ هـ) . له كتاب الفرق بين الضاد والظاء (ينظر : معجم الأدباء ١٨-٢٥٢ والبغية ١٧٣/١) .

١٥- أبو الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي (ت سنة ٥٥١ هـ) . له كتاب ما يقرأ بالضاد المعجمة . وهو قصيدة في ٦٧ بيتاً . منها نسختان في المكتبة التيمورية ٣٢٧ لغة و٤٦٦ لغة .

١٦- الفروخي ، أبو نصر محمد بن أحمد بن الحسين (ت سنة ٥٥٧ هـ) . له منظومة في الفرق بين الظاء والضاد ، منها مخطوطات كثيرة . وقد نُسبت الى غيره ، ونشرها الدكتور داود الجلبي في مجلة لغة العرب (ج ٦ سنة ١٩٢٩) منسوبة الى ابن قتيبة .

١٧- ابن الدهان النحوي ، سعيد بن المبارك (ت سنة ٥٦٩ هـ) . له : الغنية في الضاد والظاء (ينظر : معجم الأدباء ٢٢١/١١ ، البغية ٥٨٧/١) .

١٨- أبو البركات الأنباري (ت سنة ٥٧٧ هـ) . له : زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء . نشره الدكتور رمضان عبدالتواب ببيروت ١٩٧١ ، وقدم له بذكر من ألف في الضاد والظاء ، وقد افدنا منها كثيراً .

١٩- محمد بن نشوان بن سعيد بن نشوان الحميري (ت سنة ٦١٠ هـ) . له : الفرق بين الضاد والظاء ، نشره الشيخ محمد حسن آل ياسين مع كتاب أبي حيان ببغداد سنة ١٩٦١ .

٢٠- محمد بن محمد بن الحسين أبو البركات بن أبي حفص النحوي (ت سنة ٦١٨ هـ) . له : الضاد والظاء . ذكره القفطي في الإنباه : ٢١٢/٣ . ولم يذكره الدكتور رمضان عبدالتواب .

٢١- أبو القاسم عيسى بن عبدالعزيز اللخمي الاسكندراني (ت سنة ٦٢٩ هـ). له : المراد في كيفية النطق بالضاد ، ذكره السيوطي في البغية ٢٣٦/٢ .

٢٢- أبو الفتوح نصر بن محمد الموصلي (ت سنة ٦٣٠ هـ). له : رسالة في الضاد والظاء ، ذكرها السيوطي في البغية ٣١٥/٢ .

٢٣- أبو بكر الصدفي ، محمد بن أحمد الصابوني (ت سنة ٦٣٠ هـ) . له : معرفة الفرق بين الظاء والضاد ، منه مخطوطة في مكتبة الفاتح باستانبول تحت رقم ٥٤١٣ . وقد ذكر في هذا الكتاب ٢٧ كلمة بالظاء وأخرى مثلها بالضاد . أولها (العظة والعضة) وآخرها (الحنظل والحنضل) . وقد وقفنا على هـذا النوع من التأليف عند الزنجاني الذي سلف ذكره ، وسنراه عند ابن مالك أيضاً .

٢٤- القفطي ، علي بن يوسف (ت سنة ٦٤٦ هـ) . له : كتاب الضاد والظاء ، وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى والخط . ذكره ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ١١٨/٣ والسيوطي في البغية ٢١٣/٢ .

٢٥- ابن مالك النحوي (ت سنة ٦٧٢ هـ) . له كتب كثيرة في الضاد والظـاء وقد وصل الينا منها :

أ - ارجوزة في الضاد والظاء تقع في ١٧٣ بيتاً . منها مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد واخرى بمكتبة طلعت بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٥ مجاميع . ومنها مخطوطتان ناقصتان بالمكتبة التيمورية .

ب- كتاب في الفرق بين الضاد والظاء: وهو قصيدة تقع في ٧٤ بيتاً مع شرح مستفيض لها . ومنها مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٣٠ .

ج - الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد : وهو قصيدة تقع في ٦٢ بيتاً مع شرح عليها . وقد نشره ببغداد حسين تورال وطه محسن سنة ١٩٧٢ .

د - الاعتماد في نظائر الظاء والضاد : وهو هذا الكتاب الذي ننشره اليوم . ولم يعرفه الدكتور رمضان عبد التواب .

هـ - تحفة الأحظاء في الفرق بين والضاد الظاء : منه مخطوط في شهيد علي باشا تحت رقم ٢٦٧٧ كما ذكر بروكلمان ٥ / ٢٩٥ وقد فات هذا الكتاب أيضاً على الدكتور رمضان عبدالتواب إذ لم يذكره في قائمته .

ومن الكتاب نص في صفحتين نقله ابن مكتوم بهامش كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٢٧١/٢ - ٢٧٢ وقال في آخره : (نقلت هذه الفوائد كلها في هذه الورقة من شرح كتاب (تحفة الأحظاء في تمييز الضاد من الظاء) للشيخ الإمام النحوي اللغوي جمال الدين أبي عبدالله ابن مالك الطائي رحمه الله) .

وهذا النص يدحض زعم بروكلمان الذي جعل الاعتماد والاعتضاد وتحفة الأحظاء كتاباً واحداً بينما هي ثلاثة كتب

ولابن مالك كتاب آخر كبير في الضاد والظاء هو كتاب الارشاد في الفرق بين الضاد والظاء . ولم يصل الينا هذا الكتاب الذي انتزع منه ابن مالك كتاب الاعتماد كما سيأتي . ولم يشر الدكتور رمضان عبدالتواب الى هذا الكتاب .

٢٦- ابن بري ، علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين (ت سنة ٧٣٠ هـ). له كتاب : ذكر الظاء على حروف المعجم . منه نسخة خطية في مكتبة شهيد علي باشا باستانبول ضمن مجموع رقمه ٢٧٤٠ . وقد أخلت به قائمة د. رمضان عبدالتواب .

٢٧- ابن الفصيح ،عبدالله بن أحمد بن علي الكوفي الهمذاني (ت سنة ٧٤٥هـ). له كتاب : شرح عمدة القراء وعدة الإقراء . وعمدة القراء قصيدة في الفرق بين ظاءات القرآن وضاداته . ومنه نسخة مخطوطة في مجموع بالمكتبة التيمورية تحت

رقم ٣٤٩ مجاميع ، ونسخة اخرى في مكتبة الأوقاف ببغداد تحت رقم ٦٠٩٧/٢ مجاميع .

٢٨- أبو حيان النحوي ، أثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي (ت سنة ٧٤٥ هـ) . له كتاب : الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء . نشره الشيخ محمد حسن آل ياسين مع كتاب محمد بن نشوان الحميري الذي سبق ذكره .

٢٩- حسن بن قاسم المرادي (ت سنة ٧٤٩ هـ) . له منظومة في الظاء والضاد، منها نسخة مخطوطة في الرباط كما ذكر بروكلمان . ولم يذكرها د. رمضان في قائمته .

٣٠- ابن جابر الأندلسي شمس الدين محمد بن أحمد (ت سنة ٧٨٠ هـ) . له : منظومة في الظاء والضاد ، وتقع في ١٠٢ بيت . منها نسخة خطية في مكتبة حسن حسني باشا ضمن مجموع رقمه ٩١ . ولم يذكرها د . رمضان عبدالتواب .

٣١- يحيى بن عمر بن محمد بن فهد المكي القرشي (ت سنة ٨٨٥ هـ) . له : ما يكتب بالضاد والظاء مع اختلاف المعنى . منه مخطوط في مجموع بالمكتبة التيمورية رقمه ٢٥٩ مجاميع . وقد رتبه على حروف المعجم كما فعل ابن مالك قبله . أوله : باب الألف : الإظراب هو الحسد . والإضراب الإعراض ....

ومن الكتاب نسختان أخريان في المكتبة التيمورية أيضاً .

٣٢- نور الدين علي بن محمد المقدسي المصري (ت سنة ١٠٠٤ هـ) . له : بغية المرتاد لتصحيح الضاد . منه مخطوطات ذكرها بروكلمان .

٣٢ أ - عبدالغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ) وله كتاب الاقتصاد في النطق بالضاد. مخطوط (الاعلام ١٥٩/٤) . وقد أغفله د. رمضان .

٣٣- عبدالمجيد بن علي المناوي (ت سنة ١١٦٣ هـ) . له : منظومة في الفرق بين الظاء والضاد . منها نسخة في مجموع بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٢٤ مجاميع .

٣٤- جعفر بن محمد الأعرجي (ت ١٩١٨ م) . له :

أ - شرح قصيدة الحريري في الظاء .

ب – المنظومة المستطرفة في الظاء والضاد .

جـ – المنظومة النظامية في الظاء والضاد .

(ينظر عنها : المباحث اللغـوية في مؤلفات اللغويين العراقيين المحـدثـ
لكوركيس عواد ص ٧١ ...) . ولم يذكرها د. رمضان عبدالتواب .

٣٥– أحمد عزت أفنـدي (ت ١٩٣٦م) . له : فصل القضاء في الفـرق
الضاد والظاء . طبع ببغداد سنة ١٣٢٨ هـ . (ينظر : المباحث اللغوية ص ٧٢

٣٦– طه الراوي (ت ١٩٤٦ م) . له : رسالة في الضاد والظاء . ما زالت مخط
كما اعلمني ابنه الأخ الصديق حارث طه الراوي . ولم يعرفها د. رمضان .

٣٧– محمد رضا بن هادي بن عباس (ت ١٩٤٧ م) . له : رسالة في الفرق
الضاد والظاء . نُشرت في مجلة المرشد البغدادية . (ينظر : المباحث اللغوية
٧٥) . وقد اخلت به قائمة د. رمضان .

وهناك شخصان مجهولان ذكرهما د. رمضان عبدالتواب هما :

٣٨– أبو الحسن علي بن سالم بن محمد العبـادي الشنيني . له : قصيد
الظاءات . منها نسخة في مكتبة برلين .

٣٩– الإمام محمد الخزرجي . له : منظومة في الفرق بين الظاء والضاد ، تة
في ٤٣ بيتاً وتسمى : المرصاد في ضابط الظاء والضاد . منها نسخة في مكتبة
واخرى بلا نسبة في المكتبة التيمورية تحت رقم ٢٩٨ مجاميع .

ابن مالك وآثاره

هو أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن
الطائي الجياني الشافعي النحوي .

اختلف في سنة ولادته (٥٩٨ هـ . ٦٠٠ هـ ، ٦٠١ هـ) . وكانت ولا
في جيان بالأندلس إذ تلقى علومه الأولية هناك ثم رحل في شبابه الى دمشق
ابن يعيش في بعلبك ثم تصدر بحلب لاقراء العربية وصرف همته الى اتقا
العرب حتى بلغ فيه الغاية .

كان إماماً في القراءات وعللها وكان اليه المنتهى في اللغة والنحو والصرف في زمانه .

وبقي ابن مالك بدمشق الى أن توفي سنة ٦٧٢ هـ (*) .

آثاره :

خلف ابن مالك كتباً كثيرة في القراءات واللغة والنحو والصرف ، وقد أحصيت له هذه الكتب :

(*) ينظر عن ابن مالك المصادر التالية وهي مرتبة ترتيباً زمنياً :
تذكرة الحفاظ ١٤٩١ والعبر ٣٠٠/٥ .
ذيل القراء الكبار ٦٠٨ .
الوافي بالوفيات ٣٥٩/٣ .
فوات الوفيات ٤٠٧/٣
مرآة الجنان ١٧٢/٤
طبقات الشافعية (السبكي) ٢٥٧/٥
طبقات الشافعية (الأسنوي) ٤٥٤/٢
الوفيات (لابن قنفذ) ٣٣٢
البلغة في تاريخ أئمة اللغة ٢٢٩
غاية النهاية ١٨٠/٢
السلوك لمعرفة دول الملوك ٦١٣/١
طبقات النحاة واللغويين ١٣٣
النجوم الزاهرة ٢٤٣/٧
بغية الوعاة ١٣٠/١
تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ٢٨٨
القلائد الجوهرية ٣٩٣/٢
مفتاح السعادة ١٣٦/١
نفح الطيب ٢٢٢/٢
كشف الظنون في مواضع متفرقة
شذرات الذهب ٣٣٩/٥
وينظر أيضاً : دائرة المعارف الاسلامية ٢٧٢/١
تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢٧٥/٥
الأعــلام ١١١/٧
معجم المؤلفين ٢٣٤/١٠
ولابن مالك ترجمة مفصلة في مقدمتي تسهيل الفوائد وشرح عمدة الحافظ أغنت عن الاعادة .

أ ـ المطبوعة

١ ـ الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد .
٢ ـ اكمال الاعلام بمثلث الكلام .
٣ ـ الألفيــة .
٤ ـ تحفة المودود في المقصور والممدود .
٥ ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد .
٦ ـ شرح التسهيل (طبع الجزء الأول فقط) .
٧ ـ شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ .
٨ ـ شرح لامية الأفعال .
٩ ـ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح .
١٠ـ لامية الأفعال .
١١ـ منظومة في ما ورد من الأفعال بالواو والياء .

ب ـ المخطوطة :

١ ـ أجوبة على اسئلة جمال الدين اليمني في النحو .
٢ ـ ارجوزة في الخط .
٣ ـ ارجوزة في الضاد والظاء .
٤ ـ الاعتماد في نظائر الظاء والضاد (وهو هذا الكتاب الذي ننشره) .
٥ ـ اكمال الاعلام بتثليث الكلام .
٦ ـ الألفاظ المختلفة في المعاني المختلفة .
٧ ـ ايجاز التعريف في علم التصريف .
٨ ـ تحفة الاحظاء في الفرق بين الظاء والضاد .
٩ ـ ثلاثيات الأفعال .
١٠ـ ذكر معاني أبنية الأسماء الموجودة في المفصل .
١١ـ رسالة في الاشتقاق .
١٢ـ رسالة في بعض الصيغ ومعانيها واستعمالها .

١٣ـ سبك المنظوم وفك المختوم .

١٤ـ شرح تحفة المودود .

١٥ـ الفرق بين الظاء والضاد .

١٦ـ قصيدة في الأسماء المؤنثة .

١٧ـ القصيدة اللامية في القراءات .

١٨ـ القصيدة المالكية (الدالية) في القراءات .

١٩ـ الكافية الشافية .

١٩ أ ـ مختصر في الفرق بين الضاد والظاء والذال .

٢٠ـ منظومة في بيان ما فيه لغات ثلاث فأكثر وغير ذلك .

٢١ـ الوافيـــة .

٢٢ـ وفاق الاستعمال في الاعجام والاهمال .

٢٣ـ وله بيتان عليهما شرح له يتضمنان ضوابط ظاءات القرآن وغيره .

ج ـ كتب لم نقف عليها بعد :

١ ـ الارشاد في الفرق بين الظاء والضاد .

٢ ـ اكمال العمدة .

٣ ـ شرح اكمال العمدة .

٤ ـ شرح الجزولية .

٥ ـ الضرب في معرفة لسان العرب .

٦ ـ فتاوى في العربية .

٧ ـ فعل وأفعل .

٨ ـ الفوائد النحوية والمقاصد المحوية .

٩ ـ قصيدة في الضاد والظاء .

١٠ـ المقدمة الأسدية .

١١ـ نظم الفوائد .

١٢ـ النظم الأوجز في ما يهمز وما لا يهمز ، وشرحه .

١٣ـ المؤصل في نظم المفصل .

١٤ـ نكته النحوية على مقدمة ابن الحاجب .

د ـ كتب نسبت اليه غلطاً :

١ ـ العروض: نسب اليه في دائرة المعارف الإسلامية نقلاً عن فهرس المخطوطات العربية بالاسكوريال . وهو لابنه بدر الدين كما في كشف الظنون .

٢ ـ نظم الكفاية في اللغة : نسب اليه في النسخة الخطية في معهد المخطوطات ، والصواب انه للقاضي شهاب الدين محمد بن الحسن بن الحويي المتوفى سنة ٦٩٣هـ، وقد نظم فيه كتاب ابن الاجدابي الموسوم (كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ) كما جاء في بغية الوعاة وكشف الظنون .

الاعتماد في نظائر الظاء والضاد

جمع ابن مالك في كتابه (الاعتماد) ثلاثاً وثلاثين لفظة من الألفاظ المتفقة المبنى المختلفة المعنى وهو ما يسمى بالنظائر . وكل لفظة من هذه الألفاظ تُقال بالضاد فيكون لها معنى ، فإذا قيلت بالظاء كان لها معنى آخر مثل : الحض والحظ والضن والظن وما أشبه ذلك .

وأصل كتابه هذا كان منثوراً في كتابه الموسوم بـ (الإرشاد في الفرق بين الظاء والضاد) فانتزعه ابن مالك ورتبه على حروف المعجم .

مصادر ابن مالك :

اعتمد ابن مالك في كتابه على مصادر كثيرة ذكر منها : الجمهرة لابن دريد وتهذيب اللغة للأزهري والصحاح للجوهري والأفعال للسرقسطي والضاد والظاء لابن سهيل النحوي والمشوف المعلم للعكبري .

وكان جلّ اعتماده على جمهرة اللغة لابن دريد والصحاح للجوهري إذ نقل منهما كثيراً مشيراً اليهما تارة ومهملاً الاشارة تارة اخرى .

ونقل أيضاً عن البصريين والكوفيين وهم : أبو عمرو الشيباني وأبو عبيد والأصمعي وأبو عبيد وثعلب .

شواهده :

كانت شواهد ابن مالك كثيرة في هذا الكتاب إذ استشهد باثنتين وعشرين آية من القرآن الكريم وباثني عشر حديثاً وبأحد عشر مثلاً . أما الأشعار والأرجاز فقد بلغت نحو سبعين شاهداً .

أهمية الكتب :

تكمن أهمية هذا الكتاب في انفراده برواية النظائر فقط ، لذا فهو أول كتاب يُنشر في هذا الموضوع ، يُضاف الى ذلك انفراده برواية ألفاظ أخلت بها المعجمات العربية وكتب اللغة .

مخطوطة الكتب :

تقع مخطوطة الكتاب في أربع عشرة ورقة (ق ٦٢ – ق ٧٥) من مجموع عدد أوراقه ١٧٨ ورقة تحتفظ به المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ١٥٩٣ ، وعدد أسطر كل صفحة ١٨ سطراً . وقد كتبت هذه الرسالة بخط نسخ عادي مشكول بعض الشكل وكتبت الأبواب والفصول بخط أكبر ، وأصابت الرطوبة أعلى المخطوط . وكتب المخطوطة عبدالرحمن بن أبي بكر بن أحمد ... بن مالك التفزي الأندلسي في ٥ جمادى الأولى سنة ٧٣٥ هـ .

وعنوان الكتاب في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ص ٥٦٧ : (رسالة في الألفاظ المتفقة المبنى المختلفة المعنى) وعنوان الكتاب الصحيح هو : (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد) كما جاء في مقدمة المؤلف .

وقد أخطأ بروكلمان في كتابه (تاريخ الأدب العربي ٢٩٤/٥ – ٢٥٩) حينما جعل كتاب الاعتضاد وكتاب تحفة الأحظاء وكتاب الإعتماد كتاباً واحداً بينما هي في الحقيقة ثلاثة كتب .

ولا بد أن اذكر انني لم أقف على نسخة أخرى من هذه المخطوطة التي تفضل أخي الدكتور نوري القيسي بتصويرها من دار الكتب الظاهرية فله مني جزيل الشكر والثناء .

ومن الجدير بالذكر ان ابن مالك لم يذكر كثيراً من نظائر الضاد والظاء وانما قصرها على ثلاث وثلاثين كلمة فكان عمله ناقصاً ورغبة في سد هذا النقص تتبعت كتب الضاد والظاء وكتب اللغة والمعجمات فوقفت على اربع وخمسين كلمة من النظائر فاتت ابن مالك فجعلتها ذيلاً لكتاب الإعتماد * وبهذا يكون هذا الكتاب مع الذيل قد جمع سبعاً وثمانين كلمة من نظائر الضاد والظاء .

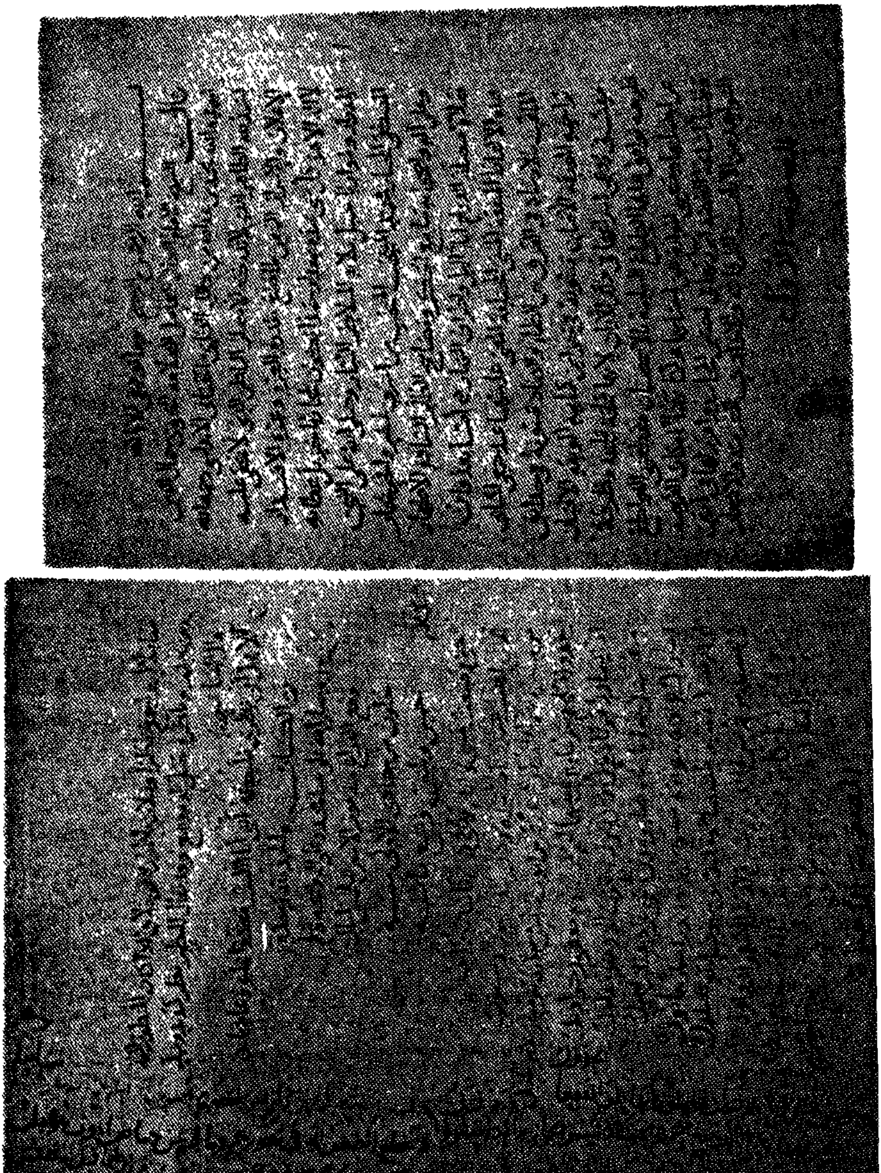
وأخيراً فإني إذ اقدم هذا الكتاب أرجو أن أكون قد وفقت في خدمة اللغة العربية لغة القرآن الكريم . وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت واليه أنيب .

حاتم صالح الضامن

كلية الآداب – جامعة بغداد

★ ★ ★

(*) ستنشر في العدد القادم من مجلة المجمع باسم (فائت نظائر الظاء والضاد) .



بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلاّ بالله

قال الشيخ الإمام العالم العامل العلامة النحوي جمال الدين أبو عبدالله محمد ابن عبدالله بن مالك الطائيّ الجيّاني الأندلسي رحمه الله :

الحمدُ لله الظاهرِ الذي لا تُدرِكُهُ الأبصارُ ، الباطنِ الذي لا يَخفَى عليه الإعلانُ والإسرارُ ، المتقنِ لما صَنَعَ بقُدرةِ العزَّةِ وعِزَّةِ الاقتدار ، لا إلهَ إلاّ هو ، كلُّ شيءٍ عنده بمِقدار ، حمداً يكونُ مُجازياً جزيلَ عطائِهِ المِدرار وموازياً جميلَ بلائه المتلاطِم التيّار ، وصلى الله على النبيّ المصطفى المختار محمدٍ المنتجَبِ المنتخبِ من أشرفِ عُنْصُرٍ وأفخرِ نجار ، وعلى آله وأصحابه ينابيع الحِكَمِ ومصابيح الظُلَمِ السادة الأطهار ، صلاةً متصلة الدوام آناءَ الليلِ وأطرافَ النهار .

أمّا بعدُ فإنّ هذه الألفاظَ المتفقةَ المبنى المختلفةَ المعنى عاينتهما عند جمعي لكتابي الملقّب بـ (الإرشاد في الفرق بين الظاء والضاد) مبثوثةً في حدائق تراجمه المورقة الأفنان منثوثةً في خزائنِ كمائمه المونقةِ الافتنان ، فنُفِثَ في رُوعي انتزاعُها في ذلك الأوان ، لأنَّها مُلْحَةٌ مليحةٌ وطُرفَةٌ طَريفةٌ توافقُ عليها الطباعُ السليمةُ بالاستحسان ، فقطعتني القواطعُ عن اجتنائها ومنعتني الموانعُ عن اجتبائها ، ولمّا تهيّأَ إمكانُ الفرصةِ وتهنّأ إساغةُ الغُصَّةِ ، أبرزتُها في أحسنِ المجاسدِ [1] ، وأفرزتُها في أزينِ الشواهدِ من الآياتِ الفرقانيّةِ والأحاديثِ الغريبيّةِ والأشعارِ (٦٣أ) العربيّةِ ، ورتّبتُ ما تيسّر منها على حروف المعجم ، وقدَّمتُ ما ينبغي أنْ يُقَدَّمَ ، وجعلتُه تذكرةً للصديقِ الصادقِ والرفيقِ الموافقِ والجليسِ الصالحِ والمؤنسِ أبي عبدالله محمد بن أبي الثناء محمود بن يونس الذي جُبِلت أخلاقُه على أكرمِ الشيَمِ وشَبَهَ أباه في

(١) المجاسد : جمع مجسد ، وهو القميص المشبع بالزعفران .

اقتناء المكارم و (مَنْ شَبَهَ أباه فما ظَلَم) [٢] . أدام الله امتاعَ كلٍّ واحدٍ منهما بصاحبِهِ ، وأنالَ كلاً منهما النجاحَ في جميع مآربِهِ ، وأسْمَيْتُهُ : (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد) .

ولعل قائلاً يقول : المرادُ من هذا أيْش[٣] ؟

فأقولُ : في هذا فائدتان ، فلا يستخفنَّكَ غرورُ الغَفْلَةِ ورَغَدُ العيشِ :

الفائدةُ الأولى : قد وَرَدَ في الحديث : (أنا أفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بالضاد بَيْدَ أنّي من قُرَيش) [٤] . ألا ترى كيف افتخر صلى الله عليه وسلم بفصاحةِ النطقِ بها وأثْبَتَها لنفسهِ وما نفاها عن قومه حتى ، وهذا من شَرَفِ خُلُقِهِ العظيم في التواضع ، كما قال : (لا تُفضلُوني على يونس بن مَتّى) [٥] ، وكما قال في حديث النشرِ للحشر : (أنا أوّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عنه الأرضُ ولا فَخْرَ) [٦] .

والفائدة الأخرى : تنقسمُ الى قسمين :

الأول : أنَّ هذه الألفاظ رُبّما كَفَتِ المتيقّظَ في الاحتراس وكَفّتْ عنه شَبَا شُبَهِ الالتباس .

والثاني : أنّ كلَّ ترجمةٍ منها تتضمن مسألتين : ما كــذا بالضاد ، وما كذا بالظاء ، لمن آثَرَ الالتماسَ وتعرفهما من اقتباس المُلَحِ ومُلَحِ الاقتباس .

وهذا حينُ نبدأُ في الكتاب ، واللهُ الموفقُ للصواب إنْ شاءَ الله .

---

(٢) من أمثال العرب المشهورة ، ينظر : الفاخر ١٠٣ ، الزاهر ٢١٤/١ ، الوسيط في الأمثال ١٥٥ .

(٣) أصلها : أي شيء . جاء في المصباح المنير ٣٥٤/١ : « وقالوا : أي شيء ، ثم خففت الياء ، وحذفت الهمزة تخفيفاً ، وجعلا كلمة واحدة ، فقيل : أيش » . ووردت في شعر يزيد بن الطثرية ٨٩ . وقد فصل القول فيها الخفاجي في شفاء الغليل ٣٨ – ٣٩ والأب انستاس الكرملي في المساعد ٩٢/٢ – ٩٣ .

(٤) غريب الحديث ١٤٠/١ ، الغريبين ٢٣١/١ ، الفائق ١٤١/١ ، النهاية ١٧١/١ . وفي (بيد) لغة أخرى هي (ميد) بالميم . وقال ابن الجزري في النشر ٢١٩/١ : والحديث المشهور على الألسنة : أنا أفصح من نطق بالضاد لا أصل له ، ولا يصح .

(٥) ينظر : صحيح مسلم ١٨٤٤ وفيه : (... ولا أقول ان أحداً أفضل من يونس بن متى عليه‌السلام).

(٦) ينظر : الجامع الصغير ١٠٧/١ .

أَضَلَّ وأَظَلَّ [7] :

فأمّا (أَضَلَّ) بالضاد (٦٣ ب) فأَضَلَّ فلان فلاناً إذا أغواه ، ضد هداه . وفي القرآن الكريم جَلَّ مُنْزِلُهُ : « وأَضَلَّ فرعونُ قومَهُ وما هدى[8] » وأَضَلَّ الرجلُ الدارَ والدابةَ : إذا لم يهتدِ إليهما . وكذلك في كلِّ شيء لا يُهتدى اليه . وأَضَلَّ الميت : إذا دفنه وواراه . وفي الحديث : (لَعَلِّي أُضِلُّ اللهَ)[9] أي : أخفى عنه . من قوله تعالى : « أئذا ضَلَلْنا في الأرضِ »[10] أي : خفينا . وأَضَلَّ الشيءَ : إذا أَضاعَهُ . وفي الحديث : (لَلّهُ أَفْرَحُ بتوبةِ أحدِكم من رجلٍ أَضَلَّ ناقتَهُ بأرضِ فلاةٍ ثُمَّ وَجَدَها)[11] .

وقال النابغة الجعدي[12] :

أَنْشُدُ الناسَ ولا أَنْشُدُهُمْ
إنّما يَنْشُدُ مَنْ كانَ أَضَلّْ

وأمّا (أظلَّ) بالظاء فأَظَلَّ الشهرُ : إذا أَشْرَفَ . وأَظَلَّ الأَمرُ : إذا قَرُبَ ، وأَظَلَّ الحائطُ والشجرُ : إذا سترا بظلِّهما ، وأَظَلَّ القومُ : ساروا في الظِّلِّ . والظِّلُّ معروفٌ ، وهو ما يكونُ في أول النهار ، فإذا نَسَخَتْهُ الشمسُ ثُمَّ رَجَعَ فهو حينئذٍ فَيءٌ[13] .

قال الشاعر[14] :

فلا الظِّلُّ من بَرْدِ الضُّحَى تستطيعُهُ ولا الفَيْءُ من بَرْدِ العَشِيِّ تذوقُ

والظِّلُّ الظليلُ : الدائمُ الظِّلِّ الذي لا تنسخه الشمسُ كظِلِّ ما بينَ

---

(٧) ينظر : الصاحب ١٨ – ١٩ ، ابن السيد ١٥٠ ، الحميري ١٠ ، أبو حيان ١٢٨ .
(٨) طه ٧٩ .
(٩) غريب الحديث ١/١٩٣ ، الزاهر ١/٤٥٩ ، النهاية ١/٤٤٤ .
(١٠) السجدة ١٠ . وفي الأصل : إذا ضللنا . والصواب ما أثبتنا .
(١١) صحيح مسلم ٢١٠٢ ، سنن ابن ماجه ١٤٩١ مع خلاف في الرواية .
(١٢) شعره : ٩٤ .
(١٣) غريب الحديث لابن قتيبة ١/١٩٠ ، الزاهر ١/٢٧٦ ، اللسان والتاج (ظلل) .
(١٤) حميد بن ثور ، ديوانه ٤٠ وروايته : فلا الظل منها بالضحى ... ولا الفيء منها بالعشي ...

طلوعِ الفجرِ الى طلوع الشمسِ ، قال اللهُ جلَّ ثناؤه : « ونُدخِلُهم ظِلاً ظَليلاً[15] » .

والظِّلُّ : العِزُّ والمَنَعةُ . يُقال : أظلَّ فلانٌ فلاناً ظِلاً : إذا حماه ومنع منه ، قال الشاعر[16] :

فلو كنتَ مولى الظِلِّ أو في ظِلالِه
ظلمتَ ولكنْ لا يَدَيَ لكَ بالظُلْمِ

والأَظَلُّ : باطِنُ مَنْسِمِ البعير . قال ابنُ أختِ تأبّطَ شرّاً يرثي خاله تأبّطَ شرّاً :

وبِما أبْرَكَها في مُناخِ
جَعْجَعٍ ينْقَبُ فيه الأَظَلُّ[17]

حرف الباء الموحدة من تحتها

البَضُّ والبَظُّ[18] :

(٦٤ أ) فأمّا (البَضُّ) بالضاد فرجلٌ بَضٌّ أي : رقيق الجلد مع بياضٍ واكتنازِ لحمٍ . وكذلك إمرأة بَضَّةٌ . قال الراجز :

كلُّ رَداحٍ بَضَّةٍ بَضاضِ[19]

وقال أبو بكر بن دريد[20] : يقال : رجلٌ بَضٌّ بيِّنُ البَضاضةِ والبُضُوضَةِ : إذ كان ناصع البياض في سِمَنٍ ، وأنشد لأوس بن حجر[21] :

(١٥) النساء ٥٧ .
(١٦) لم أقف عليه .
(١٧) اختلف في نسبته، فهو لتأبط شراً مرة ولابن اخته أخرى وللشنفرى ثالثة ولخلف الأحمر رابعة ، ينظر تفصيل ذلك في شعر تأبط شراً ١٦١ والطرائف الأدبية ٣٩ . وأبركها: جثمها وأجثاها ، والجعجع : الأرض الغليظة .
(١٨) ينظر : ابن السيد ١٥٧ ، الأنباري ١٠٠ ، الحميري ١٨ .
(١٩) بلا عزو في اللسان (بضض) .
(٢٠) جمهرة اللغة ٣٣/١ .
(٢١) ديوانه ٣٠ وروايته :وأحمر جعداً . وعليه النسور : أي سقطت عليه لتنال منه . والضبن : الجنب أو الإبط وما يليه . والثعلب : ما دخل من القناة في جبة السنان .

وأبيضَ بَضٌّ عليــه النســورُ
وفي ضِبْنِــهِ ثَعْلَبٌ مُنْكَسِرْ

وقال الأصمعي[22] : البَضُّ الرَّخصُ الجَسَدِ وليس من البياض خاصــة لكن من الرُّخوصة . يقال : بَضَضْتَ يا رجل وبَضِضْتَ بالفتح والكسر بضيضاً . وبَضَّ الماءُ بَضّاً : سال قليلاً قليلاً . وبَضَّ الحَجَرَ : إذا أخرج منه الماء قليلاً قليلاً شبه العرَقِ ، وكذلك كلّ شيء . ويقال في المثل : (فلانٌ مــا يبِضُّ حَجَرُهُ) [23] أي : ما تَنْدَى صفاتُهُ . ويُنشَد لرؤبة [24] :

فقلــتُ قولاً عرَبيّــاً غَضّــا
لو كانَ خرْزاً في الكُلَى ما بَضّا

وقال الآخرُ [25] :

يا عُثْمَ أدْرِكْني فإنَّ رَكيتي
صَلَدَتْ فأعْيَتْ أنْ تَبِضَّ بمائِها

وأمّا (البَظُّ) بالظاء فبَظَّ الضاربُ أوتارَه بظّاً : حرَّكها لتُصَوِّتَ . وبَظَّ الرجل على كذا وكذا : ألَحَّ عليه ، عن أبي عثمان السرقسطي [26] في كتاب الأفعال [27] .

البَيْضُ والبَيْظُ [28] :

فأمّا (البَيْضُ) بالضاد فجمعُ بَيْضَة ، وهــو للطائر والنمل . والبَيْضُ أيضاً جمع بَيْضَة من الحديد ، قال قتادةُ بنُ مَسْلَمَةَ الحَنَفِيُّ [29] :

(٢٢) اللسان (بضض) .
(٢٣) جمهرة الأمثال ٢/٢٧٦ ، المستقصى ٢/٣٣٤ .
(٢٤) ديوانه ٧٩ .
(٢٥) أبو زبيد الطائي ، شعره : ٣٣ .
(٢٦) هو سعيد بن محمد المعافري اللغوي ، من أهل قرطبة ، توفي بعد سنة ٤٠٠ هـ . (الصلة ١/٢١٣ ، بغية الوعاة ١/٥٨٩ ، كشف الظنون ١/١٣٣) .
(٢٧) رتبه على مخارج الحروف على النحو الذي اختاره سيبويه . وقد صدر منه ثلاثة أجزاء عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ولم أقف على قولته لأن حرف الباء سيأتي في الجزء الرابع .
(٢٨) ينظر : ابن سهيل ٣٢٠ ، ابن السيد ١٧٤ ، الأنباري ١٠٠ ، الحميري ٦١ .
(٢٩) شرح ديوان الحماسة (م) ٧٦٥ و(ت) ٢/٢٧١. والدلاص: اللينة الملساء. وقتادة شاعر جاهلي.

قومٌ إذ لَبِسُوا الحديدَ كأنَّهُمْ
لَبِسُوا في البَيْضِ والحَلَقِ الدِّلاصِ نُجُومُ

والبَيْضُ جمع بَيْضة : وهي الأرضُ البيضاءُ الملساءُ ، عن أبي بكر بن دريد [٣٠] .

والبَيْضُ وَرَمٌ في يد الفَرَس مثل النُّفَخِ والغُدَدِ ، قال الأصمعي [٣١] : هو من العيوب الهيِّنة . يقال : باضَتْ يدُ الفَرَس تبيضُ بَيْضاً .

وأمّا (البَيْظ) بالظاء فزعموا أنّه ماء الفحل . وقال أبو بكر بن دُريد الأزديّ [٣٢] : (٦٤ ب) لا أدري ما صحته .

حرف التاء المثناة من فوقها باثنتين

التضفير والتظفير [٣٣] :

فأمّا (التضفير) بالضاد فمصدر ضفّرته ، بالتشديد ، تضفيراً : وهو الإكثارُ من الضَّفْر ، والضَّفْرُ معروفٌ ، تقول : ضَفَرْتُ الشعرَ ، بالتخفيف ، والسيرَ ونحوهما أضفره ضَفْراً فأنا ضافر وهما مضفوران . ومنه اشتقاق المضافَرة: وهي المعاونة ، لأنّ المتضافرين يشتملُ بعضُهم على بعضٍ كاشتمالِ خُصَلِ الشعرِ بعضِها على بعضٍ . يُقال : تَضَافَرَ القومُ يتضافرونُ مُضافَرةً وتضافُراً فهم متضافرون. وفي خُطبة لأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه : (يا عَجَباً من تضافرِ هؤلاءِ القومِ على باطلِهم وفَشَلِكم عن حقّكم) [٣٤] معناه: من تعاونهم على الباطل .

وأمّا (التظفير) بالظاء فمصدر ظفّره الله بعدوه تظفيراً . ورجلٌ مُظَفَّرٌ: صاحبُ دَوْلَةٍ في الحرب . والظّفَرُ ، بفتح الظاء والفاء معاً : الفوزُ . يقال : قد ظَفِر بعدوه وظَفِرَهُ أيضاً مثلُ : لَحِقَ به ولَحِقَهُ ، واسم الفاعل منه :

(٣٠) جمهرة اللغة ٣٠٥/١ وفيه : بيضة ، بكسر اباء .
(٣١) الخيل ٣٧٢ .
(٣٢) جمهرة اللغة ٣١٢/١ .
(٣٣) ينظر : الصاحب ٢٢ ، ابن مالك ٧٥ .
(٣٤) نهج البلاغة ٥٣ .

ظَفِرٌ ، قال العُجير السَّلُوليّ (٣٥) :

هو الظِّفِرُ الميمونُ إنْ راحَ أو غـدا
به الرَّكبُ والتِّلْعابـةُ المتَحبِّبُ

والظّفَرُ أيضاً ما اطمأنّ من الأرض وأنبتَ . والتظفير : غمزُ الظفرِ في تفاحة ونحوها .

التقريض والتقريظ (٣٦) :

فأمّا (التقريضُ) بالضاد فمصدر قرَّضه ، بالتشديد ، تقريضاً ، وهو الذم خاصةً إذا بالغ في ثلبهِ وتمزيق عِرضِهِ ، مأخوذ من : قرَّضت الشيء بالمِقراض . وقيل : يطلق على المدح والذم . قال الجوهري (٣٧) : يُقال : فلان يقرض صاحبه إذا مدحه أو (٦٥ أ) ذَمَّهُ ، وهما يتقارضان الخير والشرّ . قال الشاعر :

إنّ الغنيَّ أخو الغنيِّ وإنّمـا
يتقارضان ولا أخـاً للمُقْتِرِ(٣٨)

وأمّا (التقريظ) بالظاء فمدحُ الرجل بما فيه من الأخلاق الجميلة ، يُقال : قرَّظه تقريظاً إذا مدحه وأثنى عليه بالثناء الحسن .

حرف الحاء المهملة

الحاضر والحاظر (٣٩) :

فأما (الحاضر) بالضاد فاسمُ فاعلٍ من حَضَرَ يحضر فهو حاضِر ، وهو الشاهد المقيم ضد الغائب . وطعام محضور أي مشهود ، ومنه الحاضِر خلاف

(٣٦) ينظر : ابن مالك ٦٠ ، ٩٤ ، أبو حيان ١٥١ .
(٣٧) الصحاح (قرض) . والجوهري هو اسماعيل بن حماد ، توفي سنة ٣٩٣هـ . (نزهة الالباء ٣٣٤ ، معجم الأدباء ١٥١/٦ ، إنباه الرواة ١٩٤/١) .
(٣٨) بلا عزو في الصحاح (قرض) .
(٣٩) ينظر : الأنباري ١٠٠ ، ابن السيد ١٤١ ، الحميري ٤٣ .
(٣٥) شعره : ٢١٤ . والعجير هو عمير بن عبدالله ، من شعراء الدولة الأموية المقلين ، توفي نحو سنة ٩٠ هـ . (طبقات فحول الشعراء ٥٩٣ ، الأغاني ٥٨/١٣ ، الخزانة ٢٩٨/٢) .

البادي لأنّه يقيم في الحاضرة ، وهي المدن والقُرى . والحاضِر أيضاً : الحيُّ العظيم ، قال الراجز[٤٠] :

قامَتْ تُعَنْظي بكَ وَسْطَ الحاضِرِ
صَهْصَلَقٌ شائِلَةُ الجَمائِرِ

وحاضرُ قِنّسرين : موضع بالشام[٤١] ، قال عِكْرِشَةُ[٤٢] يرثي ابنيه :

سقى اللهُ أجساداً ورائي تركتُها
بحاضِرِ قِنّسْرينَ مِن سَبَلِ القَطْرِ

وقال حسّان[٤٣] :

لنا حاضِرٌ فَعْمٌ وبادٍ كأنّه
قَطينُ الإلَهِ عِزَّةً وتَكَرُّما

والإحضار مصدر قولك : أحضرتُ الشيء فأنا أُحضِرُهُ إحضاراً إذا كان غائباً وطلبت الإتيان به . والإحضار أيضاً مصدر أَحْضَرَ الفرسُ إذا عدا عَدْواً شديداً ، واستحضرته استحضاراً ، وهو فرس مِحْضِير ، والجمع محاضِير . والاسم من ذلك الحُضْرُ ، وحاضَرْتُهُ حِضاراً : عَدَوْتُ (٦٥ ب) معه . وفي الحديث : (فانطلقتُ مُحْضِراً)[٤٤] .

وأمّا (الحاظر) بالظاء ، فاسمُ فاعل من حظرت الشئْ حَظْراً إذا منعته ، وهو ضد الإباحة ، والمفعول محظورٌ . وكل شئْ منع شيئاً فقد حَظَرَهُ ، قال الله جلّ ثناؤه : « وما كانَ عطاءُ ربِّكَ محظورا »[٤٥] أي ممنوعاً .

(٤٠) جندل بن المثنى في اللسان والتاج (عنظ). وتعنظي بك أي تفضحك بشنيع الكلام. وصهصلق : شديدة الصوت صخابة .

(٤١) معجم البلدان ٢/٢٠٦ .

(٤٢) هو أبو الشغب العبسي ، من شعراء الدولة الأموية (ينظر : الإكمال ٦/٢٤٩). والبيت في شرح ديوان الحماسة (ت) ١٠٥٥ و (م) ٣/٧٨ ومعجم البلدان ٢/٢٠٦ .

(٤٣) ديوانه ١/٣٥ وفيه : شماريخ رضوى عزة ...

(٤٤) من حديث كعب بن عجرة كما في الفائق ١/٢٩١ والنهاية ١/٣٩٨ .

(٤٥) الاسراء ٢٠ .

والحِظار : الحاجز بين الشيئين ، بالكسر . والحَظار ، بالفتح : الذباب ، ذكره أبو البقـاء [٤٦] في (المَشُوف المُعْلَم) [٤٧] .

الحافِضُ والحافِظُ [٤٨] :

فأمّا (الحافِضُ) بالضاد ، فاسمُ فاعِلٍ من : حَفَضْتُ العودَ أحفِضُهُ حَفْضاً ، فأنا حافِضٌ والعودُ محفوضٌ : إذا حنيته ، قال الراجز [٤٩] :

إمّا ترى دهري حناني حَفْضَا
أخْرَجَ منـي مـرَّةً ونَقْضَـا

وأمّا (الحافِظُ) بالظاء ، فاسمُ فاعِلٍ من : حَفِظْتُ الشيءَ حِفْظاً ضِدّ نسيتُهُ ، والمفعولُ محفوظٌ . ومنه يُقال : فلانٌ حافِظٌ إذا كان يستظهر ما يتحفّظُهُ . والحافظ : الراعي للشيء والحارسُ له ، ومنه : حَفِظَ اللهُ فلاناً أي : رَعَاهُ وحَرَسَهُ . والحَفَظَةُ جمـع حافِظ . والتحفُّظُ : التيقُّظُ [٥٠] وقلّة الغَفْلة . والحَفيظُ : المحافظُ على الشيء المواظب له ، وفي القرآن الكريم جَلَّ مُنزِلُهُ : « وما أنا عليكم بحَفيظ » [٥١] . والحفيظة : الحميّة والغضب ، يُقال منه : أحفظني الشيء ، إذا أغضبني ، إحفاظاً . وأهـلُ الحِفاظِ : هم المحامون على حريمهم ومنعهم عند الحرب ، قال الشاعر [٥٢] :

لمّـا رأى جيشاً كثيراً في الوغـى
وذَوُو الحِفاظِ من الحِفاظِ قليلُ

---

(٤٦) هو عبدالله بن الحسين العكبري النحوي الضرير ، توفي سنة ٦١٦هـ . (إنباه الرواة ٢ / ١١٦ ، وفيات الأعيان ٣/١٠٠ ، طبقات المفسرين ١/٢٢٤) .

(٤٧) اسم الكاتب الكامل : (المشوف المعلم في ترتيب كتاب إصلاح المنطق على حروف المعجم). وقد ذكره الصفدي في نكت الهميان ١٧٩ والداودي في طبقات المفسرين ١/٢٢٦ .

(٤٨) ينظر : الصاحب ١٠ ، ابن السيد ١٦٣ ، الحميري ٦٣ .

(٤٩) رؤبة ، ديوانه ٨٠ وروايته : أخرج منها عرقاً مرفضا .

(٥٠) في الأصل : التقيظ ، وهو تحريف .

(٥١) الأنعام ١٠٤ ، هود ٨٦ .

(٥٢) لم أقف عليه .

(٦٦ أ) يقول : هؤلاء من محافظتهم على حريمهم ودفعهم الضَّيْمَ عنهم قليلٌ ، لأنَّ مَنْ كانَ ذا حفيظة قلَّ عَدَدُهُ بالقتل . ومَثَلٌ من أمثالهم : (إنَّ الحفائظَ تَنْقُضُ الأحقادَ)[٥٣] . ومعنـــاه : أنّه إذا كان بينَكَ وبينَ ابنِ عَمِّكَ عداوةٌ وعليه في قلبك حِقدٌ ثم رأيتَهُ يُظْلَمُ حَمِيتَ له ونَسيتَ ما في نفسك عليه ونَصَرتَهُ ، قال عُوَيْفُ القَوافي[٥٤] :

نَخَلَتْ لـــه نفسي النصيحة إنّـــه
عندَ الحفيظةِ تَذْهَبُ الأحقادُ

ويُقالُ لها أيضاً : الحِفْظَةُ ، قال الراجز[٥٥] :

وحِفْظَـــةٍ أَكَنَّها ضميري
مع الجَـــلا ولائِـــحِ القَتيرِ

الحَضُّ والحَظُّ :[٥٦] :

فأما (الحَضُّ) بالضاد فمصدرُ حَضَّهُ على الشيء حَضاً : إذا حَثّهُ ، ومنه في الكتاب العزيز جَلَّ منزله : « ولا يَحُضُّونَ على طعامِ المِسكين »[٥٧] . والحُضُّ بضم الحاء الاسم ، ويُقال الحَضُّ والحُضُّ مثل الضَّعف والضُّعف .

و (الحَظُّ) بالظاء مصدر حظظت في الأمر حَظّاً وهو الجد والبَخْتُ[٥٨] يقال : فلان ذو حظٍّ ، ويجمعُ في القِلّة على أَحُظٍّ ، وفي الكثرة على حُظوظٍ

(٥٣) جمهرة الأمثال ٣٤٩/١ ، مجمع الأمثال ٣٠٧/١ وفيه تحلل بدل تنقض ، فصل المقال ٢٣٤

(٥٤) هو عوف أو عويف بن معاوية ، سمي بعويف القوافي ببيت قاله ، وهو من شعراء الدولة الأموية . (معجم الشعراء ١٢٧ ، اللآلى ٨١٤ ، خزانة الأدب ٨٧/٣) .

(٥٥) العجاج ، ديوانه ٣٣٥/١ مع تقديم الثاني . والجلا : انحسار الشعر ، والقتير : الشيب.

(٥٦) ينظر : الصاحب ٩ ، ابن سهيل ٣٢١ ، الأنباري ٩٨ ، ابن السيد ١٤٠ .

(٥٧) الفجر ١٨ . وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء . (ينظر : السبعة في القراءات ٦٨٥، حجة القراءات ٧٦٢ ، اتحاف فضلاء البشر ٤٣٨) .

(٥٨) البخت : لغة العوام . قـال ابن الأنباري في الزاهر ١١٢/١ -١١٣ : (الجد: الحظ، وهو الذي تسميه العوام البخت) .

وأَحاظٍ على غيرِ قياسٍ كأنّهُ جمعُ أَحظٍ لأنّ القياس حِظاظٌ وحُظوظ كما يُقال : صِكاك وصُكوك ، قال رجل من بني قُرَيْعٍ [٥٩] :

وليسَ الغِنَى والفَقْرُ من حيلةِ الفتى
ولكِنْ أَحاظٍ قُسِّمَتْ وجُــدُودْ

(٦٦ ب) الحَضْلُ والحَظْلُ : [٦٠] :

فأمّا (الحَضْل) بالضاد فمصدر حَضَلَتِ النخلةُ حَضْلاً . ويُقال : حَضِلَتْ حَضَلاً وذلك اذا فَسَدَ أصولُ سَعْفِها . فإذا أرادوا اصلاحَها أشعلوا فيها النارَ ليحترق ما فَسَدَ من سَعْفِها وليفِها ثم تجودُ بعد ذلك .

وأمّا (الحَظْلُ) بالظاء فغَيرةُ الرجلِ على المرأة ومنعُهُ لها من التصرف والحركة ، قال الشاعر [٦١] :

فما يُعْدِمْكِ لا يُعْدِمْكِ منــه
طبانِيَــةٌ فيَحْظُلُ أو يَغارْ

ويُقال : رجلٌ حَظِلٌ وحظّال بالتشديد وحظول وحَظَلان للمُقَتّر الذي يحاسب أهلَه بمــا يُنفِقُ عليهم . والاسم الحِظْلان ، بكسر الحاء ، قــال الشاعر [٦٢] .

تُعَيِّرُني الحِظْلانَ أُمُّ مُغَلِّسٍ
فقلتُ لها لم تَقْذِفيني بِدائيـــا

والحَظَلانُ ، بالتحريك : مَشْيُ الغضبان . وقد حَظَلَ يحظِلُ : إذا كفَّ بعضَ مَشْيِه ، قال الشاعر : [٦٣]

---

(٥٩) هو المعلوط بن بدل السعدي القريعي كما في عيون الاخبار ١٨٩/٣ وشرح ديوان الحماسة (م)١١٤٨

(٦٠) ينظر : ابن السيد ١٤٢ ، الحميري ٤٦ ، أبو حيان ١١٢ . وينظر : الإبدال ٢٧٠/٢ .

(٦١) هو البختري الجعدي كما في اللسان (حظل) ، وبلا عزو في الإبدال لأبي الطيب ١٢٩/١ . وجاء في الأصل بفتح الكاف . والطبانية : الفطنة .

(٦٢) منظور الدبيري كما في كنز الحفاظ ٧٠ واللسان (حظل) .

(٦٣) لم أقف عليه .

فَظَلَّ كأنّهُ شاةٌ رميٌّ
خفيفَ المَشْيِ يحظُلُ مُسْتَكِينا

وقال الآخر : (٦٤)

فحَشَوْتُ الغَيْظَ في أضْلاعِهِ
فهو يمشي حَظَلاناً كالنّقِرْ

النقر : الذي به النقرة ، وهو داءٌ يأخذ الشاةَ في شاكلتها . وحَظَلَ الإنسانُ على امرأته حَظْلاً : إذا قَتَّرَ عليها .

حرفُ الخاءِ المُعْجَمةِ بواحدةٍ مِن فَوْقُ

الخَضِلُ والخَظِلُ : (٦٥) :

فأمّا (الخَضِلُ) بالضاد فاسمُ فاعلٍ من خَضِلَ الشيءُ يخضَلُ خَضَلاً فهو خَضِلٌ . وأَخضَلْتُه إخضالاً : إذا بللتُه بالماء . وأَخْضَلَ المطرُ الأرضَ - (٦٧ أ) إخضالاً إذا بلها بالماء ، والأرضُ مُخْضَلَةٌ والمطرُ مُخْضِلٌ . والخَضِلَةُ : الروضةُ الغَمِقَةُ النّدِيّةُ . ومنه: بَكَى حتى اخْضَلّتْ لحيَتُهُ

وأمّا (الخَظِلُ) بالظاء فهو المُغَيِّرُ للشيء. والخَظَلانُ: المَنْعُ ، ذكره بعض العلماء (٦٦) . ولا أدري ما صحتُهُ .

حرفُ الضادِ المُعْجَمة بواحدةٍ من فوقُ

الضالُّ والظالُّ (٦٧) :

فأمّا (الضالُّ) بالضاد فاسمُ فاعلٍ من قولك : ضَلِلتُ الشيءَ أَضَلُّه ضَلالاً وضَلّةً فأنا ضالٌّ إذا نَسِيته . قال أبو بكر بنُ دريد (٦٨) :

---

(٦٤) المرار العدوي كما في تهذيب اللغة ٤/٤٥٥ و ٩/١٠٠ .

(٦٥) ينظر : جمهرة اللغة ٢/٢٢٩ ، التحلة والذيل والصلة ٥/٣٣٨ ، اللسان (خضل). ولم أقف على مادة (خظل) بالظاء في المعجمات التي راجعتها .

(٦٦) لم أقف عليه .

(٦٧) ينظر : الحميري ١٠ ، أبو حيان ١٢٩ .

(٦٨) جمهرة اللغة ١/١٠٥ .

وكذلك فُسِّر في قوله جلّ وعزّ: « وأنا من الضّالِّينَ » [٦٩] أي : من الناسين . والضالّ : الذي أُهْدِرَ دَمُهُ فلم يُثأر به . قالت اختُ تأبّطَ شرّاً ، وقيل أمُّهُ :

ليتَ شعري ضَلّةً
أيُّ شيءٍ قتَلَكْ [٧٠]

وأمّا (الظالّ) بالظاء فاسمُ فاعلٍ أيضاً من ظَلَّ يَظَلُّ فهو ظالٌّ : إذا عَمِلَ ذلكَ نهاراً . يُقال : ظَلَّ فلانٌ نهارَهُ صائماً : إذا فَعَلَ ذلك نهاراً ، وباتَ ليلَهُ قائماً : إذا عَمِلَ ذلك ليلاً .

الضِّرابُ والظِّرابُ [٧١] :

فأمّا (الضرابُ) بالضاد فمصدرُ ضربَ الناقةَ الفحلُ ضِراباً ، وهو من الإبل بمنزلة النكاح للآدميينَ . ومصدرُ تضارَبَ القومُ ضِراباً ، وهو من باب التفاعُلِ ، وهو أنْ يفعلَ كلُّ واحد بصاحبه ما يفعل الآخرُ .

والضِّرابُ اسمٌ للضَّرْبِ مِثلُ القتالِ اسمٌ للقَتْلِ .

وأمّا (٦٧ ب) (الظِّرابُ) بالظاء فجمعُ ظَرِبٍ بفتح الظاء وكسر الراء [٧٢] ، وهي الروابي الصغار . وكذلك فُسِّرَ في الحديث : (حتى تروا الشمسَ على الظِّراب [٧٣] .

والظِّرابُ : حجارةٌ مُحَدَّدَةٌ مُضَرَّسَةٌ تكون في الجبل ، قال الشاعر [٧٤] :

إنّ جنبي عن الفراشِ لنابِ
كتجافي الأَسَرِّ فوقَ الظِّرابِ

(٦٩) الشعراء ٢٠ .

(٧٠) ونسب أيضاً الى أم السليك بن السلكة . (ينظر : شرح ديوان الحماسة (ت) ٣٦٩/٢).

(٧١) ينظر : الصاحب ٢٣ ، ابن سهيل ٣٢٠ ، ابن السيد ١٤٨ .

(٧٢) ينظر : مقاييس اللغة ٤٧٥/٣ .

(٧٣) اللسان (ظرب) .

(٧٤) معد يكرب بن الحارث المعروف بغلفاء كما في نقائض جرير والأخطل ٧٤ وشرح المفضليات ٤٣٢ . والأسر : الذي بكركرته داء فإذا برك على موضع صلب أوجعه .

الضِّرارُ والظِّرارُ (٧٥) :

فأمّا (الضرار) بالضاد فهو المضارّةُ ، وهي من باب المفاعَلَةِ ، قال الله تعالى : « ولا تمسكوهنّ ضِراراً لتعتدوا (٧٦) » . وفي الحديث : (لا ضِرارَ) ويُروى : (لا ضَرَرَ ولا إضرارَ) (٧٧) . أي : لا يَضُرُّ المسلمُ المسلمَ ولا المعاهدَ . وأصله من الضُرِّ : وهو سوء الحال . ويُقال : لا ضَرَرَ عليك ولا ضارُورةَ ولا تَضِرَّةَ .ورجلٌ ذو ضارورةٍ وضَرورةٍ أي ذوحاجة ،قال الشاعر(٧٨) :

أثيبي أخا ضارُورةٍ أَصْفَقَ العِدى عليه وقلّتْ في الصديقِ أواصِرُهْ

وأمّا (الظِّرار) بالظاء فجمعُ ظُرَرٍ بضم الظاء وفتح الراء مِثلُ رُطَبٍ ورِطاب ، وهو حجرٌ له حـدٌّ كحدِّ السكين ، ومنه المثل السائر : (أَظِرّي فإنّكِ ناعِلَةٌ) (٧٩) أي اركبي الظُّرَرَ . وقد ورد هذا المثلُ بالطاء المهملة أيضاً (٨٠) .

الضَّريرُ والظّريرُ (٨١) :

فأمّا (الضريرُ) بالضاد فرجلٌ ضريرٌ بَيِّنُ الضرارة أي ذاهبُ البصرِ . والضرير : حرف الوادي ، يقال : نَزَلَ (٦٨ أ) فلانٌ على أحد ضريري الوادي أي على أحد جانبيه ، قال أوس بن حجر (٨٢) :

وما خليجٌ من المَرُّوتِ ذو شعب
يرمي الضريرَ بخُشْبِ الطلحِ والضّالِ

---

(٧٥) ينظر : اللسان والتاج (ضرر ، ظرر) .

(٧٦) البقرة ٢٣١ .

(٧٧) سنن ابن ماجه ٨٧٤ ، النهاية ٨١/٣ وفيهما : ولا ضرار. وينظر : أمثال الحديث ٦٢٥ففيه تخريجات اخرى .

(٧٨) يزيد بن الطثرية في اللسان (صفق) ، وقد أخل به شعره المطبوع بتحقيقنا .

(٧٩، ٨٠) جمهرة الأمثال ٥٠/١ ، فصل المقال ١٦٩-١٧٠ ، مجمع الأمثال ٤٣٠/١ ،المستقصى ٢٢١/١ .

(٨١) ينظر : ابن سهيل ٣٢١ ، ابن السيد ١٤٥ ، الحميري ٨ .

(٨٢) ديوانه ١٠٥ . والمروت أرض فيها نبات ومسايل وهي من أرض العالية .

والضريرُ : النفسُ وبقيةُ الجسم . قال العجاج [٨٣] :

حامِـي الحُمَيّا مَرِسُ الضَّرِيرِ

ويُقال : إنّه لذو ضريرٍ على الشيء إذا كانَ ذا صبرٍ عليه ومقاساة له [٨٤] قال جرير [٨٥] :

من كلِّ جُرْشُعَةِ الهواجِرِ زادَها
بُعْدُ المَفَاوِزِ جُرأةً وضَرِيــــــرا

ويقال : ناقةٌ ضريرٌ إذا كانَتْ شديدةَ النفسِ بطيئةَ اللُّغُوبِ . وأنشد ابن دريد [٨٦] :

فما وصلُها إلاّ على ذاتِ مِرَّةٍ
يُقَطِّعُ أَضْغانَ النواحِـي ضَرِيرُها [٨٧]

وقال أبو عمرو [٨٨] : الضرير من الدوابِّ الصبور على كل شيءٍ . والضريرُ الداني دُنُوّاً شديداً . وأنشد أبو العباس ثعلب [٨٩] ، وهما من أبيات المعاني :

أَقولُ لكامِلٍ في البأسِ لـمّــا
جَرَى بالحالِكِ الفَدْمِ النُحُورُ
سأصبرُ إنْ صَبَرْتَ وأَنْتَ نَهْدٌ
يُسَـدُّ بمثِلكَ الفَرْجُ الضريرُ [٩٠]

---

(٨٣) ديوانه ٣٧٠/١ . والحميا : الحماية ، والمرس : الشديد المعالجة في خصومة أو قتال .

(٨٤) المنجد في اللغة ٢٤٦ وفيه : لذو ضرير على الشر .

(٨٥) ديوانه ٢٢٨ . والجرشعة : الضخمة الواسعة الجوف .

(٨٦) جمهرة اللغة ١٩١/٣ .

(٨٧) البيت للشماخ في ديوانه ١٦٥ وفيه النواجي بالجيم . وذات مرة أي ناقة قوية. وأضغان جمع ضغن ، والضغن في الدابة أن تكون عسرة القياد .

(٨٨) الصحاح (ضرر) . وأبو عمرو هو اسحاق بن مرار الشيباني، لغوي كوفي ، توفي نحو ٢٠٥هـ (تاريخ بغـداد ٣٢٩/٦ ، معجم الأدباء ٧٧/٦ ، إنباه الرواة ٢٢١/١) .

(٨٩) هو أحمد بن يحيى ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، توفي سنة ٢٩١هـ . (طبقات النحويين واللغويين ١٤١ ، إنباه الرواة ١٣٨/١ ، بغية الوعاة ٣٩٦/١) .

(٩٠) الأول فقط بلا عزو في اللسان (فدم) وفيه : البحور .

كامل: اسم فرسه ، والفَدْمُ : الدَّمُ ، وقيل له فَدْمٌ لثِقَلِهِ ، والفَرْج ، بفتح الفاء وسكون الراء الثَّغْرُ ، والضريرُ : المضارَّةُ ، وأكثر ما يستعمل في الغَيرة ، يقال : ما أشَدَّ ضريرَهُ عليها ! أي غَيْرَتَهُ .

وأمّا (الظريرُ) بالظاء فنَعْتٌ للمكانِ الحَزْنِ ، وهو الذي فيه حجارة مِلءُ الكفِّ ، وجمعه أَظِرَّة بكسر الظاء ، وظُرّان بضمها ، مِثل أَرْغِفة ورُغْفان ، (٦٨ ب) وأنشد ابن دريد [٩١] :

تُطايِرُ ظُرّانَ الحَصَى بمناسِمٍ
صِلابِ العُجَى ملثومُها غيرُ أَمْعَرا [٩٢]

الضّنُّ والظّنُّ [٩٣] :

فأمّا (الضّنُّ) بالضاد فمصدرُ ضنَّ بالشيء ضَنّاً وضِنّاً وضَنَانَةً إذا بَخِلَ به وشَحَّ . والضنينُ : البخيلُ . وقُرِئ: « وما هو على الغيبِ بضنين» [٩٤]

وأمّا (الظّنُّ) بالظاء فهو خلاف اليقين ، وقد يكون في معناه ، وهو من الأضداد [٩٥] . فمما جاء منه بمعنى الشك قوله تعالى : « وظننتم ظنَّ السوءِ» [٩٦]

ومما جاء منه بمعنى اليقين قوله تعالى : « ورأى المجرمونَ النارَ فَظَنُّوا أنّهُمْ مُواقِعُوها » [٩٧] . وقوله تعالى : « وظَنُّوا أنْ لا ملجأَ من اللهِ إلاّ إليهِ » [٩٨]

---

(٩١) جمهرة اللغة ٨٤/١ .

(٩٢) البيت لامرىء القيس في ديوانه ٦٤ . والعجى : عصب في اليدين والرجلين ، والأمعر : الذي ذهب شعره .

(٩٣) ينظر : الصاحب ١١ ، الأنباري ٩٧ ، ابن السيد ١٤٩ ، أبو حيان ١٢٩ - ١٣٠.

(٩٤) التكوير ٢٤. وقرأها بالضاد من السبعة نافع وعاصم وابن عامر وحمزة . وقرأها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي : (بظنين) بالظاء . (السبعة في القراءات ٦٧٣ ، حجة القراءات ٧٥٢، الكشف عن وجوه القراءات السبع ٣٦٤/٢ ، التيسير ٢٢٠) .

(٩٥) أضداد ابن الأنباري ١٤ ، أضداد أبي الطيب ٤٦٦ .

(٩٦) الفتح ١٢ .

(٩٧) الكهف ٥٣ .

(٩٨) التوبة ١١٨ .

معناه ، والله أعلمْ : استيقنوا وعلموا . وقال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ القُشَيرِيُّ [٩٩] :

فقلتُ لهم ظُنُّوا بألْفَيْ مُدَجَّجٍ
سَرَاتُهُمُ في الفارِسِيِّ المُسَرَّدِ

أي : استيقنوا ، لأنّه يُخَوِّفُ أعداءه باليقين لا بالشك .

والظِنّةُ ، بكسر الظاء : التُهمةُ ، وقُرِىء : « وما هو على الغيبِ بظنين» [١٠٠] أي بمُتّهمٍ . وكلاهما ، بالظاء والضاد ، متوجهان في حقٍّ النبي صلى الله عليه وسلّم ، لأنّه ليس ببخيلٍ ولا بمُتّهَمٍ .

الضَّهْرُ والظَّهْرُ [١٠١] :

فأمّا (الضهر) بالضاد فقال أبو بكر بن دريد الأزدي [١٠٢] : الضهر صخرة في جبلٍ تُخالِفُ لونَهُ فيما زعموا . وكأنّهُ ليسَ عنده بثبتٍ .

وذكره محمد بن عبيدالله بن (٦٩ أ) سُهَيْل النحوي [١٠٣] في كتاب الظاء والضاد [١٠٤] .

وأنشد عليه :

رُبَّ عَضْمٍ رأيتُ في جوفِ ضَهْرِ [١٠٥]

(٩٩) كذا بالأصل . ودريد ليس من بني قشير وإنما من بني جشم من هوازن (ينظر : الاشتقاق ٢٩١ – ٢٩٢) . وبيت دريد في الأصمعيات ١٠٧ . والمدجج : التام السلاح ، وسراتهم : أشرافهم ، والفارس : الدرع الذي يصنع بفارسي ، والمسرد : المحكم النسج .

(١٠٠) ينظر هامش رقم ٩٤ . وقد كتبت الآية بالأصل بالضاد والسياق يقتضي كتابتها بالظاء .

(١٠١) ينظر : الصاحب ١٧ ، الأنباري ٩٩ ، ابن السيد ١٦٦ .

(١٠٢) جمهرة اللغة ٣٦٨/٢ .

(١٠٣) لم أقف على ترجمته، وكل ما نعرفه عنه انه كان تلميذاً لعلي بن عيسى الربعي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ .

(١٠٤) نشر في مجلة المورد ، والنص الذي أورده ابن مالك يقع في ص ٣٢٠ .

(١٠٥) اللسان (عضم) وروايته : في وسط . وجاء في الأصل : رب عظم ، بالظاء. وقال الصغاني، بعد أن أورد الشعر ، في التكملة والذيل والصلة ٨٥/٣ : (وقال الفراء : باليمن جبل يسمى الضهر ، بالضاد . قال: وسمي ضهراً لأنه عال ظاهر ، فقالوه بالضاد ليكون فرقاً بين الظهر وموضع معروف بضهر) .

والضَّهْرُ مصدرُ ضَهَرْتُ الشيءَ ضَهْراً : إذا وَطِئْتُه وَطْأً شديداً . ذكره أبو عثمان السَّرَقُسْطِيّ في كتاب الأفعال[١٠٦] .

وأمّا (الظهر) بالظاء فالظهرُ : خلاف البطن . والظهرُ : الرِّكابُ التي تحملُ الأثقال في السَّفَرِ . والظهرُ : الجانبُ والقصيرُ من الريش ، والجمعُ الظُهْرانُ . وأقْرانُ الظَّهْرِ : الذين يجيئون من قِبَلِ الظهر في القتال ، ومنه قولهم :

ولكنَّ أقرانَ الظهورِ مقاتِلُ[١٠٧]

ومنه قولهم : تكلمتُ به عن ظَهْرِ غَيْبٍ ، أي : كأنّهُ غاب عنه فتكلّم فيه عن غير يقين . والظَّهْر أيضاً طريقُ البرِّ . والظُهْرُ ، بالضم : بعدَ الزوالِ ، ومنه صلاة الظُهر ، وكل ما علا فقد ظهر . والتظاهر : التعاون . والظَّهير : المعينُ[١٠٨] ، وفي الكتاب العزيز جلَّ مُنْزِلُهُ : « والملائكةُ بعدَ ذلكَ ظهيرٌ » .[١٠٩] والظِّهْرِيّ : الشيء تجعله بظهر أي تنساه ، قال الله جلَّ ثناؤه : « واتخَذْتُموهُ وراءَكُم ظِهْرِياً » .[١١٠] ومنه قولهم : ظهر فلان بحاجتي : إذا استخفَّ بها وجعلها تظهر ، كأنّهُ أزالها ولم يلتفت إليها ، قال أبو ذؤيب[١١١] :

وعَيَّرَها الواشون أنّي أُحِبُّها
وتلكَ شَكاةٌ ظاهرٌ عندي عارُها

---

(١٠٦) الأفعال ٢/٢٣٠ .

(١٠٧) عجز بيت لأبي خراش في اللسان (ظهر) وصدره :

لكان جميل أسوأ الناس تلة

وقد أخل به ديوان الهذليين وشرح السكري لأشعارهم .

وجاء الشاهد عجز بيت آخر غير معزو في اللسان (ظهر) وصدره :

فلو كان قرني واحداً لكفيته

(١٠٨) ينظر : ابن مالك ٧٦ – ٧٨ ، أبو حيان ١٢٥ .

(١٠٩) التحريم ٤ . وجاء في حاشية المخطوطة : (إنما لم يجمع ظهير لأن فعيلا وفعولا يستوي فيهما المذكر والمؤنث كما قال تعالى : « إنا رسول رب العالمين ») .

(١١٠) هود ٩٢ .

(١١١) ديوان الهذليين ٢٠/١ وروايته : ظاهر عنك .

والظاهرةُ من الوِرد : أنْ تَرِدَ الإبلُ كلَّ يومٍ نصف النهار . والظواهِرُ : الذين ينزلون ظاهر مكّةَ . والظَّهَرَةُ ، بالتحريك : متاعُ البيت . ويُقالُ : جاءَ فلانٌ في ظَهَرَتِهِ . أي في (٦٩ ب) قَوْمِهِ . والظُّهار ، بالضم ، قال أبو عبيدة [١١٢] : هو الريش الذي يُجعل في السهم من ظَهْرِ عَسِيبِ الريشة . والظِّهارُ ، بالكسر : قولُ الرجلِ لامرأته : أنتِ عليَّ كظهرِ أمي . يُقال منه : ظاهَرَ وتظهَّرَ وظَهَّرَ بمعنىً . والمُظَهَّرُ ، بفتح الهاء مُشَدَّدَةً : الرجلُ الشديدُ الظهرِ . والمُظَهِّرُ ، بكسرها : اسم رَجلٍ .

الضَّفْرَةُ والظَّفْرَة [١١٣] :

فأمّا (الضَّفْرَةُ) بالضاد فهو ما تَعَقَّدَ واستطالَ من الرمل ودَخَلَ بعضُهُ في بعضٍ . ذكره بعض العلماء. والضَّفْرَةُ : عَقِيصَةُ المرأة . عن الجوهري[١١٤] .

وأمّا (الظَّفْرَةُ) بالظاء فجُلَيْدَةٌ تغشى العينَ ناتِئة من الجانب الذي يلي الأنف على بياضِ العينِ بلا سوادِها ، ويُقال لها الظَّفَرَةُ بالتحريك . والظُّفْرُ : ظُفْرُ الانسان ، والجمعُ أظفار ، وتجمع أظفار على أظافير . وقال قوم [١١٥] : بل أظافير جمع أُظْفُورٍ . ولا يُقالُ : ظِفْرٌ ، كما تقول العامّةُ [١١٦]. ويُقالُ : أُظفُورٌ في معنى ظُفْرٍ . قال أبو بكرٍ بنُ دُرَيْد [١١٧] : أنشدنا أبو حاتِمٍ [١١٨] قال : أنشدتني أمُّ الهَيْثم ، واسمُها غيثة [١١٩] ، من بني عامر بن صَعْصَعَة : .

(١١٢) الصحاح (ظهر) . وأبو عبيدة هو معمر بن المثنى ، توفي سنة ٢٠٨ هـ وقيل بعدها . (المعارف ٥٤٣ ، مراتب النحويين ٤٤ ، معجم الأدباء ١٩/١٥٤) .

(١١٣) ينظر : ابن السيد ١٧٨ ، ابن مالك ٧٤ - ٧٥ .

(١١٤) الصحاح (ضفر) .

(١١٥) منهم ثعلب في الفصيح ١٠١ . وفي الأصل : .. جمع أظفورة .

(١١٦) لحن العوام ١٠٩ ، تثقيف اللسان ١٢٤ ، تقويم اللسان ١٥٤ .

(١١٧) جمهرة اللغة ٢/٣٧٧ .

(١١٨) هو سهل بن محمد السجستاني ، عالم باللغة والشعر والقراءات، توفي سنة ٢٥٥ هـ . (مراتب النحويين ٨٠ ، أخبار النحويين ٧٠ ، الفهرست ٩٢) .

(١١٩) بالأصل : غنية . والصواب ما أثبتنا . (ينظر : الاشتقاق ٧٤) .

ما بينَ لُقْمَتِهِ الأولى إذا انحدَرَتْ

وبينَ أُخرى تَليها قِيسُ أُظْفُورِ [١٢٠]

الضَّلْعُ والظَّلْعُ : [١٢١]

فأمّا (الضَّلْعُ) بالضاد فالجورُ والمَيْلُ ، ومنه : ضَلْعُكَ مع فلان [١٢٢] ، أي مَيْلُكَ إليه . وفي المثل السائر : (لا تَنْقُشِ الشوكةَ بالشوكةِ فإنَّ ضَلْعَها مَعَها) [١٢٣] . يُضرَبُ مثلاً للرجل يُخاصِمُ آخَرَ ، يقول : (٧٠ أ) لا تَجْعَلْ بَيْنَنا مَنْ يَهْوَى الهوى لغيرنا ، يُقال منه : ضَلَعَ الرجلُ يَضْلَعُ : إذا جارَ ، فهو ضالع ، قال النابغة [١٢٤] :

أَتُوعِدُ عَبْداً لم يَخُنْكَ أمانةً

ويُتركُ عبدٌ ظالمٌ وهو ضالعُ

وأمّا (الظَّلْعُ) بالظاء فإنّهُ خَمَعٌ [١٢٥] خفيفٌ كالغَمزِ ونحوه، يُقال: ظَلَعَ يَظْلَعُ في مشيته ظَلْعاً وظَلَعاً . ودابّةٌ ظالعٌ وبِرذَوْن ظالعٌ ، ينعت المؤنث بالتذكير ، قال كُثَيِّر [١٢٦] :

وكنتُ كذاتِ الظَّلْعِ لمّا تحامَلَتْ

على ظَلْعِها بَعْدَ العِثارِ استَقَلَّتِ

ويُقال : ظَلَعَتِ الأرضُ بأهلها ظَلَعاً وظَلْعاً : ضاقت ، عن أبي عُبَيْد [١٢٧] . ويُقال في المثل : (ارْقَ على ظَلْعِكَ أنْ تُهاضَ) [١٢٨] أي : اربع على نفسك ولا تُحملها ما لا تُطيق .

---

(١٢٠) البيت بلا عزو في لحن العوام ١٠٩ وأساس البلاغة ٢٨٩ .

(١٢١) ينظر : الصاحب ٧ ، ابن السيد ١٢١ .

(١٢٢) الزاهر ٣٧٩/٢ ، كنز الحفاظ ٥٦٩ .

(١٢٣) جمهرة الأمثال ٣٩٤/٢ .

(١٢٤) ديوانه ٤٨ وروايته : وتترك عبداً ظالماً .

(١٢٥) يقال : خمع في مشيته أي ظلع ، وبه خماع أي ظلع .

(١٢٦) ديوانه ٩٩ . وتحاملت : تكلفت المشي بمشقة . واستقلت : ارتحلت .

(١٢٧) هو القاسم بن سلام ، توفي سنة ٢٢٤ هـ . (مراتب النحويين ٩٣، تاريخ بغداد ٤٠٣/١٢ ، إنباه الرواة ١٢/٣) .

(١٢٨) جمهرة الأمثال ١١٧/١ ، فصل المقال ٤٥١ .

حرفُ العَيْنِ المهملةِ

العَضْبُ والعَظْبُ :[129]

فأمّا (العَضْبُ) بالضاد فالسيفُ الصارمُ . ومصدرُ عَضَبَ الشيءَ عَضْباً : إذا كَسَرَهُ أو قَطَعَهُ ، وعَضَبَ الرجلَ : إذا تناوَلَهُ بلسانه وشتَمَهُ . ورجلٌ عضّابٌ ، بالتشديد : إذا كان شتّاماً . وعَضَبَ السيفُ عَضْباً : إذا كانَ صارماً قاطعاً ، قال شَمّاسُ بنُ أَسودَ الطُّهَوِيّ [130]:

فإلاّ تَصِلْ رِحْمَ ابنِ عمرو بنِ مَرْثَدٍ
يُعَلِّمْكَ وَصْلَ الرِّحْمِ عَضْبٌ مُجَرَّبُ

وكذلك لسانٌ عَضْبٌ : إذا كان خطيباً بليغاً . وظَبْيٌ أَعْضَبُ : إذا انكسر أحدُ قَرْنَيْهِ ، والأُنثى عَضْباءُ، وهو يتشاءم به [131] . وفي الحديث (٧٠ب) : (أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم نهى أنْ يُضَحّى بالأعضب القَرْنِ) [132]. قال الشاعر [133] :

إنّ السيوفَ غُدُوُّها ورَوَاحُها
تَرَكَتْ هوازنَ مِثْلَ قَرْنِ الأَعْضَبِ

وناقَةٌ عَضْباءُ : مَشْقُوقَةُ الأُذُنِ . فأمّا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنّما قيل لها العَضْباءُ لحدتها وسُرعتها ، مشتقة من العَضْبِ الصارمِ ولم تكُنْ مشقوقةَ الأُذُنِ .

و [أمّا] (العَظْبُ) بالظاء فتحريكُ الطائرِ زِمِكّاهُ ، ذكره بعضُ العلماءِ . [134] .

---

(١٢٩) ينظر : الصاحب ٨ ، ابن السيد ١٣٥ ، أبو حيان ١٣٧ .

(١٣٠) شرح ديوان الحماسة (م) ٥١٢ و (ت) ٨٧/٢ .

(١٣١) جمهرة اللغة ٣٠٣/١ .

(١٣٢) غريب الحديث ٢٠٧/٢ ، الزاهر ١٥/٢ .

(١٣٣) الأخطل ، ديوانه ٢٨ (صالحاني) ٩٠ (قباوة). ويجوز النصب في غدوها ورواحها على البدل أو الظرفية .

(١٣٤) الأزهري في تهذيب اللغة ٣٠٢/٢ والصاحب في المحيط ٥٢/٢ وابن السيد في ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ١٣٥ .

العَضُّ والعَظُّ :(١٣٥) :

فأمّا (العَضُّ) بالضاد فمصدرُ عَضِضتُ ، بفتحِ أوّلِه وكسرِ ثانيه ، وهو الأخذُ للشيء بالأسنان والشدُّ بها عليه . تقول منه : عَضَّ يَعَضُّ عَضّاً ، والفاعل عاض والمفعول معضوض . قال اللهُ جلَّ وعزَّ : « وإذا خلوا عَضُّوا عليكم الأنامِلَ من الغَيْظِ » .(١٣٦) والعُضُّ (١٣٧) ، بالضم : عَلَفُ أهلِ الأمْصارِ مِثْلُ الخَبَطِ والنوَى . والعِضُّ ، بالكسر : الرجُلُ المنكرُ الداهيةُ ، قال رزين بن محمد الغَطَفانيّ ، وهما من أبياتِ المعاني :

يقولُ ليَ العِضُّ المُحاسِبُ نَفْسَهُ
أَضاعَ وأفنى مالَهُ ابنُ مُحَمّدِ
له الويلُ مِن طُولِ الثواءِ ومِن صَدٍ
متى يَتَبَيّنْ فُرْجَةَ الصُبْحِ يَصْخَدِ(١٣٨)

يعني بالثواءِ الموتَ . وقوله : من صدٍ ، يعني الهامةَ التي تخرجُ من رأسِ الميِّتِ تزقو . والعِضُّ أيضاً : الغَلَقُ الذي لا يراد ينفتح . والعِضُّ أيضاً : الشِّرْسُ ، وهو ما صَغُرَ من الشَوْكِ .

وأمّا (العَظُّ) بالظاء (٧١ أ) فمن اشتداد الزمانِ والحربِ . يُقال : عظّهُم الزمانُ : إذا اشتدَّ عليهم وأثّرَ فيهم ، قال الفرزدَقُ (١٣٩) :

وعَظَّ زمانٌ يا بنَ مَرْوانَ لم يَدَعْ
من المالِ إلاّ مُسْحَتاً أو مُجَلّفُ

وقال الأزهري (١٤٠) : قرأتُ بخط شَمِر(١٤١) : يُقال : عَظَّ فلانٌ فلاناً عظاً : إذا أَلْزَقَهُ بالأرض فهو مَعْظُوظٌ .

---

(١٣٥) ينظر : الصاحب ٤ ، الأنباري ١٠٠ ، ابن السيد ١٠٦ .

(١٣٦) آل عمران ١١٩ .

(١٣٧) النبات ١٦/٣ .

(١٣٨) لم أقف عليهما .

(١٣٩) ديوانه ٥٥٦ وفيه : وعض زمان . والمسحت : المهلك . والمجلف : الرجل الذي أذهبت السنون أمواله .

(١٤٠) تهذيب اللغة ٩٦/١ . والأزهري هو محمد بن أحمد، من علماء اللغة، توفي سنة ٣٧٠ هـ . =

العَضْلُ والعَظْلُ (١٤٢) :

فأمّا (العَضْلُ) بالضاد فمصدرُ عَضَلَ فلان فلاناً عَضْلاً وأعْضَلَ به إذا صَلّبَ عليه وضَيّقَ في جميعِ أموره ومَنَعَهُ مما يحب ويريد ظُلماً . ومنه عضل الأيم : إذا منعها من التزويج . قال الله جلّ ثناؤه : « فلا تعضلوهنّ أنْ ينكحنَ أزواجهنّ »(١٤٣) . وكأنّ منه الداءَ العُضالَ ،وهو الذي أعيا الأطباء . وفي حديث عمر رضي الله عنه : (أَعْضَلَ فيَّ أهل الكوفة . لا يَرْضَوْنَ أميراً. ولا يرضاهم أميرٌ) (١٤٤) ، معناه : أعياني

وأمّا (العَظْلُ) بالظاء فمصدرٌ لا اسمٌ ، وهو الملازمةُ في السفادِ في كلٍّ ما يتعاقَدُ من الكلاب والجراد . ويُقال : عاظَلَها فعَظَلَها ، أي : غلبها في العِظال ، قال جرير(١٤٥) :

كلابٌ تَعاظَلُ سُودُ الفِقـا
حِ لـم تحمِ شيئاً ولـم تَصْطَدِ

وتعظّلَ القومُ على فلان: اجتمعوا عليه . والعِظالُ في القوافي (١٤٦) : التضمين . (٧١ ب) ومنه حديث عمر رضي الله عنه وقوله في زهير بن أبي سُلمى : (كانَ لا يعاظِلُ بين قوافيه) (١٤٧) . والتضمين(١٤٨) هو أنْ يتعلق معنى البيت الثاني بالأوّلِ فكأنّه يَرْكَبُهُ كقول النابغة (١٤٩) :

= (نزهة الألباء ٣٢٣ ، وفيات الأعيان ٣٣٤/٤ ، الوافي بالوفيات ٤٥/٢) .

(١٤١) هو شمر بن حمدويه الهروي ، كان حافظاً للغريب ، توفي سنة ٢٥٥هـ . (نزهة الألباء ١٩٦ ، إنباه الرواة ٧٧/٢ ، بغية الوعاة ٤/٢) .

(١٤٢) ينظر : الصاحب ٦ ، الحميري ٤٨

(١٤٣) البقرة ٢٣٢ .

(١٤٤) غريب الحديث ٢٨١/٣ ، الزاهر ٥٦١/١ .

(١٤٥) أخل به ديوانه . وهو بلا عزو في اللسان والتاج (عظل) .

(١٤٦) ينظر في المعاظلة في القوافي : نقد الشعر ٢٠١ ، القوافي للتنوخي ١٦٥ ، المثل السائر ٣٩٦/١ – ٤٠٩ .

(١٤٧) الفائق ٣/٣ ، النهاية ٢٥٩/٣ مع خلاف في الرواية .

(١٤٨) ينظر في التضمين : "القوافي للأخفش ٧٠ ، القوافي للمبرد ١٢ ، تلقيب القوافي ١٩ ، القوافي للتنوخي ١٦٣ ، العيون الغامزة ٢٧٠ – ٢٧١ .

(١٤٩) ديوانه ١٩٩ . والجفار : ماء معروف لبني أسد ، وكانت عليه وقعة .

وَهُمْ وَرَدُوا الجِفارَ علـى تميـمٍ
وَهُمْ أصحابُ يومِ بغاثَ إنِّي

شَهِدْتُ لهم مواطِنَ صادِقـاتٍ
وَثِقْتُ لهم بحُسْنِ الظّـنِّ مِنِّي

ويومُ العُظالى (١٥٠) ، بضم العين ، سُمِّي بذلك لأنَّ النـاسَ يركبُ بعضُهم بعضاً فيه ، يُقال : إنّه رَكِبَ الأثنان والثلاثةُ الدابةَ الواحدةَ ، قال الشاعر (١٥١) :

فإنْ تَكُ في يوم العُظالَى ملامةٌ
فيومُ الغَبيطِ كانَ أخزى وألوما

العَضْمُ والعَظْمُ (١٥٢) :

فأمّا (العَضْمُ) بالضاد فالعَضْمُ مَقْبِضُ القوسِ . والعَضْمُ أيضاً : عَسِيبُ الفرس . والعَضْمُ : لَوحُ الفَدّانِ الذي في رأسه الحديدةُ . والعَضْمُ : الخشبةُ التي يُذَرّى بها الطعامُ . والعَضْمُ : خطٌّ يكونُ في الجبل يُخالِفُ لَوْنَهُ ، عن ابن دُرَيْد (١٥٣) .

وأمّا (العَظْمُ) بالظاء فواحدُ العِظام ، وهي قَصَبُ المفاصلِ معروفةٌ . والعِظام جمع عظيم من جميع الأشياء . والعَظْمُ مصدرُ عَظَمْتُ الكلبَ عَظْماً : إذا أطعمته العِظامَ . وعَظَمْتُ الشاة : قطعتُها عَظْماً عَظْماً . والعَظْمُ أيضاً : خَشَبُ الرَّحل بلا أنساعٍ ولا أداةٍ .

---

(١٥٠) ويقال له أيضاً يوم الإياد ويوم الأفاقة ويوم أعشاش ويوم مليحة، وفيه انتصر بنو يربوع على بني شيبان . (النقائض ٥٨٠ ، العقد الفريد ١٩٢/٥ ، معجم البلدان ١٣٠/٤).

(١٥١) هو العوام بن شودب الشيباني، والبيت في النقائض ٥٨٥ ومعجم ما استعجم ١٢٦٠ ومعجم البلدان ١٣٠/٤ والرواية فيها جميعاً :
إن تك في يوم الغبيط ملامة   فيوم العظالى ....

(١٥٢) ينظر : الصاحب ٨ ، ابن سهيل ٣٢٠ ، ابن السيد ١٣٨ .

(١٥٣) جمهرة اللغة ٩٤/٣ .

العِضَةُ والعِظَةُ [154] :

ـ (٧٢ أ) فأمّا (العِضَةْ) بالضاد فواحدُ العِضاةِ ، وهو كل شجر يعظُم وله شوكٌ ، وهو على ضربين : خالص وغير خالص ، فالخالِصُ : الغَرَبُ والطَّلْحُ والسَّلَمُ والسِّدْرُ والسَّيَالُ والينبوتُ والسَّمُر والقَتادُ الأعظمُ والكَنَهْبُلُ والعَوْسَجُ ، وما ليس بخالص : فالشَّوْحَطُ والنَّبْعُ والشِّريانُ والنَّشَمُ والعُجْرُمُ والتَّأْلَبُ ومـا صَغُرَ من شجر الشوك فهو العِضُ [155]، وقد تقدَّمَ في (العَضّ والعَظّ) .

وأمّا (العِظَةُ) [بالظاء]فهي مصدر وَعَظتُهُ عِظَةً ووَعْظاً ، وهو أنْ تَنْصَحَ للرجلِ وتذكره بالعواقب ونحو ذلك ليَرِقَّ قلبُهُ ، والفاعِلُ لذلك واعِظٌ ، والمفعول مَوْعوظٌ ، وفي الكتاب العزيز جَلَّ منزِلُهُ : « ذلكَ يُوعَظُ به مَنْ كانَ [منكم] يؤمِنْ باللهِ واليومِ الآخر »[156] . ويُقال : (السعيدُ مَنْ وُعِظَ بغيرِهِ والشقيُّ مَن اتعَظَ بهِ غيرُهُ) [157] .

حرفُ الغين المعجمة بواحدةٍ من فوقُ

الغِياضُ والغِياظُ [158]:

فأمّا (الغِياضُ) بالضاد فجمع غَيْضَة ، وهي الأَجَمة ، وهو موضع مَغيضِ الماءِ يجتمع فينبُتُ منه الشجرُ ، والجمع غِياضٌ وأغياضٌ . وغَيَّضَ الأسدُ أي أَلِفَ الأجَمَةَ .

وأمّا (الغِياظُ) بالظاء فمصدر غايظ غِياظاً ، والفاعل مُغايِظ بكسر الياء ، والمفعول مُغايَظ بفتحها . ولا يكون الغِياظ إلاّ بينَ اثنين فصاعِداً لأنّه من باب التفاعل .

(١٥٤) ينظر : ابن السيد ١٦٢ ، الحميري ٥٢ .

(١٥٥) نقل ابن مالك ما جا في الصحاح (عضه) .

(١٥٦) البقرة ٢٣٢ .

(١٥٧) جمهرة الأمثال ١/٥١٢ ، فصل المقال ٣٢٧ .

(١٥٨) ينظر : ابن السيد ١٦٣ .

الغَيْضُ والغَيْظُ [159]:

(٧٢ ب) فأمّا (الغَيْضُ) بالضاد فمصدر غاضَ الماءُ يغيضُ غَيْضاً: إذا قلَّ ونَضَبَ . وغِيض الماءُ فُعِلَ به ذلك على اسم ما لم يُسَمَّ به فاعلُه . وفي القرآن الكريم جلَّ منزِلُهُ : « وغِيضَ الماءُ » [160] . وغاضَ الكرامُ : قلّوا ، وفاضَ اللئامُ : كثروا . فأمّا المثلُ السائرُ : (أَعطاهُ غَيْضاً مِن فيضٍ)[161] أي قليلاً من كثيرٍ. وقيل : الغَيْضُ: نيلُ مِصْرَ، والفَيْضُ: نهرُ البصرةِ . والغِيض ، بكسر الغين : الطلع في بعضِ اللغات ، ذكره ابن دُرَيْد[162] .

وأمّا (الغَيْظُ) بالظاء فمصدرُ غاظه غَيْظاً: إذا أغْضَبَهُ . قال الله جلَّ ثناؤه : « والكاظِمينَ الغَيْظَ » [163] . وقال الأسودُ بنُ يَعْفُر[164] :

فَغِظْناهُمُ حتى أتى الغَيْظُ مِنهُمُ
قُلوباً وأَكْباداً لهم ورِئِينـــا

جمع رئة مهموز ، وتُجمع رِئات . واسمُ الفاعِل قد يأتي غائِظٌ ، قال الله تعالى : « وإنّهم لنــا لغائظونَ » [165] . وقد يأتي مَغِيظٌ ، بفتح الميم وكسر الغين ، قالت قُتَيْلَةُ بنتُ النضر [166] .

ما كانَ ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ ورُبّما
مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحْنَقُ

وقد سَمّتِ العربُ غَيْظاً وغِياظاً .

---

(١٥٩) ينظر : الأنباري ٩٧ ، ابن السيد ١٦٢ .
(١٦٠) هـود ٤٤ .
(١٦١) الأمثال (حيدر آباد) ٧٩ ، مجمع الأمثال ١٨/٢ المستقصى ١٧٨/٢ .
(١٦٢) جمهرة اللغة ١٠٤/١ ، قال : وهي لغة يمانية .
(١٦٣) آل عمران ١٣٤ .
(١٦٤) ديوانـه ٦٣ .
(١٦٥) الشعراء ٥٥ .
(١٦٦) اللسان (غيظ) .

حرفُ الفاء

الفَضُّ والفَظُّ (١٦٧) :

فأمّا (الفَضُّ) بالضاد فمصدرُ فَضَّ الشيءَ فَضّاً : إذا كَسَرَهُ وفرّقَهُ ، واسم الفاعل فاضٌّ والمفعول مَفْضُوضٌ . ومنه فضّ الختام للكتاب ، وفَضَضْتُ الجماعةَ : فرّقْتُهم فانفضّوا هم . وفي القرآن جَلَّ مُنْزِلُهُ : « وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضّوا إليها » (١٦٨).

وأمّا (الفَظُّ) بالظاء فهو الرجلُ الغليظُ القلبِ المتجهّم ، وفي (٧٣ أ) القرآن الكريم جَلَّ مُنْزِلُهُ : « ولو كُنْتَ فَظّاً غليظَ القلب لانْفَضّوا من حولك » (١٦٩) . والفَظُّ : ماءُ الكرشِ ، قال لبيد (١٧٠) :

فكانوا كأنفِ الليثِ لا شَمَّ مَرْغَماً
ولا نالَ فظَّ الصيدِ حتى تعفّرا

وفَظُّ الكرشِ هو أنْ يُشَقَّ ويعتصرَ ما فيه من الماء ويُشرب في المفاوز عندَ الحاجةِ إليه . والفَظيظُ : زَعَمَ قومٌ أنّهُ ماءُ الفحلِ وماء المرأة ، قال ابن دُرَيْد (١٧١): وليس ذلك بثَبَتٍ . قال مالكُ بنُ نُويرَة (١٧٢) في فَظِّ الكرشِ : .

كأنَّ لهم إذْ يَعْصِرُونَ فُظُوظَها
بدجلَةَ أو فَيضِ الأُبُلّةِ مَوْرِدُ

الفَيْضُ والفَيْظُ : (١٧٣) : :

فأمّا (الفَيْضُ) بالضاد فمصدرُ فاضَ الماءُ يفيضُ فيضاً : إذا زادَ

---

(١٦٧) ينظر : الصاحب ١٤ ، الأنباري ٩٨ ، ابن السيد ١٥٣ .

(١٦٨) الجمعة ١١ .

(١٦٩) آل عمران ١٥٩ .

(١٧٠) أخل به ديوانه . وهو لحسان بن نشبة في اللسان (فظظ)

(١٧١) جمهرة اللغة ١/١١٠ .

(١٧٢) شعره : ٦٤ ، وروايته : كأنهم إذ

(١٧٣) ينظر : ابن السيد ١٧٠ ، ابن مالك ٩٣ .

زيادةً كثيرةً وخَرَجَ عن مستقره . وكذلك فاضَ الدمعُ : إذا خرج من الجفون. وفي الكتاب العزيز جلّ منزِلُهُ : « وأعينهم تفيضُ من الدمعِ حَـزناً »[174]. وفاضَ البحرُ : إذا مدَّ ، وفاضَ الوادي : إذا امتلأ ، فهـو فائضٌ وفيّاضٌ. ورجلٌ فيّاضٌ ، بالتشديد : تفيضُ يداه بالمعروف . والفيضُ : النهرُ نفسُهُ ، والجمع أفياضٌ وفُيُوضٌ . والفَيْضُ مصدرُ فاضَ الصدرُ بما فيه من السرِّ فَيْضاً ، والعرَقُ كذلكَ .

وأمّا (الفَيْظُ) بالظاء فمصدرُ فاظَ يفيظُ فَيْظاً : إذا ماتَ . وفي الحديث : (فاظَ وإلهِ يهودَ)[175] . وقال الآخرُ[176] :

لا يَدْفِنونَ مِنهمُ مَنْ فاظا

وقيل : فاظَ الرجلُ نفسَهُ يفيظُها فَيْظاً : إذا كانَ يسوقُ ولم يَمُتْ بعدُ .

(٧٣ ب) حرفُ القافِ

القارِضُ والقارِظُ[177] :

فأمّا (القارِضُ) بالضاد فاسمُ فاعلٍ من قَرَضْتُ الشيءَ أقرضُهُ قَرْضاً فأنا قارضٌ : إذا قطعته قطعاً صغيراً لا كثيراً . والقارِضُ : الناطقُ بالقَرِيضِ ، وهو الشعر . ومنه المثل السائر لعبيد بن الأبرص : (حالَ الجَرِيضُ دُونَ القَرِيضِ)[178] . والقارِضُ : العادل عن الشيء . يُقال : قَرَضْتُ الموضعَ والشيء يميناً وشمالاً : عدلت عنه . وفي الكتاب العزيز جَلَّ منزِلُهُ : « وإذا

(١٧٤) التوبة ٩٢ .

(١٧٥) النهاية ٤٨٥/٣ ، وروايته : فاظ وإله بني اسرائيل .

(١٧٦) رؤبة في ديوانه المخطوط (ينظر : ديوان العجاج ٣٤٨/٢) . وقد أخل به شعره المطبوع .
وهو لرؤبة أيضاً في الزاهر ٣٦٠/٢ .

(١٧٧) ينظر : ابن سهيل ٣٢١ .

(١٧٨) الفاخر ٢٥٠ ، جمهرة الأمثال ٣٥٩/١ .

غربت تَقْرِضُهُم ذاتَ الشِّمال » [١٧٩]. قال أبو عبيدة [١٨٠] : تُخلِّفُهم شمالاً وتجاوزُهم . ومنه قولهم : هل مررتَ بمكان كذا ؟ فيقول المسؤول : قَرَضْتُهُ ذاتَ اليمين ليلاً ، وأنشد لذي الرُّمّة [١٨١] :

الى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أجوازَ مُشرِفٍ
شِمالاً وعن أَيمانهنَّ الفوارِسُ

وأمّا (القارِظُ) فهو اسم فاعلٍ أيضاً وهو الذي يجتني القَرَظَ ، وهو ورقُ السَّلَمِ يُدْبَغُ به ، ومنه : أديمٌ مَقروظٌ وكبش قَرَظي وقُرَظيّ ، بفتح الأول وضم قافِ الثاني وفتح الراء ، منسوب الى بلاد القرظ ، وهي بلاد اليمن لأَنّها منابتُ القَرَظ . وفي المثل السائر : (لا آتيكَ أو يؤوب القارظان) [١٨٢] ، وكلاهما من عَنَزَةَ أحدهما يَقْدُم بن عَنَزَة والآخر فلان بن هُمَيْم بن يَقْدُم [١٨٣] خرجا في طلب القَرَظ [١٨٤] فلم يَرْجِعا ، قال أبو ذُؤيب [١٨٥] :

وحتى يؤوبَ القارِظان كِلاهُما
ويُنْشَرَ في القَتْلَى كُلَيْبٌ لوائِلِ

وقال الآخر [١٨٦] :

فَرَجّي الخيرَ وانتظري إيابي
إذا ما القارِظُ العنزيُّ آبا

(٧٤ أ) وسَعْدُ القَرَظ [١٨٧] : مُؤَذِّنُ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، كانَ بقُباء فلمّا وَلِيَ عمرُ بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أنزله المدينة .

---

(١٧٩) الكهف ١٧ .
(١٨٠) مجاز القرآن ٣٩٦/١.
(١٨١) ديوانه ١١٢٠ . وأجواز : أوساط ، ومشرف والفوارس : رمل بالدهناء .
(١٨٢) ورد هذا المثل بروايات مختلفة ، ينظر : جمهرة الأمثال ١٢٣/١ ، فصل المقال ٤٧٣.
(١٨٣) ينظر فيهما : المثنى ٤٣ وجنى الجنتين ٨٩ .
(١٨٤) كتبت بالأصل : القرض ، بالضاد ، وهو تحريف .
(١٨٥) ديوان الهذليين ١٥٤/١ .
(١٨٦) هو بشر بن أبي خازم ، ديوانه ٢٦ .
(١٨٧) اسمه سعد بن عائذ ، كان يتجر في القرظ فقيل له سعد القرظ . (المعارف ٢٥٨ ، الإصابة ٦٥/٣) .

وقُرَيْظة والنّضير قبيلتان من يهود خَيْبَرَ، وقد دخلوا في العرب على نَسَبِهم الى هـــارون أخي موسى عليهما السلام، منهم محمد بن [كعب][188] القُرَظيّ[189] أحد الاخباريين .

القَيْضُ والقَيْظُ[190] :

فأمّا (القَيْضُ) بالضاد فمصدرُ قاضتِ السِّنُّ قَيْضاً : إذا تحركت ، وانقاضَت : إذا انشقّتْ طُولاً ، قال أبو ذؤيب[191] :

فِراقٌ كقَيْضِ السِّنِّ فالصبر إنّهُ
لكلِّ أُناسٍ عَثْـرَةٌ وجُبُــورُ

والقَيْضُ : ما تَفَلَّقَ من قِشْرِ البيضِ الأعلى .

وأمّا (القَيْظُ) بالظاء فمصدرُ قاظَ في موضع كذا قَيْظاً : صارَ فيــه في وقت القَيْظ ، والقَيْظُ : شِدَّةُ الحرِّ ، وجَمْعُ قَيْظ أَقْياظ وقُيوظ . وقاظَ بالمكان وتَقَيّظَ : إذا أقامَ به أيّامَ القيظِ ، قال الأعشى[192] :

يــا رَخَمــاً قاظَ عــلى مَطْلوبِ

والموضعُ الذي يُقام فيه أوانِ القَيْظِ : مَقيظ ، بفتح الميم وكسر القاف. وقاظَ يومُنا : اشتدَّ حرُّهُ . وقَيّظَني هذا الشيءُ أي كفاني لِقَيْظي . واســم الفاعل منــه : مُقَيِّظ ، بكسر اليــاء ، والمفعول : مُقَيّظ ، بفتحها ، قال الراجز[193] :

من كانَ ذا بَتٍّ فهذا بَتّي
مُقَيِّظٌ مُصَيِّفٌ مُشَتّي

---

(188) بياض بالأصل .

(189) ينظر : الإصابة ٣٤٥/٦ ، تهذيب التهذيب ٤٢٠/٩ .

(190) ينظر : الصاحب ١٢ ، ابن السيد ١٧٢ ، الحميري ٧١.

(191) ديوان الهذليين ١٣٨/١ ، وروايته : كقيص، بالصاد المهملة . يقال : انقاصت ســنه إذا انشقت بالطول . وفي الأصل : لراق كقيض .

(192) ديوانه ١٨٤ ، وروايته : يارخماً قاظ على ينخوب . وينظر اللسان (قيض) .

(193) رؤبة ، ملحقات ديوانه ١٨٩ .

حرفُ اللامِ

اللّضْلَضَةُ واللّظْلَظَةُ(١٩٤) :

فأما (اللّضْلَضَةُ) بالضاد فمصدرُ لَضْلَضَ الدليلُ لَضْلَضَةً : إذا تَلَفَّتَ في مَسِيرِهِ ، وإنّمــا يفعلُ ذلك لحذقه ، يقال : دليلٌ لَضْلاضٌ أيْ (٧٤ ب) حاذِقٌ لكثرةِ تلفتهِ يميناً وشمالاً ، قال الراجزُ (١٩٥) :

وبلدةٍ تَغْبَى على اللّضْلاضِ

وأمّا (اللّظْلَظَةُ) بالظاء فهو مصدرُ لَظْلَظَتِ الحيّةُ لَظْلَظَةً وهو تحريكُها رأسها من شدّةِ اغْتياظِها . وتَلَظْلَظَتْ تَلَظْلُظاً : إذا فَعَلَتْ ذلك ، وحيّةٌ تَتَلَظْلَظُ من خُبْثِها .

حرفُ الميمِ

المضُّ والمظُّ (١٩٦) :

فأمّا (المضُّ) بالضاد فمصدرُ مَضَّهُ الشيءُ يَمُضُّهُ مضّاً : إذا آلمه وبلغَ من قلبه فهو ماضٌّ ومُمِضٌّ . قال ابن دُرَيد (١٩٧) : وكان أبو عمرو بن العلاء(١٩٨) يقول : (مَضّني) كلام قديم قدتُرِك . وكأنّه أراد أنَّ الأفصح عنده : أَمَضَّني . ومِضٍّ ، بكسر الميم والضاد : كلمة تستعمل بمعنى (لا) ، قال الراجزُ (١٩٩) :

سألتُ هَلْ وَصلٌ فقالَتْ : مِضٍّ

وهي مع ذلك مُطْمِعَةٌ في الإجابةِ . وفي المثل السائر : (إنَّ في مِضٍّ

---

(١٩٤) ينظر : ابن السيد ١٧٧ .

(١٩٥) بلا عزو في الصحاح (لضض) . ورواية اللسان (لضض) : وبلد يعيا ...

(١٩٦) ينظر : الصاحب ١٥ ، ابن السيد ١٧٣ .

(١٩٧) جمهرة اللغة ١/١٠٦ .

(١٩٨) أحد السبعة ، عالم باللغة والأدب ، توفي سنة ١٥٤ هـ (أخبار النحويين ٢٢ ، نور القبس ٢٥ ، غاية النهاية ١/٢٨٨) .

(١٩٩) بلا عزو في الصحاح (مضض) . ورواية اللسان : سألتها الوصل ...

لَمَطْمَعاً) (٢٠٠) ، قال أبو بكر بن دُرَيْد (٢٠١) : وأصلُ ذلكَ أنْ يسألَ الرجلُ الرجلَ الحاجةَ فيعوج له شفته كأنّهُ يُطْمِعُهُ فيها .

وأمّا (المظُّ) بالظاء فالرمانُ البريّ ، وهو ينبتُ في جبال السّراةِ ، قال أبو ذؤيب (٢٠٢) :

فجاءَ بِمَزْجٍ لم يرَ الناسُ مثْلَهُ
هو الضّحْكُ إلاّ أنّهُ عَمَلَ النّحْلِ

يمانيةٍ أحيا لَها مَظَّ مائِدٍ
وآلِ قُراسٍ صَوْبُ أَرْمِيَةٍ كُحْلِ

أرمية : جمع رَمِيٍّ ، وهو ضرب من السحاب . ومائد وآل قراس : جبالٌ بالسّراة (٢٠٣) باردة (٢٠٤) .

حرفُ النون

(٧٥ أ) الناضرُ والناظرُ (٢٠٥) :

فأمّا (الناضرُ) بالضاد فاسمُ فاعلٍ من نَضَرَ اللهُ الشيءَ : إذا نَعّمهُ وحَسّنَهُ فهو ناضِرٌ ، قالَ اللهُ جلّ ثناؤه : « وجوهٌ يومئذٍ ناضِرةٌ » (٢٠٦) . ويُقال : غصنٌ ناضِرٌ ونَضِرٌ . فمَنْ قال : ناضِرٌ ، كانَ من الثلاثي ، من نَضَرَ . ومَن قال : نَضِرٌ ، كانَ من الرباعي ، من أنْضَرَ . يُقال : قد أنْضَرَ الشجرُ : إذا حسنَ (٢٠٧) ورَقُهُ . والاسمُ النّضارةُ .

(٢٠٠) مجمع الأمثال ٥١/١ . وفي المستقصى ٤١٣/١ : لطمعا .

(٢٠١) جمهرة اللغة ١٠٦/١ .

(٢٠٢) ديوان الهذليين ٤٢/١ وفيه : أجبالها مظ مأبد .

(٢٠٣) بالأصل : الشراة ، في الموضعين .

(٢٠٤) معجم ما استعجم ٩٢ . وآل هنا ليس بمعنى أهل وانما ما حوله من الأرض .

(٢٠٥) ينظر : الأنباري ٩٧ .

(٢٠٦) القيامة ٢٢ ، ٢٣ .

(٢٠٧) في الأصل : جن . وفي اللسان (نضر) : قد أنضر الشجر إذا اخضر ورقه .

وأمّا (الناظِرُ) بالظاء فاسمُ فاعلٍ من نَظَرَ ينظرُ نَظَراً فهو ناظِرٌ . وهو المتأملُ الشيءَ بالعين . والناظِرُ في المقلة[٢٠٨] : السوادُ الأصغرُ الذي فيه انسانُ العين . والناظِرُ : الحافِظُ للشيء . والناظِران [٢٠٩] : عِرقان في مجرى الدمع على الأنفِ من جانبَيْه ، قال جرير [٢١٠] :

وأَشْفي مِن تَخَلُّجِ كلِّ جِنٍّ
وأَكوي الناظِرَيْنِ مِنَ الخُنانِ

وقال الآخرُ [٢١١] :

قَليلةُ لَحْمِ الناظِرَيْنِ يَزِينُها
شبابٌ ومخفوضٌ من العَيْشِ بارِدُ

النّضيرُ والنّظيرُ : [٢١٢] :

فأمّا (النّضيرُ) بالضاد فالشيءُ البهيج . والنّضيرُ : الذهب ، قال الأَعْشَى [٢١٣] :

إذا جُرِّدَتْ يوماً حَسِبْتَ خميصةً
عليها وجِريالَ النّضيرِ الدُّلامِصا

وبنو النّضير : حَيٌّ من اليهود دخلوا في العرب ، وهم على نسبهم الى هارون أخي موسى عليهما السلام ، قال الشاعر [٢١٤] :

---

(٢٠٨) ينظر : خلق الانسان للأصمعي ١٨٠ وخلق الانسان لثابت ١٠٧ .

(٢٠٩) خلق الانسان للاصمعي ١٨٠ وخلق الانسان لثابت ١٠٨ .

(٢١٠) ديوانه ٥٩٠ . والخنان داء يأخذ الناس والإبل ، وقيل : إنه كالزكام . ورواية الأصل : وألوي الناظرين على الخنان . وقد أثبت رواية الديوان والأصمعي وثابت .

(٢١١) عتيبة بن مرداس الكعبي الملقب بابن فسوة (خلق الانسان لثابت ١٠٨) .

(٢١٢) ينظر : ابن سهيل ٣٢١ ، ابن السيد ١٤٦ .

(٢١٣) ديوانه ١٠٨ وروايته : ... وجريالا يضيء دلامصا . والجريال : ذهب أو زعفران .

(٢١٤) البيت الأول لجبل بن جوال الثعلبي في السيرة النبوية ٢/٢٧٢. والثاني لحسان بن ثابت في يوم بني قريظة يجيب جبل بن جوال في السيرة ٢/٢٧٢ وديوانه ١/٢١٠. وسبب هذا الوهم يعود الى ابن دريد الذي أورد البيتين في جمهرة اللغة ١/٣٦٧ – ٣٦٨ على أنهما لشاعر واحد ، فتابع ابن مالك ابن دريد في ذلك .

ألا يــا سَـعْدُ سَــعْدَ بني مُعاذٍ
لِمــا لَقِيَتْ قُرَيْظــةُ والنّضيــرُ
وهان عــلى سَراةِ بني لُــؤَيٍّ
حَريقٌ بالبُوَيْــرةِ مُسْــتَطيرُ

وأمّا (النّظير) [٢١٥] بالظاء فالمِثْلُ ، يُقال : فلانٌ نظيرُ فــلانٍ : إذا كـان (٧٥ ب) مِثْلا ثلاً له ، والجمع : نُظَراء . وفلانٌ ناظُورَةُ بني فلانٍ : إذا كانَ المنظورَ إليه مِن بينِهم . وناظِرَةُ : جبلٌ أو موضع [٢١٦] . وقـد يقالُ للنّظير : نِظْر كنَدِيدٍ ونِدّ ، قال الشاعر [٢١٧] :

ألا هل أتى نِظْري مُلَيْكَةَ أنّني
أنا الليثُ مَعْدُوّاً عليــه وعادِيــا

تَمَّ الكتابُ
والحمدُ لله وحده وصلى الله على نبينــا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم
وَقَعَ الفراغ منه يوم الاثنين لخمس ليالٍ
خلَونَ من جمادى الأولى سنة خمسٍ
وثلاثين وســبع مائــة

★ ★ ★

---

(٢١٥) نقل ابن مالك ما جاء في جمهرة اللغة ٢/٣٧٩ في هذه المادة .
(٢١٦) الجبال والأمكنة والمياه : ٢١٥ .
(٢١٧) عبد يغوث بن وقاص الحارثي في المفضليات ١٥٨ وشرح المفضليات ٣١٨ وروايتهما له البيت : وقد علمت عرسي مليكة أنني .

عرض الكتب

الزاهر لابن الأنباري

دراسة ونقـــد

الدكتور
حسام سعيد النعيمي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

نشرت دار الرشيد في هذه الأيام كتاب الزّاهر لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ بتحقيق الدكتور حاتم صالح الضّامن .

وهو كتاب ينبغي أن يعكف على دراسته مؤرخو الحياة الإجتماعية لهذه الأمة بله المعنيين باللغة والغريب والنحو والامثال فقد دون ابن الانباري فيه (الكلام الذي يستعمله الناس في صلواتهم ودعائهم وتسبيحهم وتقربهم الى ربهم) [1] وفسّر ذلك كله (ليكون المصلي اذا نظر فيه عالماً بمعنى الكلام الذي يتقرب به الى خالقـــه ويكون الداعي فهما بالشيْ يسأله ربـّه ويكون المسبّح عارفاً بما يعظم به سيّـده) [1] ولم يقف عند هذه المعاني بل اتبع ذلك (تبيين ما تستعمله العوام في أمثالها ومحاوراتهم من كلام العرب وهي غير عالمة بتأويله ، بإختلاف العلماء في تفسيره وشواهده من الشعر) . [1]

فهو تسجيل أمين فيه دراسة ميدانية لما كان يجري على السنة الناس في زمانه في شتى امور حياتها . فكما نجد فيه مثلاً : (قول الناس في ثنائهم على ربهم :

(١) الزاهر لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م ج ١ ص ٩٥ .

حسبنا الله ونعم الوكيل)[٢] ، و (قولهم : اللهم اغفر لنا ذنوبنا) [٣] و (قولهم : قد أذّن المؤذن ، وقد سمعت اذان المؤذّن) [٤] و (قولهم : رجل تقيّ) [٥] ، و (قولهم : رجل فاجر) [٦] نجد فيه ايضاً : (قولهم : بين الرجلين ممالحة) [٧] ، و (قولهم : قلب فلان قاسٍ) [٨] و (قولهم : عندي رزمة ثياب) [٩] كما نجد فيه (قولهم في النداء على الباقلاّء : شرق الغداة طريّ)[١٠] وقولهم ايضاً (في النداء على الباقلاء [١٠] : (ياباقلاء حاراً) [١١] ، كما نجد فيه قولهم (فلان كثير الأثاث) [١٢] و (فلان كثير العقار) [١٣] ، و (قولهم : قد خرّق سرباله) [١٤] و (قولهم : عندي زوج من الحمام) [١٥] ، وغير ذلك مما يمكن ان يستخرج منه عالم الاجتماع صورة للحياة الاجتماعية التي كان عليها الناس في عصر ابن الأنباري الذي ولد سنة ٢٧١ هـ وتوفي سنة ٣٢٨ هـ .

لم يكن تصوير الحياة الاجتماعية هدف ابن الأنباري من تأليف كتابه ، على أنه يرفد الدارسين في هذا الجانب ، بل كان هدف الكتاب تفسير الالفاظ والعبارات التي تجري على ألسن الناس ليكونوا عارفين بمعاني الألفاظ التي يستخدمونها (قال ابو بكر : ان من أشرف العلم منزلة وأرفعه درجة وأعلاه رتبة معرفة معاني

---

(٢) الزاهر ١ : ٩٦ .
(٣) الزاهر ١ : ١٠٩ .
(٤) الزاهر ١ : ١٢٢ .
(٥) الزاهر ١ : ٢٢٠ .
(٦) الزاهر ١ : ٢٤٠ .
(٧) الزاهر ١ : ٣٢٣ .
(٨) الزاهر ١ : ٤٤٣ .
(٩) الزاهر ١ : ٦١٨ .
(١٠) الزاهر ٢ : ١٠ .
(١١) الزاهر ٢ : ١٣
(١٢) الزاهر ٢ : ٥٠
(١٣) الزاهر ٢ : ٥١
(١٤) الزاهر ٢ : ١٤١
(١٥) الزاهر ٢ : ٢٠٩

الكلام الذي يستعمله الناس . . .)[١٦] وقد ذكر معاني ذلك الكلام مورداً آراء العلماء في تفسيره وشواهد ذلك من الشعر قال : (. . ولن أخليه مما استحسن ادخاله فيه من النحو والغريب واللغة والمصادر والتثنية والجمع ليكون مشاكلاً لإسمه ان شاء الله) [١٦] . وما يدور بين الناس من كلام قد يكون آية من كتاب الله تعالى . او حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو كلمة لبعض اصحابه . أو مثلاً من أمثال العرب ، أو شعراً من أشعارها . . الخ ، ومن هنا جاءت صعوبة التصدي لتحقيق هذا الكتاب . فلم يكن الأمر قاصراً على مقابلة نسخه المخطوطة . بل كان على المحقق أن يرجع الى كتب التفسير ، وكتب القراءات القرآنية . وكتب الحديث النبوي الشريف، وكتب غريب الحديث. ودواوين الشعراء . والمعجمات اللغوية ، وكتب الأمثال ، وكتب الأدب . وكتب البلاغة والنقد . وكتب النحو واللغة . وكتب التراجم . وكتب البلدان . وغيرها من علوم العربية ، مما يستدعي أن يكون المحقق على جانب كبير من الدربة والمران في التحقيق ، وعلى اطلاع واسع على كتب العربية بفنونها المختلفة ، فكان من حسن التوفيق أن يتولى اخراج الكتاب محققاً الأستاذ الدكتور حاتم الضامن ، الذي عرف عنه الصبر في العمل ، وسعة الإطلاع ، فظهر الكتاب مقابلاً على خمس نسخ مخطوطة ، منتفعاً في اخراجه بما يزيد على خمسين وسبعمائة مصدر بين مخطوط ومطبوع ، في فنون العربية المختلفة ، أوردها المحقق الفاضل في آخر الكتاب [١٧] .

لقد كانت عناية الاستاذ المحقق منصبة كما يبدو على اخراج النص مضبوطاً متقناً ، ولذا جاءت الدراسة في أول الكتاب موجزة مختصرة انتهت في الصفحة الثامنة والسبعين من الجزء الاول ، اذ تناولت سيرة ابن الأنباري : اسمه ونسبه وولادته ونشأته وصفاته في صفحتين هما الثالثة عشرة والرابعة عشرة ، وجاء ذكر شيوخه وتلامذته في اربع صفحات من الخامسة عشرة الى الثامنة عشرة،والكلام على وفاته وثقافته وآثاره في تسع صفحات من التاسعة عشرة الى السابعة والعشرين .

(١٦) الزاهر ١ : ٩٥

(١٧) الزاهر ٢ : ٤٣٣ – ٥٠٥

ولأن كتاب الزاهر يمكن ان يعدّ في كتب الأمثال لكثرة ما فيه منها فقد تناول المحقق حركة التأليف في الأمثال بصورة موجزة أيضاً في سبع صفحات من الحادية والثلاثين الى السابعة والثلاثين .

ثم جاءت دراسة الكتاب بتحقيق اسمه ، وسبب تأليفه ، ومنهجه ، ثم ذكر مآخذ على الكتاب ، ثم حصر مصادره وشواهده ، ثم الكلام على شخصية ابن الأنباري فيه ، ثم بيان قيمة الكتاب وآثار السابقين فيه . وأثره في اللاحقين . كل ذلك بايجاز واختصار في ثلاث وثلاثين صفحة ، من الصفحة التاسعة والثلاثين الى الحادية والسبعين .

وجاء ذكر مخطوطات الكتاب ، ومنهج التحقيق في ست صفحات من الثالثة والسبعين الى الثامنة والسبعين :

وانتقل المحقق من ذلك الى ايراد الكتاب محققاً تحقيقاً علمياً دقيقاً في أكثر من الف صفحة في جزأين مستخدما فيهما مصادره الخمسين والسبعمائة استخداماً جيداً.

وقد كان المحقق في هـــذه الصفحات معنياً بضبط النص (١٨) خيث ضبط الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والأمثال ، والشعر ، وكذلك ما يحتمل اللبس من الألفاظ .

وعني بتخريج الآيات القرآنية ، وما جاء في القراءات أحال فيها الى كتب القراءات ، وكذلك خرّج الأحاديث النبوية ، ونبه على ما لم يقف عليه ، وكذلك خرّج شواهد الشعر والرجز . واشار الى الأبيات التي لم يقف عليها ، وقد اتبـــع في ذلك المنهج العلمي الصحيح حيث اكتفى بذكر ديوان أو الشعر المجموع اذا كان للشاعر ديوان او شعر مجموع . والا خرّج الشاهد من كتب الأدب واللغة والنحو والمعجمات .

واجتهد المحقق في أن يشير الى مواضع الأقوال النحوية والصرفية واللغوية وأقوال المفسرين مما أورده ابن الأنباري في كتابه في مواضعها من كتب اصحابها ، أو في الكتب الموجودة فيها .

(١٨) أنظر منهج التحقيق ج ١ ص ٧٧ — ٧٨ من الزاهر .

كذلك عرّف بمن ورد اسمه في الكتاب من القرّاء والمفسرين والمحدثين والنحاة واللغويين والرواة والشعراء ، مشيراً الى مواضع تراجمهم ، منبهاً على من لم يقف على ترجمة له .

وكان في ذلك كله يورد المصادر مرتبة ترتيباً زمنياً على ما في ذلك من مشقة واجهاد.

وعلى كل ما قيل او يقال من ثنـــاء على هذا العمل العلمي الكبير : فإنه يبقى موضع للملاحظات بناء على اختلاف وجهات النظر . فمن ذلك :

١- اورد ابن الأنباري الكلام الذي قصد الى بيان معناه من غير اعتبار للحرف الذي يبدأ به . فقد جاء في أول الكتاب قول الناس في ثنائهم على ربهم : حسبنا الله ونعم الوكيل [١٩] ، وبعد ذلك قولهم : لا حول ولا قـــوة الا بالله [٢٠] ، ثم اللهم محص عنا ذنوبنا [٢١] ، ثم قد أذن المؤذن [٢٢] . ثم أشهـــد أن لا إله إلا الله [٢٣] ، وهكذا من غير أن يعتني بتقديم ما حقه التقديم أو تأخير ما حقـــه التأخير ، وقد كان ترتيب الأقوال على حروف الهجاء أمراً أساسياً في الكتاب إلا انه ليس للمحقق أن يفعله في المتن لأنه يخرج الكتاب من الصورة التي وضعه عليها مؤلفه الى صورة اخرى ،وهو من هذا الوجه مثل كتاب اصلاح المنطق لابن السّكيت ، لم يضعه مؤلفـــه على نظام حروف الهجاء فـ (رتبه الشيخ ابو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري المتوفى سنة ست عشرة وستمائة على الحروف) [٢٤] وعندمـــا طبع اصلاح المنطق بتحقيق الاستاذين احمدمحمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون تدارك المحققان بعض الأمر بان اوردا في آخر الكتاب المواد اللغوية الواردة فيـــه مرتبة على حروف الهجاء [٢٥] .

(١٩) الزاهر ١ : ٩٦
(٢٠) الزاهر ١ : ١٠٠
(٢١) الزاهر ١ : ١٠٧
(٢٢) الزاهر ١ : ١٢٢
(٢٣) الزاهر ١ : ١٢٥
(٢٤) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون—حاجي خليفة ط٣ بالاوفسيت ١٣٨٧هـ /ج١ص١٠٨
(٢٥) إصلاح المنطق لابن السكيت تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ط٣ دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م من ص ٤٤٣ الى ص ٤٨٢ .

فحذا الأستاذ الضامن في الزاهر حذو محقق اصلاح المنطق فأورد المواد اللغوية في آخر الكتاب مرتبة على حروف الهجاء (٢٦) .

ولست مع الأستاذ المحقق في اغفاله فهرس الأقوال على حروف الهجاء ذلك ان اثبات المواد اللغوية في نهاية التحقيق امر أساسي . ولكنه لا يغني عن وضع فهرس للعبارات التي ذكر ابن الأنباري معانيها مرتبة على الحروف ، وله بما صنع محقق الفاخر اسوة ، فالمفضل بن سلمة لم يرتب الأمثال التي أوردها في كتابه على الحروف ، فوضع محقق الكتاب الأستاذ عبدالعليم الطحاوي في آخر الكتاب فهرس الأمثال السائرة مرتبة ترتيباً هجائياً (٢٧) ، مع انه عمل فهرساً للألفاظ اللغوية (٢٨) .

٢ ـ ذكر ابن الأنباري في الزاهر تصحيحاً لما تلحن فيه العامة من الأقوال التي أوردها في أكثر من موضع . فمن ذلك مثلاً قوله : (انما هم أَكَلَة رأس . . . والعامة تلحن في هذا فتسكن الكاف منه ، والصواب اكَلَة بفتح الكاف جمع آكل (٢٩)) وقوله : (وقولهم حُمَة العقرب ، قال أبو بكر : العامة تخطئ في لفظ الحمة فتشدد الميم منها ، وهي مخففة عند العرب ، لا يجوز تشديدها ، وتخطئ في تأويلها فتظن ان الحمة الشوكة التي تلسع بها وليس هو كذلك انما الحمة : السم (٣٠)) .

وقد كان المنتظر أن نجد في آخر الكتاب فهرساً لتصحيح المؤلف ما تلحن فيه العامة . وذاكرت بذلك الأستاذ المحقق فذكر أنه كان قد عمل للكتاب سبعة عشر فهرساً لم تنشر منها دار الرشيد سوى خمسة لأسباب فنية ، واعتذرت عن نشر الفهارس الأخرى وهي : فهرس اسماء الله الحسنى ، وفهرس الآيات القرآنية ، وفهرس الأحاديث ، وفهرس مسائل العربية ، وفهرس القبائل والأمم ، وفهرس الأماكن

---

(٢٦) الزاهر جـ٢ من ص ٥٧٣ الى ص ٥٩٤

(٢٧) الفاخر لأبي طالب المفضل بن سلمة تحقيق عبد العليم الطحاوي ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م من ص ٣٥٤ الى ص ٣٥٩ .

(٢٨) الفاخر من ص ٣٦٠ الى ص ٣٦٧ .

(٢٩) الزاهر ٢ : ١٧ .

(٣٠) الزاهر ٢ : ٧٩ ، وأنظر مثلا ٢ : ٤٨ ، ٧٥ ، ٢٠٩

وفهرس أيام العرب ، وفهرس الكتب الواردة في النص ، وفهرس ما تلحن فيه العامة ، وفهرس اللغات واللهجات ، وفهرس المعرب ، وفهرس ترتيب الأقوال بحسب حروف الهجاء ، وهي الآن مقبولة للنشر في مجلة بغدادية تراثية . وبهذا اغناني عن سؤاله عن فهرس مسائل العربية ، وفهرس اللهجات العربية .

٣ ـ جاء في أول الكتاب[٣١] على القاء حركة المتحرك على الساكن قبله ، لم يرد في موضعه كما يبدو ، واذا كان هذا الارتباك قد وقع في النسخ كلها فإن على المحقق أن يشير الى ذلك ولا يدع القارئ في حيرة من أمره في محاولته ربط الموضوع ، وهذا ايضاح المسألة :

ذكر ابن الأنباري قولهم[٣٢] : الله اكبر الله اكبر ، واورد اختلاف أهل العربية في معنى الله اكبر عن ابي العباس احمد بن يحيى (فقال اهل اللغة : الله اكبر ، معناه : الله كبير ، قالوا : واكبر بمعنى كبير واحتجوا بقول الفرزدق :

ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعزّ وأطول

اراه دعائمه عزيزة طويلة . . . وقال النحويون ، يعني الكسائي والفراء وهشاما : الله اكبر ، معناه : الله اكبر من كل شيْ فحذفت (من) . . . واحتجوا بقول الشاعر :

اذا ما ستور البيت أُرخين لم يكن سراجٌ لنا الا ووجهك أنور

أراد : انور من غيره . . . قال ابن عباس : معنى قوله تعالى : وهو الذي يبدأ الخَلق ثم يعيده وهو أهون عليه . وهو أهون على المخلوق ، أي الاعادة أهون على المخلوق من الابتداء . . . وقال آخرون : وهو أهون عليه ، ومعناه والاعادة اهون عليه من الابتداء فيما تظنون يا كفرة ، والله تبارك وتعالى ليس شيْ اهون عليه من شيْ ، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض ، وقال المفسرون المثل الأعلى شهادة ان لا إله الا الله)[٣٣] .

---

(٣١) الزاهر ١ : ١٢٦

(٣٢) الزاهر ١ : ١٢٢

(٣٣) الزاهر ١ : ١٢٢ ـ ١٢٥

والذي أراه أن يوصل بقوله : لا إله إلاّ الله ، المذكور هنا قوله [٣٤] .

(واجاز أبو العباس : الله أكبر الله أكبر ، وأحتج بان الأذان سمع وقفاً لا اعراب فيه كقولهم : حيّ على الصلاة حيّ على الفلاحْ . . .) الى قوله [٣٥] . . . قرأ : مريبِ الذي ، بكسر الباء وفتح النون على معنى مريبين الذي فالقى فتحة الالف على النون واسقط الالف) .

فهو استمرار للكلام على كلمة الله أكبر . لأنه بعد أن انتهى من الكلام على معنى كلمة اكبر أهي بمعنى كبير أم هناك حذف والتقدير أكبر من غيره ، انتقل للكلام على حركة الراء لو لم يقف المؤذن عليها وقال : الله اكبر الله أكير ، فذكر أن ابا العباس يرى الفتح وعلل ذلك بأن الأذان سمع وقفاً والوقوف يكون بالسكون (فكان الاصل فيه الله أكبر الله أكبر بتسكين الراء ، فألقوا على الراء فتحة الألف من اسم الله عز وجل وانفتحت الراء وسقطت الالف . . .) ومضى يستدل على ذلك بقراءات قرآنية وبقول ابي النجم من ارجوزة :

كأنما تكتّبان لام الف

بفتح الميم ، وانتهى بقراءة : مريبِ الذي ، بفتح نون التنوين من مريب في النص الذي نقلناه آنفاً .

فهو كلام متصل لايبحث تحت معنى قولهم : اشهد ان لا إله إلا الله كما جاء في الكتاب حيث قال [٣٦] : (وقولهم : اشهد أن لا إله إلا الله ، قال ابو بكر معناه عند أهل العربية . . . من ذلك قوله تبارك وتعالى : شهد الله انه لا إله إلا هو ، قال أبو العباس : معناه بيّن الله . . . وقال ابو عبيدة : معنى قوله : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، أي قضى الله انه لا إله الا هو ، قال ابو بكر : وقول أبي العباس أحسن مشاكلة لكلام العرب ، وأجاز أبو العباس الله أكبر الله أكبر واحتج بأن الاذان سمع وقفاً لا اعراب فيه . . .)

(٣٤) الزاهر ١ : ١٢٦

(٣٥) الزاهر ١ : ١٢٧

(٣٦) الزاهر ١ : ١٢٥ - ١٢٦

وكلامه على أشهد أن لا إله الا الله ينبغي أن ينتهي عند قوله : (وقول أبي العباس أحسن مشاكلة لكلام العرب .)

وقد كدت أميل الى أن الخطأ إنما هو في جعل كلمة (وقولهم : اشهد أن لا إله الله) مستقلة عما سبقها ، اذ كان ينبغي أن توصل بما قبلها فيكون الكلام عليها استطراداً وتكون معترضة خلال الكلام على الله اكبر ، ولكن الذي صرفني عن ذلك أمران :

الأول : طريقة ابن الأنباري في الكلام على معناها مما يرجح أنها مرادة لذاتها.

الثاني : انه ذكر بعدها مباشرة [٣٧] (قولهم : اشهد أن محمداً رسول الله) وأوضح معناها .

٤ ـ حديث قراءة القرآن على سبعة أحرف حديث صحيح [٣٨] ، ولكن المراد بالأحرف السبعة فيه مذاهب [٣٩] ، لذا فإنه من المهم جداً اذا ذكرت قراءة على غير الحرف المشهور أن تذكر معها القراءة المشهورة المتداولة ، وقد وجدت المحقق الفاضل يشير الى القراءة في موضعها من كتب القراءات ، ولكنه حينما يذكر الآية يذكر رقمها في المصحف بقراءته المشهورة من غير ذكر لتلك القراءة المشهورة ، من ذلك مثلاً قول ابن الأنباري [٤٠] : (قال الله عز وجل فاليوم نُنْجيك ببدنك) ضبطت بضم النون الأولى واسكان الثانية وكسر الجيم مخففة ، وقد ذكر المحقق في الهامش انها الآية ٩٢ من سورة يونس ، ولم يشر الى أن هذه القراءة ليست هي القراءة المشهورة التي في المصحف اذ هي في المصحف نُنَجّيك ، بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الجيم المشددة .

وفي موضع آخر قال : [٤١] (وأجاز الفراء ايضاً : هل من خالق غيرَ الله ، و : مالكم من إله غيرَه) بفتح راء غير في الموضعين . وقال عن الآية الأولى في

(٣٧) الزاهر ١ : ١٢٧

(٣٨) أنظر : تاريخ القرآن للدكتور عبد الصبور شاهين ، دار القلم ١٩٦٦م ص ٢٢٩ وما بعدها حيث درس حديث الأحرف السبعة مفصلا .

(٣٩) أنظر : تاريخ القرآن ص ٣٣ وما بعدها حيث ذكر المذاهب ورجح ما يراه في ص ٤٣ .

(٤٠) الزاهر ١ : ١٣٦

(٤١) الزاهر ١ : ١٤٩

الهامش : وهي قراءة الفضل بن ابراهيم النحوي ، وذكر المصدر ، أما الثانية فلم يشر الى كونها قراءة ، وفي الموضعين لم يذكر كيف هي في المصحف ، ومثل ذلك ذكره قراءة ابن أبي عمار : وإنا لجميع حادرون (٤٢) ، بالدال المهملة .

لقد كان بودي لو أن المحقق الفاضل لم يكتف بذكر رقم الآية والسورة في الهامش ، بل اضاف الى ذلك ذكر القراءة المشهورة المتداولة في المصحف دفعاً للوهم وسوء الفهم لان الكتاب لن يكون محصوراً في أيدي المختصين .

٥ ـ هناك أمور يغلب على الظن أنها وقعت بسبب الطبع ، الا أن التنبيه عليها لا يخلو من فائدة ، فمن ذلك :

. . . (قال الأعشى :

فرع نبع في غصن المجـ ـد غزير الندى عظيم المحال

معناه : عظيم المكر . .) (٤٣) .

والبيت من البحر الخفيف ، سقطت منه كلمة (يهتز) كما في الديوان (٤٤) ولسان العرب (٤٥) ، وصوابه :

فرع نبع يهتزّ في غصن المجـ ـد غزير الندى عظيم المحال

. . . (وقال عبيد بن الأبرص :

افلح بما شئت فقد يفلح بالـ ـضعف وقد يُخْدَعُ الأريب

فهذا من الفوز . . .) (٤٦) .

والبيت من الرجز عروضه مطوية ، وضربه مقطوع مخبون ، متفعلْ مفعولن (٤٧) والصواب ان تفتح الخاء من يخدع وتشدد الدال المفتوحة ويكون البيت كما في اللسان (٤٨) .

---

(٤٢) الزاهر ١ : ٤٠٦ ، وأنظر من مثل ذلك ١ : ٢٣٨ ، ٢٥٠ ، ٢٧٩ ، ٣١٥ ، ٣٩٠ .

(٤٣) الزاهر ١ : ١٠٢

(٤٤) ديوان الاعشى الكبير شرح وتعليق د . م محمد حسين ط مصر ١٩٥٠ م ص ٧

(٤٥) لسان العرب مادة محل .

(٤٦) الزاهر ١ : ١٣٢

(٤٧) أنظر ذكر هذا الضرب من الرجز في فن التقطيع الشعري للدكتور صفاء خلوصي ط٣ ١٩٧٤ م ص ١٢٦ .

(٤٨) لسان العرب مادة فلح .

أفلح بما شئت فقــد يفلح بالـ ضعف وقــد يُخدَّع الأريب

وهذا الوهم في هذا البيت ورد في الديوان أيضاً في طبعتيه [٤٩] ، ولو أقرَّ هذا الوهم لأدى الى أن يكون صدر البيت من الرجز وعجزه من مخلع البسيط وهذا لا يكون .

. . . (وقال لبيد :

وغداة ريــح قد كشفت وقــرّة إذا أصبحت بيد الشمال زمامها[٥٠]

والبيت من البحر الكامل . صواب إذا فيه إذْ والبيت في الديوان [٥١] :

وغداة ريــح قد وزعت وقــرّة إذْ أصبحت بيد الشمال زمامها

وفيه وزعت مكان كشفت .

. . . (واحتج بقول النمر بن تولب :

لقيم بن لقمــان من أختــه وكان ابن أخــت لــه وابنما

عشية حمّق فاســتحضنــت اليــه فجــاء معها مظلمــا

فمعنى حمّق : شرب الخمر . . .) [٥٢]

والبيتان في البحر المتقارب ، وعجز البيت الثاني ليس مستقيماً ، اذ صواب فجاء معها ، فجامعها ، من الجماع وهكذا ورد في اللسان [٥٣] وبه يستقيم الوزن :

عشيــة حمّق فاستحضنت اليــه فجامعها مظلمــا

وقد ورد البيت في شعر النمر بن تولب على هذا الوجه :

عشية حمّق فاستحصنت اليه فــغر بهــا مظلمــا

وفيه استحصنت بالصاد المهملة وشرحت في الحاشية بقوله : (أي أتته وكأنهــا حَصان ، كما تأتي المرأة زوجها . .) [٥٤] وفيه أيضاً فغرّبها بالغين مكان فجامعها .

---

(٤٩) طبعة الدكتور حسين نصار ١٣٧٧ هـ ص ١٤ وطبعة بيروت ١٣٨٤هـ ص ٢٦.

(٥٠) الزاهر ١ : ٣٠٠

(٥١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري تحقيق الدكتور احسان عباس ط الكويت ١٩٦٢م ص ٣١٥

(٥٢) الزاهر ٢ : ٢٤

(٥٣) لسان العرب مادة حمق .

(٥٤) شعر النمر بن تولب صنعة الدكتور نوري القيسي ١٩٦٩ م ص ١٠٧ .

. . . (قال الأعشى :

به ترعف الألف اذا أُرسلت   غداة الصباح اذا النقع ثارا [٥٥]

بيت من المتقارب صواب إذا فيه إذ وهكذا ورد في الديوان : [٥٦]

به ترعف الألف إذْ أُرسلت   غداة الصباح اذا النقع ثـــارا

. . . (ومنه قول الآخر :

عش بجدّ ولا يضرك نــول   إنما عيش من ترى بالجدود [٥٧]

. تركت كلمة ولا يضرك من غير ضبط . وفي شعر اليزيديين ضبطت بتشديد ء ، وبهذا يستقيم الوزن إذ البيت من الخفيف ، قال [٥٨] :

عش بجد ولا يضرّك نوك   إنما عيش من ترى بالجدود

وقــد حركت الراء المشددة بالضم وهو وهم والصواب فتحها وفي هذه الرواية ـمة نوك مكان نول التي وردت في الزاهر .

. . . (والصعيد وجه الارض ، قال الشاعر :

قتلى حنوطهم الصعيــد وغسلهم   نجع الترائب والرؤوس تقطفُ [٥٩]

بت من الكامل لم تشدد الطاء فيه من تقطف فيستدعي ذلك اشباع ضمة السين والرؤوس . وقد ورد البيت في الجزء الثاني [٦٠] وفيه تقطّف بتشديد الطاء وهو ، من تخفيفها واشباع ضمة السين . وفيه وطيبهم مكان وغسلهم

. . . (وقال الآخر :

وهـــو جَبَرَّ العظام وكُنّ رمّا   ومثـــل فعاله جبر الرميما [٦١]

والبيت من الوافر ، ينبغي أن تضبط فيه لفظة وَهُوْ بفتح الواو الاولى وضـــم

---

(٥٥) الزاهر ٢ : ٣٩

(٥٦) ديوان الاعشى ص ٥٣

(٥٧) الزاهر ١ : ١١٢

(٥٨) شعر اليزيديين جمعه وحققه الدكتور محسن غياض ط بغداد ١٩٧٣ م ص ٤٥

(٥٩) الزاهر ١ : ١٣٥

(٦٠) الزاهر ٢ : ٨٣

(٦١) الزاهر ١ : ٤٤١

الهاء واسكان الواو الثانية ، وقد ضبطت في الفاخر [٦٢] الواو الأولى والهاء واغفل ضبط واو هو ، وهي اولى الحروف الثلاثة بالضبط لاقامة الوزن .

. . . (قال وانشدنا ابو العباس :

وصل حبال البعيد ان وصل الحـــ ـبل وأقْصِ القريب ان قطعه [٦٣]

والبيت من المنسرح مدور كان ينبغي ان يكتب هكذا :

وصل حبال البعيد ان وصل الـــ حبل وأقْصِ القريب ان قطعه

. . . (وقال حسان بن ثابت :

أهوى حديث الندمان في خـــلق الصبح وصوت المغرد الغرد [٦٤]

والبيت من المنسرح مدور ، وحقه أن يكتب هكذا :

أهوى حديث الندمان في خلق الـ ـصبح وصوت المغرد الغــرد

على طريقته في كتابه قول عبيد بن الأبرص [٦٥] .

. . . (واحتجوا بقول زهير بن جناب :

أبنـــي أن أهلك فإني قد بنيت لكم بنيّه [٦٦]

والبيت من مجزوء الكامل مدور ، وحقه أن يكتب هكذا :

ابنـــي أن أهلك فإنـــي قـــد بنيت لكم بنيّـــه

ولا تكون فإني كلها في العجز .

. . . (وفي قولهم أشهد أن محمداً رسول الله ثلاثة اوجه : المجتمع عليـــه : أشهد أن محمداً رسول الله ، ويجوز في العربية : أشهد أنّ محمداً لرسول الله ، اذا كان في خبرها اللام ، وأشهد إن محمداً رسول الله ، على معنى : اقول إن محمداً . . .) [٦٧]

---

(٦٢) الفاخر ص ٢٤

(٦٣) الزاهر : ١ : ١٤٠

(٦٤) الزاهر ١ : ١٥٣

(٦٥) الزاهر ١ : ١٣٢

(٦٦) الزاهر ١ : ١٥٥

(٦٧) الزاهر ١ : ١٢٩

وهمزة إنّ في المثال الثاني يجب ان تضبط بالكسر لا بالفتح لان في خبرها اللام [٦٨] ، فنقول : أشهد إن محمداً لرسول الله ، كما قال الله عز وجل : (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) [٦٩] فيكون فيما أورده ابن الأنباري وجه واحـــد بفتح همزة أن وهو المجتمع عليه ، ووجهان بكسرها .

. . . (الا ان الوضوء للصلاة لا يُجْزَى منه الا ما اجمع المسلمون عليه مـــن المضمضة والاستنشاق وغير ذلك . فالوضُوء ، بضم الواو وبفتح الواو اسم المـــاء الذي يتوضأ به وكذلك السُحور بضم السين ، والسّحور بفتح السين اسم الذي يتسحر به . .) [٧٠] .

أقول : فتح الزاي من كلمة يجزى وهم من الطبع كما يبدو والصواب كسرها ، وفي قوله: وغير ذلك، فالوضوء،بضم الواو وبفتح الواو، وضعت الفارزة في غير موضعها فأساءت الى المعنى هذا اذا لم يكن ابن الأنباري قد أعاد معنى الوُضوء بالضم وسقط من الطبع ، والصواب أن توضع الفارزة في النص الذي بين أيدينا بعد الواو في قوله : بضم الواو ، فتكون العبارة صحيحة بهذه الصورة : وغير ذلك ، فالوضوء بضم الواو ، وبفتح الواو اسم الماء . . ، وهو متفق مع السُحور والسّحور في النص .

...(قال الله عز وجل: ولا تيمّموا الخبيثمنه تنفقون، فمعناه ولا تعمـدوا [٧١]

والصواب أن تضبط كلمة تَعَمّدوا بفتح التاء وفتح الميم المشددة ، وأصلهـــا تتعمّدوا ، يقوي ذلك قوله في الصفحة نفسها : (وقال الله عز وجل : فتيمّموا صعيداً طيباً ، فمعناه : اقصدوا وتعمدوا)

. . . (وقال تعالى : ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننّهُ حتى حين) [٧٢]

---

(٦٨) أنظر شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك تحقيق محيي الدين عبد الحميد ط ١٤ ١٣٨٤هـ ج١ ص ٣٥٢ وما بعدها .

(٦٩) المنافقون : الآية ١

(٧٠) الزاهر ١ : ١٣٣

(٧١) الزاهر ١ : ١٣٥

(٧٢) الزاهر ٢ : ٦٦

وقد ضبطت كلمة ليسجننه ضبطاً يؤكد ما نعتقده من أن الاوهام التي ذكرناها من فعل الطبع لا من ضبط الاستاذ المحقق ، فقد فتحت النون الاولى بعد تشديدها وفتحت النون الثانية من غير تشديد ، والصواب ضم النون الاولى من غير تشديد . وفتح النون الثانية بعد تشديدها (ليسجنُنَّهُ)

. . . (ودِمَشْقٌ : فِعَلٌّ ، من قول العرب : ناقة دمشق اللحم اذا كانت خفيفة) (٧٣) .

وهذا دليل آخر على أوهام الطبع اذ من الواضح أن الشدّة مكانها اللام وليس العين فوزن دمشق على ما ذكر فِعَلّ بكسر الفاء وفتح العين وتشديد اللام المحركة بالضم من غير تنوين فدمشق اسم للبلدة لا ينصرف (قال الجوهري : دمشقُ قصبة الشام . قال الوليد بن عقبة :

قطعتَ الدّهرَ كالسّدِرِ المعنّى تَهَدَّرُ في دِمَشْقَ وما تَرِيمُ (٧٤)

فتنوينها وتنوين ميزانها ليس صحيحاً وينبغي أن تضبط الكلمتان هكذا :

ودِمَشْقُ : فِعَلُّ . . .

وبعد فانه يطيب لي قبل أن أنهي مقالتي هذه أن أشدّ على يد الأستاذ المحقق الدكتور حاتم الضامن مباركاً له الجهد العلمي الكبير الذي بذله في اخراج هـــذا السفر الضخم ، والدقة الفائقة التي رأيتها ماثلة في كل صفحة من صفحات الكتاب بجزأيه ، راجياً أن يجعل اتحافنا بما بقي من فهارس الكتاب اتماماً للفائدة العلمية وخدمة للغة القرآن الكريم .

★ ★ ★

---

(٧٣) الزاهر ٢ : ١١٥

(٧٤) لسان العرب مادة : دمشق .

تعليقات على كتاب الأغاني (*)

المشرف على التحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم

الناشر : الهيئة المصرية العامة

صبحي البصّام

نشرت الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر قدراً صالحاً من أجزاء كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصبهاني تدريجاً ، مبتدئة بالجزء السابع عشر [1] ومنتهية الى الرابع والعشرين . على أنها نشرت مع الجزء السابع عشر الجزء الأول والثاني إرادة الوصول الى الجزء السادس عشر ، وبه يُفرغ من نشر الكتاب بأجزائـــه الأربعة والعشرين . وأشرف على تحقيق الكتاب الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم . وكان من دأبي وأنا أقرأ هذه الأجزاء أن أعلّق عليها تعليقات بغاية الإيجاز ، أدوّنها على حواشي الصفحات ، ثم رأيت أن أجمع أشتاتها وأنشرها مضافاً اليها ما يعوزها من فَرْش معنىوبسط مراد . ومن هذه التعليقات ذكرُ ما سها عن ذكره المحققون ، أو ما فيه زيادة على ما ذكروه لمزيد توضيح وتبيين ، أوإشارة الى ما وقع في تحقيقهم من غلط ، وربما كان شيء منه من غلط المطبعة مما لم يُنبّه عليه ، وفي تصحيحه إزالة للبس وإزاحة لغموض . على أن القاعد على مرقب كمثلي ، ينظر الى محققي الكتاب وهم يأتون أعمالاً قوامها الجد وبذل الوسع يهون عليه أن ينقد عليهم ما يأتونه ، فيُحصى ما يراه سقطات ، وهو لو اتفق أن

(*) استفدت فوائد جليلة من أستاذي العلامة محمد بهجة الأثري في اختصار وتنقيح البحث الخاص بالاغاني ج ١٧ .

شاركهم فيما هم فيه ، لجاز أن يستكدَّه العمل ، وأن يعتاقه عن إتمامه الكلال والملال . وأي عبد من عباد الله لا تفوته الفوائت ولا يعتريه الغفول والنسيان . وقد أدخلت في تعليقاتي قدراً من المسائل اللغوية والمطالب الأدبية ، قصداً الى أن تكون التعليقات أجمع للفائدة وأرجع بالعائدة . وبدأت بالجزء السابع عشر ، وعسى أن أوفق للتدرج الى الرابع والعشرين ، ثم أستأنف العمل ابتداءً من الجزء الأول . ولم أبدأ بالجزء الأول ، لأن الجزء الثالث لم ينشر حتى الآن مع مضي عشر سنوات على صدور الجزء الاول والثاني .

* * *

الأغانــي / الجزء ١٧

تحقيق علي محمد البجاوي ١٣٨٩ هـ – ١٩٧٠ م

ومراجعة محمد أبي الفضل ابراهيم

١– في « ذكر الكميت ... [٢] » (ص ٩) للكميت :

ومـــن عجب عليّ لَعَمْرُ أمٍّ   غذتـــك وغـــيرهـــا تَيَـاْيمينـــا

. . . .

فانّكَ والتحوّل من مَعَـــدّ   كهيلـــةَ قَبْلَنـــا والحـــالبينـــا

وتُرِك كاف « غذتك » من البيت الأول بلا شكل ، وفُتح كاف « فإنكَ » من البيت الثاني . وقال المحقق في البيت الأول : « في ما : تيّامنينا ، وفي أ : تتأيّمينا » . قلتُ : البيت الأول غامض المعنى ، وما ذكره المحقق لا يُزيل الغموض ، ويستقيم المعنى بأن يكون آخر البيت الأول « تَتَأَمّمينا » ، فيكون المعنى : ومن عجب أن تتركي أُمّكِ التـــي غذتكِ وتتغذين أمّاً غيرها . وتأمّم كما في القاموس – اتخذ أُمّـاً . والخطاب موجّه الى عشيرة كما تدل سياقة الخبر . فيجب كسر الكاف من « غذتكِ » و « فإنّكِ » .

٢– وفي « خبر ابن سُرَيج مع سُكينة ... » (ص ٥٢) :

يـــا دارُ حسّرهـــا البـــلى تحســـيرا

وسفت عليها الريـــحُ بعدك مُـــورا

---

(١) وإنما ابتدأت بهذا الجزء لأن دار الكتب المصرية نشرت من الأغاني قبل نحو من خمسين سنة ستة عشر جزءاً .

(٢) وإنما أذكر العنوان ليستعين به القارئ في الوقوف على النص ان كانت لديه طبعة غير هذه .

دُقّ التراب بخيلها فمخيمٌ

بعراصها ومُسيَّرٌ تسييرا

وفي البيت الثاني ضُمّ الدال وفُتح القاف من « دُقّ » ، وضُمّت الباء من « الترابُ » ، وكأن المراد من « بخيلها » خيل الريح والريح لا تدق التراب لا بالخيل ولا بالمهاريس ، وإنما تجيل الدقيق منه وتُلقيه ههنا وههنا ، وأرى أن الأصل في صدر البيت :

« دقٌّ الترابِ تُجيله فمخيّم »

بكسر الدال « دِقٌّ » وضم القاف ، وإضافة « دِقٌّ » الى التراب ، و« تجيله» لا « يخيلها » . و « دِقٌّ » بكسر الأول بمعنى مدقوق ، وفِعْلٌ بمعنى مفعول كثير ، قال جلّ ثناؤه : (وفديناه بِذِبْحٍ عظيم) (الصافات : ١٠٧) أي : بمذبوح . وقال : (فأَسْرِ بأهلك بقِطْعٍ من الليل) (هود : ٨١) أي : بزمن مقطوع من الليل . وتجيله : تُديره ، ومنه الجول وهو التراب الذي تجول به الريح على وجه الأرض . ويوم أجْوَلُ : كثير الغبار ، فيكون معنى البيت : الريح تجيل الترابِ الدقيق ، فمنه مخيمّ بالدار ، ومنه سائر عنها . وكان حفظي البيت أيام الشباب : « دُقّ الترابُ بخيله فمغيمّ » ، تهدّيت الى أنّ « بخيله » تصحيف « تجيله » . ووردت « دِقُّ الترابِ » بكسر الدال والباء في قول ابن الدمينة (الديوان : ١٤١) :

دِمَنٌ خَلَوْنَ وغيرّت آياتِها

دِقُّ الترابِ مُسَفّةُ الأذيالِ

٣- وفي « خبر لبيد ... » (ص ٦٢) للبيد :

فودّعْ بالسلام أبا حُزَيْزٍ

وقلّ وداعُ أربَدَ بالسلامِ

وقال أبو الفرج في البيت : « وكانت كنية أربد أبا حزاز ، فصغره » . قلتُ : لوصحّ أن الكنية كانت « أبا حزاز » لما كانت ضرورة للتصغير ؛ لأن

وزن البيت يستقيم بها ، ثم إن التصغير يكسر وزن البيت ؛ لأن تصغير « حزاز » حُزَيِّز ، بتثقيل الياء وكسرها ، ويجوز أن يكون أبو حزاز تحريف أبي حِرْز ، وعندئذ يُعَدلُ الى التصغير ضرورة ، فيُقال : « فودِّع بالسلام أبا حُرَيْزٍ » .

٤- وفي « أخبار ابن الدمينة ... » (ص ٩٥) لمزاحم بن عمرو :

إذْ تجعل الدِّفنِسُ الورهاء عُذرتها
قُشــارةً من أديــم ثم تفريها

وقال المحقق : « في اللسان : الدِّفْنِس : الحمقاء . والورهاء الكثيرة الشحم » . قلتُ لم يرد في اللسان « الورهاء الكثيرة الشحم » ولكن ورد « الورِهة الكثيرة الشحم » ، وورد في الورهاء « الخرقاء في العمل » . وقال الطبري في تفسيره خطبة للحجّاج : « واللكعاء : الورهاء،وهي الحمقاء من الاماء » (تأريخه ٦:٢٠٦) . على أن المرزوقي قال في شرحه على الحماسة في قول الفِنْد الزماني (٢ : ٥٤١) :

كجيــب الدفنــس الــورهــا
ء رِيعَــت بعــدَ إجفـــالِ

: « والدفنس : الحمقاء ، والورهاء : المتساقطة العقل الضعيفة التماسك » ، فالورهاء الحمقاء ، أو هي أشدّ منها ، وليست الكثيرة الشحم ، ويُقال للرجل : أَوْرَه ، قال معاوية بن أبي سفيان لأخيه عتبة ، وقد سمِعه يذمّ بعض السلف (المجتبى : ٥٢) : « أُسكتْ يا أورَهُ ، فوالله لهو منها كخاطب الحرّة حيث يقول : » .

٥- وفي « أخبار ابن الدمينة ... » (ص ٩٩) لابن الدمينة :

أقمــتُ على زِمّانَ يومــاً وليلــةً
لأنــظر مـــا واشي أميمة صانعُ

وقال المحقق : « زِمّان بكسر أوّله وتشديد ثانيه وآخره نون محلة بني مازن وفي أ : زَمان بفتح أوله . وفي ديوانه : رمّان بالراء المهملة ، ورمّان بفتح الراء

جبل في بلاد طيء » . قلتُ : رواية البيت في نوادر الهجري (الديوان : ٨٧) :

أقمتُ زماناً بالمدينة راجياً
أباصِرُ ما واشي أميمة صانعُ

وأظن الرواية الصحيحة « رَمّان » بالراء المهملة المفتوحة ؛ لأنها كذلك في ديوانه صنعة ثعلب ومحمد بن حبيب ، ولأن البيت في الأغاني وما معه من أبيات من رواية ثعلب . ثم إن ابن الدمينة في رواية « زِمّان » بالزاي بين أن يكون من مستوطني البصرة أو زائريها . فأما استيطانه البصرة ، فنفاه محقق ديوانه الأستاذ أحمد راتب النفّاخ في كلام مستوفي (مقدمته للديوان : ٣١) ، وقال : « إن موطن ابن الدمينة إنما كان في الأصقاع الواقعة جنوبي الحجاز مما يلي اليمن » . وأما أن يكون من زائريها ، فغير محتمل ؛ لأن الذي يزور مدينة إنما يذكر اسمها وحدها أو اسمها فالمحلة التي يحل بها كالبصرة فزمّان . أما الاقتصار على ذكر المحلة ، فخروج عن سَنَن الكلام البيّن . وممن ذكر رَمّان بعض بني أسد ، قال (الحماسة ٣ : ١٤١٢) : « أجدّي لا أمسي برمّان خالياً ... » ، وحاتم الطائي (الديوان : ١٧٩) قال « رمّانُ من وادي القُرى لأربع » .

٦– وفي « أخبار ابن الدُمينة ... » (ص ١٠٤) لابن الدمينة :

أإنْ هتفت ورقاءُ في رونق الضحى
على فَنَنٍ غضّ النبات من الرَّنْدِ
بكيتَ كما يبكي الحزين صبابة
وذُبت من الشوق المبرّح والوجدِ

وكُسرت همزة « إنْ » أي جُعلت شرطية ، والفصيح فتح همزتها على أنها أنْ الناصبة كما عند الخليل ، أو المحققة من الثقيلة كما عند المبرّد ، وقد رُويت بالفتح في شرح المرزوقي على الحماسة (١٢٩٨/٣) والديوان (ص ٨٥) وكامل المبرّد (٢ : ٢٤٠) ، على أن المبرّد روى « سجعت » في موضع « هتفت » .

قال المرزوقي في شرح البيت : « يخاطب نفسه مبكّتاً فيقول : أ لآن صاحت حمامة ورقاء ... بكيت بكاء الصبيّ » . وكيف تحوّل « أنْ » الى الشرطية والشرط مستقبل وهتاف الورقاء مضى خبره ؟ ورواية البيت الثاني في ديوانه :

بكيت كما يبكي الحزين ولم تكن
جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي

وفي الحماسة :

بكيت كما يبكي الوليد و لم تزل
جليداً وأبديت الذي لم تكن تُبدي

٧– وفي « نسب المقنّع الكندي ... » (ص ١٠٧) للمقنّع :

يعاتبني في الدَّين قومي وإنما
تديّنتُ في أشياء تكسبهم حَمْدا

والرواية المشهورة « ديوني » في مكان « تدينتُ » ، كما في الحماسة (٣/ ١١٧٨) والشعر والشعراء (ص ٢٨٥) وأمالي القالي (٢٨٠/١) والحماسة البصرية (٣٠/٢) .

٨– وفي « نسب أبي قيس بن الأسلت ... » (ص ١١٩) :

قال عمرو بن النعمان البياضي لقومه : « إنّ عامراً أنزلكم منزل سُوْء بين سبخة ومغازة » ، هكذا ، يضم السين من « سُوء » والصواب فتحه ، فيقال : « منزل سَوْء » . وقد فرّق الزمخشري بين ضم السين وفتحه من « سوء » في الكشاف (٥٤٢/٣) ، قال : إنهما « كالكَره والكُره ، والضَّعْف والضُّعف ، من : ساء ، إلاّ أنّ المفتوح غلب في أن يُضاف اليه ما يُراد ذمّه من كلّ شي . وأما المضموم فجار مجرى الشرّ الذي هو نقيض الخير ، يُقال : أراد به السُّوء ، وأراد به الخير » . قلتُ : مما جاء بفتح السين وقد أُضيف اليه ما يراد ذمّه قوله تعالى : (يا أُخت هرون ما كان أبوك امرأ سَوْء وما كانت أُمُّك بغيّا) (مريم : ٢٨) ،

وقوله : (إنهم كانوا قومَ سَوْء فأغرقناهم أجمعين) (الانبياء : ٧٧) ، وقوله : (ولقد أتوا على القرية التي أُمطرت مطرَ السّوء) (الفرقان : ٤٠) ، ومما جاء بضم السين من « سوء » ، وهو الذي لم يُضف اليه ما يرُاد ذمُّه قوله جلّ ثناؤه : (إنما يأمُرُكم بالسُّوء والفحشاء) (البقرة : ١٦٩) ، وقوله : (إنما التوبة على الله للذين يعملون السُّوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) (النساء : ١٧) ، وقوله : (وينجّي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسُّهُم السُّوء) (الزُمر : ٦١) . وكثير من فضلاء أهل الأدب في عصرنا هذا يضمّون السين من « سوء » في الموضع الذي يجب فيه فتحه ، ففي لسان العرب (طبعة صادر : خبط) : « نعوذ بالله من خاتمةِ السُّوء » بضم السين من السُّوء ، والصواب « السَّوْء » بالفتح ، لأنه أُضيف إليه ما أُريد ذمّه ، وفي عيون الأخبار (٤ : ٧) لبعض العبديين :

وأدركه خالاتُه فَخَذَلْنَه
ألا إنّ عرق السُّوء لا بُدّ يُدرِكُ

وفي الإمتاع والمؤانسة (٣ / ٢١٥) : « وقد قيل : اسجد لقرد السُّوء في زمانه » وفي المعمّرون (ص ٢٣) جاء في كتاب بعث به أكثم بن صيفي : « والتقرّب الى الناس مجلبة لجليس السُّوء » ، ففي هذه النصوص وغيرها في كتب أُخرى [٣] ضُمّ سين « سوء » ، والصواب فتحه .

٩– وفي « نسب أبي قيس بن الأسلت ... » (ص ١٣٠) لابن الأسلت :

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى
كعُنقود مُلاّحيّة حين نوّرا

وقال المحقق : « الملاحيّة من شجر الزهر » . قلتُ : الملاّحية ههنا ضرب من العنب الأبيض في حبّه طول ، وليس الذي نوّر شجر الزهر لكن الثريا ، ولا

---

(٣) من هذه الكتب : الموازنة بين أبي تمام والبحتري (١ : ٤٦) والأشباه والنظائر للخالديين (ص٦٢) وديوان شعر حاتم (ص ٢٢٣) . وكل ذلك من أغلاط المحققين .

موضع لشجر الزهر في البيت ، وقوله « نوّرا » ذهاب الى النجم لأنه من أسماء الثريا ، قال ابن عسلة الشيباني (الحيوان ١٧١/١) :

فصحوتُ والنمريّ يحسبها

عمّ السماك وخالة النجمِ

وقال الجاحظ مفسّراً: « النجم واحد وجمع ، وإنما يعني في البيت الثريا » .

ولو لم يكن النجم اسماً من أسماء الثريا لجاز أن تحمل الثريّا على معنى النجم . كقوله تبارك اسمه : (وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيرا ، اذا رأتهم من مكان بعيد) (الفرقان : ١١ و ١٢) ، والسعير مذكّر ، ولكنّه أُنّثَ في « رأتهم » حملاً على معنى النار .

١٠- وفي « خبر مقتل حجر بن عَدِيّ ... » (ص ١٤٦) :

قال زياد بن أبيه في حُجر بن عَدِيّ بعد أن أودعه السجن : «والله لأجهدنّ في قطع عنق الخائن الأحمق » برواية « الخائن » بالخاء المعجمة ، وظنّي أنها « الحائن » بالحاء المهملة ، وهو الهالك ، ومنه المثل (مجمع الأمثال ١ : ٢٣) : « أتتك بحائن رجلاه » ، وقد تكون الخيانة سبباً للحَيْن ، أي الهلاك ، لذلك قيل : « الخائن حائن » ، وما اتُّهم به حُجر هو كما جاء في الأغاني (١٤٦/١٧) وتأريخ الطبري (٥ : ٢٦٤) أنه : « خلع الطاعة وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة . ودعا الى الحرب والفتنة ، ونكث البيعة ، وخلع أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله كفرة صلعاء » ، وهي تُهَم خالطها العَضْهُ والبهتان ، وليس فحواها الخيانة ، وهي تكفي في أن تُفضي بحُجر الى الحَيْن ، أي الهلاك ، والى أن يُقال له « حائن » . وفي تأريخ الطبري أن زياد بن أبيه قال « والله لأحرصنّ على قطع خيط رقبته » .

١١- وفي « خبر مقتل حُجر بن عدي ... » (ص ١٤٨) :

ورد في أسماء من بعث بهم زياد بن أبيه الى معاوية « ... عبدالله بن جُؤيّة »

بالجيم المضمومة فالهمزة، وهو في تأريخ الطبري « حَويّة » بالحاء المهملة المفتوحة فالواو ، وذلك في طبعة بريل (٧ : ١٣٦) ، والاستقامـة (٤ : ٢٠٢) بـلا شكل للحاء — ، ودار المعارف (٥ : ٢٧١) ، وطبعة دار المعارف هي بتحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل ابراهيم .

١٣— وفي « أخبار عزّة الميلاء » (ص ١٦٥) :

جاء في كلام لخارجة بن زيد : « وكان في اخواننا بني نَبيط مأدبة » ، وفُتحت نون « نَبيط » ، ثم فتحت بعد أسطر ، ثم في ص ١٦٦ والصواب « نُبَيْط » بضم ففتح فسكون ، كذلك ضُبطت في القاموس ، قال « ونُبَيط كزُبَير بن شُرَيط صحابي » ، وكذلك ضبطت في التاج . فبنو نُبَيط منسوبون الى هذا الرجل . أما النّبيط بفتح النون وكسر الباء فمن السريان وكانوا يسكنون سواد العراق . وأما « النّبيت » بفتح النون وكسر الباء وبتاء في الآخر فمن قبيلة الأوس ، ومنهم « النبيتيّ » الذي قيل إنه شخص هو والنابغة الى ماوية ليخطباها ثم لحق بهما حاتم الطائي . وورد خبر المأدبة التي ذكرها خارجة بن زيد في الكامل للمبرِّد (٢ : ٢٥٦) — وأحدُ محقِّقَيه الأستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم ، وفي عيون الأخبار (٣ : ٣٢١) ، وضبطت « نُبَيطْ » فيهما على الوجه الصحيح

١٣— وفي « أخبار عَزّة الميلاء » (ص ١٦٩) :

جاء في زوج لحسان بن ثابت : « وولدت منه بنتاً يُقال لها أم فراس ، تزوّجها عبدالرحمن بن أم الحكم » . يخلـط أهـل الأدب أحيانـاً بين عبدالرحمن بن أم الحكم وعبدالرحمن بن الحكم . فأما عبدالرحمن بن أم الحكم ، فأمهُ بنت أبي سفيان ، وأبوه عبدالله بن عثمان بن ربيعة الثقفي ، ولم يكن عبدالرحمن ممن تُرضى سيرته . ولاّه خاله معاوية الكوفة ، فشكاه أهلها ، فعزله ، وولاه مصر ، فمنعه معاوية بن حُديج من دخولها . ثم ولاّه الجزيرة ، ولم يكن شاعراً . وأما عبد الرحمن بن الحكم ، فأخو مروان بن الحكم ، وكان شاعراً .

قال له معاوية ناصحاً (تأريخ الطبري ٣٣٦/٥) : « إنّك قد لهجت بالشعر فإيّاك والتشبيبَ بالنساء فتعرّ الشريفة ، والهجاءَ فتعرّ كريماً ، وتستثير لئيماً ، والمدحَ فإنه طُعمة الوقاح ، ولكن ، افخر بمفاخر قومك ، وقل من الأمثال ماتزين به نفسك ، وتؤدّب به غيرك » ، وهذه النصيحة مذكورة في مجالس ثعلب (٢/ ٤٧٩) مع اختلاف في الألفاظ . وشعره في البيان والتبيين (٣ : ٣٤٨) والكامل للمبرِّد (١٢٤/١) وديوان الحماسة (٣ : ١٤١٩) ومجالس ثعلب (٢ : ٤١٤) والأغاني (٢٧١/١٨) وأمالي القالي (١٤/١)[٤] ، والعقد الفريد (٦ : ٣٤٥) ، وأخبار النساء (ص ٢٧) وغيرها . وقد صُيّر اسمه في العقد الفريد وأخبار النساء (عبدالرحمن بن أم الحكم وهو غلط ، ونُقل الغلط من العقد الفريد الى كتاب « خيري الهنداوي »[*] : (ط ٢ ص).

وهذا هو الذي جعلني أفرّق بين الرجلين .

١٤– وفي « أخبار عزّة الميلاء » (ص ١٧٣) لحسّان بن ثابت :

يسقون من ورَد (البريصَ) عليهمُ
كأساً تُصفّقُ بالرحيق السلسلِ

وقال أبو الفرج في شرحه البيت : « البريص : موضع بدمشق » ، وقال المحقق : « البريص نهر في دمشق ، والبيت في اللسان – بريص » . قلتُ : قال حمزة بن الحسن الإصبهاني في كتابه « الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة ٢ : ٤١٣ » : « البريص : حوض كان نصبه ملوك العرب من غسان للناس بناحية الشأم يشربون منه الخمر الممزوجة بذوب الثلج ، والحوض قائم الى اليوم منحوتاً من الصخر ، قال علقمة :

عَبَدْتُهُمْ حطّوا البريص سقايةً
للناس ليس لهم سواه موردُ

(٤) هي ستة أبيات نسبها القالي الى العباس بن الوليد بن عبدالملك ونسبها البكري في « التنبيه ... » ص ٢٣ الى عبدالرحمن بن الحكم .

(*) للدكتور يوسف عزالدين .

الخمرُ والمـاء الزلال وعنـــده

ثُرُدٌ تكلّلهـا السديـف المُنضَدُ

١٥– وفي « أخبار عزّة الميلاء » (ص ١٧٤) :

« فاستهتر بها وهام » هكذا ، من غير أن تُضبط التاءات من « استهتر » بالشكل ، وكان الأولى ضبطهما ، فيُقال : « فاستُهْتِر » بضم التاء الأُولى وكسر الثانية ، لأن ذلك مما يجهله كثير من الأدباء ، وممن نبّه عليه أبـو بكر محمد بن حسن الزبيدي ، قال في كتابه لحن العوام (ص ٢٢٥) : « ويقولون استَهْتَر الرجلُ فهو مستَهتِر ، والصواب : استُهتِر فهو مستَهْتَر ، وهو الذي يخلط في أفعاله وأقواله كأنه بلا عقل » ، وقال محقق الأغاني في العبارة المذكورة : « استهتر بها : شغف وأولع بها » وكان الأَولى أن يُتم قوله. بأنه من الأفعال التي جاءت على ما لم يُسَمَّ فاعله .

١٦– في « نسب الربيع بن زياد ... » (ص ١٧٨) ، للربيع بن زياد :

من كان مســروراً بمقتل مـالك

فليأتِ نسـوتنا بوجـه نهـارِ

يجد النساء حواسِـراً ينـدُبْنَـهُ

قد قُمْن قبـل تبلّج الأسحارِ

وقال أبو الفرج مفسّراً : « قوله : قد قُمْن قبل تبلّج الأسحار ، يعني أنهنّ يندبنه في ذلك الوقت ، وإنما خصّه بالندبة لأنه وقت الغارة ، يقول : فهنّ يذكُرْنَهُ حينئذ ، ولأنه كان من الأوقات التي ينهض فيها للحرب والغارات ، قال الله تبارك وتعالى : (فالمغيرات صُبحاً) . وأما قول الخنساء :

يذكرنـي طلوع الشمـس صخـراً

وأذكُرُه لـكل غـروبِ شـمسِ

فإنما ذكرته عند طلوع الشمس للغارة وعند غروبها للضيف » ، قلتُ : ههنا ثلاثة أمور تقال : الأوّل : في الحماسة (المرزوقي ٩٩٥/٢) : فليأت

ساحتنا بوجه نهار » في موضع « فليأتِ نسوتنا . . . » ، و « يلطِمْن أوجههنّ بالأسحارِ » في مكانِ « قد قمن قبل تبلّج الأسحار » . وهما روايتان لا يعوّل عليهما لما سيأتي من قول لابن العميد ، والثاني : أشار المرزوقي الى رواية « فليأتِ نسوتنا » ، وقال فيها : إنه رأى ابن العميد يقول : « إني لأتعجّب من أبي تمّام مع تكلفّه رمّ جوانب ما يختاره من الأبيات وغسله من دَرَن بشع الألفاظ كيف ترك تأمّل قوله : فليأت نسوتنا ، وهذه لفظة شنيعة » . والثالث : كان يحسن من أبي الفرج لو أتمّ شرحه فقال : « وإنّ بُكاء النساء دليل على ثأرنا به » . قال المرزوقي في ذلك وقد تنوّق في عباراته وأطال : « من كان فرِحاً بمقتل مالك شامتاً بأوليائه ، فلينزع ملابس المسرّة ، وليطّرح أردية الشماتة ، فقد أُدركت الآثار ، وأُريقت الدماء ، وشفيت الأدواء ، وليحضر ساحتنا في أول النهار ليرى أن ما كان محرّماً من الرثاء قد حلّ ، وأن الحظر الواقع ببكائه قد رُفـع » .

١٧- وفي « ذكر نسب الربيع بن زياد ... » (ص ١٧٩) :

جاء : « ذكر نسب الربيع بن زياد وبعض أخباره وقصة هذا الشعر والسبب الذي قُتِل من أجله » . وضُبطت « قُتِلَ » بضم القاف وكسر التاء المثناة الفوقية ، أجدها تصحيف « قِيل » بكسر القاف وبالياء المثناة التحتيّة ، أي : والسبب الذي قيل من أجله الشعر ، وذلك بدلالة الأخبار التي سيقت مع هذا الشعر ، وليس فيها ما يدلّ على قتل الربيع .

١٨- وفي « ذكر نسب الربيع بن زياد ... » (ص ١٨٢) لقيس بن زهير :

وجارتُهُم حَصَانٌ لم تُزَنّى
وطاعمة الشتاء فما تجوعُ

و « لم » في « لم تُزنّى » تنفي التزنية في زمن مضى ، وهو غير مقصود ههنا . أما « ما » أو « لا » ، فتنفيها في الأزمنة جميعاً ، وهو المقصود . وجزم « تُزنّى » لم يخلّ بوزن البيت ، والصواب في رواية البيت ما جاء في « ديوان شعر حاتم... »

وهو : « وجارتُهم حصان ما تُزَنّى » . ونسب ابن الكلبي البيت الى حاتم ، في حين وردت الأبيات التي معه – من غير أن يُذكر معها – في ديوان الحماسة (٤٦٩/١) منسوبة الى قيس بن زهير .

١٩– وفي « ذكر نسب الربيع بن زياد ... » (ص ١٩٣) :

جاء في الرهان بين حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أنه كان « عشرين من الإبل » في حين جاء في العقد الفريد (٥ : ١٥١) « أنهما تواضعا الرهان على مئة بعير » .

٢٠– وفي « ذكر نسب الربيع بن زياد ... » (ص ١٩٥) :

لما قَتَل حُذيفةُ بن بدر مالكَ بن زهير قال له الربيع بن زياد : « بئس لعمر الله القتيل قتلتَ » ، وأرى أن « القتيل قتلت » تصحيف « الفعل فعلتَ » ، فيكون الأصل في العبارة « بئس لعمر الله الفعل فعلت » ، لأنّ الربيع تأذّى بمقتل مالك بن زهير ، ورثاه ، ثم ثأر به ، كما تدلّ الأخبار التي ساقها أبو الفرج وغيره ومن رثائه إياه قوله « من كان مسروراً بمقتل مالك » البيتان المقدّم ذكرهما وهما من ضمن تسعة أبيات في الأغاني ، وأخبار الثأر بمالك بن زهير مذكورة في العقد الفريد (١٥٠/٥ – ١٥٨) ، وهي أوضح وضوحاً وأبين بياناً . ونظير هذا التصحيف ما وجدته في كليلة ودمنـــه (طبعة دمشق بتحقيق محمد خير الدرع) ، جاء في ص ٣١٢ : « وإن رأيته فرحاً مستريحاً مصوباً رأيه في الذي قتله وأمر به فقتلها لا يفوت » والصواب : في الذي فَعَله » .

٢١– وفي « ذكر نسب الربيع بن زياد . . . » (ص ١٩٧) للربيع بن زياد :

قد كُنّ يَخْبأْنَ الوجـــوه تســـتّراً

فاليـــوم حـــين بـــدون للنظّارِ

ورواية البيت كذلك في شرح القصائد التسع المشهورات (٢ : ٥١٧) ، ولكنها في الفاضل (ص : ١١٢) . والجمهرة (٢٠٢/٣) والتنبيه على التصحيف (ص : ١٣٧) :

« قد كُنّ يكنُنّ الوجوه تســـتّراً » .

٢٢– وفي « ذكر نسب الربيع بن زياد ... » (ص ٢٠٦) لقيس بن زهير :

أظنّ الحلم دلّ عليّ قومي
وقد يُستجهَلُ الرجلُ الحليمُ

والرواية في العقد الفريد (٥ : ١٥٧) : « وقد يستضعف الرجل الحليمُ » ، ولكلٍّ وجه .

من يكُ سائلاً عني فإني
وجروة لا نرود ولا نُعارُ

بالنون في أول « نرود » و « نُعار » ، وقال المحقق : « البيت في اللسان (جرا) ، وفيه وفي النقائض والمختار : لا ترود ولا تُعار » ، قلتُ : الرواية المشهورة هي : « وجروة لا ترود ولا تُعارُ » ، بالتاء المثنّاة الفوقيّة في كلا الفعلين كما في المراجع التي ذكرها المحقق ، وكما في كتاب الصاحبي (ص ١٨٤) وفيه قال ابن فارس مفسراً البيت : « وجروة فرسه ، فالمسألة عنه والخبر عن غيره » . قلتُ : كأنّ شدّاداً أراد: من سأل عني فأنا مستعد للحرب ولمن يفجؤني بالغارة ، لذلك أقرّب فرسي مني ، ولا أتركها في المرعى ، ولا أُعيرها . والاسلوب في رواية البيت غريب ، وقد يُفضي ببعضهم الى الظنّ أن عجز البيت منقطع عن صدره في المعنى ، وهو يبدو كأنه كذلك ، مع أنه من أساليب العرب القديمة الفصيحة ، فتذكر شيئاً وتتركه لتقبل على غيره ، مع إبقاء شيء من صلة بينهما ، ومن ذلك قوله تعالى : (والذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجاً يتربّصنْ بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) (البقرة : ٢٣٤) ، فذكر الذين وتركهم وخبّر عن الأزواج .

٢٤– وفي « أخبار الحطيئة مع سعيد بن العاص » (ص ٢٢٩) للحطيئة :

ما لهم لا يُباركُ اللهُ فيهم
إذْ يسألون ويحنا ما فعلنا

و « يسألون » بالهمز تكسر وزن البيت ، وظاهر أن الأصل « يسالون » بلا همز ، وهي لغة ، يُقال : سِلْتُ أسالُ ، مثلُ : خِفْتُ أخاف ، وهما يتساولان (الكامل ١٠١/٢) ، قال حسان بن ثابت :

سالت هُذَيلٌ رسولَ الله فاحشةً

ضلّت هُذَيْلٌ بما سالت ولم تُصِبِ

وقالت زوج أبي حمزة الخارجي وهي تقاتل (الأغاني ٢٤٧/٢٣) :

أنا الجُعيداءُ وبنتُ الأعلمْ

من سال عن اسمي فاسمي مَرْيَمْ

بعتُ سواريّ بسيف مِخْذَمْ

وأورد ابن عبد ربه في العقد (٣٨٩/٥) بيت الحطيئة على وجه آخر ، وجعله شاهداً على تذكير المؤنث ، وهو :

ما لهم لا يُبارك الله فيهم حين يُسْألْنَ منحنا ما فعلنا

والشاهد هو استعمال « فيهم » في مكان « فيهنّ »

٢٥- وفي « أخبار مالك بن أسماء بن خارجة ... » (ص٢٣٦) لمالك بن أسماء :

وحديث ألذّه هو مما ينعت الناعتون يُوزن وَزْنا

منطق صائب وتلحَنُ أحيا نًا وأحلى الحديث ما كان لحنا

وساق أبو الفرج خبراً عن يحيى بن علي بن يحيى بن المنجم جاء فيه أن أباه قال « قلت للجاحظ : إني قرأت في فصل من كتابك المسمّى البيان والتبيين : إنما يُستحسن من النساء اللحن في الكلام ، واستشهدت ببيتي مالك ابن أسماء ، يعني هذين البيتين ، قال : هو كذاك ، فقال : أما سمعت بخبر هند ابنة أسماء بن خارجة مع الحجّاج حين لحنت في كلامها ، فعاب ذلك عليها ، فاحتجتّ ببيتي أخيها ، فقال لها : إنّ أخاك أراد أن المرأة فطنة فهي تلحن بالكلام الى غير الظاهر بالمعنى ، لتستر معناه وتورّي عنه ، وتُفهمُهُ من

ارادت بالتعريض ، كما قال الله عزّ وجلّ : (ولتعرفنهم في لحن القول) ، لم ترد الخطأ في الكلام ، والخطأ لا يُستحسن من أحد ، فوجم الجاحظ ساعة ثم قال : « لو سقط اليّ الخبر أوّلاً لما قلتُ ما تقدّم » . قلتُ : ممن فسّر بيت مالك بن أسماء على نحو ما فسّرته أخته والجاحظ ، ابنُ قتيبة (عيون الأخبار : ك ، ل من المقدّمة) ، وابن عبد ربّه (العقد : ٤٨٠) .

وقال أبو حيّان التوحيدي منتصراً لرأي الجاحظ : « وعندي أن المسألة محتملة الكلام ، لأن مقابل المنطق الصائب المنطق الملحون ، واللحن من الغواني والفتيات غير منكر ولا مكروه ، بل يُستحبّ ، وذلك لأنه بالتأنيث أشبه . وبا لمهرة أدعى ، مع الغزل أجرى ، والإعراب جدّ ، وليس الجدّ من التغزّل والتعشقّ والتشاجي في شيء . وعلى مذهب علي بن يحيى أنّ المنطق الصائب هو الكلام الصريح . أن اللحن هو التعريض ، وأنها تعرف هذا وهذا ، فهبْ أن هذا المعنى مقبول لِمَ ينبغي أن يكون المعنى الآخر لهوجاً ومردوداً ؟ » . قلتُ : كان اللحن فاشياً على ألسنة الناس أيام الدولة الأموية ، لفتوح العرب بلدان الأعاجم وتزاوجهم مع أهليها ، ومصاهرتهم إيّاهم ، وسُكناهم بديارهم ، فنشأ أولادهم غير متقيّدين بقواعد الإعراب ، فاستُعمل اللحن بمعنى الخطأ في الإعراب أكثر من استعماله بمعنى اللحن بالكلام على غير الظاهر بالمعنى للتورية عنه ، ولافهامه بعضهم بالتعويض . وقد تحصّل لديّ حتى الآن أربعة نصوص استعمل فيها اللحن في أيام الدولة الأُموية بالمعنى الذي ذهب اليه الحجّاج ، وأكثر من عشرين نصّاً استعمل فيها اللحن في أيام الدولة المذكورة بالمعنى الذي أخذت به زوج الحجّاج ، فيم يُختار لقول مالك بن أسماء المعنى المعروف قليلاً على المعنى المألوف كثيراً ، من غير أن يشهد له سياق الكلام شهادة صريحة ؟ وظني أن المتغزل بها كانت مع مالك بن أسماء في مجلس سكره في تلّ بُونّى ، حيث يُسقّى شرابه ويُغنّى ، ويدور مع الزجاجة كالمجنون ، فاستملح مالك وهو في سكره ومرحه

غلطها في الإعراب . أمّا أن تكون المتغزّل بها زوجه كما قال الجاحظ أو جاريته كما قال ابن قتيبة ، فبعيد ؛ لأنه ليس من المروءة أن يذكر أيّاً منهما في قصيدة خمرية سيقت هذا المساق ، فمن أبيات القصيدة (الشعر والشعراء : ٣٠٤) :

حبذا يومُنـــا بتلّ بُوَنّى ... اذْ نُسقّى شرابنـــا ونُغنّى

من شراب كأنه دم جوف ... يترك الكهل والفتـــى مرجحنّا

أينما دارت الزجاجة دُرنا ... يحسب الجاهلـــون أنا جُننا

ومررنا بنســـوة عطِرات ... وســـماع وقَرْقَـــفٍ فنزلنا

وفيمَ يُفَسّرُ اللحن بستر المعنى ، وإفهامه من يُراد بالتعريض ، والقوم سكارى ،سرهم مفضوح وحياؤهم مطروح؟ أمّا تفسير الحجّاج « اللّحن » فمقيس على نفسه التي كانت تفتقر الى خفة الروح . ورقة الحاشية ، وتكزّ عن قلب الحقيقة المفضي الى النادرة المستملحة ، ولولا ذلك ما التوى عنه ما كان استوى لزوجه هند (٥) .

٢٦– وفي « أخبار زيد الخيل ... » (ص ٢٥٠) :

« وأسلموا جميعاً الاّ وِزْر » . وضُبط « وِزْر » بكسر فسكون عن نسخة من نسخ الأغاني ، وقال المحقق : إنه موافق لما في الإصابة . قلتُ إن كان الأمر كذلك وجب أن يُقال « الاّ وِزْراً » بتنوين النصب ، لأن الفعل مثبت والمستثنى منه مذكور . ولعله أن يكون « وَزَراً » بفتح ففتح ، تفاؤلاً بأن يكون ملجأً لأهله وعشيرته أو جَبَلاً لهم ، أو « وَزَرَ » بصيغة الفعل الماضي تفاؤلاً بمؤازرته ، وعندئذ يمتنع من التنوين .

(٥) في « مجالس ثعلب : ٥٩٩ » قال محققه الأستاذ عبدالسلام محمد هارون فيما زعم من غلط الجاحظ في تفسير البيت المذكور : « ووقع في مثل هذا الخطأ ابن دريد فيما نقله ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢ : ١٦٢ » أراد الأستاذ عبدالسلام هذه العبارة : « قال ابن دريد : استثقل منها الإعراب » ، وظني أن هذا تعليقة على حاشية الكتاب ثم أقحمها الناسخ في المتن ، ويقع مثل هذا في كتبنا القديمة كثيراً ، فابن قتيبة توفي سنة ٢٧٦ ، وابن دريد توفى سنة ٣٢١ هـ . ولما ألف ابن قتيبة كتابه المذكور لم يكن ابن دريد في الموضع الذي يجعل ابن قتيبة ينقل عنه رأياً ، ثم إن ابن دريد يبدو في أمالي القالي (١/٥) كأنه يقول بالمعنى الذي قال به الحجاج .

٢٧– وفي « أخبار زيد الخيل ... » (ص ٢٦٠) لزيد الخيل :

ذاك إنْ ألقَهُ أنال به الوتـ

رَ وقــرّت بــه عيــون الصحــابِ

و « أنال » جواب الشرط ، وحقّه الجزم لا الرفع . والجزم يكسر وزن البيت ، وهو يصحّ تأليفه بأن يُقال :

ذاك إنْ ألقَهُ أنَل عنده الوتـ

رَ وقــرّت بــه عيــون الصحــابِ

٢٨– وفي « خبر لابن قيس الرقيّات » (ص ٢٧٣) لابن الرقيّات :

لا أشــمّ الريحان الا بعينــيّ

كـرَما إنما يشــمّ الكلابُ

هكذا ، بتثنية « عين » ، وتدوير البيت ، ثم أُعيد البيت على هذا النحو في الصفحة نفسها ، والصواب :

لا أشــمّ الريحــان الاّ بعينــي

كـرَمــاً إنمــا يشــمّ الكــلابُ

بإفراد « عين » ، لأنّ التثنية تكسر وزن البيت ، وبلا تدوير . وإفراد العين يقوم مقام التثنية ، فالعرب تقول : رأيته بعيني وبعينيَّ ، والدار في يدي وفي يديَّ ، وكل اثنين لا يكاد أحدهما ينفرد فهو على هذا المثال ، قال عزّوجلّ : (فرَجعناكَ الى أُمّك كي تقرّ عينُها ولا تحزن) (القصص : ١٣) .

٢٩– وفي « خبر لابن قيس الرقيّات » (ص ٢٧٣) :

نقل أبو الفرج قول الزبير بن بكّار في البيت المذكور آنفاً ، وهو ، بعد أن أصلحتُ موضع لفظة فيه وشكلها :

لا أشــمّ الريحــان الاّ بعيني

كـرَماً إنمــا يشــمّ الكــلاب

فقال إنه قال : « يعرّض بعبد الملك كان متغيرّ الفم ، يؤذيه رائحته ، فكان
، يده أبداً ريحان أو تفـّاحة أو طيب يشمـّه » . قلتُ : إنما البيت في الغزل ،
كُني بالريحان عن النساء . جاء في « ديوان ابن الرقيات : ٨٥ » في تفسير
يت : عن أبي عمرو ، الأصمعي : « يعني بالريحان النساء » .وقال الجرجاني
، النساء (المنتخب من كنايات الأدباء : ٧) : « ويُكنى عنهن بالريحان »
وقال بعضهم (أدب الدنيا والدين : ١٠٢) :

إنّ النساء رياحـين خُـلِقْنَ لنـا
وكُلُّكـم يشـتهي شـمّ الرياحينِ

وقيل : إنّ عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، سمع امرأة تقول هذا البيت ،
ال بيتاً على وزنه ورويّه . ليس هذا موضعه . وقال الحجّاج للوليد بن عبدالملك
عيون الأخبار ٢ : ١٧٠) : « المرأة ريحانة ، وليست قهرمانة » . وكأنّ ابن
س الرقيّات أراد: أكتفي بالنظر الى الحسان ولا أشمـّهنّ كما يفعل الكلاب
هيداً للسفاد. وأظن أنّ وهم الزبير بن بكـّار نجم من وقوع البيت وسط القصيدة .
بله أبيات في الغزل ، وبعده أبيات في الهجاء ، من غير حسن تخلـّص اليه ،
لحقه بالهجاء مع أنّ البيت الذي يليه وهو :

رُبّ زارٍ علـيّ لم يـرَ مـنـي
عثرة وهـو مـومـس كذّابُ

مبدوء برُبّ ، وهي تُؤذن ببدء الهجاء . ثم إنّ القصيدة لا تدلّ على أن
هجوّ بها هو عبدالملك بن مروان ، ولو صحّ تفسير الزبير البيت لكان المراد
ن عجزه شتم الناس جميعاً ، وهو ما لا يكون .

٣– وفي « أخبار نبيه ... » (ص ٢٨٣) لنبيه بن الحجّاج :

رجل صديقٌ ما بدت لك عينُهُ
فإذا تغيّب فاحتفظ مـن دعـلجِ

وقال أبو الفرج : « قال الزبير : الدعلج الكلب والذئب ، وكل مختلس من السباع فهو دعلج ، ويُقال لاختلاسه الدعلجة ، وأنشد :

باتت كلاب الحيّ تسـرى بيننا

يأكُلْـنَ دعلجة ويشبع من ثوى

يعني بالدعلجة السرقة » . قلتُ : في العراق نقول للدلدل دعلج ، ولا نكاد نعرف له اسماً غيره ، وهو حيوان فُرِش جلدُهُ بشوك كقصب ريش اللقلق ، الواحدة منه تزيد على الشبر بنحو من اصبعين أو ثلاث ، ويعيش في خارج القرى ، ويغلب أن يكون في المواضع المهجورة من البساتين حيث يكثر الماء المستنقع والحلفاء . ويُقال إنه يدفع عن نفسه بأن ينتفض فيُقيم شوكه فيكون كالرماح المركوزة ، فيؤذي من أصابه ، وقد تكون تسميته بهذا الاسم مما سُهي عن تدوينه في كتب اللغة ، لأننا نسمع بهذا الاسم من أهل القرى ، وهم عرب لم تؤثر في لغتهم اللغات الأعجمية الا بقدر يسير ، على حين أثّرت في لغة أهل المدن بقدر كثير . فان صحّ أنّ الدعلج من أسماء الدلدل جاز أن يكون معنى البيت المذكور : هو صديق حين يحضر لديك ، فإذا تغيّب عنك فاحتفظ منه ، لأنه يخزك بسهام الغيبة كما يخز الدعلج بشوكه ، وجاز أن يكون المراد من تسمية فرس لعامر بن الطفيل دعلجاً (٦) أنه فرس الحرب يُسلّح بكميّ تسلّح الدعلج بشوكه ، وجاز أن يكون المراد من تسمية الرجل دعلجاً (٧) أنه مسلح بشجاعته وآلات القتال تسلّـح الدعلج بشوكه . ثم إنّ البيت الذي رواه الزبير آخره «...ويشبع من ثوى» معناه : ويثوي من شبع ، وهو من باب قلب المعنى كقوله تعالى : « وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحَهُ لتَنَوءُ بالعُصْبَةِ أولي القـوّة » (القصص : ٧٦) ،والبيت رواه الأصمعي (الأصمعيـات : ١٦٠) للأسعر الجعفيّ ، وآخره : «ويشبع من عفا » .

---

(٦) قال فيه عامر بن الطفيل (الديوان : ١٣٤) :

أكر عليهم دعلجـاً ولبانـه اذا ما اشتكى وقع الرماح تحمحما

(٧) في تأريخ الطبري (٩ : ١١٥) ورد اسم سعيد بن دعلج ، وكان من رجال المنصور .

٣١- وفي « أخبار نبيه ... » (ص ٢٨٤) :

« فأتوا نبيه بن الحجّاج ، فقالوا : أخرج ابنة هذا الرجل، وهو متبدِّد بناحية مكة وهي معه » . وقال المحقق : « هو كذا في أ ، وفي ب ، س م : منتد ، وفي ج : مبتد تصحيف » . قلتُ : ربما كان الأصل : وهو منتبذ بناحية من مكة » ، أي : معتزل بناحية منها . قال جلّ ثناؤه : (فحملته فانتبذت به مكاناً قصيّا) (مريم : ٢٢)، وجاء في تأريخ الطبري (٢ : ١٦١) : « فبينا أنا ذات يوم منتبذ من أهلي في بطن وادٍ ... إذ أتانا رهطٌ ثلاثة » .

٣٢- وفي « أخبار نبيه ... » (ص ٢٨٦) لنبيه :

فسلي بمكة تُخبِرِي أنّا من أهل وفائها
قِدْماً وأفضل أهلها مِنّا على أكفائها

وضُبطت « مِنّا » في البيت الثاني بكسر الميم وكأنها جار ومجرور ،والصواب : « مَنّاً » بفتح الميم مع تنوين النصب ، من المَنّ ، وهو الإنعام ، وكثر وروده بمعنى الإنعام على الأسير بإطلاقه ،ففي يوم خوّ أسر عمرو بن كلثوم حذيفة بن بدر ثم أطلقه وجزّ ناصيته وردّه الى قومه،وقال (الانوار ومحاسن الاشعار : ٧٧) :

وإنّي بالذنائب يوم خوٍّ
مننتُ على حُذيفة بعد أسرِ

ومنه قول قُتيلة بنت النضر بن الحارث بن كَلَدة ، وكان أبوها أُسر في معركة بدر ثم قُتِل صبراً (شرح الحماسة : ٩٦٦) :

ما كان ضرّكَ لو مننتَ وربّما
مَنّ الفتى وهو المغيظ المحنَقُ

٣٣- وفي « نسب أميّة بن أبي الصلت ... » (ص ٣٠٣) :

« وأنه خرّب كنائسهم وبقر النساء وهدم الكنائس » وربما كان الأصل في « كنائسهم » دورهم أو ما بمعناها ، أو كان الأصل في « الكنائس » الدور أو ما بمعناها .

٣٤- وفي « ذكر أبي عطاء السندي » (ص ٣٢٨) لأبي عطاء أبيات، الأوّل منها :

أعوزتنــي الرواة يا ابن سُليــم
وأبى أن يُقيم شــعري لســانــي

والرابــع :

فضربتُ الأُمــور ظهراً لبــطنٍ
كيف أحتــال حيلــة للســاني

وينبغي أن يكون الأصل في البيت الرابع « لبياني » لا « للساني » كما في ص ٣٣٧ حيث ذكرت القصيدة كُلُّها ، وفي « بياني » معنى مقبول لأن أبا عطاء كانت به لُكنة جعلت لسانه غير مبين ، وفيه تخلّص من سرعة تكرار « لساني » في القافية .

٣٥- وفي « ذكر أبي عطاء السندي » (ص ٣٣٤ و ٣٣٥) :

جاء في خبر أبي عطاء ونصر بن سيّار : « ... فأتاه فحمله عــلى برذون أبلق ... ثم أنشده :

وهيكلٍ يُقال في جَلالــه   تقصرُ أيدي الناس عن قذالِه
جعلتُ أوصالي عــلى أوصاله   إنّك حمّال عــلى أمثاله

وفُتح الجيم من « جَلاله » ، وضمت التاء من « جعلتُ » . وههنا ثلاثة أمور تقال : الأول : لا معنى لـِ « يُقال » باللام في « وهيكلٍ يُقال » وأجدها مصحّفةً من « يُقاد » — إلاّ أن تكون من خطأ المطبعة — ، لأن الكلام على البرذون ، وهو أنه لهيكلٌ — أي ضخمٌ — يُقاد . والثاني : لا وجه لفتح الجيم في قوله « في جَلاله » ، وأرى أنّ الوجه « في جِلاله » بكسر الجيم ، والجِلال : جمع جُلّ ، أو جَلّ ، وهو ما تُلْبَسُهُ الدابّة لتُصان به . والثالث : ربما كانت « جعلتُ أوصالي » بضم التاء تصحيف « حملتَ » بالحاء المهملة وبفتح

التاء ، بدلالة عجز البيت ، وهو « إنّك حمّال على أمثاله » ، وبدلالة ما سبق هذا الشعر من قول ذكرته آنفاً ، وهو « فحمله على برذون » . وبدلالة ما عُرف عن الأجواء وذوي الفضل والرياسة من حملهم بعض الناس أحياناً على فرس أو نحوه . ففي العقد الفريد (٣٠٢/١) جاء في مَعْنٍ بن زائدة : « وأتاه رجلٌ يسأله أن يحمله فقال : يا غلام أعطِهِ فرساً وبرذوناً وبغلاً وعيراً وجارية ، وقال : لو عرفت مركوباً غير هؤلاء لأعطيتك » ، ومن شاء نظر في سيرة ابن هشام (٢ : ٥٧٩) والأنوار ومحاسن الأشعار (ص : ٨٠) ، فالوجه في كَتْب البيتين وضبط ألفاظهما بالشكل هو :

وهيكلٍ يُقاد في جِلالِهِ تقصُرُ أيدي الناسِ عن قَذَالِهِ
حملتَ أوصالي على أوصاله إنّك حمّالٌ على أمثاله

٣٦- وفي « ذكر أبي عطاء السندي » (ص ٣٣٥) :

« بعث ابراهيم بن الأشتر الى أبي عطاء ببيتين من الشعر وسأله أن يُضيف اليهما بيتين من رويِّهما وقافيتهما ... » . ورويهما وقافيتهما بمعنى ، ولا فائدة في عطف أحدهما على الآخر ، وأظنّ « رويّهما » تصحيف « وزنها » .

٣٧- وفي « ذكر أبي عطاء السندي » (ص ٣٣٧) لأبي عطاء :

وغلا بالذي أُجمجِم صَدْري
وشكاني من عجمتي شيطاني

والصواب في ألف « غلا » أن تُرسم بالياء ، لأن المضارع يغلي ، وذلك نظير رمى يرمي وجرى يجري ومشى يمشي . قال جلّ ثناؤه (إنّ شجرة الزقّوم طعام الأثيم ، كالمُهل يغلي في البطون) (الدخان : ٤٥) . وقال قَطَري بن الفُجاءة (الأمالي ٢٦٥/١) :

ورُبّ هاجرة تغلي مراجلهُا
مخزتُها بمطايا غارة تخِدُ

٣٨– وفي « ذكر أبي عطاء السندي » (ص ٣٣٧ و ٣٣٨) لأبي عطاء :

فقلتُ شأني كلُّهُ أنني في تَعَبٍ من لفظ جُرداني
وَهَبْ فدتكَ النفسُ لي طَفْلةً يقمعُ حرْها رأس شيطاني

وأظن « لفظ » في « لفظ جُرداني » تصحيف « نعظ » بالنون لا اللام وبالعين المهملة لا الفاء ، والجُردان بضم الجيم الذَّكَر ، قال جرير (الديوان : ٥٩٨):

اذا رَوَيْن على الخِنْزير من سَكَرٍ
نادَيْن : يا أعظم القسّين جُردانا

فيكون المعنى : أنّه من جرّاء نعظ جُردانه يسأل ممدوحه أن يَهَب له طَفْلة ، وهي المرأة الرخصة الناعمة .

٣٩– وفي « ذكر أبي عطاء السندي » ص ٣٣٧ لأبي عطاء :

صاد فؤادي بعدما قد سلا
فصرتُ كالمقتَبَل العاني

برواية « كالمقتبِل » بالقاف ، وكسر الباء . والمقتبل كما يُفهَمُ من اللسان من « اقتبَل أمرَه » اذا استأنَفَه ، ومن « اقتبَل » انذا كاسَ بعد حماقة ، وكلا المعنيين لا موضع له في البيت ، وظني أنه « كالمُكتبَل » بالكاف وفتح التاء والباء . وهو المقيّد، قال الزمخشري في أساس البلاغة في « مُكَبّل » : « مُقيّد بالكَبْل وهو القيد ، وكَبَلتُ الأسير وكمّلتُه[8] واكتبلتُهُ ... قال جرير :

ومُكتبَلاً في القِدّ ليس بنازعٍ
له من مراس القِدّ رجلاً ولا يدا

فيكون معنى « فصرت كالمُكتبَل العاني » : فصرتُ كالأسير المقيّد .

(٨) هكذا « كملته » بالميم ، ويبدو لي أن الناسخ أملي عليه « كبلته » فذهب وهمه الى الميم لقرب مخرجه من الباء في النطق ، والنص من مادة « ك ب ل » ولم أجد البيت في ديوان جرير . وكذلك أملي على الناسخ « كالمكتبل » فجعله « كالمقتبل » لقرب مخرجي الكاف والقاف في النطق .

٤٠ـ وفي « ذكر خالد ورملة ... » ص ٣٢٦ :

« فدخلت رملة على عبدالملك بن مروان وهو عند خالد بن يزيد » ، وعبارة « وهو عند خالد » جائزة ، ولكني أرجّح أنّ الأصل « وهي عند خالد » ، لأنّ رملة وهي بنت الزبير بن العوّام كانت زوج خالد ، وكان قال فيها من أبيات (الأغاني ٣٤٤/١٧)

تجول خلاخيل النســاء ولا أرى

لرملــة خلخالاً يجــول ولا قُلبا

و « عنده » معناها « زوجه » ، فيكون المعنى : أن رملة دخلت على عبدالملك وهي زوج لخالد بن يزيد ، قال ابن قتيبة في رملة هذه (المعارف : ٩٧) : « فأما رملة هذه فكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية » ، وفي الأغاني (٢٦٣/١٨) أن عُبيد الله بن زياد قال للمنذر بن الجارود : « لعلّك تُدلِ لّ بكريمتك عندي ، إن شئتَ والله لأُبيننّها بتطليق البتة » ، ويُقال : وضع فلان بنته عند فلان أي زوّجه إياها ، وفي ديوان شعر حاتم (ص ١٦١) أن عَديّ بن حاتم قال بعد أن زوّج بنته بعضهم : « ما كنتُ لأضع كريمتي عند رجل ثم أخشّن صدره »

٤١ـ وفي « ذكر خالد ورملة ... » ص ٣٤٧ :

جاء أن خالد بن يزيد تزوّج بنت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، وقال فيها أبياتاً منها :

مقابلــة بــين النبــيّ محمّــدٍ

وبــين عليٍّ والحــواري وجعفرِ

وأن شديد بن شدّاد قال أبياتاً يخاطب فيها عبدالملك بن مروان ، وقيل فيها : « يعيرّه بخالد في تزويجه بنت الزبير وبنت عبدالله بن جعفر » ، وأظنّ أنّ « يعيرّه بخالد » تحريف « يُغريه بخالد » . وأبياتُ شديد هي :

لا يستوي الحبلان حبل تلبست قوُاه وحبلٌ قد أُمِرّ شديدُ

عليك أمير المؤمنين بخالـــد ففي خالد عما تُريد صدود

اذا ما نظرنا في مناكح خالـــد عرفنا الذي يهوى وأين يُريد

والإغراء بخالد في قوله « عليك أمير المؤمنين بخالد » غايةٌ في الوضوح ، وسببه أن خالداً صاهر الهاشميين والزبيريين وتقرّب اليهما على ما كان بينهما وبين أسرته الأُموية من إحَنٍ وتِراتٍ وتنازع على الخلافة . وفيم يعيّره ؟ وأي عار في تزوّج خالد امرأتين محصنتين قرابتهما من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قريبة ؟ ولو كان شديد قصد الى التعيير لكان كمن طار بجناح الجهل وتتيّه في مفاوز الضلال .

٤٢– وفي « ذكر خالد ورملة ... » (ص ٣٥٠) :

أأنت تأمر كلباً أن تقاتلنـــا

جهلاً وتمنعهم منـــا اذا قتَلوا

وضبطت « قتَلوا » بفتح الأول فالثاني ، وأراه « قُتِلوا » بالبناء على ما لم يُسَمَّ فاعله ، فيكون معنى البيت أن الشاعر يقول مستنكراً : أتأمر كلباً بقتالنا حتى اذا انتصرنا عليهم وشرعنا في قتلهم جعلت تحامي عنهم ؟ وأظن أن الغلـــط – إن لم يكن مطبعيّاً – نجم من تفسير « وتمنعهم » بمعنى تكفّهم وتزجرهم ، كقول زياد بن أبيه : « ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دَلَجَ الليل وغارة النهار ؟ » (البيان والتبيين ٦٢/٢) ، وإنما المقصود من « وتمنعهم منا » في البيت « وتحميهم منا » ، ومن معاني المنع الحماية ، كالذي جاء في العقد الفريد (٥/٢) وهو : « ... ما خلا هذه التنوخيّة التي أسس جدّي اجتماعها ، وشدّ مملكتها ، ومنعها من عدوّها » .

٤٣– وفي « ذكر عبدالرحمن بن أبي بكر » (ص ٣٥٥) لعبدالرحمن بن أبي بكر :

يـا ابنـةَ الجوديّ قلبـي كئيبُ
مستهام عندهـا مـا ينيـبُ

وروى البيت في الأغاني (١٩٦/٢١) : « يا ابنة الأزديّ ... » ، كذلك غنّاه خُلَيلان وهو في دار عُقبة بن سَلْم الأزدي . وكذلك رواه أبو الفرج في صفحة الكتاب نفسها . وقوله : « يا ابنة » ثم قوله « عندها » من باب تحويل الخطاب من الشاهد الى الغائب . وذلك كقوله عزّ اسمه « حتى اذا كنتم في الفُلْك وجَرَيْنَ بهم » (يونس : ٢٢) فتحوّل الكلام من المخاطَبين وهو « كنتم » الى الغائبين وهو « بهم » .

٤٤ـ وفي « أخبار حاتم ... » (ص ٣٧٥) :

جاء أنه أُغير على إبل « للنعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفنيّ ، ويُقال هو الحارث بن عمرو ... » ، وأخذ أبو الفرج برواية النعمان بن الحارث تاركاً ما قيل من أنه الحارث بن عمرو . لقوله (ص ٣٧٧) : « فدخل حاتم على النعمان ...» ولقوله (ص ٣٧٨) : « فقال له النعمان » ، وأظنّ أنه الحارث بن عمرو لا النعمان ، لأنّ أبا الفرج نفسه روى في تمام الخبر قول حاتم فيه :

أبلـغ الحارث بن عمرو بأنـي
حافظ الودّ مُرْصِـدٌ للثـوابِ

ولأنّ الخبر في « ديوان شعر حاتم : ١٨٧ ـ ١٩٤ » لم يرد فيه غير اسم الحارث بن عمرو .

٤٥ـ وفي « أخبار حاتم ... » (ص ٣٧٧) :

خمسة أبيات عينيّة مضمومة العين أوّلها :

إنّ امرأ القيس أضحت من صنيعتكم
وعبد شمس أبيت اللعن فاصطنعوا
إنّ عدياً اذا مُلّكتَ جانبهـا
من أمر غوث على مرأى ومستمع

وهذان البيتان رويا في « ديوان شعر حاتم : ١٩١ و ١٩٢ » وحدهما ،
ٔسر العين في الرويّ ، أعني بـــلا إقواء » ، فكان عجز البيـــت الأول :
ىبدشمس أَبَيْتَ اللعنَ فاصطنعِ » .
ـ وفي « أخبار حاتم ... » (ص ٣٧٨) :
في نسب قيس بن جحدر الذي تشفع حاتم في إطلاقه من الأسر أنه «...ابن
ِل الأجئي ، وهو من لخم » ، والصواب أنه من طيْ ، يدلنا على ذلك ما
فيه ابن الكلبي في ديوان شعر حاتم (ص ١٩٣) وهو : « ابن جرول الأجئي
فة الى أجأ ، جبل لهم » ، ونبّه على ذلك محقق الديوان الدكتور عادل سليمان
ف يكون قيس بن جحدر من لخم وحاتم نفسه يشهد له أنه من طيئ ؟
دته يرويها أبو الفرج (ص ٣٧٨) ، وهي :

فككْتَ عديّـــاً كلَّها من إسارها
فأفضِلْ فشفّعني بقيس بن جحدرِ
أبوه أبي والأُمّهات امّهاتنـــا
فأنعم فدتك اليوم نفسي ومعشري

- وفي « أخبار حاتم ... » (ص ٣٧٨) لحاتم :

فثلاث من الســـراة الى الحّلـــ
ـــة للخيـــل جاهـــداً والركـــابِ

و « السراة » بالسين المهمل هي كذلك في ديوان شعر حاتم (ص : ١٩٤)
ىح أنها « الشراة » بالشين المعجم ، لقول حاتم في موضع آخر من ديوانـــه
ں : ١٩٠) :

سقى الله ربُّ الناس سَحّاً وديمة
جنوب الشراة من مآب الى زُغَرْ

ولِما جاء في مادة « شراة » من معجم ما استعجم ، وقد ذُكر البيت «فثلاث من الشراة ... » ، وهو : « يُخاطب بهذا الحارث بن أبي شمر ، فذكر أنّ بين جبَلي طيء والشراة تسعاً ، وأنّ من الشراة الى الحلة بأرض الشام ثلاثاً » . وفي ديوان حاتم « الحَلْبط » في موضع « الحلة » . ونبّه محقق ديوان حاتم على ذلك .

٤٨ـ وفي « أخبار حاتم ... » ص ٣٧٩ لحاتم :

حيث لا أرهبُ الجُراة وحولي

ثُعَليّون كالليوث الغضابِ

وقال المحقق في « الجُراة » : « كذا في أ ، ف ، والديوان . وفي ج : الحرارة حولي . وفي ب : الجراءة حولي » . قلتُ: في ديوان شعر حاتم (ص: ١٥٦) « الحزاة » ولم أقف عليها في كتب اللغة ، وفي « الموفقيات » : « العدوّ » . ويجوز أن تكون « الجُراة » تصحيف « العُداة » ، والعُداة عند ابن الأعرابي جمع العدوّ ، وخطّأه ابن سيده وقال هي جمع « العادي » (المحكم ، المقدمة : ٥) ، قلت : وهو نظير عافٍ وعُفاة وحامٍ وحُماة وقاضٍ وقُضاة .

٤٩ـ وفي « أخبار حاتم ... » (ص ٣٨٦) :

جاء في حاتم وماويّة : « فلمّا انصرف دعته نفسه اليها ، وماتت امرأته فخطبها فتزوّجها فولدت عديّاً » . وقد اختلف أهل العلم في ذلك ، فمنهم من قال إنّ عديّاً من ماويّة ، ومنهم من قال إنه من النوار . فممّن قال إنه من ماويّة الأصمعي (ذيل الأمالي : ١٥٥) . ولكنه استدرك قائلاً : « ويُقال إنّ عَديّاً وعبدالله وسفّانة بني حاتم من امرأته النوار » . وممن قال إنه من النوار ، ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٧٢) بنقله قولاً للنوار ، جاء فيه « ... إنْ تضاغى أُصيبيتنا من الجوع عبدالله وعدي وسفّانة . فقام حاتم الى الصبيين وقمت الى الصبيّة » ، وابن عبد ربه في العقد (٢٨٨/١) بنقله قول النوار المذكور من

الشعر والشعراء مع اختلاف يسير في الألفاظ ، وابن الكلبي في ديوان شعر حاتم (ص ١٦٥) ، قال : « إنّ النوار تزوّجها بعد حاتم زياد بن غُطيف بن حارثة فولدت له اولاداً وهم أخوة عديّ لأمه » ، وأبو سورة السنبسيّ في ديوان شعرحاتم (ص : ١٦١) قال « كانت النوار تعاتب حاتماً على انفاقه ماله وتحثه على ولده . وكانت ماوية امرأته السكونية ولم يكن منها ولد، تحض على نفسها » .

٥٠ـ وفي « أخبار حاتم ... » (ص ٣٨٩) لحاتم :

لنا أَجَلٌ إمّا تناهى أَمامَهُ
فنحن على آثاره نتوردُ

ورُسمت همزة « أمامه » على الألف . والوجه « إمامُهُ » أي طريقه ، ومنه قوله جلّ ثناؤه « وإنهما لبإ مام مُبين » (الحجر : ٧٩) . أي بطريق يُؤَمّ . وكأنّ معنى البيت : لنا أجل يسير نحونا، فاذا انتهى طريقه توردنا، أي تَقَدّمْنا للموت .

٥١ـ وفي « اخبار حاتم ... » (ص ٣٨٩) لحاتم :

بنو ثُعَلٍ قومي فما أنا مُدّعٍ
سواهم الى قومٍ وما أنا مُسنِدُ

بكسر النون من « مُسنِد » ، والصواب « مُسنَد » بفتح النون وهو الدعيّ ، قال في اللسان : « والمُسْنَد والسّنيد : الدعيّ » . ونبّه محقق ديوان حاتم على ذلك ،

٥٢ـ وفي « أخبار حاتم ... » (ص ٣٩٠) لحاتم :

فهل تركت قبلي حضورَ مكانها !
وهل من أتى ضيماً وخسفاً مُخَلّدُ !

هكذا بنصب « حضور » وإفاضتها الى « مكان » مع علامتي تعجّب ، وقال المحقق : الديوان :

فهل تركت قبلي حصون مكانها
وهل أنا إن أُعطيت خسفاً مخلّدُ »

قلتُ : ظنّي أن الصواب في شكل صدر البيت كما في ديوان شعر حاتم (ص ٢٦٢) : « فهل تركت قبلي حَضُورٌ مكانَها « برفع » حضور « ونصب » مكان وحَضور مدينة باليمن من أعمال زبيد ، وكأنّ المعنى : « لا أترك مكاني فأهرب من منازلة العدو كما لا تترك حَضورٌ مكانها . و « أتى » في عجز البيت تركت همزته بلا شكل ، وكذلك تُركت في ديوان شعر حاتم ، وكأنّ المراد أن تقرأ بالفتح أي « أَتى » ، والصواب « أُتى » بضم ففتح وبالألف في الآخر ، أي بالبناء على ما لم يُسَمَّ فاعلُهُ ، وأصله « أُتِيَ » بضم فكسر وبالياء المفتوحة في الآخر ، لأنّ طيئاً يفرّون من الكسرة بعدها ياء الى الفتحة ، فانقلبت الياء ألفاً من « أُتِيَ » وفتحت كسرة التاء للمجانسة ، فصار الفعل « أُتى » ، قال حريّ بن عامر الطائيّ :

وأسمرَ مربوعٍ نضَاه ابنُ عـازبٍ
فأُعطى ولمٍ يُنظَرَ ببيـع حِلالِ

وقال أبو زيد القُرَشيّ فيه (النوادر : ٧٨) : « قوله رَضَاه أي رَضِيَه ، وقوله فأُعطى أراد أُعطِيَ » . وقال زيد الخيل وهو طائي (ذيل الأمالي : ٢٤) :

أفي كلّ عامٍ مأتـم تجمعونه
على مِحْمَرٍ عَوْدٍ أُثيب وما رُضى

تجدّون خمشاً بعد خمس كأنمـا
على سيّد من خير قومكم نُعَـى

ورُضَى بالألف قبلها فتحه أصله رُضِيَ بالياء قبلها كسرة ، ونُعَى بالألف قبلها فتحة أصله نُعِيَ بالياء قبلها كسرة . وهذا مطرّد في لغة طيْ .

٥٣ــ وفي « أخبار حاتم ... » (ص ٣٩١) :

جاء أن بعض النساء سألن حاتماً الطائيّ أن يفصد بعيراً لهنّ فنحره ، فلما أنكرْن عليه فعله قال : « هكذا فصادتي » . وقال أبو الطيّب اللغوي (الإبدال

١٢٧/٢ (إنّ حاتماً قال : « هكذا فزدي أنَهْ » ، وقال إنه أراد « فصدي أنا » بلفظ الصاد زايا . قلتُ وهو الذي يُقال له الرَّسْو . وقال برواية الزاي دون الصاد في الفصد غيره من القدامى . وذكر أبو علي القالي الروايتين (النوادر : ١٨٧) أي بالصاد والزاي. وأرى أن الرواية الصحيحة الصاد لا الزاي ، أي كما في الأغاني ، لأنني وجدت شعر حاتم فيه الصاد صاد من غير أن يُقلب زاياً ، وذلك بيّن في شعره جميعاً المرويّ في الأغاني وفي ديوانه . ولأن حاتماً قال (الديوان : ١٥٣) :

إلهُهُمُ ربّي وربي إلٰهُهُمْ
فأقسمت لا أرسو ولا أتمعددُ

ولأن جواب حاتم الذي فيه الفصد بالصاد ذكره أبو زيد القُرَشي والجاحظ[٩] وهما : أقدم من روى ذلك ، وعليهما المعوّل ، خصوصاً أبا زيد .

٥٤ـ وفي « أخبار حاتم ... » (ص ٣٩٣) لحاتم :

والله يعلم لو أتى بسلافهم
طَرَفُ الجريض لظلّ يوم مِشْكَسُ

بجرّ « سُلاف » بالباء وتخفيف اللام وبرفع « طَرَفُ » ، والصواب ما في ديوان شعر حاتم (ص ٢٧٩) وهو :

والله يعلم لو أتى سُلاّفُهُم
طَرَفَ الجريض لظلّ يومٌ مِشْكَسُ

برفع « سُلاّف » وتثقيل اللام ، ونصب « طَرَفَ » ، والسُّلاّف مقدّمة العسكر ، ومعنى البيت : لو أتت مقدّمة عسكرهم طرف الجريض لكان بيننا يوم سيْ عبوس . ونبّه محقق ديوان حاتم على ذلك .

(٩) في النوادر في اللغة : ٦٤ قال أبو زيد إن حاتماً قال : هكذا فصدي أنه . وفي الحيوان (٣٣/٥) قال الجاحظ : إن حاتماً قال : هذا فصدي أنه .

٥٥– وفي « أخبار حاتم ... » (ص ٣٩٣) لحاتم :

أو ذو الحصين وفارس ذو ميرّة
بكتيبة من يُدركوه يُفْرَسُ

و « ذو الحصين » أظنها مصحّفة من « ذو الحصير » بالياء والراء ، قال ابن سيده في المحكم « ذو الحَصير رجل من بني عمرو بن سنبس » وروى بيت حاتم هذا . وفي التاج أن ذا الحصير هو كعب بن ربيعة البكائي جاهلي . ثم إنّ رواية « من يُدركوهُ يُفرَسُ » فيها نظر ، فالقصيدة مرفوعة الروي ، « ويُفرَسْ » فعل مضارع حقه الجزم ،وهو جواب لشرط فعله مضارع ، ولعلّ الأصل أن يكون « مَنْ أدركوه يُفرَسُ » وفعل الشرط اذا كان ماضياً حسُن أن يُرفع جوابُهُ اذا كان مضارعاً كقول زهير :

وإنْ أتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرَمُ

٥٦– وفي « أخبار حاتم ... » (ص ٣٩٣) لحاتم :

فسُقيتْ بالماء النمير ولم
يُنظَرْ اليّ بأعين خُزْرْ

وهذا البيت ملفّق من صدر بيت وعجز آخر ، والصواب كما في ديوان شعر حاتم (ص ٢١٦) :

فسُقيتُ بالماء النمير ولم
أتْرَكْ ألاطِسُ حَمْأَةَ الحَفْرِ
ودُعيتُ في أُولى النديّ ولم
يُنظَرْ اليّ بأعيُنٍ خُزْرِ

وقال في البيت الأول صانع الديوان يحيى بن مدرك الطائي : « النمير : العذب ، والحَفْر البئر التي لم تُطْوَ ... ألاطِسُ : أُمارسُ ... ومعنى البيت يقول : لم يجعلوا لي كدر مائهم ولكن بروني بصفوه » وقال في البيت الثاني : « النديّ والنادي : المجلس ، وهو ههنا أهل النديّ . بأعيُن خُزُرٍ : بأعين أعداء » . ونبّه محقق الديوان على تلفيق البيت .

٥٧- وفي « ذكر ذي الرمّة ... » (ص ٣٩٨) لذي الرمة :

وهاجرة من دون ميّة لم تقِلْ

قلوصي بها والجُنْدُب الجَوْنُ يرمحُ

بتيهاء مقفار يكاد ارتكاضها

بآل الضحى والهجر بالطرف يمصح

وقال أبو الفرج في تفسير البيت الثاني : « والآل : السراب » . قلتُ : سياق البيتين يدلّ على أنّ المراد من الآل السراب ، وقد اختلف أهل العلم في تفسير الآل والسراب ، فمنهم من قال إن معناهما واحد . كالأصمعي ، ففي اللّسان (سرب ، أول) أنّه قال : « الآل والسراب واحد » . واللحياني . قال في قول قس بن ساعدة « قطعت مهمهاً وآلا فآلا » : « الآل السراب » (اللسان - أول) . وابن برّي ، قال في قول النابغة (اللسان : أول) :

كأنّ حدوجها في الآل ظُهراً

اذا أُفزعْنَ من نَشْرٍ سفينُ

« فقوله ظهراً يعني بأنه السراب » : وأبو الفرج الاصبهاني ، وتقدّم ذكر ما قال . ومنهم من فرّق بينهما ، كابن السكّيت ، قال (اللسان - سرب) : « الآل الذي يرفع الشخوص ، وهو يكون بالضحى . والسراب الذي يجري على الأرض كأنه ماء » ، والأزهري ، فإنه شهد لقول ابن السكّيت بقوله : « وهو الذي رأيتُ العرب بالبادية يقولونه » ، وثعلب ، قال في شرحه على ديوان زهير (ص ١١٩) : « الآل يكون ضحوة والسراب نصف النهار » . والتبريزي ، قال في شرحه على مقصورة ابن دريد (ص ٨٦) : « والآل ما يراه الانسان في الهاجرة في أول النهار وآخره ، وهو الذي يرفع كلّ شيء ، وسُمّي الآل آلاً لأنّ الآل هو الشخص ... والعامة تغلط فيه وتجعل الآل ما يراه الانسان في الهاجرة كأنه ماء وليس كذلك ، وإنما الآل ما ذكرنا ، وأما الذي يُرى في انتصاف النهار فهو السراب » .

قلتُ : الأصل في الآل ما ذكره ابن السكّيت ، وهو الذي يرفع الشخوص بالضحى ، أما السراب فالذي يكون على الأرض كأنه ماء جارٍ . على أنه يجوز استعمال الآل بمكان السراب في الشعر لأجل القافية أو الوزن . وفي النثر لأجل الفواصل ، وذلك لأنّ أصلهما واحد ، ومعناهما متقاربان . وهذا من باب التوسع في اللغة . على أنّ قول النابغة الذي رواه ابن برّي :

كأن حدوجها في الآل ظُهراً
إذا أُفزِعْنَ من نشر سفينُ

وقال فيه : « فقوله ظهراً يعني بأنه السراب» قد تكون « ظهراً » فيه تصحيف « ضَحْوًاً » أي ضُحىً ، وعندئذ يظل معنى الآل في البيت آلاً ، لأنه هو الذي يرفع الشخوص ، لا السراب .

٥٨- لم يعرّف المحقق الأعلام من الناس في الكتاب ، وهم كُثُر ، الاّ في الشذّ اليسير .

٥٩- وليس في الكتاب موضع لتصحيح الغلط المطبعي ، مع وجود الاغلاط المطبعية فيه .

٦٠- وفي « فهرس مراجع التحقيق » ص ٥١٨ - ٥٢٠ :

ذكر مفهرس الكتاب أسماء الكتب التي رجع اليها محقق الكتاب في تحقيقه من غير أن يذكر اسم المحقق أو المطبعة أو سنة الطبع أو مكانه . واختصر أسماء بعض الكتب ، نحو : « ابن الأثير : الكامل » أي الكامل في التأريخ لابن الأثير الجزري . وأغفل اسماء بعض المؤلفين لبعض الكتب ، نحو : « المستقصى » وهو لجارالله الزمخشري ، وذكر اسمي مؤلفين اثنين من غير أن يذكر اسمي كتابيهما ، وهما « ابن كثير وابن هشام » . وهذا من المفهرس تقصير عما هو محقوق أن يفعله . ولم أنظر في سائر الفهارس الاّ نظرات عجلى أنبأت عن بعض الأغلاط .

آراءُ وَ انبَاءُ

الأبجدية العربية متكاملة وصالحة

الدكتور احمد نصيف الجنابي

(هذا تعقيب على مقال : « حول أبجدية عربية صالحة ») « للدكتور أحمـــد سعيدان » المنشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد المزدوج : ٣ ــ ٤ السنة الثانية : جمادى الاولى ١٣٩٩ هـ / نيسان ١٩٧٩ م .

منهجي في التعقيب

المنهج هو أن ألخّص مقال الكاتب ، ثم أرد على الآراء التي طرحها ــ وحاولت أن أُحافظ على عبارته . ثم أوضحت المخاطر الناجمة عن آرائه . لو كانت ممكنة التطبيق .

فالمقال في ثلاثة أقسام :

أولاً : تلخيص المقال . . .

ثانياً : الأخطاء الموضوعية في آرائه .

ثالثاً : المخاطر الناجمة عن آرائه .

أولا : تلخيص المقال

(١) تحديد المشكلة عند الكاتب :

المشكلة ــ عنده ــ أنّ الخطّ العربيّ تطوّر ، بجميع مراحله ، يوم كانـــت الكتابة يدوية . . . ثم توقف عن التطور ، فلم يواكب حاجات الطباعة والكتابة الآلية ، اللتين هما اليوم من لوازم الحضارة والطباعة و « الكتابة الآلية » ؛ ويريد بالعبارة الأخيرة « الآلة الكاتبة » ، وهي تقتضي :

أولاً : أقلّ عدد ممكن من أشكال الحروف .

ثانياً : أن تكون هذه الأشكال واضحة متميزة بعضها عن بعض، بيُسْر، بعي
عن مجال اللبس والابهام .

والابجدية العربية تضمّ ثمانية وعشرين حرفاً .

وكل حرف له أشكال متعددة ، فهو منفصلاً غيره متصلاً ، وهو في أ
الكلمة غيره في وسطها أو آخرها .

هذا بالاضافة الى أن بعض الحروف يتغير شكلها حسب الحرف الذي يتّص
به أو لا يتّصل به

ويُقدِّر الكاتب الأشكال المختلفة للحروف العربية (بأربعمائة وخمس
شكلاً) ! !

(٢) رأي له في حدود المشكلة :

ويرى ـ الكاتب أنّ الأبجدية الاوربيّة أو بعضها مأخوذة في أواخر العص
الوسطى ، من الأبجدية العربية (لأنّ العربيّة كانت لغة العلم والحضارة والف
والتجارة) .

ويبدو له أنّ الأوربيين أخذوا بعض الحروف العربية ، ولكنّهم عدّلوه
فجعلوها تمتد من اليسار الى اليمين ـ أولاً ـ وثانياً : تمتدّ رأسياً لا أُفقياً ، لتناس
طباعة الحروف منفصلةً .

(٣) مقترحات الكاتب لتطوير الحروف :

يرى الكاتب

أ . أنّ أيّ تعديل في أشكال الحروف يجب ألاّ يبعد بها عن حاضره
ويحسن بنا أيضاً ألاّ نستعبد الطريقة القائمة في الكتابة اليدوية ، فهي ضر
من الاختزال طبيعيّ مألوف دارج .

ب . وأنّ مقاييس الحروف ينبغي أن تكون بحيث تستوعبُ العينُ الكل
بنظرة واحدة لا أن تقرأها حرفاً حرفاً ...

ج – ويرى أننا اذا عزمنا على إحداث تطوير جديد في أبجديتنا فيحسن بنا أن نجعل هذا التطوير يحلّ مشاكل أخرى تتعلق باللغة .

ويريد بالمشكلات ما يأتي :

أولاً : مشكلة الحركات : ويرى : أن تبقى الحركات ، كما هي ، ولكنْ تطبع الحركة بعد الحرف مباشرة .

ثانياً : مشكلة الهمزة : ويرى أن يتخذ لها حرف واحد ثابت ، يدل عليها ، والشكل هو رأس العين ؛ أي : بالصورة التي وضعها الخليل ، هكذا (ء)

ثالثاً : مشكلة الأصوات الأجنبية : وفي سبيل التغلب على الأصوات الأجنبية في الكلمات المعرّبة يرى (أنْ نُدخِل في أبجديتنا حروفاً جديدة) ، تدل على ثلاثة أصوات يكثر تكرارها ، هي :

G
P
V

وتبقى أصوات أخرى كثيرة لا نجد ما يقابلها في العربية ، ولكنّ تكرارها قليل ، أو لدينا ما يقاربها . . . فاذا هي فرضت نفسها علينا ، فلا ضرر من اتخاذ الصوت مع الشكل الذي يدل عليه . كما يقول الكاتب .

ولكنْ . . . ما الأصوات التي لا نجد ما يقابلها في العربية ؟

إنه لم يذكرها ! !

وخلاصة رأيه :

أنه يدعو الى الكتابة بحروف متطورة منفصلة ، تمتد رأسياً ، لا أُفقياً .

والأبجدية التي يقترحها الكاتب ، هي :

(١) الأصوات :

وتشمل حروف الهجاء ما عدا :

الألف – والواو – والياء – مضافاً اليها : الهمزة منفردة .

(٢) حروف المد :

وقد وضعها الكاتب بهذه الصورة :

أ

و

ي

(٣) الحركات :

الفتحة ـَ ـً ـٌ ، الضمـــة ـُ ـٌ ـٌ ، الكسرة ـِ ـٍ

(٤) الأصوات الجديدة (التي يقترح ادخالها) .

G, P, V,

ويكون مجموعها واحداً وأربعين شكلاً

هذه خلاصة آرائه . . .

★ ★ ★

الاخطاء : الموضوعية في آرائه

أما الأخطاء الموضوعية في آرائه :

فأولها :

رأيه في أن الأشكال المختلفة للحروف العربية «تقدر بأربعمائة وخمسين شكلاً

ثم يتخذ هذا العدد ذريعة الى القول :

« إنّ هذا العدد يجعل الحرف العربيّ المعاصر غير صالح للكتابة الآلية ؛ أي : الآلة الكاتبة .

وهذا الزعم يدحضه الواقع العمليّ ، لأنّ عدد أشكال حروف آلة الكتابـة العربية من نوع (اوبتما الألمانية) ثمانية وثلاثون شكلاً ، تؤدي (كلها) وظيفة التعبير عن جميع الكلمات .

وهذا أمر ثابت ، لا يدحضه شيء ، لأنه واقع ملموس . . . وجميع مفاتيح « الآلة الكاتبة » ، ثمانية وأربعون مفتاحاً ، وتؤدي وظيفة التعبير عن الأعداد ، وعن كل أشكال الحروف . . .

فمن أين جاء الكاتب بهذا الرقم ، لأشكال الحروف ؟ !

أما ما يراه الكاتب من أنّ بعض الحروف الأبجدية الأوربية مأخوذ من الأبجدية العربية في العصور الوسطى – ترجيحاً لا يقيناً – فهو أمر لم يأت عليه بدليـــل .

وقد حاول الكاتب أن يرسم صورة الحرف العربيّ المعاصرة رأسية ، ويضـــع أمام كل حرف ما يقابله في الأبجدية الأوربية المعاصرة ليثبت فرضيته . . . وهذه طريقة غير علمية ، لأنّ الحروف تطورت في كلتا الحضارتين ، بين القرون الوسطى والعصر الحديث ، تطوراً أبعدها عن شكلها القديم . . .

ثم . . . اذا كان الحرف العربيّ هو الأصل . . . فلماذا لا نلتزم بالأصل ؟ !

أما اقتراحه في ادخال الحروف الثلاثة :

G, P, V,

لمعالجة « مشكلة الأصوات الأجنبية » ، فهو اقتراح مردود بالحجة التي رفض بها صورة حرف الجيم ، لأنه زعم أنها يمكن أن تـُقرأ بصورتين . . .

واذا كانت هذه حجة الرفض التي استند اليها ، فنحن نرفض اقتراحه في ادخال الأحرف الثلاثة G, P, V, للحجة نفسها !

فالحرف G يلفظ في الإنجليزية بصورتين أيضاً .

فقد يـُقرأ كالجيم العراقية ، كما في الكلمات الآتية :

عمر Age

مرحلة Stage

خضروات Vegetable

وقد يلفظ مثل الحرف G في الألمانية ، كما في الكلمات الآتية :

إلـه God

قياسيّ Regular

ردّة Regression

أما الحرف P فإنه يـُقرأ ، ولا يقرأ . . . فهو يـُقرأ عادة ويؤدي صوت (پ)، كما هو معروف .

ولكنه لا يُقرأ في الأنجليزية ، اذا اجتمع بالحرف S كما في كلمة :

علم النفس Psychology

ويقرأ فاء ، اذا اجتمع بالحرف H ، كما في الكلمات :

الفلسفة Philosophy

علم الأصوات Phonetics

فيـــل Elephant

أما الحرف (V) فإنه يُقرأ – في جميع الكلمات الألمانية الأصيلة ، كما يقرأ الحرف (F) في الأنجليزية ؛ كما في الكلمات الآتية

شَعْب Volk

عهد ، عقد Vertrag

ينسى Vergessen

ومعنى هذا أنّ الدارس العربي المتأثر بالألمانية بسبب الدراسة ، يقرؤه فاء ، أما الدارس في انكلترة . فيقرؤه ڤ (V) .

فكيف ينشأ الجيل المتعلم على أساتذة تلقوا علومهم في بلدان اوربية مختلفة من حيث اللغات ؟ !

ثالثاً : المخاطر الناجمة عن آرائه

أما أهم المخاطر المترتبة على اقتراح الكاتب ، فهي :

(١) المشكلة العقائدية والتراثية :

لو فرضنا جدلاً تحقيق المخطط الذي اقترحه الكاتب ، لترتب على ذلك ، باديءَ ذي بدء ، انفصال الجيل الذي ألف الخطوط الجديدة ، عن تراثه الضخم الأصيل ، وقد تجاوز ما بقى منه الثلاثة الملايين ، وانقطع عن تاريخه . . . ولترتب على ذلك انقطاع الجيل نفسه ، عن كتاب الله وهو العروة الوثقى بين كل الناطقين بالعربية والمؤمنين بالإسلام ، وهذا الإنقطاع يُعَدّ ردّة الى الجاهلية .

فلا مناص من التمسك بنظـــام الكتابة العربيّ ، لأنه يمثل تاريخنا وحياتنا اللغوية ، وقد حمل الينا تراث اللغة العربية ، بكل أمانة ، رغم كل ما يقال عنه .

ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه كان عقبة في سبيل تقدّم العربية ـ لغة علم وحضارة وفنّ ، وأدب ـ وقد أضفى هذا النظام من مهابته على لغات الشعوب الإسلامية ، شيئاً كبيراً . . .

إن تجربة تركية حين تخلّتْ عن هذا الحرف ، إلى الحروف اللاتينية كانت أبلغَ درس لكلّ المنحرفين ، في هذا الميدان ، فلم تصبح تركية اوربية بالحروف اللاتينية ، ولم تُبْقِ على طابعها الإسلاميّ ؛ بل كان شأنها كالواقع بين كرسيين (كما يقول المثل الفرنسيّ) .

ها هي تركية الآن من أكثر بلاد اوربا تخلفاً ، واضطراباً ، وكانت من قبلُ في مقعد الصدارة في اطار الإسلام والحرف العربيّ ، يوم كانت جيوشها تدقّ أبواب النمسا وتحكم نصف اوربا [١] .

فهل يريد الكاتب منا أن نفعل ما فعل « كمال أتاتورك » : « الرجل الصنم » ، كما سماه كاتب مسلم تركي ، في كتاب له صدر في تركيا ، وترجم الى العربية بهذا العنوان ؟ !

(٢) مشكلة التعليم .

أما الخطر الثاني الناجم عن اقتراح الكاتب فهو « المشكلة التعليمية » ، اذ كيف نعلم التلاميذ الحروف المتخصصة في العربية ، مثل : حروف الجرّ ، وحروف العطف ، وحروف التحضيض ، ما دام الحرف منفصلاً عن لصيقه ، والقرين عن قرينه ؟ !

وكيف نفرق بين واو الفعل (يدعو) ، وواو العطف مثلاً ، في عبارة : (محمد يدعو ويجاهد في سبيل الله) ، ما دامت الحروف تكتب منفصلة ؟ !

وكيف نميز للتلميذ بين الفعل الواويّ الناقص واسم الفاعل من الفعل المثال الواويّ ، ان جاء في عبارة ، مثل :

« الفارس يرنو واقفاً ؟ »

او « الخطيب يدعو واقفاً ؟ »

---

(١) د. عبدالصبور شاهين : المنهج الصوتي للبنية العربية / ١٢ (ط . جامعة القاهرة ١٩٧٥).

الى كثير من الأمثلة التي تقع في هذا المقام . . .

بقيت في هذا المقام مسألة مهمة ، لم يضعها الكاتب في « ملفّ القضية » ، هي : أنه من الضروريّ الفصل بين التحليل الصوتيّ للكلمة وكتابتها ؛ فانّ للكتابة سمة تنفرد بها عن النطق ، لأنها لا ترسم التفاعلات الصوتية في أحايين كثيرة ، فهل تُنطق الهمزة بصورة واحدة بين أبناء العربية ، وهل ينطق الصاد او السين نطقاً واحداً بين أبناء لغة الضاد ؟

وحين دعا الكاتب الى الاستفادة من الدراسات ، عن استيعاب العين ، في مجال الحروف ، فإنّه يُريد أن يطابق بين الحرف المنطوق والمكتوب .

وهذه دعوة غير علمية ، وإن استندت الى ظاهر العلم ، لأنّ النطق يتغير دائماً من جيل الى جيل ، فاذا طابق اليوم منطوق جيله برموز معينة كان حتماً أن يحاول الاخلاف النطق بشكل مختلف ، وهكذا في كل جيل .

وبذلك تُصبح الكتابة أزياء متغيرة مع كل جيل كأثواب النساء . . .

فاذا طابقنا بين صورة الحرف ونطقه ، فما أضيع الحرف العربيّ ، وقتئذ بل ما أضيــع أجيالنا !

(٣) مشكلة موقفنا من الحضارة الغربية .

إنّ الخطوات الثقافية التي يتخذها أيّ مجتمع ، تُجاه ثقافة مجتمع يختلف عنه ، لا تنفصل عن موقف حضاريّ ؛ فقد يكون موقفاً يدل على تبعية فكــرية ، وعبودية ثقافية ، وقد يدلّ على أصالة فكرية واستقلال حضاريّ ، وثقافيّ .

فاذا أخذنا مقومات حياتنا من الغرب ، أو الشرق ، ولا سيما في مجال الحياة الفكرية التي يرتكز عليها كيان الأمة الحقيقي . . . فهذا يعني الهزيمة الفكرية ، والروحية أمام الغزو الفكريّ الاستعماريّ ، في كلا المعسكرين . . .

والهزيمة الفكرية ، قد تؤدي الى تقليد الأمة للعدوّ المنتصر فكرياً . والمغلوب دائماً يقلد الغالب ، كما يقرر العلامة « ابن خلدون » ، في « مقدمتــه » .

وقد غرس القرآن الكريم الأسس القويمة لاستقلال الأمّة وتفردها حتى في وسائل

العبادة ، وظل رسولنا الكريم يقلّبُ وجهه في السماء حتى استجاب له ربّه — برحمة منه — وولاّه قبلةً مستقلة تختصّ به وبأمّته (٢).

فما أعمق هذا الدرس ؟ !

وما اكثر الأحاديث النبوية الشريفة التي تحض المسلم على أن يكون متميزاً بأخلاقه وسلوكه . واتجاهه الفكريّ ، والعقائديّ ، وألاّ يكون إمّعة ، لا رأيَ له !

ولعل خطوة الخليفة الأمويّ : عبدالملك بن مروان ، في حركة التعريب ، كانت استجابة لذلك الاتجاه الذي رباه الرسول العظيم في ضمير الأمة المسلمة ودمها وروحها .

فما أبعد الفرق بين دعوة الكاتب الى (تغريب حروفنا الجميلة) . ودعوة عبدالملك الى تعريب الأمة ، قبل ما يزيد على ألف عام ؟ !

وهل درى الكاتب أنّ صورة الحرف العربيّ هي صورة مثالية ، من حيث المطابقة بين الصوت والصورة ، اذا ما قورنت باللغة الإنجليزية او الفرنسية ؛ اللتين يستعير من حروفهما ، لترقيع حروف اللغة العربية ، ذات الحلة الجميلة ، والثوب القشيب ؟ !

وهل قرأ الكاتب ما قاله استاذ علم اللغة « أوتو جسبرسن » ، في كتابه : «القواعد الأساسية في اللغة الإنجليزية » :

(إنّ الطريقة التقليدية لكتابة الإنجليزية ، أبعد ما تكون عن الاتساق والثبات ، فإنّ معرفتنا بأصوات الكلمة ، لا تساعدنا على تهجيها ، والعكس صحيح)(٣).

وذلك لعدم المطابقة بين الصوت وصورة الحرف .

أما في الفرنسية فالأمر اكثر تعقيداً من الإنجليزية . فإن بين إملاء الفرنسية وقراءتها بوناً شاسعاً ، ففي كل كلمة — تقريباً — توجد حروف تكتب ولا تقرأ .

(٢) وذلك واضح في الآيات الآتية : « قد نرى تقلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون إنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما تعملون » .

(سورة البقره الآية ١٤٤)

(3) O. Jespersen : Essential of English Grammar, Chap. 6, p. 60

أما في العربية فالمطابقة بين الصوت وصورة الحرف ، مطابقة تامة ؛ وهي بهذا الاتجاه مثالية بين لغات العالم ولا يدانيها الا قليل منها . . .

فهل آن لنا أن نعرف مكمن الأصالة في أنفسنا وفي تراثنا الفكريّ والثقافيّ . فنعتزّ به ، ونرفع جباهنا ، نباهي به الأمم والشعوب ؟ .

والحمد لله في الأولى والآخرة ، وهو حسبي ونعم الوكيل . .

الكتب المهداة الى مكتبة المجمع العلمي العراقي

خــلال النصف الثاني لســنة ١٩٧٩

صباح ياسين الأعظمي
(أمين مكتبة المجمع)

علوم الدين الاسلامي

- أربعون عاماً في محراب التوبة : تأليف محمد رياض المالح ، دمشق ١٩٦٧ ، ١١٢ ص
- أريد أن أرى الله : تأليف أحمد عبدالغفور عطار ــ السعودية ١٩٧٨ ، ١٥٠ ص .
- جالية الأكدار والسيف البتّار : تأليف محمد رياض المالح ، دمشق ١٩٦٧ ٥٩ ص .
- طريق الهجرة النبوية : تأليف عبدالقدوس الأنصاري ، جدّة ، ١٩٧٨ ، ٢١٢ ص .
- قاموس الحجّ والعُمرة من حجة النبي وعُمَره : تأليف أحمد عبدالغفــار عطار ، بيروت ١٩٧٩ ، ٢٧٦ ص .
- المصنف تأليف أبي بكر أحمد بن عبدالله بن موسى الكندي ، تحقيــق عبدالمنعم عامر وجاد الله أحمد ، القاهرة ١٩٧٩ ، ٣٣٦ ص .
- وفاء الفقه الإسلامي : تأليف أحمد عبدالغفور عطار ، مكة المكرمة ، ١٩٧٩ ، ٥١ ص
- ويلك آمن ــ تفنيد أباطيل ناصر الألباني ، تأليف احمد عبد الغفور عطار السعودية ١٩٧٢ ، ١١٦ ص .

كتب القضاء

- الإختصاص الجنائي للدولة في القانون الدولي (الجريمة ذات العنصر الأجنبي) : تأليف الدكتور زُهير الزبيدي ، بغداد ١٩٧٩ ، ٥١٢ ص .
- الأعذار القانونية المخففة للعقوبة : تأليف د . فخري عبدالرزاق ، بغداد ١٩٧٩ ، ٢٧٠ ص .
- إنتقال الالتزام بين الأحياء (دراسة مقارنة) : تأليف محمد عباس السامرائي بغداد ١٩٨٠ ، ٥١٥ ص .
- الخطورة الإجرامية (دراسة مقارنة) : تأليف محمد شلال حبيب ، بغداد ١٩٨٠ ، ٢٤٠ ص .
- النظام القانوني للملاحة في المضايق الدولية وتطبيقه على مضيق هرمز : تأليف فخري رشيد مهنا ، بغداد ١٩٨٠ ، ٢٧٨ ص .

كتب اللغة والادب

- أربعة أيام مع شاعر العرب عبدالمحسن الكاظمي ، جدّة ١٩٦٩ ، ١٣٨ص
- أساليب القَسَم في اللغة العربية : تأليف كاظم فتحي الراوي ، بغداد ١٩٧٧ ، ٥٦٦ ص .
- البيت القديم (مجموعة قصص) : تأليف يوسف الغزو ، الأردن ١٩٧٩ ، ٨٣ ص .
- دعوة للحب (مجموعة قصص) : تأليف محمد عبدالله البيتاوي ، نابلس ١٩٧٥ ، ١٢٧ ص .
- دون كيخوني في القرن العشرين (مختارات من مقالات اسبانية) : ترجمة د . محمود صبح ، وخوليو كورتيس ، مدريد ١٩٦٨ ، ٦٩ ص .
- قصائد من وراء الحدود : تأليف حلمي الأسمر ، وعلي مبارك ، عمان ١٩٧٨ ، ٧٨ ص .
- مختار الحكم ومحاسن الكلم : تأليف المبشر بن فاتك ، تحقيق د . عبدالرحمن بدوي ، مدريد ١٩٥٨ ، ٣٧٢ ص .

- مختارات من الشعر الاسباني : ترجمة د . محمود صبح ، مدريد ، ٢٠٣ ص
- من أساليب البيان في القرآن الكريم : تأليف محمد علي أبي حمدة ، عمان ١٩٧٨ . ١٦٦ ص .
- منتخبات من قصائد بيكر : تأليف خواكين بنيتو دي لوكاس ، ترجمة كمال فوزي الشرابي وآخرين ، مدريد ١٩٧٦ ، ٦١ ص .
- الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر : تأليف عبدالقدوس الأنصاري ، مكة المكرمة ١٩٧٤ ، ١٢٣ ص .
- ندهة على الحارث الثالث (شعر) : تأليف موسى الأزرعي ، عمان ١٩٧٩ ، ٦٨ ص .
- الوسيط في الأمثال : تأليف علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق عفيف محمد عبدالرحمن ، الكويت ، ٢٤٠ ص .
- هكذا يسمو الوطن (قصائد وأناشيد للأطفال) : تأليف محمود الشلبي . عمّان ١٩٧٩ ، ٧٧ ص .

كتب التاريخ والسير

- أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته ، سلسلة الدراسات التاريخية ، تونس ١٩٧٩ ، ٣٤١ – ١١٩ ص .
- بريطانيا والخليج العربي ١٧٩٥ – ١٨٧٠ م : تأليف جون كيلي ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، ج ١ ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٧٩ ، ٧٠٧ ، ٧٨٢ ص .
- البوسعيديون حكام زنجبار : ألفه بالإنكليزية عبدالله بن صالح الفارسي قاضي قضاة كينيا ، القاهرة ١٩٧٩ ، ١٥٩ ص
- تاريخ الأندلس ، لابن الكرديوس ، ووضعه لابن الشبّاط (نصّان جديدان) تحقيق أحمد مختار العبادي ، مدريد ١٩٧١ ، ٢٣٩ ص .
- تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور : تأليف د. عبدالعزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٠ ، ١٠٨ ص .

* تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان : تأليف أحمد بن إبراهيم الأزدي ، تحقيق د. عبدالعزيز الخويطر ، السعودية ، ١٩٧٤ ، ٢٠٣ ص .
* حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية : تأليف شافع بن علي بن عباس الكاتب ، تحقيق د. عبدالعزيز الخويطر ، السعودية ١٩٧٦ ، ١٩٠ص
* حياة لثريودي تورس : ترجمة د. عبدالرحمن بدوي ، اسبانيا ، ١١٥ ص .
* الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر : تأليف محيي الدين بن عبدالظاهر ، تحقيق د. عبدالعزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦ ، ٥١٩ ص
* الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، حياته وفكره : تأليف د . عبدالله الصالح العثيمين ، الرياض (غير مؤرخ) ١٧٥ ص .
* عثمان بن بشر ، منهجه ومصادره : تأليف د . عبدالعزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٥ ، ط٢ ، ١٠٠ ص .
* عجائب المقدور في نوائب تيمور : تأليف ابن عرب شاه ، تحقيق د . علي محمد عمر ، القاهرة ١٩٧٩ ، ٤٢٢ ص .
* عمّان حضارتها وتاريخها : تأليف د . يوسف درويش غوانمة ، عمان ١٩٧٩ ، ٢٥٦ ص .
* الغجر والقرج في العراق : تأليف طه الحديثي ، الموصل ١٩٧٩ ، ٢٢٣ ص
* في طريق البحث : تأليف د. عبدالعزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٥ ، ٦٠ص
* قصير عمرة ، سكنى وحمامات أمويّة في بادية الأردن : تأليف مارتين الماغرو وآخرين ، مدريد ١٩٧٥ ، ١٩٦ — ٢١ ص .
* كنائس الموصل : تأليف د . يوسف حبي ، بغداد ١٩٨٠ ، ٣٥ ص .
* مدخل الى تاريخ الإغريق وأدبهم وآثارهم : تأليف آ . بتري ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز ، الموصل ١٩٧٧ ، ١٢١ ص .
* مسيرة ربع قرن مع ملك وشعب : اصدار دائرة المطبوعات والنشر (الأردن) ، غير مؤرخ ، ٢٩٤ ص .

- المقتبس (الجزء الخامس) : تأليف أبي حيان ، تحقيق ب . شالميتا مع ف . كورنيطي ، محمود صبح ، مدريد ١٩٧٩ ، ٥٨٠ ص .
- مكتبة الاسكوريال الملكية ومخطوطاتها العربية (نظرة تاريخية) : تأليف د . براوليو خوستيل ، مدريد ٣٢٤ ص .
- الملك الظاهر بيبرس : تأليف د. عبدالعزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦ ، ١٦٨ ص .
- مملكة الكرك في العهد المملوكي : تأليف د . محمد عدنان البخيت ، الأردن ١٩٧٦ ، ١٧٢ ص .
- نابلس في القرن التاسع عشر : تأليف أكرم الراميني ، الأردن ، ١٩٢ ص .
- نصوص عن الأندلس ، من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار : تأليف أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائي ، تحقيق د . عبدالعزيز الأهواني ، مدريد ١٩٦٥ ، ٢٢٧ ص .
- وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري : تحقيق لويس سيكودي كتاب باللغــة الانكليزية لوثينا ، مدريد ١٩٦١ ، ١٨٩ + ١٩٢ ص

كتب الجغرافيا

- الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية باللغتين العربية والاسبانية : تأليف محمد عبدالله عنان ، مدريد ١٩٧٦ ، ٣٨ ص .
- تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس : تأليف حسين مؤنس ، مدريد ١٩٦٧ ، ٧٢٣ ص .
- رحلتنا الثانية الى منطقة الباحة : تأليف عبدالقدوس الأنصاري ، مكــة المكرمة ، غير مؤرخ ، ٤٧ ص .
- مع ابن جبير في رحلتــه : تأليف عبدالقدوس الأنصاري ، القاهــرة ، ١٩٧٦ ، ٣٨٢ ص .

كتب العلوم

- إنتاج الدواجن : تأليف د . حمدي عبدالعزيز الفياض ، وجميل محم سعيد ، الموصل ١٩٧٩ ، ٥٣٢ ص .
- الأسس النظرية الميكانيكية في تدريب الفعاليات العشرية للرجال والخماس للنساء : تأليف قاسم حسن حسين ، ونزار مجيد الطالب ، الموصل ١٩٧٩ ٢٧٨ ص .
- التحليل المكاني لأمراض متوطنة في العراق : تأليف د . محسن عبدالصاح المظفر ، بغداد ١٩٧٩ ، ٥٧٠ ص .
- تصنيف أشجار الغابات : تأليف د. محمود داود ، الموصل ١٩٧٩ ، ٤٢٧ص
- حسابات التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية : تأليف ايرل . د . سووكوفسكي ، ترجمة أحمد سعيدان وآخرين ، الأردن ١٩٧٩ ، ٥٥٦ص
- طرق حل المعادلات التفاضلية : تأليف خالد أحمـــد السامرائي ، ويحي عبد سعيد . الموصل ١٩٧٩ ، ٢٠٧ ص .
- علم الأنسجة البيطرية (الجزء الأول والثاني) : تأليف ديلمان براون ترجمة د . مؤيد حسن الرحيم ، الموصل١٩٧٩ ، ٣٨٣–٩ص قائمة مصطلحا
- مبادئ الرياضيات ، التفاضـــل والتكامل : تأليف د . علي عزيز علي وعبدالرزاق علي الحسوان ، وعادل زينل حسين ، الموصل ١٩٨٠ ، ٤٢٤ص
- المبيدات الكيمياوية في وقاية النبات : تأليف د . خالد محمد و د . مول كامل عبد ، الموصل ١٩٧٧ ، ٩٧ ص .
- محاضرات في الرياضيات المعاصرة وبعض تطبيقاتها في الإدارة والاقتصاد تأليف د . علي عزيز ، وزكريا عبدالحميد ، وأحمـــد زين العابدين الموصل ١٩٧٩ ، ٥٣٤ ص .
- المدخل الى صناعة الطب ، وهو إيساغوجي : تأليف أبي بكر محمد ب زكريا الرازي ، تحقيق مريا كنثيثون بنيتو ، مـــدريد ١٩٧٩ ، ١٤٤ ٤٨ + ١٥٣ ص

• مدخل الى الكيمياء الفيزياوية اللاعضوية : تأليف د . عصام جرجيس سلومي ، الموصل ١٩٧٩ ، ٤٨٥ ص .
• الموجز في التراث العلمي العربي : تأليف د . علي عبدالله الدفاع ، نيويورك ، غير مؤرخ ، ٢٤٨ ص .

كتب الاقتصاد

• إنتاج الأغنام والصوف : تأليف د . نجيب توفيق غزال ، و ـــ د . مظفر نافع الصائغ ، الموصل ١٩٨٠ ، ٤٠٠ ص .
• التخطيط الاقتصادي : أسلوب لإدارة الاقتصاد الوطني : تأليف د . عبد القادر محمد بودقة ، الموصل ١٩٧٩ ، ٣٢٧ ص .
• الثروة الحيوانية في العراق وسبل تطورها : تأليف د . حافظ ابراهيم محمود ، الموصل ١٩٨٠ ، ٦٣٨ ص .
• دراسات في اقتصاديات النفط والسياسة النفطية : تأليف د . محمد أزهر سعيد السماك ، و ـــ د . زكريا عبدالحميد باشا ، الموصل ، ١٩٨٠ ، ٢٥٣ ص .
• خطة التنمية الخمسية ١٩٧٦ ـــ ١٩٨٠ : إصدار المجلس القومي للتخطيط (الأردن) غير مؤرخ ، ٣٢٩ ص .
• مسيرة التنمية في الأردن ١٩٧٢ ـــ ١٩٧٨ : إصدار المجلس القومي للتخطيط (الأردن) غير مؤرخ ، ٢٥٠ ص .
• مبادئ الأنتاج الحيواني : تأليف د . نجيب توفيق غزال ، راضي خطاب عبدالله ، د . ناهل محمد علي ، الموصل ١٩٧٩ ، ٥٤٤ ص .

كتب الاجتماع

• المجتمع الأردني ، دراسة إجتماعية تربوية : تأليف د . شبيب صالح أبي جابر ، إصدار الجامعة الأردنية ، ١٩٧٩ ، ١٠٨ ص .
• المجتمع الأردني : تأليف د . محمد عبدالهادي دكلة ، د . قاسم محمد الفرحان ، و د . ساهر حسن سداد ، الموصل ١٩٧٩ ، ٣٦٠ ص .

تصحيح أغلاط مطبعية في الجزء الثاني

ص	س	خ	ص
٢٦٥	٢٠	معهم	منهم
٢٧٠	٢	الإستانة	الأستانة
٢٧١	٧	الأنتلجيسيا	الأنتليجنسيا
٢٧٤	١٧	وقعلاء	فعلاء

★ ★ ★

الفهرس

المقالات

عرض الكتب

آراء وأنباء

مجلــة المجمع العلمــي العراقي

أنشئت سنة ١٣٦٩ هـ – ١٩٥٠ م

العنوان : بغـداد الوزيرية ص . ب. (٤٠٢٣)

(تصدر أربعة أجزاء في السنة)

قيمة الجزء : ٦٥٠ فلساً ، وتضاف اليها أجرة البريد

توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

تطلب المجلـــة من المجمـع ومن الدار الوطنية للتوزيـع – بغـداد

البحوث التي تنشر في المجلـــة تعبر عن آراء كتابها الشخصية

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٦ لسنة ١٩٨٠

مطبعة المجمع العلمي العراقي ٣٠٠٠ / ٧ / ١٩٨٠